
بسم الله الرحمن الرحيم


قراءة في السيرة الفاطمية

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٣ – ٢٣١٢

الحداد، كفاح، ١٩٥٩ –

قراءة في السيرة الفاطمية / تأليف كفاح الحداد. – الطبعة الأولى . – كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية . شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية ١٤٣٦ق. = ٢٠١٥م.

ص٨٧٩. – (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛١٥٤).

تبصرة ببليوغرافية: يحتوي على هوامش لأئمة مصادر: ص ٨٤١ - ٨٦٠.

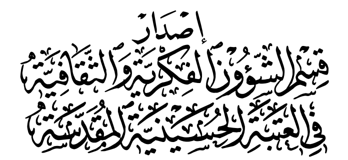
١ . فاطمة الزهراء (س)، حو. ٨ ق. هـ – ١١ هـ . السيرة. ٢ . فاطمة الزهراء (س)، حو. ٨ق. هـ – ١١ هـ. – فضائل – أحاديث . ٣ . فاطمة الزهراء (س)، حو. ٨ ق. هـ – ١١هـ . ايذاء وتعقيب . ٤ . فاطمة الزهراء (س) ، حو. ٨ ق. هـ – ١١هـ. – تأثير – النساء المسلمات . ٥ . واقعة احراق باب دار فاطمة الزهراء (س)، ١١ هـ . ٦ . فدك (المدينة المنورة، السعودية) – تاريخ ونقد. ٧ . فاطمة الزهراء (س)، حو. ٨ق. هـ – ١١ هـ. – الشهادة. ٨ . فاطمة الزهراء (س)، حو. ٨ ق. هـ – ١١ هـ – في القرآن . ٩. فاطمة الزهراء (س)، حو. ٨ ق. هـ – ١١ هـ . – الدور الاجتماعي والسياسي. ١٠ . فاطمة الزهراء (س) ، حو. ٨ ق. هـ – ١١ هـ . – الدور الثقافي والاعلامي. ألف. العنوان. ب. السلسلة.

BP 27.2 .H33 2015

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة


قراءة في السيرة الفاطمية

كفاح الحداد


إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا فاطمة! إن الله عز وجل يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»[1].

عن الامام الحسين عليه السلام، قال: صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والائمة من ولدها امناء ربي وحبله الممدود بينه وبين خلقه من اعتصم به نجا ومن تخلف عنه هوى[2].

عن الامام الحسين عليه السلام، قال: صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والائمة من ولدها امناء ربي وحبله الممدود بينه وبين خلقه من اعتصم به نجا ومن تخلف عنه هوى[3].

عن عائشة:

«ما رأيت أحدا أشبه سمتا ودلا وهديا وحديثا برسول الله، في قيامه وقعوده، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالت:

(١) (الطبري/ذخائر العقبى/ص ٣٩، وفي مسند الإمام الرضا عليه السلام، الحاكم/مستدرك الصحيحين/ج ٣/ص ١٥٤، الأربلي/كشف الغمة / ج ٢/ ص ٨٤).

(٢) (المجلسي البحار ١٠: ٢٣ ح ١٦).

(٣) (المجلسي البحار ١٠: ٢٣ ح ١٦).

وكانت إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام إليها، فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل عليها، قامت من مجلسها، فقبلته وأجلسته في مجلسها»[1].

عن ثوبان، قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سافر، آخر عهده إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم، فاطمة عليها السلام[2].

(١) (الطبري/ ذخائر العقبى/ ص٤٠، ومثله في سنن أبي داود/ج ٢/ص ٣٥٤، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوريّ الشافعي ١٥٤: ٣).

(٢) (الطبري/ذخائر العقبى/ص ٣٧).

الاهداء

الى غرس النبوة الخالدة وشجرة الامامة الباسقة وبهجة قلب المصطفى وشجنة فؤاده وبضعته الشبيهة به.

الى التي ازهر نورها في الارض والسماء فكانت زهراء.

وفُطمت بالعلم وفَطمت شيعتها من النار فكانت فاطمة.

وكلمت الملائكة التي نادتها في المحراب فكانت محدثة.

ام الرسول.. وبنت الرسول.. وبضعة قلب الرسول.. وام ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الى الراضية المرضية الطاهرة الزاكية الحنون الحانية.

الى التي قلّبها الدهر في مضاجع نوائبه فكانت ممتحنة في كل دقائق ورقائق حياتها حتى كانت سيدة المؤمنين والمؤمنات وسيدة نساء الجنة وسيدة نساء العالمين.

الى الزهراء فاطمة بنت محمد بن عبد الله..

هذه اوراق خجلة مضيقة حدودها قصيرة كلماتها تقف خاشعة عند ابواب الطهر والكمال يهز قلبها مُنى القبول.

كفاح الحداد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا وهادينا المحمود الاحمد أبي القاسم محمد خاتم النبيين، وعلى اهل بيته الميامين الاطهار سيما بضعته الطاهرة وشجنة قلب المصطفى فاطمة الزهراء البتول عليها وعلى ابيها وبعلها واولادها افضل التحية والسلام.

وبعد فإنه ماكان يدور في خلدي أني ساكتب يوما كتابا أتناول فيه السيرة والتاريخ فقد كنت أرى ان المكتبة الإسلامية تكاد تغص بما فيها من الكتب التي تناولت الكثير من بحوث السيرة والتاريخ، بيد أني لما طرت بين أفياء الكتب الكثيرة واقتحمت الاكداس الهائلة مما كُتب ودُوّن عبر سنين طوال وعقود كثار أدركت انه مازالت هناك حاجة مستمرة للكتابة في الموضوع نفسه؛ لاختلاف الافكار وتطور المفاهيم والرؤى وتباين الحاجات الى عروض جديدة ومفيدة تفيد الاجيال والامصار والاقوام المختلفة وبلغة ربما متفاوتة بعض الشيء فقلت في نفسي: فلأدلِ بدلوي في بحور العلم والسيرة فربما كانت بضاعة مزجاة! تجد لها قاصدا يسأل عنها أو باحثا يبحث عنها أو

يتناولها بالتجديد والتنقيب بالاساليب الحديثة، فشمرت عن ساعدي بعد تردد طويل في الكتابة حول شخصية عظيمة محاصرة في اطار ضيق!! ولهذا قلّ من فهمها وعرفها حق معرفتها... فكانت هذه الوريقات المتواضعة التي لن تسعفنا في التعريف الكامل، وأنّى للناقص ان يتحدث عن الكامل! ولكنها ربما بداية أو ربما عرض وجيز.

وعلى العموم لا ندعي الكمال أو الاحاطة بالأمور كلها فهذا أمر لا يمكن أن يكون له حيز في أفكارنا كما لا انكر الدعم الإلهي الذي كان واضحا فما رميت أنا ولكن الله رمى وهو الذي سدد رميتي رغم تواضعي وقلة معرفتي ولكنّ لله تعالى شؤوناً وأموراً، وأرى أن الكتاب قد كتبته صاحبته عليها السلام وهيأت له مصادره فأدركت انها مشيئة الله في أن أخوض هذا البحر اللجي فكان السداد في أوله والأمل المرجو في نهاية المورد من القبول ومسك الختام..

ونأمل أن يكون هناك مايفيد القارىء والقارئة في هذا السفر الصغير.. ونأمل أن نجد في القلوب متسعا للعفو عن التقصير والقصور.

فهو شيء يسير لا ينافس أو يقايس بالناطحات من الكتب لكنه ربما يكون منطلقا لكتابات معاصرة تكون فيها الفائدة للجميع.

كفاح الحداد

مدخل: لماذا السيرة الفاطمية؟

السيرة من السير والسير في اللغة (الذهاب، كالمسير، والمسيرة، والسيرورة، والاستيار)

والفعل: سار، ومضارعه يسير، لأن أصله سَيَرَ.

وهو يستعمل لازماً ومتعديا، قال العلامة ابن منظور: (وسار البعير، وسرته أنا، وسارت الدابة (لسان العرب: سير).

وقد ذكر أهل اللغة لاسم (السيرة) أربع دلالات، فقالوا، (السيرة: الضرب من السير، والسيرة: السنة والسيرة: الطريقة، والسيرة: الهيئة) (القاموس المحيط، ومقاييس اللغة: سير).

على هذا تكون السيرة هي كل ماقام به المعصوم عليه السلام من أعمال وماقاله من أمور وقرره من حقائق سكت عنها أو نهى عنها.. فالسيرة اذن رحلة لاكتشاف الانسان العظيم وتسليط الضوء على منجزاته وأعماله وآرائه وبيان فلسفته ونظرياته وهي استنطاق لما تركه من تراث فكري

وحضاري وثقافي يفيد الانسانية ويكون عونا لها على دحر الظلمات وسبر معابر النور.

وتتكون حياة كل إنسان وسيرته من نوعين من الوقائع:

الأول: وقائع يتشكل بها (تاريخ حياته) بدءا بولادته وظروف نشأته وانتهاءً بوفاته وظروف موته، وطبيعة هذا النوع من الوقائع غير قابل للتكرار والإعادة.

والآخر: وقائع تتشكل بها (طريقته في الحياة) ونهجه ومذهبه العملي فيها وتتألف من عاداته اليومية وسلوكياته المختلفة إزاء الحوادث والأشياء المحيطة به، وطبيعة هذا النوع من الوقائع متكرر ومعاد ومن هنا سمّي (عادة) و(طريقة)[1].

على هذا فسيرة السيدة الزهراء عليها السلام تتناول اقوالها وافعالها وسماتها وماقامت به من أعمال على مختلف الصُعد الاسرية والذاتية والاجتماعية والسياسية والثقافية والأساليب التي تعاملت بها مع الظروف الحرجة التي مرت بها وماقالته من حِكم وأقوال وخُطب وما اتخذته من مواقف الى غير ذلك، بمعنى آخر انها (حياتها تحت المجهر) بعد الكشف والتنقيب عن كل الدوائر المحيطة والمؤثرة في التعريف بحياتها بكل أبعادها الخاصة والعامة بما فيها مراحل حياتها في طفولتها وشبابها ومرضها ورحيلها.. وحياتها بما فيها من حلو ومر ومصاعب عاشتها ومواقف اتخذتها مع بيان

(١) (السيد سامي البدري / السيرة النبوية الباب الاول بحوث تمهيدية).

نقاط التحول في حياتها وتأثيراتها ونتائجها.. هي اذن استقراء لحياة هذه المرأة العظيمة واستنطاق للتاريخ ومحاولة سبر أغوار تلك الشخصية في حقبة زمنية مميزة هي مرحلة ظهور الإسلام وتأسيس دولته العظمى، وكيف يمكن الوصول الى فهم صحيح لهذه الشخصية العظيمة – بل اي شخصية اخرى – دون إحاطة بالظروف التي أحاطت بها والتي شكلت الحالة الاجتماعية والثقافية والسياسية التي كانت موجودة والتي أدت – من ثم – إلى اتخاذ اجراءات أو قرارات أو مواقف تحدث عنها التاريخ وكتبها في مدوناته وربما حاول البعض اخفاءها لطمس معالم الشخصية!!... على هذا تكون السيرة هي محاولة لفهم الشخصية واختراق أسوارها عبر فهم صحيح ورؤية موضوعية واضحة.

ولما كانت هذه الشخصية المباركة تمتاز بأنها معصومة طهرها الله تعالى من كل رجس ودنس وعيب ونقص فهي اذن نموذج الانسان الكامل، فالسيرة هنا بيان لمعالم الانسان الكامل ومواصفاته وآثاره وهي انعكاس لوجوده المبارك على الرسول والرسالة والمرسل اليهم بل على الكون كله وربما على الدارين والحياتين وكلا النشأتين. ولما كانت العصمة رداءها وقد هجرتها الذنوب والأدران والمعاصي والارجاس فهي صورة مقدسة خالدة لكل انسان على مدى الزمان فمهما مرت العصور والدهور يبقى الانسان متلهفا باحثا عن الانسان الكامل، ففي شغاف كل قلب بشري نزوع نحو الكمال وان اختلفت تعريفاته وصوره.. وهناك على الدوام رغبة ملحة للتعرف على الانسان

النموذج والقدوة الحسنة التي لن يكون هناك خير من المعصوم صورة لها.

بيد ان هذا النموذج الرفيع كان قد تجلى في صورة امرأة يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها!!وعجيب ان تكون هناك امرأة بهذه المواصفات العليا!، وهو مما يتطلب منا التوقف عند نموذج الانسان الكامل أو بالأحرى المرأة الكاملة التي هي المثل الأعلى للرجل والمرأة على حد سواء.. علاوة على كونها النموذج السامي للشخصية النسائية التي أحياها الإسلام لتكون قدوة يُقتدى بها.. فمما لا شك فيه أن عصور الانحطاط - وبخاصة الانحطاط العقائدي والثقافي والاجتماعي- في العهد الجاهلي قد أظهرت نماذج مشوهة للمرأة وهذه النماذج كانت تمثل الصور العاكسة لفكرة المجتمع عن المرأة ومكانتها فيه، فكانت نماذج سلبية تتمحور حول (قيم) خاطئة تحط من شأن المرأة (كأنواع الزواج في الجاهلية أو العضل والظهار والوأد والجواري.. الخ) ولما بزغ فجر الدعوة الإسلامية التي كنست من باحة الحياة كل القيم الجاهلية وأدرانها وأفكارها فإنها عرّفت بنماذج الإنسانية العليا فكان المسلمون والمسلمات الاوائل صورا خالدة ومشرقة في تاريخ الدعوة، وكان للجميع دور كبير في الحفاظ على العقيدة وفي إظهار الصورة المشرقة لاهتمامها بنصف المجتمع في نساء تعددت أدوارهن في البيعة والهجرة والى غير ذلك، لكن النموذج الكامل يظهر لنا في صورة الزهراء عليها السلام من خلال أبعادها الذاتية كالعصمة ورعاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها وأبعادها الزمانية في امتداد ادوارها ضمن أحرج محطات التاريخ في المجتمع الضاغط في مكة وفي

المجتمع الجديد في المدينة بل الى مابعد حياة أبيها، وفي أبعادها المكانية التي أشرنا إليها وفي أبعادها التكاملية الأخرى - الاجتماعية والانسانية والثقافية والتربوية والسياسية -. فهي نموذج متكامل ممتد على ارض الزمان والمكان واكب ظهور الرسالة وتكاملها واتمامها مع تمام نزول آيات الوحي المبين.

فالزهراء عليها السلام تمثل المثل الاعلى للانسان المسلم ذكرا أو انثى، وهي القدوة الثابتة للمرأة المسلمة في كل زمان ومكان.. فلقد كانت عليها السلام مسلمة واعية ناجحة في كل أبعاد حياتها وفي عبادتها وجهادها وحجابها.. وكانت نموذجا ساميا للام المقدسة التي تنحني لها الجنان تذللا لعطائها التربوي، وهل هناك مَنْ أعظم عطاءً منها وهي اُم سيدي شباب اهل الجنة واُم عقيلة الطالبيين بل هي اُم الائمة والامامة كلها!. اضافة الى ان الآليات التربوية التي اعتمدتها في التعامل مع اولادها كانت اساليب جديدة ما كانت اصلا في المجتمع الجاهلي.. كما انها كانت نموذجا راقيا للزوجة الصالحة والتي لولا علي عليه السلام لما كان لها كفؤ ابدا.

وهي البنت البارة الحنون التي يبادلها خير البشر صلى الله عليه وآله وسلم كل آيات التقدير والاحترام، وهي المسلمة الحاضرة في ساحات الحياة بأبعادها المختلفة، بهذا فهي النموذج الكامل للانسان الذي هو خليفة الله في أرضه، وللمرأة التي هي نصف الانسانية، وهي الصورة التي رسم أبعاد شخصيتها الاسلام ضمن اطروحته الكبرى التي تقوم على العدل والمساواة وتزكية النفس والتسابق الى الجنان الى غير ذلك.

لقد كانت الزهراء عليها السلام هي صورة الاسلام الناطق في امرأة عظيمة خالدة في مشاعرنا. وبهذا يتباهى الاسلام بأنه قدم نماذجه الرفيعة الخالدة في ثلة المعصومين عليه السلام – بما فيهم النساء – لتبقى صورة خارقة لذاكرة الانسان المعاصر.

ان التعرف على سيرة هذه المرأة المعصومة والتي كانت خير النساء وافضل النساء يُسهم الى حد كبير في وضع العلاجات لمشاكل المرأة المعاصرة ولاسيما المرأة المسلمة كما يُسهم في ازاحة الشبهات وبيان اشكاليات الرؤى الجديدة المطروحة عالميا.

ان الاشارة والتعريف بحياة هؤلاء العظماء يساعد في ايجاد تقارب بين الفكرة والواقع ويكون ايضا عونا على فهم النظرية اكثر ودعمها. كما ان طرح موضوع السيرة (لاي شخص ولاسيما المعصوم) ونشر معارفها انما هو محاولة لاماطة اللثام عن حياة هذه الشخصيات العظيمة وبيان محطات حياتهم وظروفهم التي عاشوها والاحداث التي مرت بهم، فالتعريف هو احد الاهداف الاولية في مباحث السيرة.. غير ان هذا التعريف ينطوي على هدف سامٍ عظيم الا وهو ايجاد اقتراب (معنوي نفسي ثقافي تكاملي) بين السيرة والشخصية وبين الانسان المعاصر وكلما زاد الاقتراب زاد الاقتداء ووضُح النموذج التاريخي حتى يصبح كنموذج معاصر له القدرة على اقتحام النماذج الفارغة المفروضة علينا ضمن وسائل الاعلام ومساعي الحكومات الى غير ذلك.

(ومما لا شك فيه، ان التربية عن طريق عرض الواقعة التاريخية واسلوب القدوة هو افضل اسلوب في التربية وتجمع عليه المذاهب والفرق على اختلافها قديما وحديثا وهو الاسلوب الذي اتبعه خالق الانسان مع الانسان نفسه، وهو واضح من خلال الكتب السماوية المعروفة وقد تميز القرآن الكريم بهذا الصدد بما لا يضاهيه كتاب آخر، حين ضم بين دفتيه انواع القصص).

ولا ننكر ان هناك اطروحات متعددة للسيرة نقف أمام بعضها لنبين ما لها وما عليها لكي يكون القارئ والقارئة على علم ووعي بأهمية وكيفية طرح المواضيع التي تتعلق بسيرة الانبياء عليهم السلام والاولياء واهم هذه الاطروحات:

١ـ الطرح التقليدي للسيرة... وهذا الطرح يقوم على بيان الروايات والاحداث فقط وهو مهم من حيث انه يجمع هذه الروايات والاحداث ويصوغها في قالب تاريخي ولفظي مهم، وبذلك يعين الباحثين في امدادهم بالمادة الخام أو المادة المغذية لكتبهم وبحوثهم وقد كان لهذا النوع من الطرح ـ ومازال ـ اهمية كبرى في الوقوف ببسالة امام التيارات المنحرفة وأصحاب الأفكار المضادة التي قد تعتمد أيضاً على الروايات والاحداث، ولكنها تؤول الوقائع بما قد يغير مسار التاريخ كله!! ويعطي صورة مشوهة للشخصية العظيمة، ولولا هذا النوع من الطرح العام أو التقليدي لضاعت امور وغابت حقائق بل لغابت شخصيات وتعالت اخرى ممن لا تستحق الظهور.

٢ـ الطرح العملي للسيرة وهو طرح يعتمده المتخصصون في العلوم

المختلفة فهو يحاول ان يستنبط مما قدمه الطرح الاول أبعادا مختلفة فنرى العالم التربوي يبحث من خلال السيرة عن ملامح الرؤية الاسلامية في التربية والباحث النفسي يدرس نموذج الشخصية وسماتها وتوازنها ونفس الشيء يقال عن عالم الاجتماع وغيره وبهذا نقرأ السيرة ضمن متداولات جديدة تسهم في تسليط الضوء على الفكر الاسلامي، وهو ايضا اسلوب يتحدث بلغة العصر فهو اكثر اقترابا من الاجيال المعاصرة ولاسيما المثقفة والمتعلمة، وقد يكون مدخلا نحو التوغل الى دراسات اوسع في الجانب الاول فمن خلال دراسة ابعاد الشخصية قد نصل الى نتيجة ان هذه الشخصية لايمكن ان تقوم بالعمل الفلاني الذي قد ينسب إليها بناءً على احاديث أو روايات كاذبة أو مختلقة فهو اذن يستفيد من العرض التقليدي الذي يزوده بالمادة الخام والمادة الغذائية لبحوثه ويحاول ان يستنبط دروسا عملية تسهم في (عصرنة) السيرة وتحويلها الى واقع حياتي.

وسأحاول المرور على السيرة الفاطمية وبشكل سريع ضمن بيانين:

١ـ الطرح التحليلي التجزيئي الذي يتابع الاحداث والمراحل العمرية.

٢ـ الطرح الموضوعي العام الذي يستنبط الاصول المهمة الواضحة في هذه السيرة.

وقبل البدء لابد ان أشير إلى بعض الإشكالات الموجودة في الطروحات والابحاث الخاصة بالسيرة منها:

١. الاهتمام بجانب والتركيز عليه واهمال الجوانب الاخرى فقد نرى مثلا

تركيزا على حادثة معينة أو واقعة معينة وإهمالاً لبقية تاريخ السيرة في حين ان حياة هؤلاء المعصومين عليهم السلام كلها مدارس وكلها ذات آثار وفوائد لنا وماقد يبدو (أمراً ثانوياً) عند البعض قد يكون (هاماً جدا) عند آخرين.

٢. الافراط في بيان الجانب الغيبي للشخصية والذي يؤدي الى إبعاد المسافة بينها وبين المقتدي!!، فمن المؤكد ان هؤلاء العظام كانت لهم شخصية غيبية تمثلت في الامدادات الغيبية والكرامات وكانت لهم علاقة خاصة بالغيب فهم ليسوا كباقي البشر، انما هم اعلى من البشر بهذا الامتياز ولكنهم في نفس الوقت بقوا نماذج عليا للبشر!! ولتوضيح ذلك أقول مثلا: إن الجاهلين كانوا يحتجون على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لماذا لم يرسل الله تعالى الملائكة لتكون لهم أنبياء ورسلاً بدلا من الامي الفقير؟ فيأتي جوابه صلى الله عليه وآله وسلم بالآية المباركة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] فرغم ان مرتبة الوحي الالهي عظيمة إلا أنها لم تلغِ عالم بشريتهم.. اننا نقرأ أن الزهراء عليها السلام كانت تطحن بالرحى لكنها في الوقت نفسه كانت ذات مقامات غيبية عالية.. ونقرأ عن الحسن والحسين عليهما السلام انهما كانا يرتقيان ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أثناء السجود فيطيل سجوده حتى ينزلا عن ظهره الشريف، انه يريد ان يقول ان هؤلاء اطفال يلعبون كباقي الاطفال وإن كانوا في مراتب متقدمة تجعلهم فوق الصغار والكبار على حد سواء، فهما سيدا شباب اهل الجنة وهما إمامان إن قاما وإن قعدا.. ان التأكيد على بشرية هؤلاء يوصل رسالة

الى المقتدي انه يمكن الاقتداء بهؤلاء (البشر) في حين ان الافراط في بيان الجانب الغيبي يوصل رسالة الى المتلقي (انه لا يمكن الاقتداء بهؤلاء العظماء فهم أبعد شيء عن البشر!!) وهذا هو الطرح التجريدي للسيرة الذي يجعل اهل البيت نجوما معلقة في السماء يكتفي المؤمن بهم بالنظر والتطلع ولا يجدُّ في السير إليهم.. ورغم ان للجانب الغيبي تأثيره الواضح على السيرة نفسها وعلى تعاملهم مع الظروف التي مرت بهم وعلى حياتهم بل على حياة من كان معهم لكن يجب أن نسلم أن هؤلاء بشر عِظام وفي نفس الوقت لهم مقامات غيبية قد لا تدركها عقولنا الصغيرة!!.

٣. تشويه المفاهيم الاصيلة لبعض الروايات والاحاديث فمثلا الحديث الوارد عن الزهراء عليها السلام في انه خير للمرأة ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل (البحار: ج٤٣، ص٨٤)[(١)].

.. في حين أسرف البعض في الفهم وفسر الحديث بأنه يعني حجر النساء في البيوت!! ولهذا عزلها عن التعليم والعمل والمشاركة الاجتماعية!! فهي لا تخرج الا مرتين مرة الى زوجها ومرة الى قبرها وهذا شجع النساء على التمرد وادى الى حدوث شرخ واسع بين فهم الدين وتطبيقه وحدوث خلط واسع بين الشعارات والعادات والتقاليد ونسبة كل ماهو غير انساني الى الدين نفسه!!.. والذي يتأمل التاريخ يجد ان الزهراء عليها السلام خرجت من بيتها مرارا تارة الى ارض المعركة لمعونة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم في اُحد

(١) آية الله السيد الخوئي رحمه الله يرد الرواية لانها مرسلة في كتاب مستند العروة الوثقى كتاب النكاح ج١ص٥٣.

ولتفقده في حرب الخندق ومرة خرجت آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر ناصرة للولاية في مواقفها العظيمة في مطالبة أبي بكر بحقها في فدك وحق زوجها في الولاية وبيان الانحراف الذي طرأ على مسار الامة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكيف نفسر هذا الأمر مع الحديث السابق؟ بل إن العجيب أن هذا الدور يمتد الى خروجها الى بيت الاحزان يوميا لمواصلة اعلان احتجاجها رغم ألمها ومرضها وفاجعتها!!..

على هذا نحتاج للتعرف على سيرة الزهراء عليها السلام لكي نصل الى تربية عقائدية وتشريعية ونفسية واجتماعية ولكي نستطيع تصور النموذج المطلوب في الاسلام.

بيد اننا لا ننكر أن هناك تقصيرا في عرض سيرة هذه الشخصية العظيمة ويعود السبب الى جملة أمور منها شخصية الموالين والمخالفين وكذلك المزايا والظروف التي احاطت بشخصية الزهراء عليها السلام نفسها.. فمن ناحية المخالفين فقد اخفوا مناقبها ومناقب زوجها عليه السلام واولادها عليهم السلام للترويج لصور ونماذج واحاديث وافكار وشخصيات معينة الامر الذي جعل هناك عرضا هائلا للافكار الصحيحة والكاذبة مما جعل الفصل بينهما صعباً للغاية، كما وادخل الامة في حراب شائكة غارزة ممتدة حتى وقتنا الحالي..

أما من ناحية الموالين أنفسهم فقد حاصروا الزهراء عليها السلام في أفق ضيق هو أفق المأساة وحادث الهجوم على الدار ولطالما بحثتُ وقرأتُ ونقبتُ

فوجدت ان ماكتب عن أدوارها وآثارها تضيق عنه راح اليد!! وهذا تحجيم لهذه الصورة العليا للانسانية، فأين هي كمالاتها وادوارها؟.

ويبدو أن الزهراء عليها السلام كانت متقدمة على عصرها -كما كان زوجها عليه السلام - فلم تعرف الناس علياً عليه السلام حق المعرفة وهو الحاضر في الحروب والمغازي وهو القرآن الناطق وباب مدينة العلم وكاتب الوحي وقسيم الجنة والنار، فكيف تفهم الزهراء عليها السلام في عشرة اعوام مشحونة بالاحداث والآيات والوقائع العظيمة؟ وفي ظل تزاحم المفاهيم الجديدة مع المفاهيم الجاهلية.. ولا ننسى ان زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان متميزا فقد كان فيه خمسة معصومين عليهم السلام ومن البديهي ان الامة حينما تحتاج الى أمر ما سواء كان أمراً معرفيّاً أو غيره فإنها تتوجه بالقصد الى المعصوم الاول الذي عرفوه فيلجأون الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه.. كما أن هناك الحساسيات الموجودة وغيرة النساء ومشاكل البيت النبوي، والتي أشار القرآن الى بعضها، وقد تركت آثارها خارج البيت النبوي ولعبت دورا كبيرا في إقصاء الفهم الصحيح لكثير من القيم الاسلامية، وتكفي حادثة فدك كدليل على ذلك فقد شهدت ام سلمة رضي الله عنها للزهراء عليها السلام ولكن عائشة كذبت الاثنين!! والجميع نقلوا عن مصدر واحد الا وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا جميعا في بيت النبوة!! فلابد إذاً من وجود صادق وكاذب لعدم اجتماع النقيضين!!.

على هذا فنحن بحاجة الى استقراء حياة المعصومين ومنهم الزهراء عليها

السلام من خلال عدة اتجاهات واختصاصات فنحتاج الى الاديب الذي يعرفنا ببلاغة اهل البيت عليهم السلام، ونحتاج الى التربوي الذي يبحث في النظريات التربوية عندهم، ونحتاج الى الفقيه الذي يغور في بحار الفقه عندهم عليهم السلام كما نحتاج الى المتخصصين في علم النفس والاجتماع والتاريخ والسياسة والاقتصاد وغير ذلك لكي نستقرئ هذه الشخصيات من عدة ابعاد ولا نبقى ندور في فلك واحد متكرر قد لا يزيد الاجيال القادمة الا تطرفا وتغافلا عن محاسن هؤلاء العظام!!.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطِمَة بَضْعَةُ مِنّي فَمَنْ أَغْضَبَها أَغْضَبَنِي)[١].

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني، من سرها فقد سرني ومن ساءها فقد ساءني فاطمة اعز الناس علي[٢].

- وروى مجاهد، قال: خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو آخذ بيد فاطمة عليها السلام فقال: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[٣].

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ كتاب الفضائل باب مناقب فاطِمَة ص١٣٧٤/ خصائص الإمام عليّ للنسائي ص١٢٢/ الجامع الصغير ج ٢ ص ٦٥٣ ح٥٨٥٨/ ذخائر العقبى ص٣٧/ ينابيع المودّة ج٢ ص٥٢).

(٢) (البخاري ٢٦: ٥ باب مناقب فاطمة - امالي المفيد ٢٦٠ج٢).

(٣) (بحار الانوار ج ٤٣ ص٥٤ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص١٤٦).



الفصل الاول

السيرة الفاطمية

السيدة فاطمة بنت محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب عليهم السلام

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد البشر وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين وحبيب الله وهو ينتهي الى أشرف بيوتات قريش فجمع النسب العائلي والمعنوي ليكون خير البشر أجمعين صلوات الله عليه.

أمها: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي الاسدي.

زوجها: أمير المؤمنين ويعسوب الدين الإمام علي بن ابي طالب ابن عم النبي وأول القوم إسلاما.

أبناؤها: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والسيدة زينب عقيلة الطالبيين والسيدة اُم كلثوم.

ألقابها وأسماؤها: الزهراء، البتول، الراضية، المرضية، الصديقة، المحدثة، الزكية، المباركة، أم أبيها. سيدة نساء العالمين.

الولادة المباركة

اختلفت الروايات التي تحدد تاريخ ولادة الزهراء عليها السلام فبعضها يشير الى ولادتها قبل البعثة والغالبية المعتمدة عند مدرسة اهل البيت عليهم السلام تشير الى ولادتها بعد البعثة.

ففي الرواية عن الامام علي بن الحسين عليهما السلام: لم يولد لرسول الله من خديجة على فطرة الاسلام الا فاطمة[1].

وقال بعض المؤرخين إنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين، وتذهب معظم روايات أهل البيت عليهم السلام إلى أنها ولدت بعد البعثة بخمس سنين (الكافي بسند صحيح، والمصباح الكبير، ودلائل الإمامة، ومصباح الكفعمي، والروضة، ومناقب ابن شهر آشوب، وغيرها).

ومما يدل على أنها ولدت بعد البعثة روايات كثيرة أكدت على أن نطفتها قد انعقدت من ثمر جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، منها ما روي عن ابن عباس، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة.

---

(١) (روضة الكافي ح٥٣٦).

وما روي عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام كالإمام الصادق عليه السلام من أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعائشة حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته فاطمة قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، يا عائشة!لما اُسري بي إلي السماء أدخلني جبريل الجنة، فناولني منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء إنسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها»(١). كما ورد في البحار عن أمالي الصدوق، وعيون أخبار الرضا، ومعاني الأخبار، وعلل الشرائع، وتفسير القمي، وغيرها الكثير، وللتفصيل راجع الصحيح في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لجعفر مرتضى العاملي).

الأبوان المباركان: محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة عليها السلام

هي فاطمة بنت خاتم الانبياء محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤى...

وكما هو معروف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينتهي الى أشرف بيوتات قريش فسقاية الحاج كانت لبني هاشم الذي كان معروفا بكرمه وجوده فهو خير البشر وسيدالمرسلين وحبيب رب العالمين اصطفاه الله من بين الناس أجمعين ليكون هاديا ومبشرا ونذيرا ليبلغ رسالة التوحيد الى البشرية الضائعة في غياهب الشرك والضلال وليكون على يديه وبيمنه وبركته اِعداد خير امة اخرجت للناس صلوات الله عليه.

(١) (مستدرك الحاكم/ج ٣/ص ١٥٦، ومجمع الزوائد/ج ٩/ص ٢٠٢).

وهو الولد الوحيد لأبيه الذي كان واحدا من عشرة وقد توفي عبد الله قبل مولده فجاء الى الدنيا يتيما وكانت ولادته صلوات الله عليه في العام الذي قاد فيه إبرهة الجيش العظيم الذي تتقدمه الفيلة لتدمير الكعبة فحمى الله بيته بإرسال الطير الابابيل على الجيش الجرار فجعلتهم كعصف مأكول.. وقد صاحبت ولادته معاجز كثيرة منها إخماد نيران فارس.. وعاش في كنف امه آمنة بنت وهب ست سنوات وبعدها عاش مع جده عبد المطلب سنتين ثم انتقل الى بيت عمه ابي طالب وهو ابن ثماني سنوات.

عرفته مكة بأنه الصادق الامين وهو الذي حسم نزاع القبائل في حمل الحجر الاسود حينما اُعيد بناء الكعبة من جديد بعد أن أغرقها السيل.

وكانت الجزيرة آنذاك تترقب ظهور نبي جديد من الروايات التي نشرها الرهبان والاحبار ورسمت علاماته فلما بُعث نبياً حاربه قومه وآذوه فلم يجد سبيلا سوى الهجرة الى المدينة تاركا مكة بما فيها من حب وعلاقات وذكريات ومن المدينة التي هاجر اليها الرسول بدأ التاريخ الاسلامي وتشكلت الدولة الاسلامية الكبرى ذات الحضارة العظمى التي حكمت البشرية قرونا عدة.

تزوج صلى الله عليه وآله وسلم من السيدة خديجة وهو شاب في الخامسة والعشرين من العمرولم يجمع بينها وبين اي امرأة اخرى.

واما خديجة فهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر.. وفي تاريخ اليعقوبي (٨١١/٢) ان السيدة خديجة تجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في

نسبها في قصي الذي هو الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والجد الثالث لها وينتهي هذا النسب الكريم الى نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام.. ولقصي مكانة خاصة في تاريخ قريش فقد جمع بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، وأسس دار الندوة، وجعل بابها إلى الكعبة، وفيها كانت تجتمع قريش وتقضي أمورها وتتشاور.. وكان اللواء يعقد في هذه الدار، وكانت لا تزف عروس إلا فيها، وكذلك تدريع الصبية الصغيرة، وهي سن تستحق فيها أن تلبس لباسا يسمى الدرع، وسموه مجمعا لأنه جمع أمور قريش، ودانت له مكة وأيدته قريش بقوة، واعترفت به سيدا لا ينافس، وبعد وفاته قسمت تلك الوظائف الدينية بين أولاده، وظلت إلى ظهور الإسلام.

أما أبوها – رضي الله عنها – خويلد بن أسد، فهو في الذروة من قريش نسبا وشرفا ومكانة.

وأم السيدة خديجة هي فاطمة بنت زائدة، وينتهي نسبها إلى عامر بن لؤي وجدها هي هالة بنت عبد مناف الذى يصل إلى لؤى بن غالب، وفي لؤي تجتمع خديجة مع النبي (صلى الله عليه وآله) من جهة أمها. فكلا أبويها من أعرق البيوت في قريش نسبا وأعلاهم حسبا.

وكانت السيدة خديجة تسمى في الجاهلية بالطاهرة[١] و بسيدة نساء قريش.

ومن الصعب ان تكون هناك امرأة بهذه المواصفات العالية الطيبة في

(١) السيرة الحلبية ص١٣٧، اعلام النساء ١\٢٧٥).

المجتمع الجاهلي الذي كان آسناً في أوضاعه وأحواله غارقاً في الفساد والظلم وامتهان المرأة يبارك الزنى والعياذ بالله ويئد البنات العفيفات!!..

ويرجح كثير من المؤرخين الى انها لم تتزوج غيرالرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى انها تزوجته صلى الله عليه وآله وسلم ولم تكن أرملة[1] وكان عمرها ٢٥ سنة.

وزواج السيدة خديجة من رسول الله كان قبل البعثة بعد ان عمل في تجارتها فسمعت الكثير عن خلقه الكريم فكانت الخطبة ثم الزواج.

كانت السيدة خديجة اول من آمن بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم من النساء والى هذا يشير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: آمنت بي اذ كفر بي الناس وواستني في مالها اذ حرمني الناس ورزقني منها اولادا اذ حرمني اولاد النساء.[2]

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كنت أول من أسلم فمكثنا بذلك ثلاث حجج وما على وجه الأرض خلق يصلي ويشهد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بما اتاه غيري وغير بنت خويلد رحمها الله[3].

وقال في خطبته المعروفة بالقاصعة: ولم يجمع بيت يومئذ واحد في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشم

(١) (دلائل النبوة ٢: ٧١، السيرة الحلبية ١: ١٤٠، البداية والنهاية ٢: ٢٩٤).

(٢) (صحيح البخاري ٤٨٥: ٥ الاصابة ٤/ ٢٧٥) الاستيعاب ٢٧٨: ٤،٤.

(٣) (البحار ج١٦ ص٢).

ريح النبوة[١].

وروى المؤرخون والمحدثون من طرق عديدة بأسانيدهم عن عفيف الكندي قال: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطورها فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فبينما أنا عنده - وكان رجلاً تاجراً- وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس وارتفعت إذ جاء شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه وانتصب قائماً مستقبلها إذ جاء غلام حتى قام عن يمينه، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت من خلفهما، ثم ركع الشاب وركع الغلام وركعت المرأة، ثم خرّ الشاب ساجداً وخر الغلام وخرت المرأة فقال العباس لي: أتدري من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا محمد بن عبد الله ابن أخي، وهذا علي بن أبي طالب، وهذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا - وأشار إلى النبي (صلى الله عليه وآله) - حدثنا أن ربه رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما أسلم على وجه الأرض، وما عليها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة، قال عفيف وقد أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه: لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ كنت ثانياً مع علي بن أبي طالب[٢].

وفي الروايات انها كانت على دين الحنيفية وكانت تنتظر انبعاث نبي في هذه الارض الغارقة في وحل الوثنية ولما جاءها الرسول صلى الله عليه وآله

(١) (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص٢٥٠).

(٢) رواه النسائي في (خصائص أمير المؤمنين) ص٣ والطبري في تاريخه ج٢ ص٢١٢. وابن الأثير في كامله ج٢ ص٢٢.

وسلم بعد نزول الوحي خائفا يطالب بالدثار طمأنته الى حاله وصبرته بل جعلته امام الرسالة قائلة (والله لا يخزيك الله تعالى ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسي العدم وتعين على نوائب الدهر ابشر يا بن عمي واثبت فو الذي نفس خديجة بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الأمة[1] نعم عرفته بشمائله وصفاته لأنها عاشت شمائله وصفاته فكانت تراها قبل ان يُبعث شمائل الانبياء وصفاهم... فهي المؤمنة منذ البداية.

بهذا نرى ان السيدة خديجة لم تكن امرأة عادية ابدا فقد فرضت وجودها في المجتمع الجاهلي الذي لا يسمح للمرأة بتبوؤ اي مكانة فضلا عن ممارساته الشائنة في انواع الوأد المادي والمعنوي لكنه عرّفها بأنها سيدة قريش وماكانت هذه السيادة لتأتي عبثا لولا مآثرها الطيبة في نسبها واستقامتها في تجارتها التي كانت تنافس تجارة سادة قريش وكبرائها مع الفارق ان هؤلاء كانوا يضاعفون اموالهم بالربا فاستحالت سحتا حراما في حين ان السيدة خديجة كانت تتجنب الربا وتتاجر بالمضاربة فكانت اموالها حلالا.. ثم انها فرضت وجودها وسيادتها ليس على رجال المجتمع المكي آنذاك فقد كان يُشار لها بالبنان وقدتقدم لخطبتها الكبراء ولكنها ما كانت لتهوى نفوسا غارقة في وحل الربا ووحل الظلم لمن تحت ايديهم.

واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان المجتمع المكي كان مقسما الى سادة وعبيد وكان السادة فيهم ذوي المطامع الدنيوية وكانت نساؤهم نموذجاً متهاوياً في

(١) (ابن عساكر / تاريخ دمشق /١٣: ٦٣).

الجهل والامية والفقر الثقافي اما العبيد فيضاف اليهم مع ذلك الفقر المادي وهناك تهاوي للفضيلة في وجود انماط شائنة من الزواج كزواج المقت حيث يتزوج الولد من امراة ابيه ونكاح الاستبضاع بان يرسل الرجل زوجته لتحمل من غيره وهناك نكاح مشابه بان يدخل الرهط على المرأة الواحدة فاذا حملت اختارت من تشاء أبا لولدها فابطل الاسلام كل هذه الانواع السيئة.

في هذا الجو الآسن كانت خديجة هي السيدة والطاهرة وماكان يستغرقها عبث النساء ولا ضلالتهم وهو نفس الشيء الذي يقال عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ففي الوقت الذي يتباهى شباب قريش ببطولاتهم الغرامية وبفحشهم ومجونهم كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعيش العفة والطهارة ولم يدخل في نزوات الشباب ولم يحضر مجالس اللهو والعياذ بالله. ولنا ان نتصور مجتمعا يقتل المرأة ويعضلها ويحرمها ابسط حقوقها لكن هناك امرأة مثل خديجة لها تجارتها النظيفة الذائعة الصيت وهي تنافس تجارة الرجال وفيها الاجراء والغلمان ولديها الخدم والحشم ففرضت احترامها على الكل رجالا ونساءً وهذه مؤشرات على قوة شخصيتها ورجاحة عقلها واجادتها فنون البيع والشراء والحساب والعد فهي سيدة اعمال بمنتهى الكلمة وهي امرأة تتعامل مع هذا الجمع الرجالي بعفة وطهارة وهم يتاجرون في تجارتها يشترون منها ويبيعون اليها.. هي اذا ليست امرأة عادية. والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف وصلت السيدة الى هذه المرتبة من الرفعة الذاتية والعملية؟ ان المتابع لشؤونها سيعزو الامر لا محالة الى

شخصيتها وتربيتها وذكائها لكن هذه المفردات طالما توفرت لاناس فلم يستفيدوا منها!!، اننا الآن لو سألنا احدى النساء عن سبب اميتها الفكرية والثقافية مثلا فالجواب يأتي: المجتمع.. الناس لا تشجع.. الفساد الخ من المبررات والاعاذير، لكن خديجة عاشت هذه الظروف واجتازتها بقوة ارادتها واخلاقها العالية فلنا ان نتصور امرأة شابة تعيش المال الوفير والحسب والنسب ثم يتقدم لها الاثرياء فتطردهم وتقبل برجل كان يعمل عندها اجيرا لا لشيء الا لشمائله الطيبة وما سمعت من اخلاقه الكريمة لأكثر!!، فمازال محمدٌ غير مبعوث بالنبوة حتى ذلك الوقت.. وإرادتها القوية هذه هي التي سهلت لها أن تجود بأموالها بعد البعثة لتشتري العبيد وتعتقهم والتجار عادة يعيشون البخل والحرص على المال لكنها تهبه كله وهي التاجرة الثرية وتموت جوعا على الرمضاء.. إنها صور لعظمة امرأة لم تدرس في جامعات لكنها درست في مدرسة الانسانية ولم تصبح أسيرة الهوى لكنها قيدت الهوى وتحكمت فيه فاستحقت بجدارة أن تكون سيدة نساء العالمين!!.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار انه كان هناك كلام عن نبي يبعث في مكة وهو ماتكلم عنه الرهبان والاحبار فهي رضي الله عنها عاشت إعدادا أوليا الى أن هناك تغييرا قادما وان هناك نهضة بشرية يقودها نبي يدعو للتوحيد. هذه الصور المخزونة في الذاكرة ولّدت استعدادا اوليا لقبول الرسالة وتبني الفكر الاسلامي والدفاع عنه، ولعل هذه الحالة تشبه الى حد كبير الوقت الحالي حيث يعيش المؤمنون في زمن الانتظار مترقبين ظهور الامام عجل الله تعالى

فرجه الشريف في كل لحظة مع متابعة العلامات الدالة على ظهوره وان كنا لا ندري هل سنقدم له الدعم المطلوب والتصديق والنصرة والمؤازرة؟!ام لا والعياذ بالله..

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخلو بنفسه في غار حراء لايام وشهور وكانت السيدة تعلم بذلك ولم يداخلها شك بأنه قد ينفلت – والعياذ بالله – الى امور اخرى، لكن العجيب انها تتبنى هذا المشروع في الخلوة بعيدا عنها في غار حراء داخل الجبل فتُعد له طعامه وما يحتاج اليه ولا تثنيه وربما لاتسأله عن سبب الذهاب الى الغار ولِمَ الخلوة والرسول لم يبعث بعد!، كأنها تعلم انه النبي القادم!!، وقد يسوغ للبعض تبرير ايمان خديجة بأن المرأة على دين زوجها فلو كان النبي غير محمدٍ لما آمنت!! لكن هذا الرأي الضيق يتناسى انبياءً كانت زوجاتهم أشد المعارضين لهم بمعنى آخر أن الله ابتلاهم في زوجاتهم غير المؤمنات برسالتهم وكانت النتيجة ان قضمهن العذاب كما اكل كل الكافرين بالنبي كزوجة نوح ولوط قال تعالى:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [سورة التحريم: آية ١٠].

فالامر يعني ان الارضية كانت مهيأة لقبول نداء الوحي والملاحظ ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يجبر احدا على قبول رسالته فقد كان هاديا وما كان مسيطرا حتى على زوجته، فالسيدة خديجة رضي الله عنها هي

التي اعلنت اسلامها وايمانها بالدين الجديد ويكفي ان نمر على الرواية الآنفة الذكر في انها اول المصليات في الكعبة والناس تنظر وترى وما كان احد قد اعلن تأييده لهذا الدين بعد بل كانت صلاتها في الكعبة اعلانا رسميا عن اسلامها وبهذا دخلت الحرب الكبرى فهجرتها النساء ولم تأتِ اليها امرأة واحدة لتعينها حتى في اشد اللحظات حراجة حينما ولدت ابنتها الزهراء عليها السلام وان كان هذا الوجود النسوي الدنيوي غير مبارك ولا يستحق حضور ميلاد انسان عظيم كالزهراء لكننا من خلال ذلك ندرك عِظم ما تحملته السيدة من نساء قريش ورجالهم..

فقد سأل الفضل بن عمر الإمام الصادق (عليه السلام) عن كيفية ولادة السيدة الزهراء (عليها السلام) فأجابه: «إن خديجة عليها رضوان الله لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هجرتها نسوة مكة فكنّ لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل إليها[1]». ولقد طال هذا الهجران أياماً وشهوراً بل سنوات!!.

ان الرجل بحاجة الى المرأة التي تشاركه حياته بما فيها من مسرات واحزان وافراح واتراح فهي العون في الوصول الى اهدافه العليا وان الدعم النفسي الذي تقدمه المرأة للرجل خاصة في حالة تزايد الضغوطات على الرجل تترك اثرها الكبير على معنوية الزوج نفسه ولذا جاءت الدراسات الحديثة لتؤكد ان العزاب اكثر تضررا من المتزوجين في حال تعرضهم لازمات

(١) المجلسي بحار الأنوار ج٤٣ ص ٢).

حياتية (ايا كان شكلها) بسبب غياب الشريك الذي يقدم الدعم النفسي لشريكه ويخفف من ثقل المصيبة الواردة عليه في الساعة الحرجة.

ولهذا فقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (انها آمنت بي حين كفر بي الناس) يشير الى الظروف الصعبة التي عاشها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو القائل (ما أوذي نبي قط مثل ما أوذيت).

نعم كان ايمان خديجة ودعمها النفسي والمالي ومن ثم الذرية والاطفال كلها عوامل تقف مساندة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته وتصديه لأساليب قريش الظالمة.

ولما أنزل الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصفا ونادى في أيام الموسم: يا أيها الناس!.. إني رسول الله ربّ العالمين، فرمقه الناس بأبصارهم - قالها ثلاثاً - ثم انطلق حتى أتى المروة ثم وضع يده في أذنه ثم نادى ثلاثا بأعلى صوته: يا أيها الناس!.. إني رسول الله - ثلاثا - فرمقه الناس بأبصارهم، ورماه أبو جهل - قبّحه الله - بحجر فشجّ بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة، فهرب حتى أتى الجبل فاستند إلى موضع يقال له المتّكأ، وجاء المشركون في طلبه.

وجاء رجلٌ إلى علي بن أبي طالب عليها السلام وقال: يا علي!.. قد قُتل محمد، فانطلق إلى منزل خديجة - رضي الله عنها - فدقّ الباب، فقالت خديجة: مَن هذا؟.. قال: أنا عليّ، قالت: يا عليّ ما فعل محمد؟!.. قال:

لا أدري إلا أنّ المشركين قد رموه بالحجارة، وما أدري أحيٌّ هو أم ميّتٌ، فأعطيني شيئاً فيه ماء وخذي معك شيئا من هيس (نوع من الطعام)، وانطلقي بنا نلتمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنا نجده جائعا عطشانا، فمضى حتى جاز الجبل وخديجة معه فقال علي: يا خديجة!.. استبطني الوادي حتى أستظهره (أي ادخلي بطن الوادي حتى أعلو أنا ظهره)، فجعل ينادي:

يا محمداه!.. يا رسول الله!.. نفسي لك الفداء في أي وادٍ أنت ملقىً؟.. وجعلت خديجة تنادي: مَن أحسّ لي النبي المصطفى؟.. مَن أحسّ لي الربيع المرتضى؟.. مَن أحسّ لي المطرود في الله؟.. من أحسّ لي أبا القاسم؟... ونظر جبرائيل عليه السلام إلى خديجة تجول في الوادي، فقال: يا رسول الله!.. ألا ترى إلى خديجة قد أبكت لبكائها ملائكة السماء؟.. أدعها إليك فأقرئها مني السلام، وقل لها: إنّ الله يقرئك السلام، وبشّرها أنّ لها في الجنة بيتاً من قصب، لانصب فيه ولا صخب، لؤلؤا مكلّلا بالذهب.

فدعاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والدماء تسيل من وجهه على الأرض، وهو يمسحها ويردّها قالت: فداك أبي وأمي!.. دع الدمّ يقع على الأرض، قال: أخشى أن يغضب رب الأرض على مَن عليها، فلما جنّ عليهم الليل انصرفت خديجة - رضي الله عنها - ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ عليه السلام ودخلت به منزلها، فأقعدته على الموضع الذي فيه الصخرة، وأظلّته بصخرة من فوق رأسه، وقامت في وجهه تستره ببردها،

وأقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فإذا جاءت من فوق رأسه صخرة وقتْه الصخرة، وإذا رموه من تحته وقته الجدران الحيّط، وإذا رُمي من بين يديه وقتْه خديجة - رضي الله عنها - بنفسها، وجعلت تنادي:

يا معشر قريش!.. تُرمى الحرّة في منزلها؟.. فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغدا إلى المسجد يصلّي[(١)].

فلما خرج رسول الله مع بني هاشم وبني عبدالمطلب إلى شعاب مكة في عام المقاطعة، لم تتردد رضي الله عنها في الخروج مع رسول الله لتشاركه - على كبر سنها - أعباء ما يحمل من أمر الرسالة الإلهية التي يحملها، فقد أقامت في الشعاب ثلاث سنين عانت ماعانت وهي صابرة محتسبة للأجر عند الله تعالى.

وكأن الله اختصها بشخصها لتكون سنداً وعوناً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في إبلاغ رسالة رب العالمين الخاتمة، فكما اجتبى الله رسولَه محمداً واصطفاه من بين الخلق كافة، كذلك قدَّر له في مشوار حياته الأول لتأدية الرسالة العالمية مَن تكون له شريكاً في حمل هذه الدعوة في مهدها الأول، فآنستهُ وآزرته وواسته بنفسها ومالها.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أمرت أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[(٢)].

(١) (البحار ج١٨ ص٢٤١-٢٤٣ بتصرف).

(٢) [(الإصابة) ج٤ ص٢٧٤ و(كشف الغمة) للأربلي ج٢، ص١٣٣ وص١٣٤ والبحار، ج١٦، ص٧-٨ نقلاً عن الصحيحين البخاري ومسلم في صحيحه ج٢ ص٣٧٠ باب فضائل خديجة].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون»[1].

لقد كانت هذه السيدة العظيمة هي المسلمة الاولى وكانت باقي زوجات الرسول المسلمات فيما بعد ولكن المسلمة الاولى اسلمت والحراب على رأسها وقريش تتوعدها وتقاطعها وتمنع النساء حتى من التردد على دارها!!. وهي مع كل ماعاشته من حصار وتضييق وتهديد بقيت تمثل السند النفسي والمعنوي والاقتصادي للرسول فكان يِزول ألمه لرؤياها، وهذه المساندة هي التي افتقدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما بعد مع زوجاته اللائي دخلن بيته بعد أن غاب العدو واختفى التهديد واستتبّت الامور وتزوجن من قائد الامة وحاكم الدولة لكن النفوس متفاوتة!.

بين الثرى والثريا

لم تعش نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الظروف التي عاشتها السيدة خديجة عليها السلام، ولقد كانت الى جنب الرسول في اشد الظروف قساوة وكانت تدافع عنه بالنفس والمال بل وأنفقت كل مالديها من أجل نصرة الرسالة الفتية، ولم يعش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا الحب الانساني العظيم الذي منحته اياه السيدة خديجة لذاته هو وليس لشيء آخر رغم كثرة زوجاته بعدها فقد كان حبها له انسانيا خالصا طاهراً ولهذا بقي

(١) (بحار الأنوار، ج١٦، ص٧).

يذكرها حتى بعد رحيلها ففي الرواية:

عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً، فقد أبدلك الله خيراً منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أبدلني خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء[1].

والمتأمل يجد ان هناك تصورا دنيويا عند القائلة بأن هناك الافضل بالصورة والشكل والشباب لكن الاجابة كانت سريعة حدية ناكرة لكل هذه التعليلات المادية وجاءت معززة بالقسم وهو الصادق الامين (لا والله ما أبدلني خيرا منها).. نفى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان يكون هناك اي بديل لهذه السيدة في حياته الزوجية على طول مسارها حتى رحيله، فمازال يذكر دعمها له ومساندتها إياه ووقوفها الى جنبه تدافع عنه وتحميه في اشد المفاصل سخونة وخطورة وعاشت معه ألم وجوع الحصار.. والرجل الوفي يذكر هذه المواقف التي لا يمكن تقديرها بثمن أو حسابها في اوراق فما الذي يذكره لغيرها؟ اوليس هو الحرمان من الاولاد؟ اوليس هو الحرمان من الحب؟ وهو صلى الله عليه وآله وسلم القائل (ورزقت حبها) وهو اشارة الى ان خديجة احبته لذاته ونفسه فقط ليس لوجاهة امتلكها ولا لزعامة عِرف بها

(١) ((الاستيعاب) لابن عبد البر في أحوال خديجة ج٤، ص٢٧٨، و(الإصابة) لابن حجر العسقلاني ج٤، ص٢٧٥).

ولهذا (كان حب الاخريات) مشوباً بأمور دنيوية وكلما سنحت الفرصة تمردن وطالبن بالدنيا ولجأن الى الاساليب الملتوية لتبرير مواقف وتمرير مطالب فتارة يوبخهن القرآن وتارة يهددهن علهن يعدن الى الرشد وهذا ماكان يذكره لهن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد عشن معه ربما عقداً من الزمن أو يزيد شيئا ولكن خديجة عليها السلام عاشت معه خمسة وعشرين عاما كانت هي أيام حياته وشبابه وزوجيته المفضلة.

وقد عدّ المؤرخون هذه الروايات إشارات واضحة على مكانة هذه السيدة العظيمة التي أنفقت كل اموالها من اجل نصرة الدين والعقيدة حتى قضت أواخر ايامها وهي المرأة التاجرة الثرية تتضور جوعا على رمضاء شعب ابي طالب وتعيش حالة الفقر المؤلمة ولنا ان نمر على مقايسة بين حال هذه المرأة العظيمة التي بذلت كل اموالها للرسول والرسالة حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلادَ النِّسَاءِ))، وبين حال البعض من زوجاته اللائي تزوج بهن بعد ان هاجر الى المدينة واصبح فيها قائدا وحاكما مع كونه نبيا ورسولا... هؤلاء تزوجن بعد ان رُفعت الضغوط التي كانت عليه من قبل مشركي مكة وبعد ان استتب الامر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأصبحت له دولة كبرى عاصمتها المدينة وهو حاكمها وزعيمها، ومن البديهي ان من تُقدم على الزواج من رجل مشهور له مكانة سياسية واجتماعية فضلا عن المكانة الدينية فإنها تضع

في ذاكرها مطالب واُمنيات وآمالاً مرسومة من خلال هذا النكاح.. فهي تنتظر عيشا سعيدا رغيدا كباقي الملوك والزعماء.. ولهذا اصيب بعضهن بالصدمة لما رأين زهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقلة ماله والحياة البسيطة التي عاشها فضج ضجيجهن واخذن يطالبن بنعيم فانٍ ومطالب مادية لا تتناسب مع شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان الامر ان نزل فيهن القرآن متوعدا!

قال تعالى: ﴿ يَأَيهَا النّبىّ قُل لأَزْوَاجِك إِن كُنتُنّ تُرِدْنَ الْحَيَوةَ الدّنْيَا وزِينَتَهَا فَتَعَالَينَ أُمَتِّعْكُنّ وأُسرِّحْكُنّ سرَاحاً جَمِيلاً (٢٨) وإِن كُنتُنّ تُرِدْنَ اللهَ ورَسولَهُ والدّارَ الاَخِرَةَ فَإِنّ اللهَ أَعَدّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنّ أَجْراً عَظِيماً (٢٩) يَنساءَ النّبىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنّ بِفَحِشةٍ مّبَيِّنَةٍ يُضاعَف لَهَا الْعَذَاب ضِعْفَينِ وكانَ ذَلِك عَلى اللهِ يَسِيراً (٣٠) ومَن يَقْنُت مِنكُنّ للهِ ورَسولِهِ وتَعْمَلْ صلِحاً نّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرّتَينِ وأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كرِيماً (٣١) يَنساءَ النّبىِّ لَستنّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّساءِ إِنِ اتّقَيْتنّ فَلا تخْضعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطمَعَ الّذِى فى قَلْبِهِ مَرَضٌ وقُلْنَ قَوْلاً مّعْرُوفاً (٣٢) ﴾ (الاحزاب ٢٨ ـ ٣٢).

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ج١٦ ص٣٠٦:

آيات راجعة إلى أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تأمره أولا: أن ينبئهن أن ليس لهن من الدنيا وزينتها إلا العفاف والكفاف إن اخترن زوجية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم تخاطبهن ثانيا: أنهن واقفات في موقف صعب على ما فيه من العلو والشرف فإن اتقين الله يؤتين أجرهن

مرتين وإن أتين بفاحشة مبينة يضاعف لهن العذاب ضعفين ويأمرهن بالعفة ولزوم بيوتهن من غير تبرج والصلاة والزكاة وذكر ما يتلى في بيوتهن من الآيات والحكمة ثم يعد مطلق الصالحين من الرجال والنساء وعدا بالمغفرة والأجر العظيم.

قوله تعالى: ﴿ يَأَيهَا النّبىّ قُل لأَزْوَاجِك ﴾ إلى تمام الآيتين، سياق الآيتين يلوح أن أزواج النبي أو بعضهن كانت لا ترتضي ما في عيشتهن في بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الضيق والضنك فاشتكت إليه ذلك واقترحت عليه أن يسعدهن في الحياة بالتوسعة فيها وإيتائهن من زينتها فأمر الله سبحانه نبيه أن يخيرهن بين أن يفارقنه ولهن ما يردن وبين أن يبقين عنده ولهن ما هن عليه من الوضع الموجود.

ويضيف:

و يتبين بذلك أن ليس لزوجية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث هي زوجية كرامة عند الله سبحانه وإنما الكرامة لزوجيته المقارنة للإحسان والتقوى ولذلك لما ذكر ثانيا علو منزلتهن قيده أيضا بالتقوى فقال: "لستن كأحد من النساء إن اتقيتن."...

فقوله: ﴿ يَأَيهَا النّبىّ قُل لأَزْوَاجِك ﴾ أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبلغ الآيتين أزواجه ولازمه أن يطلقهن ويمتعهن إن اخترن الشق الأول ويبقيهن على زوجيته إن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

فالمعنى: وإن كنتن تردن وتخترن البقاء على زوجية النبي (صلى الله عليه

وآله وسلم) والصبر على ضيق العيش فإن الله هيأ لكنّ أجرا عظيما بشرط أن تكنّ محسنات في أعمالكن مضافا إلى إرادتكن الله ورسوله والدار الآخرة فإن لم تكنّ محسنات لم يكن لكنّ إلا خسران الدنيا والآخرة جميعا[١].

ان الفارق يكمن في ان خديجة تزوجت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يصبح نبيا وحاكما وقائدا تزوجته لشمائله العليا ولاخلاقه الحميدة تزوجته لمافيه من الفضائل والنسب الطيب رغم انه كان فقيرا وكانت هي المرأة الثرية التي يسجد الرجال عند قدميها املا في الزواج منها!!... هذه المقاييس الصحيحة في الاختيار السليم للزواج هي التي ادت في نهاية المطاف الى ان تكون- وهي التي ماتت في بداية عهد الرسالة- خير النساء وافضل النساء وسيدة النساء وهي كرامة لم تحظَ بها اي واحدة من زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وروي عن أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: وأين مثل خديجة؟ صدقتني حين كذبني الناس، وأعانتني على ديني ودنياي بمالها[٢].

وتأتي مفارقة اخرى فان البعض من زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما استطاعت ان تصبر على سر اودعه اياها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأعلنته ونشرته وهو مما لايتوافق مع سيماء المرأة الصالحة التي

(١) (العلامة الطباطبائي الميزان في تفسير القرآن ج١٦ ص٣٠٦).

(٢) (إحقاق الحق: ج٤ ص٤٨٠).

قال عنها القرآن:

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (النساء ٣٤).

فنزلت آيات القرآن متوعدة قال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ(٣) إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ(٤) عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (التحريم٣-٥).

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ ﴾ يعني حفصة وعائشة، حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة رسول الله صلي الله عليه وسلم ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أي زاغت ومالت عن الحق[1].

وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني عبيدالله بن عبدالله بن أبي ثور، عن عبدالله بن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللتين قال الله لهما: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ فحججت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي

(١) (تفسير القرطبي ج ١٨ ص ١٨٨).

صلى الله عليه – وآله – وسلم اللتان قال لهما: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾.

فقال: واعجبى لك يا ابن عباس! عائشة وحفصة[1].

ما هي المظاهرة؟

قال ابن منظور: وتظاهروا عليه: تعاونوا، وأظهره الله على عدوه. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ وظاهر بعضهم بعضاً: أعانه، والتظاهر: التعاون. وظاهر فلان فلاناً: عاونه. والمظاهرة: المعاونة، وفي حديث عليٍ عليه السلام: أنه بارز يوم بدر وظاهر: أي نصر وأعان. والظهير: العون[2].

وقال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ أي تتظاهرا وتتعاونا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمعصية والايذاء[3].

قال العلامة السيد الطباطبائي:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ يشير إلى القصة وقد أبهمها إبهاماً، وقد كان أيد النبي وأظهره قبل الإشارة إلى القصة وإفشائها مختوماً عليها، وفيه مزيد إظهاره.

ثم التفت من خطاب المؤمنين إلى خطابهما وقرر أن قلوبهما قد صغت بما فعلتا، ولم يأمرهما أن تتوبا من ذنبهما، بل بيّن لهما أنهما واقعتان بين

(١) (صحيح البخاري ج٣ ص ١٠٣، صحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٢).
(٢) (لسان العرب ج ٤ ص ٥٢٥).
(٣) (تفسير القرطبي ج ١٨ ص ١٨٩).

أمرين: إما أن تتوبا، وإما أن تظاهرا على من الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك أجمع ثم أظهر الرجاء إن طلقهن أن يرزقه الله نساء خيراً منهن[١].

وخديجة آمنت بالدعوة منذ ان كانت سرية ولم تعرف بها قريش ولم تخبر عن اي سر من اسرار الدعوة حتى اعلنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكانت خديجة ترى المسلمين الاوائل وتعرفهم وتعرف مواعيد لقاءاتهم وتجمعهم لكنها ماكانت لتفشي سراً ابداً.

ولهذا ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: أنه قال: ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الاسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله[٢].

وقال علي عليه السلام: المرأة الصالحة ليست من الدنيا انماهي من الآخرة لانها تفرغك لها ولو كنت تطبخ وتسرح وتفرش لشغلك ذلك.

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سعادة المرء الزوجة الصالحة[٣].

كانت خديجة عليها السلام من الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله.

(١) (تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٣٣٢).
(٢) (الفروع من الكافي، ج٥ ص ٣٢٨ ح ٩٤٦٨ – ١ –).
(٣) (الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، الصفحة ٣٢٧).

كانت موضع سر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومحط اماناته الكلامية واللفظية وكانت السيوف مسلطة على رقبتها لكنها حفظت غيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسره... يا لها من عظمة!! ولهذا نجد لها ذكرا طيبا حتى على لسان أئمتنا عليهم السلام الذين لم يروها فهذا سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام يفتخر بها قائلاً في صعيد كربلاء.

هل تعلمون ان جدتي خديجة اول نساء هذه الامة اسلاما[1].

ويذكرها الامام زين العابدين بالقول:

انا ابن فاطمة الزهراء انا ابن خديجة الكبرى.

وهي المرأة الوحيدة التي بعث الله اليها بسلام فقد روي أن جبرئيل أتى رسول الله فقال:

يا رسول الله! هذه خديجة، قد أتت معها إناء فيه أدام، أو طعام، أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[2].

ولهذا بقيت الزهراء عليها السلام تفتخر بأمها فقد كانت عليها السلام تقول: انا ابنة خديجة الكبرى[3].

توفيت السيدة خديجة بعد ان خرج المسلمون من الحصار وقد سمي العام

(١) (الارشاد ١٧٠ / بحار الانوار ٥٠: ٤٤).

(٢) (صحيح البخاري/ج ٥/ص ٤٨).

(٣) (القرشي، باقر شريف، ام المؤمنين السيدة خديجة نقلا عن الانوار الساطعة في خديجة: ٩٦٣ نقلا عن فضائل ابن شاذان: ٨٠، ج٣ / ص ١٨٥).

الـذي ماتـت فيـه مـع ابي طالـب عمـه وحاميـه بعـام الحـزن ودفـن كلاهمـا في الحجون.

ومن هنا نعلم أن فاطمة عليها السلام قد ولدت من والدين كليهما من أعرق الأسر في الجزيرة العربية وارفعها شأنا وكرامة. ولرسول الله عـدة اولاد من السيدة خديجة منهم القاسم واليه تعـود كنيـة الرسـول والطيـب والطـاهر وزينب وام كلثوم ورقية والسيدة فاطمة على اخـتلاف الروايـات الـتي يـدمج بعضهم ان الطيب هو الطاهر أو ينقص من عدد الاولاد وليس للرسول اولاد آخرون سوى ابراهيم من زوجته مارية القبطية الـتي مـات ولـدها وهـو صـغير وتعود ذرية الرسول كلها الى فاطمة ابنته عليهم جميعا افضل التحية والسلام.

المكان المبارك: مختلف الملائكة

ولدت الزهراء عليها الـسلام بعـد ان بعـث ابوهـا بـشيراً ونـذيراً وهاديـاً ورحمةً للعالمين وبعد ان تلقى الوحي الالهي الذي جاء مـع اول كلماتـه (اقـرأ) في غار حراء ثم تتابع نزول الآيات القرآنية (وهذا ما تذهب اليه اكثر روايـات اهل البيت عليهم السلام انها ولـدت بعـد البعثـة)... ولـدت الزهـراء عليهـا السلام في مكان ترك فيه جبرئيل الامين آثاره في الزوايا والحنايا واختلفت اليـه الملائكة الكرام... هو مكان مبارك بهذه الانفاس الايمانية العاليـة والملائكـة في غدو ورواح في هذه الاركان التي خـصت الابـوين الكـريمين فـالبيوت حـسب البركة يمكن تقسيمها الى نوعين من البيوت :

١. بيوت مباركة يسطع نورها الى اعنان السماء فتضيء لهم بانوارها بعد ان دخلتها الملائكة الكرام وترددت عليها فاصبحت تدعو لاهلها وتستغفر لهم وتصونهم وتساعدهم وتمدهم بالعون... هي بيوت مباركة بما فيها من خلق مبارك وعباد مكرمين.

قال امير المؤمنين علي عليه السلام:

إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزوجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عزوجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين[(١)].

٢. بيوت بعيدة عن البركة فهي ليست مباركة وهي محرومة من الفيض الالهي فصارت مرتعا للشياطين تسرح وتمرح فيها بعد ان هجرتها الملائكة اصبحت اشبه ما تكون بالمزابل ومواقع القمامة التي تهب اليها الحشرات المؤذية والضارة كالذباب وتهجرها المناحل والنحل... وشتان بين دور الازاهير ودور الاقاذير!! فتلك تفوح طيبا وهذه تتعفن قذارة..

ان الاجواء العامة تؤثر بشكل عام على الاحوال النفسية والمعنوية والذاتية اضافة إلى انعكاس هذه الامور على مجمل الاوضاع العامة بكل ابعادها فالمناخ العام يؤثر على الطفل الصغير والشيخ الكبير كما يؤثر على سلامة وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الزوجين وباقي افراد الاسرة والمجتمع ويمكن عبر مرور

---

(١) (الكافي ج ٢ ص ٤٤٦).

عابر على اوضاع المجتمع الغربي ان نلمس بوضوح تقطع اواصر العلاقات الاجتماعية بعد ان اصبحت البيوت مراتع للشياطين بما فيها من كلاب زينة ومن تماثيل بمعنى آخر بعد ان اصبحت مهجورة عن ذكر الله تعالى.

يعرف القرآن الكريم الملائكة ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الانبياء ٢٦-٢٩).

والملائكة هم وسائط بين الله وخلقه ومهمتهم اجراء الاوامر الالهية.

قال تعالى: ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ الأنبياء: - ٢٧.

وتتفاوت الملائكة في درجاتهم واشكالهم ووظائفهم وبعضهم ممن اُسند إليه مهمة التبليغ والوحي وهو جبريل عليه السلام وقد ذكر اسمه في القرآن ومنهم صاحب نفخة الصور وهو إسرافيل وهناك ملك الموت وعلى هذا فهناك تفاوت وظيفي وتفاوت في المقام والمنزلة ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ الصافات: - ١٤٦.

وكل هؤلاء ينفذون الاوامر الالهية دون مخالفة أو تردد فهذا هو خلقهم، كما وان الملائكة لها مهام مختلفة في حياة الانسان كالحفاظ عليه أو قبض الروح الى غير ذلك. فالملائكة وسائط رحمة الله وهي تتولى امور الانسان وهي واسطة الفيض الالهي والرحمة والبركة والكرامة..

قال تعالى: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم: - ٦.

ونحن نعرف عن اسهامات الملائكة الكرام في تحقيق الانتصارات الاولية في معركة بدر.

وفي حماية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين إضافة الى المهام الاخرى التي تهتم بها من ادارة شؤون الكون والتصرف في الامور الى غير ذلك.

غيرها ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾. (الانفال ١٢).

﴿ اذ تقول للمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (ال عمران ١٢٤ـ ١٢٥).

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾ (الانعام ٦٠).

وهؤلاء الحفظة يكونون جند حماية للانسان يحمونه من المخاطر الكثيرة التي يتعرض لها في حياته ـوما اكثرهاـ حتى اذا دنا اجله خلوا بينه وبين الموت الذي هو نهاية كل حي.

كما أشار الى ذلك القرآن الكريم ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْس لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظ ﴾ الطارق ـ ٤.

و في البحار، عن الدر المنثور، عن أبي العلاء بن سعد: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يوما لجلسائه: أطت السماء وحق لها أن تئط ليس منها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد. ثم قرأ «وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون».

هؤلاء هم نزلاء البيوت فصارت مباركة بهم ولم يكن هناك خلق موجود من تلك العوالم من هو افضل وانقى واصفى منهم افلا يكونون نورا في البيوت الصادحة بذكر الله ويُمنا على اهلها؟.

وعلى العكس من ذلك تكون الشياطين وسائل اضلال وضياع تؤدي به الى الخسران والهلاك وهي ايضاً لا تملك السلطة الجبرية على الانسان وانما الانسان يسمح لها بذلك.

قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (الحجر ٣٩-٤٢).

ويقول أيضاً: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾. (النحل ١٠٠).

كما ان مساحة تأثير الشيطان هي الاوهام والتخيلات عن طريق وسائله المعروفة كالاز والتزيين والوسوسة الى غير ذلك.

على هذا تكون الملائكة علامة من علامات البركة والرضا كما ورد في زيارة الامام الحسين عليه السلام (السلام على الملائكة الحافين بقبر الحسين) اشارة الى البركة ليس لصاحب المرقد فحسب بل لزواره حيث تستغفر لهم وترعاهم تدعو لهم حتى بعد موتهم..

وكذلك يكون تأثير الشياطين من خلال تشكيل النطفة الحرام بالزنا أو من خلال بث الامواج السلبية عن طريق المعاصي. قال تعالى:

﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾. الاسراء ٦٤.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان ج١٣ ص١٤٧((فمشاركة الشيطان للإنسان في ماله أو ولده مساهمة له في الاختصاص والانتفاع كأن يحصل المال الذي جعله الله رافعاً لحاجة الإنسان الطبيعية من غير حله فينتفع به الشيطان لفرضه والإنسان لغرضه الطبيعي أو يحصله من طريق الحل لكن يستعمله في غير طاعة الله فينتفعان به معاً وهو صفر الكف من رحمة الله، وكأن يولد الإنسان من غير طريق حله أو يولد من طريق حله ثم يربيه تربية غير صالحة ويؤدبه بغير أدب الله فيجعل للشيطان سهماً ولنفسه سهماً وعلى هذا القياس وهذا وجه مستقيم لمعنى الآية وجامع لما ذكره المفسرون في معنى الآية من الوجوه المختلفة كقول بعضهم: الأموال والأولاد التي يشارك فيها الشيطان كل مال اصيب من حرام واخذ من غير حقه وكل ولد زنا.

ويقول في مكان آخر ج١٣ ص١٥١ : (وما ذكر فيها على مشاركته (الشيطان) الرجل في الوقاع والنطفة وغير ذلك كناية عن أن له نصيباً في جميع ذلك فهو من التمثيل بما يتبين به المعنى المقصود ونظائره كثيرة في الروايات).

ومعنى مشاركة الشيطان للانسان في الاموال حمله اياه على تحصيلها من الحرام وانفاقها فيما لا يجوز وعلى مالا يجوز من الاسراف والتقتير والبخل والتبذير ومشاركته له في الاولاد وادخاله معه في النكاح.

ويصف رسول الله الشخص الفاقد للحياء بأنه (شرك شيطان) حيث يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن اللّه حرّم الجنة على كل فحّاش بذيء، قليل الحياء، لا يُبالي ما قال ولا ما قيل له، فانك إن فتشته لم تجده الا لغية، أو شرك شيطان فقيل يا رسول اللّه: وفي الناس شرك شيطان؟! فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أما تقرأ قول اللّه تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ﴾ (الإسراء: ٦٤)[١].

في الخصال، بإسناده عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن جبرئيل أتاني فقال: إنا معشر الملائكة لا ندخل بيتا فيه كلب ولا تمثال جسد ولا إناء يبال فيه[٢].

واقول اننا في عالم الدنيا نبحث عن الطيبين الهاجرين للمعاصي القادرين

---

(١) (أصول الكافي: ٢/٣٢٣ وجامع السعادات: ١/٣٤٩).

(٢) (نقلا عن الميزان ج١٧ البحث الروائي).

على مساعدتنا وحمايتنا في النوائب والشدائد ونشعر بالراحة حينما نجد أنفسنا محاطين بهذا النمط الصالح والايجابي من البشر فكيف اذا كان هناك من هو بهذا النقاء والصفاء - ان لم يكن اسمى - يسكنون معنا في بيوتنا ويدعون لنا ويخففون عنا همومنا ومشاكلنا؟.. فهم يخففون عنا الحزن والالم وما قد يجده الانسان المؤمن في حياته من صعاب ومشاكل ويصبرونه ولانهم في البيوت المباركة فهم يتابعون الانسان ويعرفون المواقع التي يقدمون فيها العون والمساعدة واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان جلّ معاناتنا هي اما نفسية اومعنوية فإنهم يزيحون هذا الهم ويحرروننا من الالم ويخففون حدة الضغوط علينا وبعد ذلك يجلس الانسان يفكر في واقعه ليجد حلا لامره ومشكلته، والى هذه الصورة الطيبة يشير القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت ٣٠).

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ فصلت ٣١.

عكس الشيطان الذي يخوف الانسان من الفقر ويعده به ويزين له المنكر وهو كل مايضر الانسان في دنياه وأخراه.

قال تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٦٨).

(ولعل أغرب ما تقوم به الملائكة في عونها للإنسان ومساعدته في حل مشاكله التي يعجز عنها. فكثيراً ما تتدخل الملائكة بإهداء الإنسان الحل الأوفق

لما يكون قد استعصى عليه من أمور دنياه... ويعجب الانسان وهو يرى الحل وقد ألقى اليه!!. وأيا كان هذا الحل بسيطا وسهلا أو صعبا ومعقدا، فإنه لم يكن يخطر على بال الانسان من قبل حتى يكون ذلك من عمل العقل الباطن أو اللاشعور ولكن الملائكة قد عاونته وساعدته وتكفلت عنه بالحل. وقد اعترف علم النفس بحل المشكلات التي يعجز عن حلها الإنسان عن غير طريق فكره.. إذ توصي الدراسات النفسية ان يطرح الإنسان التفكير في المشكلة إذا لم تحل في الوقت المناسب أو لم يستطع تفكيره حلها فإنه بطرح التفكير فيها يجد الحل ينبعث من داخله... إن ذلك انما هو بفعل الملائكة... ومن عملها..[1]

نعم كانت الملائكة تقدم العون للزهراء عليها السلام في تخفيف شدة المصائب التي عاشتها بعد أبيها وكانت تسلي خاطرها بالحديث عن امور كثيرة جمعتها الزهراء عليها السلام في مصحف فاطمة.

واذ تكون العوامل الغيبية مؤثرة سواء عن طريق الالهام (واوحينا الى ام موسى) أو عن طريق الوسوسة (الشيطان يعدكم الفقر) فإن هذه الامور كلها تؤثر على نفسية الام الحامل وعلى الجنين ايضا، وهذه كلها دروس وعبر لنا نحن البشر العاديين الذين نتمنى ان يكون لنا اولاد صالحون مؤمنون.

ان الجوانب الغيبية في التربية تكاد تكون مهملة في الفكر التربوي المعاصر في حين تؤخذ بنظر الاعتبار الاحوال النفسية للوالدين وظروف الحياة

---

(١) (د. عبدالرزاق نوفل، عالم الجن والملائكة ص١٠٩).

والمناخ الى غير ذلك في حين ان الاجواء المعنوية قد لا تقل اثرا في تأثيرها المستقبلي على الجنين. ان وجود الملائكة التي هي أرواح مباركة في مكان ما من شأنه ان يضفي البركة على المكان كله ولهذا كانت مراقد الائمة مباركة بما فيها من ارواح مباركة (السلام على الملائكة الحافين بقبر الحسين) التي تستغفر لزوار الحسين وتدعو لهم مما يزيد البركة اكثر، ولو كان المكان مسكونا بالشياطين – والعياذ بالله – ايا كان نوعها سواء كانت شياطين الانس أو الجن فإن البركة تطير وهذه الانفاس الشيطانية التي هي امواج وانفاس سالبة تمحو ايجابية المكان وتنذر بالخطر والشرر ولهذا كانت الدعوى الى استنزال بركات الملائكة بتلاوة آيات القرآن الكريم في البيوت، ليس هذا فحسب بل ان الملائكة وكذلك الشياطين تؤثر على كل من هو في البيت وبهذا تبقى الآثار جيلا بعد جيل ولقد نشرت الصحف لقاءً مع احد السحرة الذي تاب من عمله حيث قال: كان السبب في تناولي السحر هو أبي الذي كان دائما يصطحبني معه منذ كنت صغيرا الى مجالس الشعوذة وقال ايضا انه لم يدخل مسجدا في حياته ولم يتوضأ ابدا وكان يتعمد إهانة القرآن!!

ويحث المختصون في علم تطوير الذات على ضرورة الابتعاد عن الاناس السلبيين في افكارهم وآرائهم خوفا من انتقال العدوى التي تنتقل عن طريق الاقتراب من هؤلاء بالضبط كما هي الارواح المحيطة بنا ملائكية كانت أو شيطانية.

كما ان الاجواء المحيطة تؤثر تأثيرا كبيراً على تشكيل النطفة وتمامها

وعلى ولادة الانسان وعلى وصوله الى الصراط أو ابتعاده عنه -والعياذ بالله- ويكفي ان نمر على العالم المعاصر لنرى كيف يتجه نحو عبادة الشيطان علناً بعد ان كان يخاف التصريح بذلك!! فالامر لم يأتِ بغتة وانا عبر مراحل منها اكل الحرام بأشكاله المختلفة والتهافت على الكلاب للتباهي والفخر والحرص على التماثيل باشكالها واقتراف المعاصي والامر يبدأ من البيوت وبمجموعها يزداد المجتمع غرقا في وحول الذنوب ويزداد البعد عن الله تعالى.

ان الله تعالى قد هيأ للبضعة المعصومة كل اجواء البركة والخير بل ان وجودها بحد ذاته هو فيض وبركة وكيف لا وهي حورية انسية، واقول ان كل حياة المعصوم والظروف التي احاطت به وتجاربه واعماله وماقال وما روي عنه هي دروس وعبر لنا وهي تعلمنا كيف نجعل بيوتنا بركة بفضل هذه الارواح الطيبة.

عن الاحمسي، عن أبي حمزة الثمالي قال: دخلت على علي بن الحسين عليهما السلام فاحتبست في الدار ساعة، ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئا وأدخل يده من وراء الستر فناوله من كان في البيت، فقلت: جعلت فداك هذا الذي أراك تلتقطه أي شيء هو؟ فقال: فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا، نجعله سيحا[1] لاولادنا، فقلت: جعلت فداك وإنهم ليأتونكم؟ فقال: يا أبا حمزة إنهم ليزاحمونا على تكأتنا[2].

---

(١) بفتح المهملة وسكون المثناة التحتانية ضرب من البرود. أو [سبحا] بالموحدة، من السبحة.

(٢) (الكافي ج١ ص٣٩٤).

ويمكن من خلال استقراء هذه الصورة ان نقدس ولادة اميرالمؤمنين عليه السلام في جوف الكعبة في اطهر مكان واكثر اماكن الارض بركة ورحمة وهي محطة الملائكة النازلة والصاعدة ثم هذا الدخول في الكعبة والبقاء فيها اياما متتالية بعيداً عن ضوضاء البشر وعن شياطين الانس والجن وعن القاذورات العينية والمعنوية... انها رسالة تبين اهتمام ورعاية الله تعالى بأوليائه وقد اشار اميرالمؤمنين عليه السلام الى دور الملائكة في العناية برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام: ولقد قرن الله به ومن لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طرق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره(١).

والى هذا تشير التوصيات المستحبة للوليد في الاسلام الى ضرورة قراءة الأذان في اذنه اليمنى ليكون الأذان هو اول صوت يفتح المجاري السمعية لهذا الوليد ففي الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لعلي عليه السلام: ياعلي اذا ولد لك غلام أو جارية فأذن في اذنه اليمنى واقم في اليسرى فإنه لا يضره الشيطان ابدا(٢).

وقد يقول قائل ان الوليد لا يفهم ولكن التجارب الحديثة تؤكد عكس ذلك والمواليد يسمعون ويحفظون هذه الاصوات في الذاكرة ففي الحديث عن سليمان الجعفري قال: سمعت الامام الرضا عليه السلام يقول اذن في بيتك

---

(١) (نهج البلاغة، خطبة ١٩٢).

(٢) (تحف العقول ص١٤).

فإنه يطرد الشياطين ويستحب من اجل الصبيان[١].

على هذا نجد ان الزهراء عليها السلام ولدت في بيت يأتيه كبار الملائكة مثل جبريل عليه السلام أو الوحي الأمين عليه السلام وتأتيه الملائكة الكرام فهي ولدت في اعظم البيوت كرامة وبركة عند الله وهذه الاجواء الروحانية الطاهرة كفيلة بأن ترسم لهذا الوليد كل معالم الخير والطهارة والنقاء وهذه المنقبة تمثل دعوة الى استحصال البركة الاولية خاصة للمواليد الجدد الذين يأتون الى الحياة الدنيا بصفحات بيضاء.

وهناك روايات تعرّفنا بالبيوت التي تهجرها الملائكة واهمها..

عن علي بن الحكم، عن أبان، عن ابي بصير عن ابي عبدالله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن جبرئيل عليه السلام قال: إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة إنسان ولا بيتا فيه تمثال[٢].

وفي الحديث في الخصال باسناده عن محمد بن مروان عن ابي عبدالله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان جبرئيل اتاني فقال انا معشر الملائكة لا ندخل بيتا فيه كلب ولا تمثال جسد ولا اناء يبال فيه (الخصال للصدوق ص١٣٨ والمقصود هنا بالكلاب غير كلاب الصيد).

والملائكة تحضر مجالس العلم ومجالس الذكرففي الحديث: وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضي به[٣].

---

(١) (الكليني الكافي ج٣ ص٣٠٨).

(٢) (المحاسن: ٦١٤ -نقلا عن بحار الانوار ج٧٣ ص١٦٠).

(٣) (الكافي ج ١ ص ٣٤ رواية ١).

وايضا: وإذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة[1].

ان قراءة القرآن والدعاء والبسملة عند الاكل وقراءة المعوذتين والحفاظ على طهارة البيوت كلها عوامل تزيد البركة، ولعلنا الآن بدأنا ندرك أهمية الدعاء في تقرير مصير حياتنا وآجالنا في ليلة القدر المباركة حيث تتنزل فيها الملائكة والروح.

ففاطمة عليها السلام ولدت مع زجل الملائكة وتسبيحهم بعيدا عن وساوس الشياطين وهمزهم وازّهم فهي اذن اجواء تفوح بذكر الله وفيوضه المتواصلة ولقد كان جبريل يحضر بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يخفف عنه مايلاقيه من الكفار والمشركين ويبشره بالنصر ويثبت فؤاده وينقل إليه التعاليم الالهية وما امر به الله وماهى عنه بل ينقل اليه السلام الالهي من الله الى زوجته ام الزهراء!!.

الزمن المبارك، الغذاء المبارك

في كتاب عيون الرضا ج١ ص٩٣ والامالي للشيخ الصدوق رحمه الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته فاطمة قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، يا عائشة! لما اسري بي إلى السماء أدخلني جبريل الجنة، فناولني منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة،

---

(١) (الكافي ج١ ص ٣٨ رواية ٣).

ففاطمة حوراء انسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها»[1].

وهذه الرواية دليل على انها ولدت بعد البعثة حيث ان رحلة الاسراء والمعراج حصلت بعد البعثة.

ينقل شيخنا المجلسي (قدّس سره) في الجزء السادس من البحار هذا الحديث الشريف:

.. هبط جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فناداه يا محمد! العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً... فشقّ ذلك على النبي (صلى الله عليه وآله) وكان لها محبّاً وبها وامقاً (محباً) فأقام النبي أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان في آخر أيامه تلك. بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وقال: قل لها: يا خديجة لا تظني أن انقطاعي عنك هجرة ولا قلى، ولكن ربي أمرني بذلك لينفّذ أمره، فلا تظني يا خديجة إلاّ خيراً، فإن الله عز وجل ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً.

فإذا جنّك الليل فأجيفي (ردّي) الباب، وخذي مضجعك من فراشك، فإني في منزل فاطمة بنت أسد.

وفي هذه الروايات امور منها:

ان الرسول قد أُمر من الله تعالى بأن يترك زوجته الحبيبة خديجة عليها السلام اربعين يوما وليلة وطول هذه المدة عاشت السيدة الوجد والحب

---

(١) ونقل ذلك في مستدرك الحاكم/ج ٣/ص ١٥٦، ومجمع الزوائد/ج ٩/ص ٢٠٢).

وشـوق الانتظـار الى الحبيـب الـذي تركهـا امتثـالا لأمـرالله ولم تجـد هـي الا الامتثال للامـر الالهـي ايضاً بعيـدا عـن التمـرد واللـوم. وان بعـدت الابـدان فالقلوب متجاورة والكل يعيش وجده.

ان الرسول قضى اربعين يومـا في عبـادة وطاعـة وذكـر وخلـوة خالـصة كاملة مع الله متجردا عن كل ارتباطات الدنيا حتى ما يحب!!.. وهـذه الخلـوة لها اثر كبير على جعل الاجواء كلها تفيض عرفانية ونورانيـة وروحانيـة كيـف لا وهو لا يفتر عن ذكر الله وهـو الحبيـب المنـاجى الـذي وُكلـت اليـه أقـدس المهام.

جاء الرسول صلى الله عليه وآلـه وسـلم الى خديجة بعـد انتـهاء رحلـة الاسـرار والمعـراج وهـي رحلـة عظيمـة مـا كانـت لبـشر ابـدا... فلقـد صـعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى السماء ليرى آيات ربـه الكـبرى.. رأى الجنة والنار والملائكة والانبياء ثم دنا فتدلى فكان قـاب قوسـين أو ادنى.. هـذه الرحلة العظيمة كانت قد تركت آثارها الايجابيـة الطيبـة علـى نفـس الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم ورسمت في مخيلته صورا طيبة عن الملائكة والانبيـاء والخلق العظيم والرحمة الالهيـة. بمعـنى آخـر ان الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه وسلم بعد عودته من المعراج كان يعيش أعظم حـالات الروحانيـة والايجابيـة والفرح لِما رأى مـن مـشاهد ومـا شـعر بـه مـن منزلـة.. كـان في لحظـات مـن الصعب وصفها وكلنـا يعلـم انـه لمـا يـرى أحـدنا نجاحـه في امتحـان أو تجربـة فهويشعر انـه ملـك الـدنيا بقبـضتيه ولا يـستطيع تقـدير فرحـه وسـروره بهـذا

الفوز.. فكيف وهو نبي ورسول يرى الآيات العظام ويصعد الى السماء حيث جنة المأوى والملائكة والارواح!! انه شيء عظيم وامرلا يمكن وصفه أو تقدير قدسيته وجماله.

تناول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طعاما في الجنة... ومهما اختلفت الروايات حول نوع هذا الطعام أهو تفاحة ام سفرجلة فان الامر الاكيد انه كان طعاما طيبا (بمعنى الملاءمة) مباركا ليس هو بطعام مادي فحسب أو طعام معنوي متجرد بل هو يجمع بين الاثنين فهو طعام طيب مبارك مادي ومعنوي وهوطاهر لم تمسسه يد بشرية ولم تقترب منه انفاس آدمية الا انفاسه صلى الله عليه وآله وسلم وهو ذو اثر طويل اي يبقى اثره في البدن بدليل الرواية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (كلما اشتقت الى ريح الجنة.... فكان طعام الرسول خالصا مخلصا من طعام الجنة المباركة وما كان من طعام الدنيا الذي مهما علا وارتقى فلابد ان تكون فيه ومضات دنيا وأنفاس بشرية وآثار دنيوية.

الحالة النفسية لكلا الزوجين لها أثرها في تكوين المولود ولهذا فلقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أعظم أحواله النفسية من الاستقرار وأنى يمكن قياس المشاعر الانسانية وقد فاحت منها رائحة الجنة وما زال على ردائه زغب الملائكة التي التقى بها والتي استقبلته في كل سماء وطأها.. لقد كانت صور الجنة والانبياء والآيات الكبرى هي الحاضرة في مخيلة الرسول وكلنا يَعلم ان ما يفكر فيه الابوان وما يُرسم صورته في المخيلة يترك اثره

الايجابي على النطفة ذاتها.

واعود الى تلك الرواية التي اختارت التوقيت المناسب لانعقاد النطفة من حيث الزمان والمكان والغذاء والحالة النفسية.

ان الشيء الذي يمر عليه اكثر علماؤنا هو الاهتمام بتغذية الام فقط لكن هنا اشارة الى دور الأب ايضاً في تكوين النطفة السليمة من خلال الغذاء. وفي الرواية ان الامام لما رأى طفلا جميلا قال: ينبغي ان يكون ابو هذا اكل سفرجلا ليلة الجماع)[1].

ان الغذاء ليترك اثرا كبيرا على نفسية الابوين بل حتى عادات الاكل وانواع الاطعمة لتؤثر تأثيرا كبيرا على نوع الطباع التي عندهم يقول ابن خلدون في مقدمته (اكلت الاعراب لحم الابل فاكتسبوا الغلظة، واكل الاتراك لحم الفرس فاكتسبوا الشراسة، واكل الافرنج لحم الخنزير فاكتسبوا الدياثة).

ونحن نجد اشارات الى تأثيرات الاطعمة على الانسان نفسه وعلى ذريته في روايات اهل البيت عليهم السلام وقد اكد العلم الحديث الكثير من هذه الروايات ودعا الى التمسك بها ويمكن تصور الحالة المعاكسة لأكل الطعام المبارك من خلال اكل الطعام الحرام والنجس كأكل لحم الخنزيرو كيف يؤثر على اصابة الانسان نفسه بامراض ومزايا خلقية سيئة يؤكدها اطباء عصرنا والى هذا يقول السيد د. الجزائري (اذا كانت نطفة الاب مسمومة حين

(١) الطبرسي، مكارم الاخلاق، ص ١٦٣.

الاتصال الجنسي فإن الجنين يوجد ناقصا وعليلا وهذا التسمم ينشأ من تناول الاطعمة الفاسدة أو معاقرة الخمر[1].

يقول الدكتور كاريل في كتابه (طريق الحياة): «إن سكر الزوج أو الزوجة حين الاتصال الجنسي بينهما يعدّ جريمة عظيمة؛ لأن الأطفال الذين ينشأون في ظروف كهذه يشكون في الغالب من عوارض عصبية ونفسية غير قابلة للعلاج.

والمشكلة اننا نهتم فقط بالغذاء المادي بما نأكله من طماطم وخيار لكننا لا نفكر هل هذا الطعام جاء من حلال؟ وهل هو مزكى؟ هل نقرأ اسم الله عليه حينما نطبخه ونأكله؟ ام اننا لا نعير بالا لهذه الامور؟.

وقد سُئلت اُم احد العلماء الكبار وهو المحقق الاردبيلي عن السر في وصول ابنها الى هذا المستوى الايماني العالي فقالت: انها لم تأكل اكل شبهة أو حرام خلال حملها أو رضاعتها ابدا ولم ترضعه الا وهي على وضوء.

وقد التقيت بأسرة نصفها مجانين والنصف الآخر عقلاء فسألتهم عن سبب هذه الحالة فقالوا: ان ابانا اكل مالاً حراما فأصبحنا هكذا!!.

والى هذه الامور يطالب اصحاب الكهف بعد مارجعوا الى المدينة ان يشتري احدهم طعاما زكيا ليس فيه شبهة:

﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ (الكهف ١٩).

(١) الجزائري، د. غياث الدين، اعجاز الاطعمة ص١٥٣.

ويقول احدهم: كنت احن الى طعام امي فانها لا تكاد تنفك عن تلاوة السور القصار والبسملة وباقي الاذكار فاشعر ان الطعام الذي تطبخه وتعده كان الهيا!!.

وقد ورد ان اهل الرجل واولاده يتعلقون به يوم القيامة فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا من الحرام ونحن لا نعلم فيقتص منه[1].

وفي الدعاء: اللهم طهر بطوننا من الحرام والشبهة

ويروي التاريخ انه حين عزمت قريش على إصلاح جدران الكعبة التي هدمها السيل بعد عشر سنين من زواج محمد بخديجة شرط ابو طالب ان لا ينفق فيه إلا من طيب المكاسب وأن لا يدخل في بنائها مال من ظلم ولا عدوان (تاريخ اليعقوبي: ٢/١٩).

كان طعام أبي الزهراء عليها السلام من طعام الجنة!! وما ادراك ما الجنة؟... طعام ما كان وما سيكون لاحد من بعده فمن البديهي ان يولد انسان عظيم هي بضعة الرسول التي كان يشمها كلما اشتاق الى الجنة وكيف لا وقد رأى الجنان وذاق طعامها.

وأريد ان أمر على لقاء السيدة خديجة رضي الله عنها بعد رحلة الاسراء والمعراج مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعد فراق دام أربعين ليلة كما تقول بعض الروايات فقد استقبلته بفرح وكانت

(١) (النراقي جامع السعادات ج٢ ص١٦٧).

الاجواء كلها تفيض بريح الجنة وسرد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مارأى في الرحلة العجيبة من آيات ربه الكبرى وكان هناك كلام وشوق وفرح كانت لحظات هناء عاشها الزوجان في وقت لا يشبه الازمنة العادية وبعد رحلة لا تمر بالاماكن العادية وعلى المدى الآخر كانت هناك تراتيل سماوية لاستقبال مخلوق جديد يكون بهجة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

على هذا تكاملت اولويات تكوين النطفة المباركة فيأتي هنا عامل الوراثة ليسجل انتقال الصفات من الابوين العظيمين الى البنت التي ولدت – عظيمة – ايضاً... ومن المعلوم ان الوراثة لا تعني انتقال الصفات الجسمية فقط بل تضاف اليها الوراثة النفسية كالتحمل والوراثة العقلية كالذكاء والوراثة الخلاقية كالشجاعة وهذه الصفات تكون موجودة بالقوة وتظهر مع توفر الارضية المناسبة لها. يقول امير المؤمنين عليه السلام: حسن الاخلاق برهان كرم الاعراق[1].

يرى امير المؤمنين عليه السلام أن الاصل الكريم والعرق الصالح يؤثر تأثيراً واضحاً على الانسان، فمن كان ينتمي الى نسب عريق في المكارم والفضائل ستكون المكارم والفضائل صفة ملازمة له في جميع جوانب حياته، فللوراثة دورها وتأثيرها الواضح في أخلاق وسلوك الانسان، حيث تخلق في نفسه الاستعداد والقابلية للاتصالات بالمكارم والفضائل إذا كان ينحدر من

(١) (الامدي غرر الحكم ص٢٥٤).

أصول متصفة بها، وكذا الحال في من ينحدر من أصول تتصف بالرذائل والمفاسد، فانه يرثها أو يكون قابلاً للاتصاف بها.

يعلق الشيخ فلسفي في كتابه الطفل بين التربية والوراثة على الآية الكريمة ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴾. نوح ٢٦.

يقول: ان الكافرين اما ان يفسدوا البيئة أو يخلّفوا اولادا ظالمين.

إن النفس تتأثر بالنطفة التي تتكون منها، النطفة تنعكس صفاتها على النفس، تنعكس خصائصها على النفس، ونقرأ في الزيارات:

أشهد انك كنت نورا في الاصلاب الشامخة والارحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها.

قالت عائشة: كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا قَدِم مِن سفرٍ قَبّلَ نحرَ فاطمةَ وقال: «منها أشمُّ رائحة الجنّة»[١].

ان الزهراء عليها السلام ورثت أعظم الآباء وأعظم الامهات فجاءت شمائلها مشابهة لشمائلهما.

عن المنهال بن عمرو، عن عائشة في حديث طويل أوّله: قالت: ما رأيتُ أحداً أشبَهَ سَمتاً ودَلاًّ وهَدْياً برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله..»[٢].

---

(١) (ينابيع المودة لذوي القُربى للشيخ سليمان القندوزي الحنفيّ ٢:٦٠ / ح ٤٦ وص ٣٢٢ / ح ٩٣٤).

(٢) (الجامع الصحيح للترمذي ٥:٧٠٠ / ح ٣٨٧٢).

الظروف المحيطة بولادتها

جاء في بحار الانوار للعلامة المجلسي ج٤٣ص٢ :

عن المفضل بن عمر قال: قلت لابي عبدالله الصادق عليه السلام: كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال: نعم إن خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكة فكن لايدخلن عليها ولايسلمن عليها ولايتركن امرأة تدخل عليها فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذرا عليه صلى الله عليه وآله فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة عليها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل رسول الله يوما فسمع خديجة تحدث فاطمة عليها السلام فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني، قال: يا خديجة هذا جبرئيل (يبشرني) يخبرني أنها انثى وأنها النسلة الطاهرة الميمونة وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاءه في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم أن تعالين لتلين مني ماتلي النساء من النساء فأرسلن إليها: أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوجت محمدا يتيم أبي طالب فقيرا لامال له فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئا فاغتمت خديجة عليها السلام لذلك فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم ففزعت منهن لما رأتهن فقالت إحداهن: لا تحزني

يا خديجة فانا رسل ربك إليك ونحن أخواتك أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثم اخت موسى بن عمران بعثنا الله إليك لنلي ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، واخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة... فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن أبي رسول الله سيد الانبياء وأن بعلي سيد الاوصياء وولدي سادة الاسباط ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة منهن باسمها وأقبلن يضحكن إليها وتباشرت الحور العين وبشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة فاطمة عليها السلام وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة بورك فيها وفي نسلها.

فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدر عليها فكانت فاطمة عليها السلام تنمي في اليوم كما ينمي الصبي في الشهر وتنمي في الشهر كما ينمي الصبي في السنة[1].

ان ولادة الزهراء عليها السلام كانت بعد البعثة الشريفة-على اغلب الروايات- حيث ان مقاطعة النساء لها حدثت في هذا الوقت.

والرواية السابقة تتحدث عن عون الهي لهذه السيدة العظيمة فمن المعلوم ان المرأة تحتاج الى الرفق والعون والمساعدة في فترتي الحمل والولادة،

---

(١) (المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣ ص ٢).

وكانت السيدة احوج ما تكون الى المساعدة وبخاصة وان للسيدة ولادات سابقة والزهراء – آخر العنقود – والمعروف ان التقدم في العمر وتكرر الولادات قد يُتعب المرأة خاصة عند الولادة ورغم ذلك لم يتقدم احد لاعانتها فيأتي العون الالهي بتقديم المساعدة من خلال نزول سيدات نساء العالمين!! ياله من لطف الهي غير مسبوق ولا ملحوق بمثله!

وكان كلام الزهراء عليها السلام مع امها وهي جنين في بطنها معجزة الهية اخرى تكشف عن المنزلة العظيمة للزهراء عليها السلام وامها ايضا، فقد كان عيسى عليه السلام يكلم الناس بعد الولادة وهو طفل صغير فكانت هذه معجزة له ساعدت على دفع التهم التي نسبها القوم الى امه العذراء، اما هنا فان هذا الامر يكشف عن عناية الهية ايضاً بالسيدة خديجة فهو نوع من الدعم النفسي لهذه المرأة العظيمة فمما لا يخفى على احد ان ولادة الزهراء عليها السلام في هذه الاجواء الصعبة التي عاشتها الرسالة في بداية الدعوة فهناك حرب مستعرة يخوضها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اعزل اللهم الا من سلاح الايمان المعطر بالوعد الالهي بالنصر على جبابرة قريش الخائفين على مكانتهم وعروشهم... وفي هذه الفترة الصعبة التي تقف فيها السيدة خديجة داعمة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكل ماأوتيت وبكل اشكال الدعم النفسي والمالي والمعنوي... فهي ايضا تحتاج الى دعم نفسي والى رعاية وعناية فكانت الرعاية الالهية لها ان هذا الجنين يكلمها فيقضي على مساحات الصمت التي تغلف البيت النبوي ليس هذا فحسب بل هناك صورة عظمى

رسمتها السيدة خديجة لهذا المولود المبارك من خلال هذه المعجزة ومن خلال كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بان (سيجعل الله تعالى من ذريتها أئمة يهتدي بهم المؤمنون) فرسمت السيدة صورة مفرحة مشرقة عظيمة لهذه الوليدة وهذا ما يكون له أثرٌ في تحسين المزاج وازاحة التوتر النفسي، انها ليست معجزة فقط لتبين القدرة الالهية بل هي تكشف عن الرحمة الالهية التي كنست الشعور بالوحدة الذي كان من الممكن ان تبتلى به السيدة والذي كان سيترك آثارا لا محالة على حال الام نفسها.

ونحن نجد في زماننا دراسات كثيرة حول اكتئاب الحوامل والذي يحصل في الاشهر الاولى والاخيرة من الحمل ويؤكد الاطباء ان احد عوامل تخفيف الاكتئاب هو رسم صورة جميلة للجنين في المخيلة.. حينما يأتي الى الدنيا.. ويكبر.. ويلعب وينادي الام.. الى آخره، وهذه الوصفة تنجح اذا كان هناك تقبل للحمل وللجنين من قبل الوالدين ولاسيما الام بالذات فكيف اذا كان الجنين هو صاحب الحوار والكلام!! وكيف اذا عرفت الام انه لايوجد في ارجاء الارض من يشبه جنينها نسباً وكرامةً ومكانةً.

ونقف عند حضور هؤلاء النساء العظيمات الى بيت السيدة خديجة واعانتها على الولادة وكل عاقل يرى في الامر تكريما سواء للولادة أو الوليدة أو للام أو للجميع -طبعا بما في ذلك الاب نفسه- لكن هذا الهبوط من العلياء لحضور مولد المرأة العظيمة لهو دليل قاطع على موقعها السامي الذي - ربما - لا تدانيه حتى هؤلاء اللائي حضرن للمساعدة!!.

المحيط الاسري

ينقل الحسني في سيرة الأئمة عن بنت الشاطئ في حديثها عن بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لما ولدت فاطمة (استبشر أبواها بمولدها، واحتفلا به احتفالا لم تألفه مكة في مولد أنثى)[١].

وهذه الكلمات دليل على الحفاوة التي استُقبلت بها هذه البنت لما ولدت.. لقد كان هناك فرح مسبق ينتظر قدوم الطفلة المباركة وكل الاستعدادات الالهية والسماوية من طعام الجنة والرياضة الروحية للاب ورعاية الملائكة كل ذلك يطلعنا على العناية الربانية التي رافقت مولد هذه الانثى!!.. ولهذا فمن حق بنت الشاطئ ان تُبدي تعجبها لهذا كله في زمن يتوارى فيه الابوان عن القوم اذا ولدت انثى!!.

وفي أمالي الصدوق: ص٥٧ ح١: «فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها فدرّ عليها».

وكما فرحت السيدة خديجة بهذه الوليدة المباركة فإن فرحة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن اقل من ذلك فقد تلقاها بالفرح والسرور وهو يعلم ان لهذه الطفلة شأناً عظيماً وان ذريته ستمتد عبر الزمن الطويل بهذه المولودة المباركة. استقبل الرسول طفلته بفرح لا يوصف فقد ملأت عليه كل جوارحه وجوانحه ونقلته الى آفاق المستقبل الذي يخلد ذرية المصطفى من

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني - القسم الأول: ٦٥ - ٦٧، دار التعارف للمطبوعات ط ١٤٠٦ هـ.

نسل هذه البنت الصغيرة، كانت كل شي في حياته وكانت تطير به في افياء الابوة الحانية ففاض قلبه بالحب لها ومن بعد لبعلها وذريتها وتعاظم هذا الحب بعد رحيل السيدة خديجة عليها السلام ليكون الرسول الحبيب هو الذي يربي ويعلم ويزوج هذه البنت التي تفوح منها ريح الجنة.

ان التغيير في التعامل التربوي مع البنت ظهر مع ظهور الاسلام وهذا ما نجده في تعامل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع الزهراء عليها السلام انه يعيش الفرح بها حتى قبل ولادتها وهو يعلم انها انثى ذات مؤهلات خاصة!.. هذه الصورة من المعاملة الانسانية تطفو امامنا على السطح في مجتمع يئد البنات ويعدّهن كالسائمة!.... وهذا ان اشار الى شيء فانما يشير الى الصورة الطيبة التي ينظر بها الاسلام الى البنت فقد انتهج اسلوبا خاصا في التعامل مع البنات يقوم على اكرامهن واحترامهن.

ففي الحديث أن الله تبارك وتعالى على الإناث أرأف منه على الذكور وما من رجل يدخل فرحةً على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحه الله تعالى يوم القيامة[1].

وعن الامام الصادق عليه السلام البنات حسنات والبنون نعم، فالحسنات تثاب عليهن والنعم تُسأل عنها[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساووا بين اولادكم في

(١) (الكافي: ج٦ ص٦ باب فضل البنات ح٧).

(٢) (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥ ص١٠٤).

العطية فلو كنت مفضلا احدا لفضلت النساء.

وفي الكافي ج ١٦ باب فضل البنات رقم الحديث:

عن عدة من اصحابنا، عن احمد بن محمد بن خالد عن محمد بن اسماعيل بن بزيع عن ابراهيم بن مهزم عن ابراهيم الكرخي عن ثقة حدثه من اصحابنا قال: تزوجت بالمدينة فقال لي ابو عبدالله عليه السلام: كيف رأيت؟ قلت: ما أرى رجل من خير في امرأة إلا وقد رأيته فيها ولكن خانتني فقال وما هو؟ قلت ولدت جارية قال: لعلك كرهتها إن الله عزوجل يقول: آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا.

علي بن ابراهيم عن ابيه ومحمد بن اسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعا عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم عن جارود قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن لي بنات، فقال: لعلك تتمنى موتهن أما إنك إن تمنيت موتهن فمتن لم تؤجر ولقيت الله عزوجل يوم تلقاه وأنت عاص.

هذا في وقت عاشت فيه الجاهلية مبدأ التمييز الجنسي ومعاقبة الانثى ونبذها واهمال انسانيتها فقد روي أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يزال مغتما بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما لك تكون محزونا)؟ فقال: يا رسول الله، إني أذنبت ذنبا في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت! فقال له: (أخبرني عن ذنبك). فقال: يا رسول الله، إني كنت من الذين يقتلون بناهم، فولدت لي بنت فتشفعت إلي امرأتي أن أتركها

فتركتها حتى كبرت وأدركت، وصارت من أجمل النساء فخطبوها، فدخلتني الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي، فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي، وأخذت علي المواثيق بألا أخونها، فذهبت بها إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر، فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول: يا أبت! ماذا تريد أن تفعل بي! فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت لا تضيع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة، وهي تنادي في البئر: يا أبت، قتلتني. فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (لو أمرت أن أعاقب أحدا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك)[1].

ان الطفل الذي يستقبله اهله بحفاوة يشعر انه مرغوب فيه ويتعزز لديه الشعور بالثقة بالنفس والاعتزاز بجنسه وكيانه عكس الطفل الذي يستقبله اهله بالنبذ والكره فانهم يعززون الشعور لديه أنّه كائن منبوذ وغير مرغوب فيه وهذا ما سيدفعه للبحث عن بدائل تعويضية مستقبلا لاستعادة الاحساس بالكرامة والثقة وقد يلجأ الى الانحراف والجرائم الكبرى ليقول: انا الذي كرهتموني استطيع ان افعل كذا وكذا!!..

---

(١) (القرطبي، تفسير سورة التكوير اية ٨، ١٩: ٢٣٤-٢٣٢).

ويمكن تقسيم البيوت من نمط الاجواء الاسرية فيها الى انواع منها:

١. جو الانانية: وهو جو خانق منشأه احد الزوجين أو كلاهما فالزوج الاناني يستغل زوجته ويفعل كل ما يروق له غير مكترث بزوجته التي تكون شقية بائسة وربما تفقد الثقة بنفسها فتتقبل انانية الآخرين عبر تحطيم الذات أو قد يكون الامر على العكس اي تكون الزوجة انانية وهذه تعلم البنت بان تكون انانية ايضا بقصد أو بلا قصد. وهنا تغيب مفردات اساسية في القاموس الاجتماعي للبيت كالعطاء والتحمل والبذل والتضحية.. والطامة الكبرى ان الطرف الاناني يرى ان هذه هي اخلاقياته ولا سبيل لتغييرها وهذه تزيد من حدة الفردية الطاغية على السلوك الانساني والتي نرى تزايد نبرتها في مجمل العلاقات المعاصرة. هذه الانانية تعبر عن شخصية نرجسية تدور حول ذاتها المتضخمة.

٢. جو الشكوى: الذي غالبا ما تخلقه الزوجة!! فهي دائمة البحث عن موضوع للشكوى حتى لو لم يكن موجودا!! فقد تشتكي من التعب - وهل هناك من لا يتعب؟- فالمهم ان تشتكي!! فهذا هو ديدنها.. وهؤلاء يخلقون جواً كئيباً سلبياً ويجعل صاحبه شقيا ويشقي من معه، وهنا تتعلم البنت الشكوى ايضا ولا تري امرا ايجابيا فكل شيء سلبي يُشتكى منه! وهو ما يجعل هناك ضيقاً في الرؤية السليمة للامور وتعلّم الشخص ان ينظر دوما للقسم الفارغ من الاناءً!!.

٣. جو البغض: الذي يتوارى عنه العطف والحنان وقد يكون البغض

والكراهية موجودا بين الاب والام رغم انهما يعيشان تحت سقف واحد – من اجل الاطفال – وقد يكون الكره للطفل نفسه لاسباب منها كره الزوج لزوجته وبالعكس فهو يرى صورة الكائن البغيض في هذا الوليد خاصة اذا كان من جنسه فتكره الام الابن الذكر لكرهها لابيه ويكره الاب البنت بغضاً لامها فالمرأة التعيسة في حياتها الزوجية تشعر ان الحمل عبءٌ ثقيلٌ عليها لانه يربطها بزوج تكرهه وهي تشعر انها تحمل في احشائها جزءا من هذا الزوج المرفوض. وفي مثل هذا الجو يتعلم الاطفال الكره والبغض والحقد على الغير بما في ذلك البغض والحقد لمن يحبهم الآباء بل حتى اذا رأوا اطفالاً آخرين يحبهم اهلوهم!! والاب الذي يكره زوجته لا يحمل العطف على الاولاد عادة وبالتالي يعامله الاطفال بالمثل.. وربما يدفع الاولاد للجنوح أو الانحراف بحثا عن الحب والحنان!.

٤. جو الانتقاد: حيث تتعرض فيه الفتاة أو الفتى للانتقاد المستمر بسبب أو بلا سبب وبعقلانية أو بلا تعقل من الوالدين بل وحتى من الاخت الكبيرة أو الاخ الاكبر، وتزداد حدة الانتقاد عند المراهقة لانها تمثل تهديدا للاسرة وليس امرا طبيعيا وهنا تتعلم البنت الانتقاد الصحيح والخاطئ ويكون الجو الاسري مزعجا لما فيه من كلام سلبي محبط وليس هناك اي تعليم صحيح بل ليس هناك من يملك آليات التوجيه الصحيح الذي يخرج من وتيرة الانتقاد اللاذع والمتكرر.. ويتنقل هذا السلوك الى المدرسة فيضجر الاصدقاء ويضطرون الى هجرانهم.. والانتقاد اما بطريقة مباشرة صراحة بالتراشق

بالالفاظ أو غير مباشر بالغمز واللمز وتصبح عادة الاولاد غمز ولمز الاخرين ويأخذون معهم هذا السلوك الخاطيء الى البيت الزوجي الذي يصبح معرضا للانهيار بسبب الانتقاد. والاولاد في كلا النمطين من الاجواء يفقدون ثقتهم بأنفسهم وبالآخرين.

٥. الجو الديكتاتوري: فيه اب دكتاتور لا يتفاهم ولا يجيد لغة الحوار مع ابنائه وربما حتى مع زوجه.. ويكون البيت هنا أشبه بثكنة عسكرية فيها الاوامر والقوانين الصارمة، وهي اجواء يغيب فيها الحب وينتشر فيها الخوف، وفي اجواء كهذه تغيب روح المبادرة وينخفض مؤشر الذكاء وتكون معاناة البنت اكثر لانها اقل ثقة بنفسها وهي الأضعف التي يُصب عليها الاستبداد من كل الاطراف.. واحيانا يتمرد الاولاد الذكور لكنهم لا يرغبون بأن تشترك البنت معهم في التمرد!!.. وقد تكون الزوجة هي منشأ ديكتاتورية البيت ربما لغياب الاب -لموته مثلا- أو هو موجود لكنه نمط ضعيف الشخصية وهذا الجو يشوه صورة الانوثة عند البنت والاولاد الذكور فهي تحاول ان تكون البنت مثلها في السلوك المتسلط من ناحية ومن ناحية اخرى لا تسمح لاحد بالسؤال أو الحوار فتحول الابناء الذكور الى صورة خانعة كنموذج الاب وهو تشويه للذكورة!!. ونتيجة ذلك ان تكون الشخصية قانعة خاضعة خائفة من السلطة كما أن صاحبها يشعر انه دون الآخرين ويتسم بعدم الثقة في الذات ويؤدي ذلك إلى ارتكاب الأخطاء في غياب السلطة.

٦. الجو الديمقراطي: الذي يقوم على لغة الحوار والتفاهم وهنا تكون

البنت محترمة وقد يقدم الآباء توصيات اكثر للاولاد بالعناية بأختهم ورعايتها، وهنا يغيب الخوف وتتقبل الاسرة مراهقة البنت على انها مؤشر نموسليم فهو خير وبركة عكس الاجواء السابقة التي تكون فيها مراهقة الانثى (مشكلة ومصيبة) تستدعي التجسس والتفتيش ولابد من التخلص منها بسرعة (بالزواج السريع والمبكر).. ولأن الحرية هنا مكفولة للجميع – بضوابطها– يجد الاولاد حرية في اختيار الزوج أو العمل أو نمط الدراسة وهذه كلها امور تكون عونا لهم في الحياة ويبقى الاهل هنا (حزام ظهر) اي حصن حصين للفتى وللفتاة تعتز به حتى اذا خرجت من البيت الى الحياة الزوجية والاجتماعية التي تكون مستقرة اكثر.

٧ . الجو المتسامح: ورغم ان التسامح امر مطلوب اذ لاينبغي الوقوف عند كل عثرات الابناء بل لا بد ان يكون هناك مرور الكرام على بعض الاخطاء الصغيرة لكن الافراط في التسامح قد يؤدي الى نمط سلبي من الحماية الزائدة وقد يقف الاب أو الام مدافعا عن اخطاء ابنهما بدل التوجيه الصحيح!! وهي مصيبة كبرى قد تؤدي مستقبلا الى جنوح الاحداث والى نشوء شخصية مشوهة لا تجيد اتخاذ القرارات الصائبة أو التكيف مع المشكلات التي تمر بها!! وبعد الزواج قد تتعرض الفتاة الى ازمات اذا لم يسامح الزوج على اخطاء الفتاة.

٨. جو الاهمال: هنا يكون البيت اشبه بمقهى أو فندق لا اكثر!! اذ يعرف الاب ان مهمته فقط تحصيل المال اما الام فتعرف ان مهمتها هي فقط

في النظافة والتسوق اما التربية ومتابعة شؤون الابناء وحل مشكلاتهم فهذا امر يتصوره طرف انه من مهام الطرف الآخر المقصر!! وحتى اذا ما ابدى البعض النصيحة بأنه لابد من متابعة شؤون الابناء قدم الآباء والامهات الاعتذارات في قوائم طويلة عريضة يعرفهاالجميع!!ولا يدري الآباء هنا اين مدارس الابناء؟ ولا تدري الامهات متى ينتهي الدوام المدرسي للبنت؟ وقد تقضي الام وقتها مع الصويحبات والاب في المقاهي مع الاصدقاء ناسين ان لهم ابناء!!.. هذا الجو يُشعر الطفل انه لا قيمة له فلا يندفع نحو المبادرة، ولأنه جو هامل فهو يضاعف من شعور الطفل بالوحدة ثم الاغتراب فيحاول جذب الانتباه بممارسات قد تكون صحيحة أو خاطئة، وفي هذا الجو تضعف العلاقات بين الافراد داخل الاسرة الامر الذي يجرها الى نموذج اسرة (القوقعة الفارغة) فهي اسرة في الصورة امام المجتمع فقط!!.. وقد يتعود الطفل نفسه على الاهمال سواء لشؤونه أو للوالدين أو حتى لاسرته مستقبلا، وقد تنشأ عقد نفسية فيحاول التعويض فيصبح اكثر حرصا على اسرته المستقبلية، وقد تزداد الحالة سوءا فيبدأ يستفيد من هذا الجو الذي يغيب فيه المرشد والمتابع لمجازفات خطيرة.. ويرى د. فاخر عاقل ان العائلة الحديثة ميالة للانصراف عن الطفل والعناية بسبب العمل وغيره.

وهنا تكون شخصية الطفل مترددة غير آبهة بالقانون فمن السهل عليه ان يخالفه وبذلك لا يقيم وزنا لحقوق الآخرين.

٩. الجو النابذ: وقد يكون الأب هنا نابذاً للبنت (لانها بنت) أو قد

تكون الام (اما لأنها من جنس الانثى واما لانها حمل غير مرغوب فيه) أو قد يكون الاثنان نابذين للبنت فهو جو مشبع بالكراهية والبغض وتشعر الفتاة بالذنب لانها انثى ليس اكثر!!.. واذا كان الاب هو النابذ تحاول الام تعويض البنت عن طريق الحماية الزائدة والتدليل وكلها امور غير صائبة تؤثر على رؤية الفتاة لذاتها وأنوثتها. وقد يكون النبذ مستمراً مما يؤدي الى اتباع اساليب سيئة مع البنت فتبدأ بالبحث عن اجواء بديلة يكون فيها الاشباع العاطفي والمودة والحب اكثر – حسب تصورها – فتتزوج وتقبل الزواج بسرعة كي تتخلص من هذا الجو دون ان يكون هناك تصور للحياة الجديدة التي قد يكون القيد فيها اكثر مع صعوبة انكساره!!.. وقد تندفع نحو الخطأ أو الرذيلة بحثا عن الاشباع العاطفي الذي تفتقده في البيت.

يشير د. فيصل عز الدين الى الآثار السلبية للتمييز بين الجنسين فيقول في مقال له:

... نجد أن التمييز الجنسي قد فرض على تلك الأنثى ان تتحمل كل المسؤوليات والضغوطات والضغوط في آن واحد سواء داخل الأسرة أو في حرمانها من استكمال تعليمها (تحت ضغط المجتمع) وأخيرا في قصر حقها على بعض الوظائف التي تتاح لها دون وظائف اخرى كثيرة ذات عائد مادي مجز، تم قصرها على الرجل.

ومن هنا نجد مدى الظلم الذي يقع على المرأة من خلال ذلك التمييز الجنسي الصارخ الذي يبدأ معها منذ ولادتها ويستمر معها في الأسرة الأولى لها

ثم في المدرسة ثم في المجتمع الخارجي ثم ينتقل معها إلى بيت الزوجية وأسرتها الثانية وتحمله على أكتافها إلى مكان عملها حيث تعاني من نفس التمييز وحتى عندما تريد الانفصال عن زوجها نجد أنها لا تملك في مجتمعنا ذلك الحق وعليها أن تستمر في المعاناة وفي تحمل خطأ ليست مسؤولة عنه ألا وهو أنها تنتمي للجنس الآخر!!).

ولا شك أن معاناة المرأة من ذلك التمييز الجنسي تكون بنسب تصاعدية كلما انخفض المستوى الثقافي والاجتماعي بين أفراد المجتمع.

ومن المعلوم ان التمييز بين الجنسين يؤدي الى عوامل واضطرابات مستقبلية اكثرها واخطرها احتقار الذات (لأني انثى اكره نفسي واتمنى لو كنت ذكرا) وظهور عقدة الحقارة وانخفاض مؤشر الثقة بالنفس وتدني مستوى الامل والطموح ومحاولة استعادة الذات عبر برامج غير صحية وغير سليمة (كالاسترجال) الى غير ذلك من الامور...

فـ(ما إن يدق المولود باب الحياة حتى يستقبله إحساس الكبار به. ومن المؤكد انه يلتقط باحساسه الداخلي معظم ما يجري من انطباعات حول مجيئه الى هذا العالم وهل هو كائن مرحب به ام هو كائن غير مرغوب فيه؟ ام ان التوقعات كانت تطلبه من جنس آخر غير الجنس الذي ينتمي اليه)[1].

نعم المواليد يقرأن تعبيرات الآباء والامهات في الوجود فيشعرون بالذنب حين يرون الوجوه مكتئبة انهم يقرأون المشاعر والاحاسيس قال تعالى:

---

(١) د. سبوك، حديث الى الامهات / ص ٩٠.

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءِ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ النحل٥٨ ـ ٥٩.

وهناك تصورمعاصر انه عن طريق المساواة في الملابس والفعاليات ونمط الدراسة تصل الاناث والذكور الى تحقيق الانسانية المطلوبة أو بالاحرى المساواة وفهم الادوار الحياتية لنقرأ ما كتب د. سبوك:

وفي الحضارة الغربية المعاصرة تحاول بعض الاسر الاّ تفرق بين اسلوب تربية الولد واسلوب تربية البنت. فالبنت ترتدي نفس ملابس الولد، مثل "الجينز الأزرق" و"الفانلات" المرسوم عليها نفس الرسوم. وتتوقع الأسرة من الولد والبنت أن يلعبا نفس الألعاب معاً. وقد يخصص لهما الوالدان جزءاً متشابهاً من عمل المنزل، وبطبيعة الحال فهما يتعلمان نفس الدروس في المدارس والجامعات.

وليس من حقنا أن نجادل الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات في اختيار اسلوب تعاملهم بمساواة بين الجنسين، وعدم تمييز الفارق بين دور الرجل ودور المرأة. نحن لا نجادل في ذلك رغم إيماننا بضرورة اختلاف اسلوب التعامل بين الولد والبنت، لا بما يقلل من إحساس البنت بنفسها أو يقلل من إحساس الولد بنفسه، ولكن بما يحقق لكل منهما وعياً لدوره باحترام وتقدير وإحساس بالندية لا المساواة، لأن الندية تعني أن يتعرف الفرد على دوره بفخر واعتزاز دون التقليل من دور الفرد الآخر، ولو كان من

جنس آخر[١].

والآن عبر التقنيات الحديثة التي تشخص جنس الجنين يتم اسقاط الاجنة البنات، فضلاً عن الاستغلال الجنسي البشع للبنات الصغيرات واستعمالهم لاداء اعمال لا انسانية مع كل الصراخ الذي نسمعه عن حقوق المرأة!!.

ونعود الى علاقة الرسول بابنته فاطمة الزهراء عليها السلام كانت اذن علاقة متبادلة وطيبة بين الاثنين وكان الرسول يحاول سد الفراغ الذي تركته السيدة خديجة رضي الله عنها عند ابنتها ونفس الشيء يقال عن الزهراء عليها السلام: لقد كانت الزهراء تمتلك منذ البداية الرصيد الاول من الحب الابوي كما ورد في الحديث:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته فاطمة قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، يا عائشة! لما اسري بي إلي السماء أدخلني جبريل الجنة، فناولني منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء انسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها»[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة مهجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبَعلُها نور بصري، والأئمّةُ مِن وُلدها أُمناء ربّي وحَبلٌ ممدودٌ بينه وبين خَلْقه، مَنِ اعتصَمَ بهم نجا، ومَن تخلّف عنهم هَوى»[٣].

---

(١) (د. سبوك، حديث الى الامهات، ص٩٣).

(٢) مستدرك الحاكم/ج ٣/ص ١٥٦.

(٣) (المجلسي، البحار، ١٠: ٢٣ ح ١٦).

ان الاعراف الجاهلية كانت تقوم على نبذ واهمال البنت الانثى ورعاية الذكر الذي سوف يحمل اسم العشيرة واسم الاسرة فالمجتمع آنذاك مجتمع ذكوري يقصي الأنثى عن كل المزايا الصالحة ويعطي كل الامتيازات للذكور بما في ذلك الرعاية والحنان ولهذا اتهموا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بانه الابتر لموت اولاده الذكور وبقاء الحياة لابنته الزهراء فكان صلى الله عليه وآله وسلم ابا بنات وليس ابا ذكور، وهذا مما اساغ للبعض ان يطلق عليه لقب الابتر-حاشاه- لكن الذي نراه ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يولي لابنته الزهراء عليها السلام كل الرعاية ويعطيها مساحة كبيرة من عنايته واهتمامه حتى بعد ان تتزوج وتترك البيت الى بيت زوجها وتصبح اماً اذ تبقى هذه العلاقة الطيبة وتبقى هذه الرعاية الابوية في اهى واكمل صورة.

على هذا نفهم ان الجو الاسري الذي عاشته الزهراء عليها السلام كان متميزا في كل جوانبه فمن ناحية كان هناك فرح وسرور بمجيء هذه الانثى قبل مجيئها فهي طفلة مباركة كُتبت لها الحياة لتكوّن ذرية النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم منها.. ثم هو جو يعبق فيه اريج الايثار والتضحية والعطاء ومن كلا الطرفين وهو محيط خالٍ من البغض أو الحقد بل العكس هو صحيح فهناك المؤازرة والدعم والرعاية لكل الاطراف.. ثم هو محيط آمن تغيب فيه المشاحنات والمعارك والفحش من القول والعنف-والعياذ بالله- فهي اسرة طيبة تبيت على وسائد المحبة العامرة بذكر الله واعلاء رايته كهدف مطلوب يتسابق اليه الزوجان مع البنت والزوج والاحفاد فيما بعد.. وقد

اغدق الوالدان كل ماعندهما من حب وحنان لهذه الطفلة الصغيرة حتى اذا ماتت الام اهتم الاب اكثر بابنته وقدم كل ما في جعبته من الحب والعطف وبادلته البنت درجة عالية من الود والاهتمام فكان نموذجا ساميا في الروابط الاسرية.

ويجب ان لا يغيب عن بالنا ان العلاقة مع الزوج اذا كانت ايجابية فتقبل الحمل يكون ايجابيا ايضا بمعنى انه اذا كانت العلاقة بين الطرفين تقوم على الحب والرحمة والمودة فان الحمل يكون مقبولا (تقبل الام للحمل يجعلها اما رحيمة جدا)، في حين اذا كانت العلاقة قائمة على الانماط الاخرى من العلائق غير السليمة كعلاقة النبذ سواء نبذ الزوج أو نبذ الزوجة أو البغض أو الاهمال فان الحمل لا يكون مرغوبا فيه لانه يمثل استنساخ نسخة من الطرف غير المرغوب فيه فهناك نبذ للحمل وللجنين الامر الذي يؤدي الى اصابة الجنين وهو في بطن امه بجملة اضطرابات نفسية وعصبية. اذ يقول العالم التربوي د. سبوك في كتابه (تربية المراهق):

(ان الابناء الذين ينشأون في اسر متحابة لا يعرفون انحرافات العصر الحديث).

ويضيف:

ولكني اريد ان اقول إن اعظم ما يتعلم منه الأبناء هو السلوك العلمي بين الأب والأم فإذا كانت العلاقة بين الأب والأم مليئة بالمحبة والتفاهم رغم ظهور بعض من المعارك في بعض الأحيان، فإن الأبناء يتشربون روح الأسرة

بلا أدنى شك. إن الحديث عن الأخلاق والقيم أمر سهل، لكن الابناء لا يتشربون القيم من الكلمات فقط ولكن يتشربونها ويطبقونها في حياتهم إذا ما رأوا ذلك في أسرهم، واذا كان العصر الحديث قد اكثر من المعلومات عن التشريح ووضع امام الشاب والفتاة اكثر من فرصة للتعرف العلمي على الجسد، فإن الأسرة عليها من خلال سلوك الأب والأم أن تعلم الابن الكثير من القيم من خلال السلوك اليومي، ان التعاون المتفاني الذي يمارسه الأب الحنون والأم الطيبة لهو خير معلم للأبناء).

وأقول إن النمو السليم للطفل وتكوين ثقته بنفسه وتقبله للآخرين وتكوين علاقات اجتماعية سليمة كله رهين بنمط الاجواء السائدة في البيت فالاجواء السليمة تساعد على نمو سليم ومتوازن اما الانماط الخاطئة كالحماية والتدليل الزائد والنبذ فانها تخلق انسانا مصاباً بالاضطرابات وعاجزاً عن تقبل نفسه بشكل واقعي أو تقبل الآخرين ولا اقصد هنا اجواء الغنى والفقر وان كانت مؤثرة لكن الاهم هوالعلاقات بين افراد الاسرة الواحدة خاصة بين الزوجين فما اكثر الفقراء الذين يعيشون بسعادة في اسرهم وما اكثر الاغنياء الذين يزيدون من شقاء بيوتهم!!.

بقي ان نمر على انعكاس العلاقة الطيبة بين الزوجين على الجنين والمولود والطفل الذي يعيش في هذه الاجواء.. فمن المعلوم انه كلما كانت الاجواء الاسرية اكثر ايجابية وكان التوافق بين الزوجين اكثر بما يؤدي الى زيادة الانسجام بينهما فان التأثيرات الايجابية تكون على انعقاد النطفة وعلى

الحمل وعلى التربية الاسرية اكثر وسنتناول ذلك في انماط العلاقات الزوجية لاحقا.

الاجواء الخارجية

وخلافا لما كان يسود البيت النبوي من أمن ومحبة وراحة ومودة وطمأنينة كانت الساحة الخارجية كرة ملتهبة تموج بالاحداث الكبرى.. فلقد كان التحدي القرشي خطيراً على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى دعوته المباركة وكانت هناك دائما محاولات احباط للدعوة سواء بالترغيب أو بالارهاب الظاهر والعلني فضلاً عن الارهاب المخفي وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع المسلمة الاولى وباقي المسلمين يعيشون هذه الاوضاع الساخنة.

ولقد اتخذ النهج الجاهلي اساليب متعددة في مواجهة الدعوة منها السخرية من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واتهامه بانه كذاب، ساحر...

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ (القمر ٢٢-٢٦).

وقال أيضا: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤)

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات ٥٢ ـ ٥٥).

ومنها تعذيب المسلمين بشتى انواع العذاب البدني والنفسي اضافة الى الضغط الاقتصادي والاجتماعي من خلال المقاطعة ومن خلال مراقبة الضعفاء والتضييق عليهم... وقد حاولت قريش مرارا التخلص من الرسول نفسه اما بالقتل أو بصرفه عن دعوته بوسائل عدة لكنها لم تنجح ابدا في هذا السعي الاليم فلقد كتب الله في كتابه المجيد انه ناصر لرسوله ومظهر لامره على الدين كله... في هذا الجو الساخن ولدت الزهراء عليها السلام في مجتمع جاهلي له تقاليده واعرافه الخاطئة التي كان من اخطرها نبذ الأنثى ووأدها اجتماعيا وجسديا، فكيف يستقبل الوليدة الانثى التي اطلت على البيت النبوي الذي خلا من الذكور!؟.

من البديهي انه لا يقيم لهذه الولادة وزناً ولا يعيرها ادنى اهمية بل العكس هو الصحيح فما دام الوليد انثى فالاب اذن أبتر! ولهذا جاء الوجه الجاهلي شامتا بفرح منتقصا لهذه الولادة وعادّها دلالة على نهاية الرسول ونهاية نسله!! وهو ما تصوروه وارادوه لكن لله ارادته العليا في هذه الوليدة التي كانت كوثرا من كل جوانبه.. وقد رد صلى الله عليه وآله وسلم هذه الفكرة من خلال حديثه مع زوجته المؤمنة (سيجعل الله تعالى من ذريتها أئمة) انه يعلم شيئا غير الذي يتصوره الآخرون الذين يستحقون الرثاء والمواساة.

وتأتي هذه الرؤية الضيقة للانثى الوليدة من خلال الرؤية السائدة في

المجتمع كله عن المرأة بوجه عام، ولهذا لما ولدت الزهراء هموا بإخناق فرحته بها من خلال اتهامه بأنه الابتر فجاء رد القرآن الكريم سريعا فنزلت سورة الكوثر.

كتب الفخر الرازي في تفسيره لهذه السورة:

المعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من اهل البيت؟ ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني أمية في الدنيا احد يعبأ به[1].

وفي الدر المنثور أخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم وهو أول ميت من ولده بمكة ثم مات عبد الله فقال العاصي بن وائل السهمي قد انقطع نسله فهو أبتر فأنزل الله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾. وفيه أخرج الزبير ابن بكار وابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: توفي القاسم ابن رسول الله بمكة فمر رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم وهو آت من جنازته على العاصي بن وائل وابنه عمرو فقال حين رأى رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم: إني لاشنؤه فقال العاصي بن وائل: لا جرم لقد أصبح أبتر فأنزل الله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾. وفيه أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: كانت قريش تقول – إذا مات ذكور الرجل – بتر فلان فلما مات ولد النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم قال العاصي بن وائل:

(١) (مفاتيح الغيب ج ٣٠ سورة الكوثر).

بتر والابتر الفرد[1].

هذه الولادة كانت بداية لتصحيح مقاييس وازالة اعراف ونشر ثقافة سليمة للانسان.

خلاصة مولدها عليها السلام

١ ـ انها ولدت في زمن مبارك بعد رحلة الاسراء والمعراج على أغلب الروايات.

٢ ـ انها ولدت في مكان مبارك تختلف اليه الملائكة وعلى رأسهم جبريل الأمين عليه السلام.

٣ـ انها ولدت من ابوين مباركين كاملين احدهما سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم وسيد الرسل والاخرى سيدة النساء عليها السلام.

٤ ـ وعند ولادتها هبطت أربع سيدات بينهن مريم وآسية عليهما السلام سيدتا نساء العالمين لمساعدة الام وللعناية بالوليدة.

٥ ـانها الوحيدة من كل اولاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لخديجة التي قامت بإرضاعها.

وفي الروايات ان السيدة خديجة اذا ولدت ولدا دفعته لمن يرضعه فلما ولدت فاطمة لم يرضعها احد غير خديجة[2].

---

(١) (تفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٧٣).

(٢) (عوالم العوالم ٤٦/١١ عن البداية والنهاية ٣٠٧/٥٠ طبع مصر).

وهذا امر مطلوب اذ لايرضع سيدة النساء الاسيدة النساء كما لا يرضع سيدي شباب اهل الجنة ولا سيدة الطالبين الا سيدة النساء. وبهذا فقد توفر الحضن الطاهر مع اللبن الطاهر في عموم الاجواء الملكوتية التي عاشتها الزهراء عليها السلام[١].

---

(١) ان واحدا من حقوق الطفل على والدته هو ارضاعه من لبنها الذي يتزامن ظهوره مع ميلاد الطفل وهو الغذاء الذي هيأه تعالى للطفل بما يناسب قابليته للهضم والامتصاص وفي الحديث: ليس للصبي خير من لبن امه (الحر العاملي / وسائل الشيعة باب ٧٨ حديث ٥ احكام الاولاد).

وأيضاً: انظروا من يرضع اولادكم فان الولد يشب عليه(الوسائل باب ٧٨ حديث ١ احكام الاولاد)

ان ارضاع الطفل بالرضاعة الطبيعية يمنح الطفل الاشباع العاطفي ويساعد على تقوية العلاقة بين الام ووليدها ويركزلدى الام اهمية متابعة شأن وليدها ورعايته وهو ايضا يساهم في منح الطفل الوقاية المناسبة ضد الامراض فهو اذا تربية صحية وغذائية ونفسية واجتماعية واقتصادية كما انه يعزز ثقة الطفل بامه والتي هي المنطلق نحو ثقته بالعالم الخارجي.

يشير آلان وغيبيز في كتابه لغة الجسد:

(وتوضح الدراسات الآن وجود علاقة بين رضاعة الطفل من ثدي امه او رضاعته خارجيا وبين احتمال ان يصبح مدخنا عندما يبلغ. فقد وجد ان الاطفال الرضع الذين كانوا يعتمدون بشكل كبير على اللبن الصناعي يمثلون الاغلبية العظمى من المدخنين البالغين وانهم اكثر المدخنين شراهة (بنسبة ثلاثة اضعاف عن الذين يرضعون من ثدي امهاتهم). ويبدو ان الاطفال الذين يرضعون من اثداء امهاتهم يتلقون قدرا من الراحة والارتباط والامان اكبر من الذي يحصلون عليه اذا رضعوا من زجاجة خارجية، والنتيجة ان الاطفال الذين يعتمدون على الرضاعة الخارجية يستمرون – عندما يكبرون – في البحث عن الراحة والامان عن طريق مص الاشياء.

ويضيف: وليس هذا فقط وانما ظهر ايضا انهم كانوا اكثر عصبية من غير المدخنين وانهم يعانون من انواع مختلفة من الولع الشفهي بمص الاشياء مثل ذراع النظارة او قضم الاظافر او مضغ الاقلام او عض الشفة.(آلان وغبييز لغة الجسد ص٢٦٦).

ويعلل د. واطسون (السبب العام للانصراف عن الرضاعة عن طريق الثدي في المجتمعات الصناعية هو خوف النساء من فقدان القوام اللائق وهو سبب يقول الخبراء عنه (انه لا أصل له)، وأن الحاجة إلى الاحتفاظ ببرنامج للرضاعة أثناء البعد عن المنزل بدون حرج قد يكون سبباً ايضاً. {د.واطسون، سيكولوجية الطفل والمراهق ص٢٨٧}.

←

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (كُلُّ بَنِي أُمٍّ يَنْتَمونَ إِلى عُصْبَةٍ، إِلاّ وُلدَ فاطِمَة)[١].

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ فاطِمَة)[٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام: هي فاطمة الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى[٣].

ان بداية الامن العاطفي يبدأ من الحب العاطفي الذي ينشأ بين الطفل وامه منذ اللحظات الاولى التي يتناول فيه لبنها من صدرها ولهذا نجد ان التوصيات الطبية الحديثة تلح على وضع الطفل الوليد على صدر امه بعد الولادة حتى وان كانت هذه الولادة قيصرية!

(١) الصواعق المحرقة ص ١٥٦ و١٨٧/ قريب من لفظه في مستدرك الصحيحين ج٣ ص ١٧٩.

(٢) الجامع الصغير ج ١ ح ٢٠٣ ص ٣٧/ الصواعق المحرقة ص ١٩١/ ينابيع المودّة ج ٢ باب ٥٩ ص٤٧٩.

(٣) [امالي الطوسي، ج٢، ص٢٨٠].

طفولة الزهراء عليها السلام

الطفولة هي المرحلة الاولى من حياة الطفل والتي تبدأ من لحظة الميلاد حتى مرحلة المراهقة وقد قسمها العلماء الى طفولة اولى ومتوسطة ومتأخرة، وتعد الطفولة مرحلة مهمة للطفل اذ فيها تتشكل شخصيته واتجاهاته ومعرفته الاولية بالقيم والدين وعموم الامور والاشياء، كما ان خبرات الطفولة عامل أساسي في توجيه سلوك الفرد مستقبلا لكونها تبقى في مخزن الذاكرة حيث ان الطفولة هي صفحة بيضاء تتلقى النقش والرسم بسهولة، ومن خلال خبرات الطفولة يمكن التنبؤ ببعض انواع السلوك الذي سيصدر من الفرد، فهي اذن مرحلة خطيرة ومهمة وحرجة ايضا ولكن السؤال الذي نطرحه هل نحتاج الى المرورعلى طفولة الزهراء عليها السلام وهي الانسان المعصوم الكامل الذي اراد الله ان يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيرا؟ قد يقول قائل إن الكلام في هذا الموضوع لن يغني شيئا ابدا فالزهراء -شئنا ام ابينا- لابد وان تكون النموذج الرباني الاسمى.. فالحديث عن الظروف المحيطة وعن مراحل الطفولة قد تكون له اهميته فيما لو كان الكلام عن شخصية اخرى غير معصومة!!.

ولعل هناك بعض الصواب في هذا الكلام فهؤلاء العظام كانوا نورا في الملكوت الاعلى وكانت صورهم موجودة على سرادق العرش وبهم توسل الانبياء العظام من قبلهم لما تعرضوا الى متاعب صعبة في حياتهم ودعوتهم.. لكننا حينما نتأمل حياة المعصومين عليه السلام عموما نجد انها مرت بمنعطفات خطيرة نحتاج الى دراستها والتعرف على اساليب التعايش والمواجهة والثبات فيها.. بمعنى آخر اننا بحاجة الى ان ندرس حياتهم بكل تفاصيلها ومراحلها لنكون على وعي بما جرى من احداث التاريخ ولنتعلم كيف نعيش ونتعايش مع ازمات الحياة المختلفة.. فحياة هؤلاء العظام هي محطات للتعلم واستنباط الدروس والعبر منها.

ان حياة عظماء الامم تبقى عظيمة في كل محطاتها ولعل للطفولة نكهة خاصة تجعلنا نتصور – دون علم – ان حياتهم منعمة بالراحة والمسرة وتحقيق الرغبات وتوفير كل الاحتياجات!!.. لكننا حينما ندرس ونبحث ونتعمق نجد ان هؤلاء العظماء الذين من اجل وجودهم المبارك خلقت الافلاك والارضون والسموات قد عاشوا في طفولتهم لحظات الالم والحزن والشقاء ولم تكن حياتهم بمنأى عما جرى لكبار عصرهم من ظروف ضاغطة واوقات حرجة!، وربما تكون طفولتنا نحن اسعد منهم بكثير فياترى كم تعلمنا منهم وكم سرنا في خطواتنا نحو الرشد والتكامل؟

اننا نجد انفسنا بحاجة الى التعرف على طفولة الزهراء عليها السلام لأمور منها:

اننا لا نستطيع ايجاد الفهم الكامل للشخصية مالم ندرس الظروف البيئية التي احاطت بها وفي كل مراحلها بما في ذلك مرحلة الطفولة التي هي اساس تشكيل الخبرات والاتجاهات... لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتيما لكنه افاض ابوته الحنونة على أبنائه وعلى الاطفال الصغار وبهذا رسم معلما من معلم الفكر التربوي الاسلامي وقد أشار القرآن الى نقطة الالم هذه من خلال قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ الضحى [٦] ودعا صلى الله عليه وآله وسلم الى رعاية الايتام والاهتمام بهم وهناك الان دراسات وعلوم مستفيضة في هذا الجانب الذي أراه بدأ من حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذي ربما كان ايضاً موجودا في حياة الانبياء الآخرين الذين سبقوه لكن تسليط الضوء على هذا المضيق الانساني كان معه صلى الله عليه وآله وسلم..

اننا لا ندرك عظمة هذه الشخصية الا حينما نتعرف على الحياة الاولى لها... وحينما نمر على حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ونتعرف على ماعاشته اسرته من عذاب والم من اجل الدعوة الاسلامية ندرك ثقل المعاناة وعظمة التضحيات، فنجد الزهراء عليها السلام تتعرض الى العنف (بكل اشكاله) وهي طفلة صغيرة لم تتجاوز ثلاث السنوات.. تعيش الحصار وترى ما يتعرض له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانصاره ونجد موت الام في اول الصبا ومعاناة الاب بعدها من اذى قريش... محطات قاسية ربما لو كانت في حياة غيرها من الاشخاص لتبدل محور حياتهم الى ماغير ذلك.

إننا نتعلم من طفولة الآخرين الايجابية ما ينفعنا في التعامل مع اطفالنا ونمر على ظروفنا الصعبة مقارنة مع ماعاشه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه من اذى ولعل اول ما نخرج به من هذه الرؤية ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يهمل الشأن التربوي وعلاقته مع اسرته وابنته رغم كل الاوقات العصيبة التي مر بها وهذا اول درس لنا. وقد قدمت سابقا الاشارة الى العلاقة الطيبة بين ابوي الزهراء والى الامن الاسري الموجود داخل البيت وهذه هي ارضية التربية الناجحة الصالحة بمعنى اننا نحتاج الى التعرف على محطات الحياة عندهم عليهم السلام لنتعرف على كيفية تعاملهم معها كآباء وامهات وابناء ودعاة لنتعلم نحن مانحتاج اليه.

وفي ذاكرتنا محطات طفولتنا بما فيها من وجع وانكسار وفرح وامل فنحاول ان ندرس حياتنا ونفهم طفولتنا من خلال طفولة العظماء فما اكثر الهجوم على الآباء الذين نتهمهم بأنهم لم يوفروا الظروف ولم يتعلموا فنون التربية -كما يقول الكثيرون منا- لكننا سنشعر بمقدار الغبن لهم حينما نمرعلى محطات المعصومين الصعبة والتي هي اصعب مما عشناه.

واخيراً ولأن الزهراء عليها السلام كانت بنت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فما اكثر اهمالنا لبناتنا لانهن بنات!! ناسين ان الانسان انسان! وان كل ما كان للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الدنيا العظيمة هي هذه البنت الطيبة الطاهرة ام الذرية الطيبة التي نراها ممتدة الاولاد الى وقتنا الحاضر.. فالزهراء كانت بنت المصطفى وفي هذا السفر لابد ان ندرس

شخصياتنا من خلال سلوكنا تجاه بناتنا... ولابد ان تتعرف بناتنا من خلال سلوك الزهراء مع ابيها صلى الله عليه وآله وسلم سلوك بناتنا مع الآباء والامهات.

عاشت الزهراء عليها السلام طفولتها الاولى بعد الولادة في مكة وقد راجعنا الظروف الداخلية التي كانت آمنة ومستقرة مع الظروف الخارجية التي كانت ضاغطة وصعبة بسبب الحرب القاسية التي شنتها قريش على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه خاصة بعد اعلان الدعوة وخروجها عن اطار الكتمان بحيث ان قريشاً استعانت بكل وسائل الترهيب والترغيب لاجبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على التخلي عن الدعوة غير ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقي مواصلا طريقه رغم التحديات وهو القائل: (والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلك دونه) مما دفع بقريش الى استتباع اساليب جديدة في الضغط على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحاصرتهم ثلاث سنوات في شعب ابي طالب.

الحصار

كان الحصار في شعب ابي طالب طويل الامد استمر ثلاث سنوات وفي مكان محدود (وهو شعب ابي طالب) وضمن شروط صعبة فهو حصار اقتصادي واجتماعي ونفسي وبدني الامر الذي ترك استتباعاته فيما بعد على

حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه وعلى اسرته... وعلى ابنته فاطمة بهجة قلبه.

بدأ الحصار في الاول من محرم في السنة السابعة للبعثة النبوية الشريفة واستمرحتى السنة العاشرة واغلب الروايات تشير الى انتهائه في شهر رجب الحرام وبعضها في محرم الحرام وايا كان الامر فقد كان الحصار جماعيا شمل بني هاشم مع المسلمين الاوائل مع الرسول وآله وترك الكل ديارهم ومنازلهم وبقوا في هذا الشعب كل هذه المدة!!.

من هنا فكرت (قريش) في خطة جديدة، وهي ان تفرض حصاراً اقتصادياً قوياً على النبي والمسلمين تقطع به كل الشرايين الحيوية للمسلمين، وبذلك تحدّ من سرعة انتشار الإسلام وتقف دون نفوذه، ومن ثَمّ تخنق بين كمّاشة هذا الحصار مؤسس هذه العقيدة التوحيدية، وأنصاره.

ولهذا اجتمع زعماء قريش في «دار الندوة» ووقّعوا ميثاقاً كتبه «منصور ابن عكرمة» وعلّقوه في جوف الكعبة، وتحالفوا بان تلتزم قريش ببنوده حتّى الموت.

ونصَ هذا العقد على الاُمور التالية:

١ـ أن لا يبتاعوا من أنصار النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولا يبيعوهم شيئاً.

٢ـ ان لا ينكحوا اليهم ولا يُنكحوهم.

٣ـ أن لا يؤاكلوهم ولا يكلّموهم.

٤ ـ ان يكونوا يداً واحدة على «محمَّد» وانصاره.

وقد وقّعت على هذه الصحيفة الظالمة القاطعة كلُ الشخصيات البارزة في قريش إلاّ «مطعم بن عدي» وأعلنت عن سريان مفعوله بكل قوة وإصرار.

فلما علم حامي النبي الاكبر أبوطالب رضي الله عنه بذلك جمع بني هاشم وبني المطلب وحمّلهم مسؤولية الدفاع عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم والحفاظ على حياته وسلامته، وأمرهم بالخروج من مكة وبدخول شعب كائن بين جبال مكة كان يعرف بشعب أبي طالب فيه بعض البيوت العادية، والسقائف البسيطة جداً، والسكنى في ذلك الشعب بعيداً عن المجتمع المكّي المشرك.

وعمد إلى بث رجال منهم في نقاط مرتفعة للمراقبة والحراسة تحسباً لأي هجوم مباغت تقومُ به قريش.

وقد استمر هذا الحصار ثلاثة أعوام كاملة، وبلغ الجهدُ بالمحاصَرين في الشعب بحيث ارتفع صراخ الأطفال من الجوع والضر، وبلغت هذه الصرخات مسامع قساة مكة الاّ انها لم تؤثر فيهم قط. كان الشباب والرجال منهم يعيشون على تمرة واحدة طوال اليوم، وربما تناصف اثنان تمرة واحدة، ولم يمكنهم الخروج من الشعب طوال هذه السنوات الثلاث الاّ في الاشهر

الحرم حيث يسود الأمنُ كل انحاء الجزيرة العربية.

فاذا حلّ الموسمُ كانت بنُو هاشم تخرج من الشعب فيشترون ويبيعون ثم يعودون إلى الشعب إلى الموسم الثاني. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستغلّ هو أيضاً تلك المواسم في نشر دينه، والدعوة إلى ما أتى به.

وكانت عناصر قريش تحاول مضايقة النبي وأنصاره وتمارس الحصار الاقتصادي عليهم بشكل من الأشكال حتّى في هذه المواسم، فكانوا يحضرون عند مواقع البيع والشراء فاذا وجدوا مسلماً يريد أن يبتاع شيئاً اشتروه بثمن أغلى ليمنعوا المسلم منه!!.

وكان «أبو لهب» أكثر الناس اصراراً على هذا العمل، فقد كان ينادي في الأسواق: يا معشر التجار، غالوا على أصحاب محمَّد حتّى لا يدركوا معكم شيئاً فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فانا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتّى يرجع الرجل المسلم إلى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يديه شيء يطعمهم به، ويغدو التجار على أبي لهب فيربّحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس!!.

وكان «الوليد بن المغيرة» ينادي: أيّما رجل منهُم وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه فكانت قريش تباكرُهم إلى الأسواق فيشتروها فيغلوها عليهم!![1].

(١) (الشيخ جعفر السبحاني، سيرة سيد المرسلين ص٥٠١-٥٠٨ بتصرف).

المسلمون في شِعب ابي طالب

لقد بلغ الجهد والجوع بالمحاصَرين في الشعب حدّاً جعلهم يأكلون كل ما تقع عليه ايديهم من الخبط وورق السمر، هذا وقد بثّت قريش جواسيسها على الطرق المؤدّية إلى الشعب ليمنعوا من إيصال الطعام إلى من فيه فلا يصل إليهم شيء إلاّ سراً ومستخفى به ممّن أراد صلتهم من قريش.

فقد روي أن «حكيم بن حزام» (ابن اخ خديجة) و«أبو العاص بن الربيع» و«هشام بن عمرو» كانوا يسرّبون إلى «بني هاشم» في الشعب سرّاً وفي أواسط الليل تحت جنح الظلام، فكان الواحد منهم يحمل قمحاً وتمراً على بعير ويأتي به إلى باب الشعب ثم يصيحُ بها فتدخلُ الشعب ويأكله بنو هاشم. وربما صادفهم بعض جواسيس قريش، فهمُّوا بقتله، أو سبّبوا له بعض المتاعب.

وخلاصة القول؛ أن قريشاً بالغت في تضييق الحصار على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ومن تبعه حتّى أن من كان يدخل «مكة» من العرب. كان لا يجسر على أن يبيعَ من بني هاشم شيئاً ومن باع منهم شيئاً انتهبوا ماله، وكان «أبوجهل»، و«العاص بن وائل» و«النضر بن الحارث بن كلدة»، و«عقبة بن أبي معيط» يخرجون إلى الطرقات الّتي تدخل «مكة» فمن رأوه معه ميرة وطعام نهوه ان يبيع من بني هاشم شيئاً، ويحذرون إن باع شيئاً منهم نهبوا ماله.

كما وعدَوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتدّ البلاء عليهم،

وأبدت قريش لبني عبدالمطلب الجفاء.

ولكن لم يستطع كلُ ذلك أن يفتَّ في عضد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويقلل من إصراره وثباته على الطريق، ولا مِن اصرار أتباعه وثباتهم وإيمانهم.

وأخيراً تركت صرخاتُ أطفالِ بني هاشم في الشعب من الجوع والعري والجهد والضر، وأوضاعهم المأساوية أثرها في نفوس بعض المشركين الموقعين على تلك الصحيفة الظالمة، وذلك الميثاق المشؤوم، فندموا على إمضائهم لتلك المقاطعة بشدة وصاروا يفكّرون في نقضها بشكل من الأشكال.

ويروي طائفةٌ من المؤرخين أنّ «خديجة» و«أبا طالب» أنفقا أموالَهما برمّتها خلال سنوات المحاصرة.

وفجأة نزل ملك الوحي «جبرئيل» على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في الشعب، وأخبره بان اللّه قد بعث على صحيفة المشركين القاطعة دابّة الأرض فاكلت جميع ما فيها من قطيعة وظلم وتركت جملة «باسمك اللّهم» فأخبر رسولُ الله أباطالب بذلك قائلا يا عمّ إنّ ربّي الله قد سلّط «الإرضة» على صحيفة قريش فلم تَدع فيها اسماً هو لله إلاّ أثبتتهُ فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان.

فقال أبوطالب: إذن لا يدخل عليك أحَدٌ[1].

(١) وإنّما اتخذ مثلَ هذا الاجراء حتّى لا يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين فيحتالُوا للصحيفة ويكذّبوا بذلك خبر النبيّ - صلى اللّه عليه وآله وسلم ..

ثم قامَ ولبسَ ثيابَه، ومشى هو ورسولُ اللّه وشخصٌ آخر حتّى دخلوا المسجد على قريش وهم مجتمعون فيه، فلما دَنا أبوطالب منهم قامُوا إليه وعظَّموه، وتباشروا وظنّوا أن الحصَر والبلاء حمل أباطالب على التخلّي عن موقفه، فقالوا له: قد آن لك أن تطيب نفسُك عن قتل رجل في قتله صلاحُكم وجماعتكم (أو قد آن لك أن تسلّم إلينا ابن أخيك).

فقال أبو طالب: واللّه ما جئت لهذا، ولكنَّ ابن أخي أخبرني ولم يكذّبني أنّ اللّه تعالى أخبَرهُ أنه بعث على صحيفتكُم القاطعة دابَّة فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وترك اسم اللّه، فهلم صحيفتكم فان كان حقاً فاتقوا اللّه وارجعُوا عمّا أنتم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرَّحم.

وإن كان باطلا دفعتُه إليكم فإن شئتم قتلتمُوهُ، وإن شئتم استحييتموه.

فقالوا: رضينا، وتعاقدوا على ذلك.

ثم بعثوا إلى الصحيفة وأنزلوها من الكعبة، وعليها أربعون خاتماً.

فلما أتَواها نَظر كلُ رجل منهم إلى خاتمه، ثم فكوها فاذا ليس فيها حرفٌ واحدٌ إلاّ «باسمك اللّهمَّ»، كما اخبرهم بذلك رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ[1].

ثلاث سنوات والمسلمون محاصرون في الشعب! هم وافراد اسرهم وهم يتضورون جوعا ولا يجدون حتى مكانا يروحون فيه عن انفسهم أو عن اهليهم وكل هذا يحدث وهم في مكة التي وقعت حلف الفضول لنصرة

(١) الشيخ جعفر سبحاني سيرة سيد المرسلين ص٥٠١-٥٠٨ بتصرف.

المظلومين والأبرياء وهم قرب أقاربهم وبني ارحامهم الذين ينعمون بما لذ وطاب!!.

ولنا ان نتصور حال اطفال المسلمين بشكل عام فمن المعلوم ان الاطفال عادة هم اكثر الشرائح تضررا في الحصار الذي يفرض على الدول والجماعات(١) ولنا ان نتصور احوال الناس في هذه المرحلة الصعبة فقد كان نصيب الواحد منهم في اليوم تمرة أو نصفها!!، وكان مصعب بن عمير- قبل اسلامه -إذا وضع عطر ومشي في شارع من شوارع مكة يعرف اهل مكة ان هذا الطريق قد مر به مصعب - وكان أجودهم حلة- لكنه وبعد دخوله في الاسلام كان جلده يتحشف تحشف جلد الحية - يعني جلده يتقشر ويسقط كما يتساقط الجلد عن الحية - (وطل علينا مصعب بن عمير وما عليه إلا بردة له مرفوعة بفرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكي للذي كان فيه من النعمة وما هو فيه اليوم).

اكل المسلمون كل ما وقع تحت ايديهم حتى مما لا يطاق اكله!! واكلوا حتى اوراق الشجر وحتى (الخبت) وهو نوع من انواع العلف يقدم للإبل!!! واكلوا الجلود بعد نقعها في الماء!! وفي روايات كثيرة ان صراخ الاطفال كان يسمع من خلف الوادي الى بيوت مكة!!.. ثلاث سنوات على هذه الحال حتى ارسل الله دابة الارض تأكل صحيفتهم وماكتبوه من جور وحيف فلا

(١) (هامش: في الحصار الذي فرض على العراق ما بين ١٩٩١- ٢٠٠٣ مات مليون ونصف طفل جراء سوء التغذية وفقدان الادوية إضافة الى ارتفاع نسبة الولادات الناقصة من ٤/٥ ٪ عام ١٩٩٠ الى ٢٥/٦ ٪ عام ٢٠٠١!!).

يبقي الا اسم الله (باسمك اللهم) فأعلمهم ابوطالب بالأمر ثم عاد الى الشعب ليعلن انتهاء مرحلة الحصار والعودة الى المنازل.

نهاية الحصار

انتهى الحصار بعد سنين من العذاب والصبر والتحمل وكان لابد من نهاية وكانت للحصار نتائجه التربوية فقد علّم المسلمين على التحمل والقناعة والصبر والزهد والرضا وطاعة النبي القائد صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته.

والى هذه المحنة القاسية يشير اميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة التاسعة في نهج البلاغة قائلا:

[وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل ومنعونا العذب واحلسونا الخوف واضطرونا الى جبل وعر فعزم الله لنا على الذبّ عن حوزته.]

كما ان حالة الدعم والاعانة التي قدمها من هم خارج الحصار الى من كانوا في الحصار قد كشفت عن دور هذا الدعم والعون في انقاذ المسلمين من موت حتمي وعرّف بتأثير اواصر القربى على اصحابها، وان اهل مكة لم يكونوا كلهم راضين عن هذه الصحيفة الظالمة ولهذا سعى الى خرقها حكيم ابن حزام وغيره.

ويروي المؤرخون ان ابا طالب وخديجة عليهما السلام قد انفقا كل أموالهما خلال سنوات الحصار، فلقد استعان الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم بأموال خديجة واموال أبي طالب في تأمين الحد الادنى من الطعام للمسلمين. وبديهي ان هذا الانفاق أسهم في الابقاء على الوضع الحياتي للغالبية دون الموت وكان لهذا الانفاق اكثر من اهمية من حيث انه كشف عن اهمية تقديم العون في الظروف الحرجة وان الانسانية الصرفة تظهر في الازمات كمعين للآخرين ولا فرق في الانفاق بين الرجل والمرأة بل كانت منافسة وتسابقا نحو عمل الخيرات حتى اذا ما نضب المال اصاب المسلمين اذى كثير اوشكوامن خلاله على الانهيار التام لولا نصرة الله نبيه وامداده بـ(دابة الارض)..

(وقال الزُهْري: «بلغنا أنّ خديجة أنفقت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أربعين ألفاً وأربعين ألفاً»[١]. انفقت خديجة جميع ما عندها من المال حتى صارت الى حد الضر والفاقة[٢].

هذه كلها صور عاشتها الزهراء عليها السلام في هذه المرحلة الحرجة.. صور العطاء حتى النفاد وصور المنع حتى الموت.. صور التضحية معجونة بصور المعاناة والالم.. صور الجوع والبحث في التراب وصراخ الجياع وانين الكبار مع صور العبث الجاهلي والنشوة بانتصار وهمي.

انه مما لا شك فيه ان السنوات الخمس الاولى من حياة الطفل هي السنوات الاصلية لبناء شخصية كفرد ولنمو مقوماته الانسانية (المعرفية

---

(١) (تذكرة الخواص: ٣١٤).

(٢) تاريخ اليعقوبي ١/ ٣٥٠.

والعقلية) ولتكامل نموه النفسي واللغوي، ويبدأ الطفل في هذه المرحلة في التعرف على المفاهيم البسيطة للحياة الاجتماعية وادراك علاقة الطفل باسرته وبالمجتمع ثم هي بداية تشكيل الضمير والتمييز بين الخطأ والصواب.

ففي هذه السنين الحرجة من حياة كل فرد تظهر الحاجة الى توفير الاجواء المساعدة على التعلم (تعلم اللغة، تعلم المشي، تعلم النطق، تعلم اسلوب التعامل مع الآخرين) الى غير ذلك وبهذا تكون سنين اساسية في نموه مستقبلا... ولنا ان نتصور كيف قضت الزهراء عليها السلام هذه السنوات الصعبة التي شح فيها الغذاء وانعدمت-تقريباً- الحركة الى خارج الشعب وكانت هناك صور المسلمين المؤلمة على الاقل كما ذكر اليعقوبي من (تعالي صراخ الاطفال الجياع الى خارج الشعب نفسه) ومع كل هذه العوامل الصعبة فمن البديهي ان هذه الطفلة التي دخلت الحصار وعمرها عامان فقط قضت سنوات الحصار وهي شبه ملازمة للأب والأم فهي لا تكاد تفارقهما ابدا بل على مقربة منهما ترصد الاحاسيس وتعاين الآلام وتنظر الى الناس القريبين يعيشون نفس الالم والعذاب.. ترى الأب الذي يجد انصاره يتعذبون من اجل نصرته ونصرة الدعوة الفتية التي آمنوا بها.. والأم التي تبذل وتبذل حتى ينتهي كل ما يمكن بذله وهي تعيش الم الجوع والفقر وهي ثرية قريش!!. عاشت الزهراء عليها السلام في تقارب تام مع المسلمين في محنتهم طوال هذه السنين وهي معهم تسمع تلاوتهم للقرآن وترى صلاتهم وتراحمهم.. يؤلمها عليها السلام صراخ جياعهم وتأوهات المسلمين من هذا الطوق المفروض

عليهم.... وحتما كان المسلمون يتألمون اكثر لمرآها وهي طفلة صغيرة بدأت تحبو على تراب الارض اليابسة وتطالع الوجوه التي اصفرت من الجوع وهم يرون كيف يعيش القائد معهم يشاركهم المحنة والالم فلا يجد الا الصبر والمواساة لانصاره.. وهذه مهجة قلبه تبيت على الطوى ولا يجد الرسول ما يقدمه لها بعد ان جادت الام بكل طعام ومال!! ترك وجود الزهراء عليها السلام وهي طفلة في الشعب مع باقي اطفال المسلمين الماً واضحا (ولدى اطفال هذه المرحلة قدرة هائلة على تخزين " الاشكال العامة") والصور الموجودة فهي تنغرس في الذاكرة وربما نجد انفسنا ننسى اشياء حصلت بالامس لكننا نتذكر وقائع حصلت في الطفولة وبخاصّة الاحداث المرة والمؤلمة!!.

لقد كانت سنوات الحصار الثلاث قاسية لكنها من ناحية اخرى كانت ذات نتائج ايجابية من خلال بيان المعجزة الالهية التي جعلت دابة الارض تأكل الصحيفة كلها ما عدا اسم الجلالة فكانت سببا لفرح المسلمين بانتصارهم في حين انكسرت قريش ذاتيا ومعنويا، بل ان هذا الحصار والتجويع قد جعل العرب خارج مكة يتساءلون عن أسباب المقاطعة وعن هذا الدين الجديد وعن مفاهيمه ومع تزامن هذا الامر مع المعجزة الالهية فقد دخل الاسلام أفواج اخرى من الناس. وقد تعلم المسلمون الثبات والنصرة وازدادوا يقينا بالاسلام والرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى غير ذلك من الامور.

هذا هو الجو الذي عاشته الزهراء عليها السلام في طفولتها، لقد مرت

بصعاب كثيرة ومشكلات متعددة ولا ادري لماذا لم يكتب التاريخ تفاصيل اكثر عن هذا الحصار كي نفهم كيف عاش المسلمون هذه السنوات العجاف وكيف كانت احوالهم الاجتماعية وكيف تحملوا الحر والجوع والعزلة الى غير ذلك.

ويمكن القول ان الزهراء عليها السلام في هذه السنوات الثلاث عاشت ما عاشه كل المسلمين صغاراً وكباراً من جوع وقحط وعدم ملاءمة المكان، عاشت مثلهم وعانت مثلهم وهي ايضا عاشت بسالة الصبر والثبات والجهاد وحفظ الدين والعقيدة... وبذلك تكون طفولتها متميزة عن كل المعصومين عليهم السلام... فقد عاش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اليتم الاولي فقط وكان هناك من يغدق عليه الحب والحنان ليعوض فَقدَ الاب وعاش الامام الباقر عليه السلام اياما قاسية ابان احداث ثورة جده الحسين عليه السلام في كربلاء حيث كان معهم وكذلك باقي الائمة عليهم السلام والامام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف غاب بعد ان مرت طفولته متخفيا!!، انه من الصعب جدا تصور حالة الابوين والاحبة والاصدقاء وهم جميعاً في وضع مأساوي ضاغط في زمان واحد ومكان واحد!!.. ولهذا تبقى طفولة الزهراء عليها السلام هي الاقسى والاصعب بما كان وماسيكون بعد الحصار!.

ونمر على احاديث ابيها صلى الله عليه وآله وسلم حول الاطفال والتربية فيقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن

رضيت خلائقه لاحدى وعشرين سنة، وإلاّ ضرب على جنبيه فقد أعذرت إلى الله[١].

وعن يونس، عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: دع ابنك يلعب سبع سنين، والزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح وإلاّ فإنّه من لا خير فيه[٢].

انه صلى الله عليه وآله وسلم يبدي كل الاهتمام بالسنوات السبع الاولى من حيث انها سنوات البناء الاساسي للشخصية كما انها سنوات النمو بكل اشكاله النمو النفسي والجسدي والفكري والاجتماعي والعاطفي إضافة الى نمو الحواس من خلال اللعب الذي يساعد على اكتشاف قابلياته ومواهبه وينمي مهاراته ويعلمه آليات المشاركة الجماعية مع الآخرين، ودعا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى تقبيل الصبيان والرحمة بهم وعدم ايذائهم، ورغم كل هذه التوصيات نجد ان طفولة الزهراء عليها السلام طفولة بعيدة عن الفرح واللعب بل هي طفولة محاصرة في حركتها أو انتقالها بل ربما في اظهار مشاعرها بسبب الضغوطات الكبيرة التي مرت على الرسالة آنذاك لكنها في نفس الوقت طفولة مسؤولة طفولة انسان معصوم وكامل يستشعر همّ الرسالة وهَمّ المسؤولية وبذلك كانت هذه الطفولة الصعبة هي اعداداً للأمر الثقيل الذي ستتحمله الزهراء عليها السلام فيما بعد حينما تقوم بثورتها الفدكية والتي هي اول ثورة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) (الوسائل: ج١٥ ص١٩٥ ح٧).

(٢) (الوسائل: ج١٥ ص١٩٣ ح١).

وفاة السيدة خديجة عليها السلام

خرج المسلمون من الحصارمستبشرين بالفوز الالهي وانطلقوا عائدين الى بيوتهم التي تركوها طيلة هذه السنوات وكان الفرح يغمرهم بانتصارهم وهزيمة قريش. وبدأوا شيئا فشيئا بالعودة الى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية (رغم ان قريشاً ازدادت تعنتا وبدأت تبحث عن اساليب اخرى اكثر فاعلية في القضاء على المسلمين مما يعني ان الضغوط تزايدت عليهم بشكل اكبر).. في ظرف العودة الى البيوت وانتهاء الحصار الذي رافقه فرح عظيم تمر الايام حبلى فقد ترك الحصار أثره على السيدة خديجة وعلى أبي طالب وهما في هذا السن المتقدمة.. عادت السيدة خديجة عليها السلام مع ابنتها الصغيرة الى بيتها الاول الذي فيه احلى ذكرياتها واجمل ايام عمرها بعد ان ذاقوا الم الشِعب والحصار، غير ان المرض كان رفيق الام فلم يمهلها وقتا ولم يمنح ابنتها زمنا في شعورها بالفرح وكان الامر ايذانا بالرحيل!.. انه اثر السنين واثر الحصار وهاهي السيدة خديجة تعيش الم المرض الذي تنوء عن حمله في هذا العمر وهي تشعر بقرب الفراق عن الحبيب المصطفى الذي ستتركه في اشد اللحظات حراجة لحظات العوز الانساني الى الآخر.. وصورة ابنتها امام عينيها تقتحم كل خاطرة وتقطع كل امنية وتذيب آمال الامهات وأحلامهن الوردية في بناتهن وهن يدرجن في ايام الصبا!.. وفي الرواية:

لّما اشتدّ مرض السيّدة خديجة قالت: يا رسول الله اسمع وصاياي:

أوّلاً: إنّي قاصرة في حقّك فاعفني يا رسول الله. قال (صلى الله عليه وآله): «حاشا وكلاّ، ما رأيت منك تقصيراً، فقد بلغتِ بجهدك، وتعبت في داري غاية التعب، ولقد بذلت أموالكِ وصرفت في سبيل الله مالَكِ».

ثانياً: أوصيك بهذه - وأشارت إلى فاطمة - فإنّها يتيمة غريبة من بعدي، فلا يؤذينها أحدٌ من نساء قريش ولا يلطمْنَ خدّها ولا يصحْنَ في وجهها ولا يرْينَها مكروهاً.

ثالثاً: إنّي خائفة من القبر، أُريد منك رداءك الذي تلبسه حين نزول الوحي تكفّنني فيه. فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وأعطى الرّداء إليها، فسرّت به سروراً عظيماً، فلمّا توفّيت خديجة أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله في تجهيزها وغسّلها وحنّطها، فلمّا أراد أن يكفّنها هبطَ الأمين جبرائيل وقال: «يا رسول الله، إنّ الله يقرئك السلام ويخصّك بالتحية والإكرام ويقول لك: يا محمّد إنّ كفن خديجة من عندنا، فإنّها بذلت مالها في سبيلنا». فجاء جبرائيل بكفنٍ، وقال: «يا رسول الله، هذا كفن خديجة، وهو من أكفان الجنّة أهداه الله إليها».

فكفّنها رسول الله صلى الله عليه وآله بردائه الشريف أوّلاً، وبما جاء به جبرائيل ثانياً، فكان لها كفنان: كفنٌ من الله، وكفنٌ من رسوله[1].

امتدت حياتها مع رسول الله خمسة وعشرين عامًا متصلة، ربع قرن، لم

(١) (المازندراني الحائري شجرة طوبى ٢/٢٣٤ مرسلا).

تنقل كتب السيرة خلافًا واحدًا حدث بينها وبين رسول الله، لم تنقل كتب السيرة غضبًا ولا هجرًا، لم تنقل طلبًا من السيدة خديجة لنفسها!، (لقد عاشت لرسول الله، تخفف المه وتمسح جراحه وتهون عليه الرزايا وتطلقه الى الغد المنتصر بالفيض الالهي).

نعم ماتت خديجة في وقت كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم احوج ما يكون اليها والى وجودها الى جواره... وكانت الزهراء عليها السلام في طور النمو احوج ما تكون الى وجود امها معها... رحلت في ظرف عصيب للغاية وقريش تقتنص الفرص للانقضاض على الدين واهله.. وبذا حرمت الزهراء من امها. وماكان موت الام يعني فقط غياب الجسد بل انه اكبر من هذا واعظم فهو غياب الامن والامان وهو غياب مشاعر الحب والعطف وهو ايذان بالوحدة في تيار الالم الجارف. فالامومة اعظم بكثير من ان توصف بكلمات.

ماتت الام وقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدفنها في قبرها المعروف في مكة غير ان ثقل الهم كان شديدا فماذا سيقول لابنته الصغيرة أيخبرها بالحقيقة وهي طفلة صغيرة ام يخفي الامر؟ ولكن الى متى؟ أيمكن للرسول ان يكتم الحقيقة عن ابنته ويبقى يعدها بانها ستلتقي بامها في القريب العاجل في محاولة لإسكات الالم مؤقتا ام انه يضع ابنته امام الحقيقة التي لابد منها وهي موت والدتها؟ تقول الرواية:

عن القطب الراوندي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«إن خديجة لما توفيت جعلت فاطمة تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدور حوله وتسأله: يا أبتاه أين أمي؟ فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يجيبها، فجعلت تدور وتسأله: يا أبتاه أين أمي؟ ورسول الله لا يدري ما يقول، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: إن أمك في بيت من قصب كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام»[(١)].

لقد كان وفاة هذه الام العظيمة هي احدى محطات الحزن في حياة الزهراء عليها السلام بعد العودة الى البيت وما ذا كان بوسع الرسول ان يفعل غير ان يخبرها الحقيقة!.. لنتعلم نحن كيف نتعامل مع المحطات الصعبة في حياة الاولاد ولنتابع آراء علم النفس الحديث في هذا الشأن اذ يقول:

.. تعد الام من الدعامات الأساسية في المنزل ومعرفة اولادها بانها ستفارقهم الى الابد قد تكون بمثابة الكارثة بالنسبة اليهم ولكن كيف يمكن للأهل أن يوصلوا إلى اولادهم فكرة أن احدهم سيغادرهم وإلى الأبد من دون أن يتركوا في داخلهم جرحاً عميقاً لا يقدر حتى الزمن على ازالته؟ اذ تعد مسألة "الموت" من المسائل الأكثر حساسية في ما يتعلق بالتعامل مع الأولاد حتى ولو تخطوا سنوات الطفولة واصبحوا في سنوات الشباب ولا يقدر معظم الأهل على مواجهة ابنائهم بحقيقة الأمر خوفاً عليهم من قسوة

(١) (الخرائج والجرائح ج٢ ص٥٢٩ ح٤، عنه بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٧).

هذه الحقيقة إلا أنه في كثير من الأحيان ينبغي إعلام الأولاد بالحقيقة مهما كانت.

تقول د. جولي ستروكس الاختصاصية النفسية، أن هناك العديد من الطرق التي يمكن تجربتها في التعامل مع لحظات الألم والحزن كما أن الأطفال والشباب في هذه الايام يدركون القليل جداً عن أمور الموت، على الرغم من أنه، وبمعدل نصف ساعة، يفقد طفل واحد أحد أبويه لقد سادت في المجتمع أن فكرة الحديث عن الموت هي من الممنوعات حيث إن معظم الناس يمتنعون عن ذكر هذه المسألة، وخاصة امام الاولاد.

إن محاولة اخفاء حقيقة وفاة الام عن الأولاد هي فعلاً مسألة خاطئة، حيث إنها لا تحمي الطفل، بل على العكس فإنه سيصدم لرحيلها، كما قد يعتقد أنه السبب في رحيلها هذا وان الاطفال عادة ما يكونون فعلا قادرين على تقبل وتحمل مسألة الموت وعواقبه.

إن مسألة الموت هي مسألة حساسة للغاية ولا ينبغي أن تصبح ابداً شيئاً من المحرم ذكره حيث ينبغي ان يعرف الاولاد الحقيقة الصحية لأهلهم فالصمت أمامهم والهمس وراء الأبواب المغلقة حركات خاطئة فعلا ويجب اشراك الأطفال في هذه المسائل ومساعدتهم على ان يعبروا عما يدور في بالهم من افكار ومشاعر وأن لا يخفوها في داخلهم. (دراسة حديثة شبكة bbc).

ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يجيب بوضوح عن سؤال الزهراء عليها السلام عن امها..

لقد اخبرها الحقيقة ولم يخفِها فالزهراء عليها السلام على الرغم من صغر سنها الا انها اهلٌ لأن تتحمل هذه الحقيقة بكل ما فيها من الم... فهي الانسان المعصوم الذي استقبل مفهوم الموت بالقول (فقالت فاطمة: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام) كلمات صابرة تستحق الاكبار وهي تعرفنا بشيء يسير من عظمة الزهراء نفسها.. ونحتاج الى ان نقف من هذا الحوار لنتزود شيئاً من معارف اهل البيت عليهم السلام التي لا تعد ولا تحصى:

ان سؤال الزهراء عن امها هو امر منطقي وطبيعي وهو ليس مؤشرا على اليأس ابدا فالكبير والصغير كلاهما سيان في الامر اذ لابد ان يكون هناك تساؤل عن سبب الغياب.. ونجد انها تدور حول والدها صلى الله عليه وآله وسلم لتأخذ منه الخبر الصحيح وان كان مؤلما فهو صلى الله عليه وآله وسلم كل ما بقي لها في هذه الدنيا.

وترك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها السبيل في التعبير عن حزنها، فالحزن امر طبيعي وليدع مشاعرها تنطلق وبشكل عفوي دون إرغام على الكبت...

(ان الحزن والفقد في حياة الانسان لا يلاحظ دائما كعوامل سلبية بل انه احيانا يحرر نمو الطفل وتقوده ليصل الى نمو طبيعي فقد تؤدي مثل هذه الظروف للطفل الى الاعتماد على النفس وعدم الاعتمادية على الغير مما يؤدي الى النضج الاجتماعي).

ان الرسول بقي ينتظر الرد المناسب لاسئلة الزهراء حتى جاء جبريل فأخبره فكان ان بدأ صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها الامر باسلوب مناسب عن الوفاة لم يقل لها انها تركتك بلا رجعة بل وصف لها المكان الذي انتقلت اليه وبشكل يخفف الحزن... فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: إن أمك في بيت من قصب كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران.

ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان مع الزهراء في هذه اللحظة الحرجة ورحيل السيدة خديجة عليها السلام كان ثقيلا عليه ايضا فهو يفارق احب انسان اليه لكنه رغم ذلك لم ينسَ واجبه الابوي تجاه ابنته التي ثكلت بأمها وكان لوجود الرسول اثر كبير في تقبل المصاب؛ إذ إن مؤشرات الرعاية تتناسب عكسيا مع تخفيف ثقل المصاب.

ولهذا نجد الزهراء تتساءل عن امها اين هي؟ فيأتي جبرئيل طالبا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اخبارها بالحقيقة بما وصلت اليه خديجة من بيت من قصب.. فالصورة الجديدة الجميلة يمكن ان تزيح -ولو الى حد ما- صورة الاسى والحزن رغم ان الزهراء المعصومة هي قمة الصبر فهي الانسان الكامل الذي يدرك الامور، لكن تبقى مشاعر الانسانية جياشة والعواطف متأثرة بالفقد على حد قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما فقد ولده الطاهر (ان العين لتدمع وان القلب ليحزن)[1].

(١) البحار ج٧٤.

ان غياب الام الدائم بالموت -خاصة اذا كان فجأة - يؤثر على الطفل تأثيرا كبيراً وبخاصة في السنوات الاولى في حياته والتي هي سنوات بنائية للبناء النفسي والعاطفي والاجتماعي للطفل ولهذا نجد ان غياب الام اذا لم يعالج بإعانات عاطفية مقدمة من مقربين (كالاب أو الخالة) مثلاً فان البناء النفسي للطفل يمر بأزمة قد تؤدي به مستقبلاً الى سلوكيات غير مرضية ولعل واحدة من اهم مشكلات العصر الحديث هو الحرمان من الامومة بمعنى الحرمان عن وجود الام العاطفي فهذا الحرمان قد يكون مع وجود الام ذات النموذج الثلجي والتي لا تبدي مشاعرها ولا تتعامل بعواطفها مع ولدها، وقد يكون في غياب الام المؤقت كالام العاملة أو الغياب الدائم والذي قد يكون سببه الموت أو الطلاق... فالام محور حياة الطفل فاذا غابت يبدأ الطفل بالسؤال وتقصي الحقائق عن سبب الغياب واحيانا ينتابه القلق لانه لا يحصل على اجابة شافية فيلجأ الى الصراخ اذ انه لايحصل على جواب شافٍ أو مقنع وهذه هي المرحلة الاولى للطفل في اظهار الحداد بعد غياب الام وتسمى مرحلة الاحتجاج ثم تعقبها مرحلة اليأس من عودة الام.. هنا يبدأ الطفل في محاولة لفهم معنى الغياب فيتألم وينكمش وينسحب الى ذاته وربما يلجأ الى الصراخ أو التحجج بأمور مختلفة فقد أدرك ان غياب الام ابدي ولا رجعة فيه، هنا يظهر تأثير الآخرين وما يحوطونه من عناية به فيبدأ شيئا فشيئا يتقبل الامر (واحيانا تكون الحالة انسيابية سهلة اذا كان الطرف الراعي قادراً على التعامل السليم مع الطفل ويمتلك آليات الاحتواء وسعة الصدر والمفردات

الطيبة التي تُشعر بالود مع المفردات التي يتحملها عقله في فهم الامر ثم يصبح الطفل هادئاً تماماً ففقدان الأمل في عودة الأم يجعل الطفل يتقبل الرعاية من الآخرين انه يبدأ يتراجع الى الذات محاولا لململة الجراح والخروج من الازمة). بعدها يبدأ الطفل في مرحلة تقبل البدائل عن الام وهي مرحلة الانفصال والتي تعتمد اساسا على البدائل عن الام وعلى الاساليب المتبعة في التعامل ومدى احترام الطفل وتقدير مشاعره.

وفي الروايات:

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل فاطمة عليهاالسلام عند ابنة عمه ام هاني بنت ابي طالب بعد وفاة خديجة عليها السلام لرعايتها والقيام بشأنها[1].

ان رحيل السيدة خديجة رضي الله عنها ترك اثره الجلي على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه وجاء الامر متزامنا مع رحيل حامي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي طالب رضي الله عنه فسمىّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عام الرحيل هذا بعام الحزن وبقي في البيت الذي خلا من خديجة يقلب طرفه مع ابنته الصغيرة التي كانت بأمس الحاجة الى الرعاية الامومية... واستمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مشواره الدعوتي يتحدى (قطعان قريش) المكابرة ويستمر في دعوته الى نبذ الاوثان وتوحيد الله

---

(١) (اخرجه السيوطي في حديث عن عبدالرزاق عن ابن جريح مسند فاطمة الزهراء عليها السلام / السيوطي: ١١٩ نقلاً عن كتاب سيدة النساء فاطمة الزهراء علي موسى الكعبي / مؤسسة الرسالة)

تعالى وهنا بدأت الزهراء عليها السلام تتقمص ادوار امها في رعاية ابيها فاصبحت تتابع شؤونه وتتفقد احواله وتخفف آلامه فازداد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حنوّاً على ابنته فكانت علاقة اقوى واعمق، لكن موقع خديجة في قلب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مازال باصما اثره وبقيت الزهراء تفتخر بانها ابنة خديجة الكبرى.

الرعاية الابوية

اهتم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بابنته فاطمة عليها السلام اكثر بعد رحيل السيدة خديجة واصبحت محط عنايته ورعايته ليس فقط في المدّة التي كانت في بيته بل حتى بعد ان تزوجت وانتقلت الى بيتها الزوجي وهذا ان دل على شيء فهو اشارة الى العلاقة القوية بين الاثنين.

وكانت مكة تغلي بما فيها من احداث؛ اذ اشتدت مضايقة قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبخاصة بعد ان غاب حامي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وناصره عمه ابوطالب رضي الله عنه فانبرت بكل الوسائل الضاغطة عليه مما جعله يبحث عن اماكن اخرى خارج مكة لتكون محطة للدعوة الاسلامية فذهب الى الطائف ولكنه لم يحقق شيئا فيها.. وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعود الى البيت بعد صراع مرير مع قريش فلا يجد سوى طفلته الصغيرة التي عاصرت كل الظروف الصعبة معه فكان يبذل جهدا في تسلية خاطرها وتبريد المها رغم همومه الكثيرة وماكان يلاقيه في سبيل الدعوة.. ولقد وجدت الزهراء عليها السلام عند ابيها المساندة والرحمة

والحنان فكان يغمرها بحنانه وعاطفته ليس في طفولتها فحسب بل حتى في شبابها وبعد زواجها.. وقد سعى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى توفير مناخ اسري آمن للزهراء رغم حمي الوطيس خارجه وكان يعتمد آليات الحوار المشبع بالعاطفة والحنان وزرع الامل بهلاك المشركين..

فقد روى مسلم والبخاري في الصحيح عن عبدالله، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجد وحوله ناس من قريش، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور، فقذفه على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم: " اللهم عليك الملأ من قريش أبا جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة وعقبة بن ابي معيط وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف - أو أبي بن خلف - " قال عبدالله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فالقوا في القليب[1].

كانت الزهراء عليها السلام تتألم لما يتعرض له ابوها من اذى من قبل قريش وتحاول ان تخفف الالم بما تستطيع.

روى البيهقي بالاسناد عن ابن عباس عن فاطمة عليها السلام قالت: "اجتمع مشركو قريش في الحجر فقالوا: إذا مر محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ضربه كل واحد منا ضربة، فسمعته (فاطمة) فدخلت على ابيها صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له، فقال: يا بنية اسكني ثم خرج

(١) (صحيح مسلم ١٤١٩/ ١٠٨ كتاب الجهاد والسير. ودلائل النبوة / البيهقي ج ٢ /٢٧٨).

فدخل عليهم المسجد، فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا، فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم إلا قتل يوم بدر كافرا"[(١)].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يرى ان ابوته لا تنقطع بمرور الايام ولهذا نجد الروايات تعرض لنا صورا من تقدير واحترام الاب للابنة (وسنمر على الشكل المعاكس حين الحديث عن الزهراء ودورها الاجتماعي).

وإذا أراد سفراً أو غزاة كان صلى الله عليه وآله وسلم آخر الناس عهداً بفاطمة عليها السلام، وإذا قدم كان صلى الله عليه وآله وسلم أول الناس عهداً بفاطمة عليها السلام[(٢)].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم... يدعو لها[(٣)].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من زيارتها وتعهدها ويقول لها: «فداك أبي وأُمّي»[(٤)]. ويقبّل رأسها فيقول: «فداك أبوك»[(٥)].

وهنا تعليق لطيف لابن شهرآشوب المازندراني يقول فيه:

"ولو لم يكن لها عند الله تعالى فضل عظيم لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل معها ذلك، إذ كانت ولده، وقد أمر الله تعالى بتعظيم

(١) (دلائل النبوة البيهقي ج ٢ / ٢٧٦ ومسند فاطمة الزهراء عليها السلام - السيوطي /١١٨).

(٢) (مستدرك الحاكم ١: ٤٨٩ و٣: ١٦٥.. وذخائر العقبى: ٣٧. ومسند أحمد ٥: ٢٧٥).

(٣) (مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٣٤. ومقتل الحسين عليه السلام | الخوارزمي ١: ٦٦).

(٤) (مستدرك الحاكم ٣: ١٥٦).

(٥) (مقتل الحسين عليه السلام | الخوارزمي ١: ٦٦. وذخائر العقبى: ١٣٠).

الولد للوالد، ولايجوز أن يفعل معها ذلك وهو بضد ما أمر به أمته عن الله تعالى"[١].

وحينما ماتت رقية اختها قعدت على شفير قبرها إلى جنب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي تبكي، فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمسح الدموع عن عينيها بطرف ثوبه رحمةً لها[٢].

وكان الرسول يتحسس ابوته في نداءاتها له فكان يأنس بكلمة الابوة ويجد حلاوة في ندائها له فلما نزلت الآية:

﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور٦٣.

قالت فاطمة عليها السلام:

هبت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أقول له: يا أبه فكنت أقول: يا رسول الله فأعرض عني مرة أو اثنتين أو ثلاثا ثم أقبل علي فقال: يا فاطمة إنها لم تنزل فيك، ولا في أهلك ولا في نسلك، أنت مني وأنا منك إنما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر قولي: يا أبة، فإنها أحيا للقلب، وأرضى للرب[٣].

---

(١) (المناقب ج٣ ص١١٢).

(٢) (مسند أحمد١: ٣٣٥. وتاريخ المدينة المنورة | ابن شبة ١: ١٠٣).

(٣) (البحار للمجلسي ٤٣ ٣٢-٣).

وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[١].

ومرة لم يسعفها جَلَدُها ولا تصبُّرها وهي تشاهد ما ينزل بأبيها العظيم فانفجرت باكية وهي تزيل التراب والاوساخ عن وجهه ورأسه وثيابه فرفع صلى الله عليه وآله وسلم رأسه إليها قائلا: ان الله مانعٌ اباك وناصره على اعداء دينه ورسالته.

ونجد ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يعزز موقع الزهراء عليها السلام حتى في امور الخيرات ولنتأمل هذه الحكاية:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة العصر، فلما انفتل جلس في قبلته والناس حوله. فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلل وأخلق، ولايكاد يتمالك كبراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستحثه الخبر، فقال الشيخ: يا نبي الله! انا جائع فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فأرِشْني!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما أجد لك شيئاً، ولكن، الدال على الخير كفاعله، انطلق الى منزل من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق الى حجرة فاطمة (وكان بيتها ملاصق بيت رسول

(١) (سنن الترمذي ٥: ٧٠٠ | ٣٨٧٢ ومستدرك الحاكم ٤: ٢٧٢).

الله)، وقال: يا بلال، قم فقف به على منزل فاطمة.

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلما وقف على باب فاطمة نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبريل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين، قالت فاطمة: عليك السلام، فمن أنت؟

قال: شيخ من العرب: أقبلت من أبيك السيد البشير من شقة، وأنا يا بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم عاري الجسد جائع الكبد، فواسيني يرحمك الله!

وكان لفاطمة وعلي في تلك الحال ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً ما أطعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك من شأنها، فعمدت فاطمة الى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين عليهما السلام فقالت: خذ هذا أيها الطارق، فعسى الله أن يختار لك ما هو خير منه.

قال الأعرابي: يا بنت محمد، شكوت إليك الجوع فناولتِني جلداً، ما أصنع به مع ما أجد من السغب؟!

قال (جابر الأنصاري): فعمدت الى عقد كان في عنقها أهدته. لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها ونبذته الى الأعرابي، وقالت: خذه وبعه، فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه!.

فأخذ الإعرابي العقد وانطلق الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم والنبي جالس في أصحابه، فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمة هذا العقد فقالت: بعه فعسى الله أن يصنع لك.

قال (جابر): فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: كيف لا يصنع الله لك وقد أعطتك فاطمة بنت محمد سيدة بنات آدم؟

فقام عمار بن ياسر عليه السلام فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟

قال: اشتره يا عمار: فلو اشترك فيه الثقلان ما عذبهم الله بالنار.

فقال عمار: بكم العقد يا أعرابي؟

قال: بسبعة من الخبز واللحم، وبردة يمانية أستر بها عورتي وأصلي بها لربي، ودينار يبلغني الى أهلي.

وكان عمار قد باع سهمه الذي نقله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر ولم يبق منه شيئاً، فقال: لك عشرون دينار ومئتا درهم هجرية وبردة يمانية، وراحلتي تبلغك أهلك، وشبعك من خبز البر واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال يا رجل!

فانطلق به عمار فوفاه ما ضمن له.

وعاد الأعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أشبعت وكُسيت؟

قال الأعرابي: نعم، واستغنيت بأبي أنت وأمي، قال فاجز فاطمة بصنيعها.

فقال الأعرابي: اللهم إنك إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبده سواك، وانت رازقنا على كل الجهات، اللهم اعط فاطمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

فأمن النبي على دعائه، وأقبل على أصحابه فقال: إن الله قد أعطى لفاطمة في الدنيا ذلك، أنا أبوها ولا أحد من العالمين مثلي، وعلي بعلها ولو لا علي لما كان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما، سيدا شباب أهل أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة. وكان بإزائه مقداد وعمار وسلمان، فقال: وأزيدكم؟

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال أتاني الروح – يعني جبرائيل — وقال: إنها إذا قبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها: من ربك؟ فتقول: إن الله ربي، فيقولان: فمن نبيك؟ فتقول: أبي. فمن وليك؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبري.

ألا وأزيدكم من فضلها؟ إن الله قد وكل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها، وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها في حياتها، وعند قبرها وعند موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها، فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي ومن زار فاطمة فكأنما زارني، ومن زار علي بن أبي طالب عليه السلام فكأنما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنما زار علياً، ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما.

فعمد عمار الى العقد فطيبه بالمسك ولفه في بردة يمانية، وكان له عبد

اسمه سهم، ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر، فدفع العقد الى المملوك وقال له: خذ هذا العقد وادفعه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بقول عمار.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انطلق الى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها، فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذت فاطمة العقد وأعتقت المملوك.

فضحك الغلام! فقالت: ما يضحكك يا غلام؟

فقال: أضحكني عظيم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً، وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً، ورجع الى ربه(١).

ان المتأمل في هذه الرواية يجد أموراً طيبة منها ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يخيب الرجل الفقير بل أرشده الى من يعينه والدال على الخير كفاعله، هذا من جهة، ومن جهة اخرى انه يرشده الى بيت فاطمة وهو يعلم انها تبيت على الطوى وهو بهذا العمل يريد ان يلفت نظر الشارع العام الى مناقب ابنته فاطمة ويسلط الضوء على كرمها وسخائها ولو لم يفعل ذلك لما كانت هذا الواقعة التي اصبحت متواترة بين الناس يحكون بها في مجالسهم.. ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك بل انه تابع الامر وأرسل من يتابع ليكون عينا ناظرة ومتابعةِ لهذا العطاء ومن ثم طلب من الاعرابي الدعاء

(١) (بحار الأنوار: ٤٣ / ٥٦).

لفاطمة ولم تكن عليها السلام بحاجة الى هذا الدعاء بل أراد ان يعلم الآخرين شكر النعم اولا كما ان الدعاء للاولاد من قبل الغير يثلج صدور الآباء وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم جذلا بما قدمته ابنته على قلة ذات يدها. ولقد كان الرسول يزداد حنوا واهتماما بابنته وكانت البنت تزداد حبا وحنوا على ابيها فهي تتابعه بمفاصل الرسالة الخطرة وتعيش معه التفاؤل بالنصر الكبير.

ان متابعة شؤون الاولاد لهو امر مهم ليس فقط من جانب الآباء كأمر تربوي بل هو يُشعر الابناء بان لهم مكانتهم عند الآباء وهم ليسوا مهملين لشأنهم وهو دلالة على قبول الآباء للابناء بجنسهم وهويتهم وصورهم المادية والمعنوية ولا شيء اعز للطفل من الشعور بمكانته عند والديه واستحسان حالة القبول عنده.

وفي دراسة ان الابناء الذين يشارك آباؤهم في التربية يكونون اكثر قوة واكثر قدرة على التفاعل الاجتماعي الناجح واكثر مقدرة على مواجهة وحل المشكلات الحياتية.

وقد نشرت صحيفة (العربية) مقالا حول انحراف الاحداث ختمته بالقول:

ان افضل السبل للقضاء على انحراف الاحداث هو ان تلتقط الآباء من الشوارع ليلا!!...

وللاسف فإن كثيراً من الآباء يلقي بتبعات تربية البنت على امها (وكأنها لا اب لها) معتقدا ان البنت لا تحتاج لأبيها في حين ان هناك مثلاً شائعاً

يقول: (كل فتاة بأبيها معجبة) ولا أدري لماذا لم يقل كل فتى-!!.. وقد تكون البنات اكثر احتراما للآباء واقل تمردا واكثر حنانا لهم وربما يعود السبب الى انخفاض مؤشر التمرد على التقاليد والاعراف عندهن اضافةً الى كون البنات اكثر حماية للأسرة واكثر رغبة في التواصل معها ولهذا فهي حتى لما تتزوج تبقى تذكر البيت الاول وتكون (كل فتاة بأبيها معجبة).

كما ان حضور الاب في الاسرة يؤثر على الاب نفسه ففي المعالجات الحديثة للامراض النفسية وبخاصة القلق والاكتئاب تأتي الدعوات ملحة الى الآباء المصابين بالاضطرابات النفسية بأن يلعبوا مع اطفالهم وان ينسلخوا ولو مؤقتا عن عمرهم ويدخلوا عالم الطفولة بكل مباهجه وافراحه التي تنسيهم الهم والحزن.. اضافة الى ان مشاركة الاب في العملية التربوية داخل الاسرة تشعره برغبة اكثر بمعرفة ما يدور في المجتمع كوضع المدرسة والشارع والجيران.. ووضع البيت في غيابه وهذه امور تجعل الاب نفسه اكثر احساسا بالمسؤولية واكثر احساسا بقيمة مكانته ودوره في الاسرة والمجتمع واكثر رغبة في التعاون مع الآخرين خارج الاسرة لايجاد الحلول للمشكلات التي يعاني منها المجتمع والتي تهدد الوضع التربوي والانساني للآباء وكل هذه الامور ستسهم في زيادة المدد المعنوي للآباء ثم الابناء كما انها تجعله في سعي دؤوب هو وابناء المجتمع وباقي اعضاء الاسرة الممتدة والنووية من اجل تسهيل سبل النجاح للابناء وتسهيل عملية نموهم الاجتماعي والثقافي والنفسي.

وكان الامام زين العابدين عليه السلام - وهو نموذج الاب الكامل -

يدعو لابنائه فيقول: (واجعلهم أبراراً اتقياء بصراء سامعين مطيعين لك ولأوليائك محبين مناصحين ولجميع اعدائك معاندين ومبغضين). (الصحيفة السجادية).

ان تعامل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع الزهراء يجعلنا امام موقف يتطلب تجديد النظر في العلاقات الاسرية والاجتماعية ولاسيما في علاقة الآباء ببناتهم فالاب للبنت مصدر حماية وثقة وهو معبر الفهم الاولي للفتاة لعالم الرجل الذي ستدخله مع زوجها، كما انه من روافد نجاح المرأة وتشكيل رؤية سليمة لهاعن الحياة والمجتمع. وعموما نجد الاب المعاصر يعيش في عالم بعيد عن ابنته.

رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها الصلاة والسلام وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا بنتاه، تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة».

فقالت: «يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه».

فأنزل الله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾.

قالت عائشة: خرج النبي (صلى الله عليه وآله) غداة وعليه مرط – كساء – مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله. ثم قال: ﴿ إِنَّمَا

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)[١].

عن زيد بن علي عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله تعالى فطمها وفطم من أحبها من النار»[٢].

وعن الصادق عليه السلام قال: أتدري أي شيء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرني يا سيدي، قال: «فطمت من الشر»[٣]، أي إنها خير محض.

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣ كتاب الفضائل باب (٩) باب فضائل أهل بيت النبي عليهم السلام: ح٦١.

(٢) (الكافي للكليني: ج ١، ص ٤٦٤).

(٣) (المناقب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ١١٠، ط الحيدرية).

هجرة الزهراء عليها السلام

الهجرة ظاهرة قديمة عرفتها الامم والشعوب المختلفة وكان الحصول على الماء والطعام هو احد أهم أسباب الهجرة في العهود الغابرة ثم تعددت أسباب الهجرة مع ازدياد حالة اضطهاد الانسان والبحث عن ملاذ آمن كي يعيش فيه بحرية وذلك بعد ان تطور الفكر الانساني وتطورت المجتمعات. فأحيانا تكون الهجرة لطلب القوت والبحث عن فرص عمل جديدة (كما في هجرة العمالة النسائية والرجالية من شرق آسيا الى دول الخليج) واحيانا تكون الهجرة من اجل الحصول على ملاذ آمن أو البحث عن مكان جديد ينعم الفرد فيه بالحرية التي تساعده على اطلاق الافكار الجديدة التي يحملها ليجمع الانصاروالمؤيدين كما حصل مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومع كثير من المصلحين والثوار وربما لايعود المهاجرون الى موطنهم الاصلي الامر الذي يشير الى ارتفاع مؤشر الاندماج في المجتمع الجديد وهذا يعني تغيير الهوية والثقافة.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ليس بلد أحق بك من بلد، خير البلاد ما حملك»[١].

وقال (عليه السلام): «شر الأوطان ما لم يأمن في القطان»[٢].

ان الامر الالهي جاء الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يأذن له بالهجرة هو وأسرته وباقي المسلمين بعد ان وصل اذى قريش حدا لا يطاق واصبح امر نجاة الفئة المؤمنة هو المطلوب.

لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحمل مشروعا تغييريا الى البشرية كلها وبهذا كان لابد من البحث عن الارضية المناسبة لانطلاقة المشروع وصيانته ونشره وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج ويدعوهم الى الاسلام والايمان حتى آمن رهط من المدينة وبايعوه في بيعة العقبة الاولى والثانية، فلما حمي الوطيس بمكة لم يجد الرسول بداً من الهجرة تاركا في مكة كل ذكرياته وعلاقاته وخرج منها خائفا يترقب الى (طيبة أو يثرب) التي أصبحت فيما بعد مدينة الرسول وعاصمته.

ولقد كانت الهجرة النبوية المفصل الاساس في حياة الرسالة اذ انه وبعد الهجرة الى المدينة تم توفير الاجواء الآمنة للمسلمين ليؤدوا شعائرهم وفرائضهم بحرية دونما خوف أو خشية من التعرض للاذى بما مهد لتأسيس

(١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣٥ ق٤ ب١ الفصل٥ ح٧٧٢٠.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٧ ق. ٦ ب٤ الفصل٧ ح١٠٢٥٦.

دولة الله التوحيدية الكبرى.. فلقد مكنت الهجرة من تأسيس العاصمة الحرة للدولة الجديدة والتي زادت رقعة دولتها مع الايام بفضل تزايد عدد الداخلين في الاسلام واتساع الفتوحات حتى صارت دولة كبرى تمتد من المحيط الى الخليج. فهي اذن احدى نقاط التحول الكبرى في حياة الانسان المسلم التي تركت آثارها النفسية والاجتماعية والثقافية على مدى الزمان.

فقد كان لهجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة آثارها الايجابية في الحصول على البيئة الآمنة والتخلص من الضغوطات التي كانت تمارسها قريش وارساء القاعدة القوية في العاصمة الجديدة للدولة الاسلامية ورغم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل مكة –بعد هجرته– الاّ مرة واحدة الا ان الحنين الى البلد الاصلي ظل ملازما له طيلة حياته ويشير اليه قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ القرآن لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ القصص ٨٥.

فالهجرة عملية تضحية وبذل وعملية انسلاخ شاق –ولو مؤقت– عن الوطن والعلاقات والرغبات فهي محطة خطيرة لكنها قد تكون مطلوبة وبخاصة في مراحل الخطورة والاضطهاد السياسي والازمات الاقتصادية وبعد الكوارث.. ولقد خرج المسلمون عن ديارهم تاركين مكة لسادتها وكبرائها المتغطرسين ويؤنسهم ويشد إزرهم في رحلتهم المحفوفة بالمخاطر والمقتحمة للمجهول ايمانهم بالله وثقتهم الكبرى بأنه ناصر لنبيه لا محالة.

ومع تنوع أسباب الهجرة – اية هجرة– ونتائجها فان المهم هنا هو منظومة القيم في الهجرة فهي اما ان تكون هجرة تصاعدية في القيم كما في هجرة المسلمين الى مجتمع المدينة حيث اقاموا دعائم الدولة الفاضلة وكان المجتمع المدني صورة لتجلي الفضائل الانسانية والاخلاق العليا لكن الامر ليس هكذا دائماً ففي احايين كثيرة– والعياذ بالله– تكون الهجرة سببا لانتكاسة القيم أو انحطاطها ومن الارقام التي عندنا انه بعد الحرب العالمية الاولى هاجر ٤ ملايين مسلم الى امريكا اللاتينية بحثا عن الحياة الافضل ولكن لم يبق من هؤلاء ثابتا على دينه واسلامه سوى ٧٠٠ فرد فقط حسب احصائية عام ٢٠٠٠!.

الى يثرب

وكانت هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دون افراد اسرته ومن ضمنهم الزهراء عليها السلام بعد ان ابقى عليا عليه السلام في فراشه لتضليل المشركين من جهة وليؤدي الامانات ثم بعد ذلك كانت هجرة السيدة فاطمة التي تشير الروايات الى ان عمرها الشريف آنذاك كان الثامنة على تقدير اكثر الروايات.

فلما عزم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الهجرة الى يثرب ترك عليا في فراشه وأوصاه برد الامانات وأن يلحق به مع من بقي من النسوة، وهن فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الحمزة، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وجاء المشركون يهمون قتل الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم فلما كشفوا الغطاء وجدوا عليا في فراشه فعرفوا انه ترك مكة فلحقوا به ولكنهم لم يجدوا له أثرا وبهذا وصل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى يثرب، وبعد أن نفذ علي عليه السلام وصايا الرسول وسلم الودائع لأهلها كما نصت على ذلك المؤلفات في سيرة النبي هيأ الرواحل وبدأت هجرة الفواطم من مكة إلى يثرب، وأشار علي عليه السلام الى من بقي في مكة من المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذي طوى حيث يسير الركب منها باتجاه المدينة، وخرج هو في وضح النهار بالفواطم ومعه أم أيمن وأبو واقد الليثي، فجعل أبو واقد يجد السير مخافة أن تلحقهم قريش وتحول بينهم وبين إتمام المسيرة، فقال له علي عليه السلام: ارفق بالنسوة يا أبا واقد، وارتجز يقول:

ليس إلا الله فارفع ظنكا يكفيك رب الخلق ما أهمكا

فلما قارب ضجنان أدركه طلب قريش وكانوا ثمانية من فرسانهم معهم مولى لحرب بن أمية يدعى جناح، فقال علي عليه السلام لأم أيمن وأبي واقد: أنيخا الإبل واعقلاها، وتقدم هو فأنزل النسوة ناحية واستقبل القوم بسيفه، ثم قالوا له: أظننت أنك ناج بالنسوة، وناشدوه أن يرجع بهن طائعاً قبل أن يرجع بهن مكرهاً، ولكن علياً استقبل القوم بسيفه، وشد عليهم حتى فرقهم عن الركب يميناً وشمالاً، ومضى في أثرهم الواحد تلو الآخر، وضرب جناحاً مولى بني أمية على عاتقه فقده نصفين ودخل السيف إلى كتف فرسه ولاذ الباقون بالفرار، وعاد علي عليه السلام يتابع المسيرة بمن معه من النسوة حتى دخل المدينة وقد أجهده السير على قدميه، فرقَّ النبي صلى الله عليه وآله

لحاله[١].

وقد كان عليٌّ يواصل السير على قدميه دون ان يركب على ظهر دابة حتى تفطرت قدماه وتورمت من شدة المسير فنزلت الآية:

﴿ فَاستَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَني لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أو أُنثى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وأُخْرِجُوا مِن دِيَرِهِمْ وأُوذُوا فى سبيلي وقَاتَلُوا وقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنهُمْ سيِّئَاتِهِمْ ولأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَرُ ثَوَاباً مِّنْ عِندِ اللّهِ واللّهُ عِندَهُ حُسنُ الثَّوَابِ ﴾ (١٩٥ آل عمران).

وقد أشار العلامة الطباطبائيّ في بحثه الروائيّ الخاص بهذه الآيات، في «تفسير الميزان» ج ٤، ص ٩٥ و٩٦: أن هذه الآيات نزلت في علي (عليه السلام) لما هاجر ومعه الفواطم: فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفاطمة بنت الزبير، ثم لحق بهم في ضجنان أم أيمن ونفر من ضعفاء المؤمنين فساروا وهم يذكرون الله في جميع أحوالهم حتى لحقوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فأقام فيها ينتظر وصول علي وفاطمة، ومن كان مع الركب النبوي المهاجر، أقام بقبا وكان يقول لأبي بكر الذي طلب منه الدخول إلى المدينة: «ما أنا بداخلها، حتى يقدم ابن عمي وابنتي»[٢].

والتحقت فاطمة الزهراء بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم ونزلت على

(١) (هاشم معروف الحسني /سيرة المصطفى/ط ٣ /ص. ٢٠٥ بتصرف).

(٢) (الحسني / سيرة المصطفى / ص٢٥٨).

أُم أبي أيـوب الأنـصاري وبمجـيء الفـواطم اكتمـل البيـت النبـوي في المدينـة وبدأت مرحلة جديدة في حياة الزهراء عليها السلام.

وربما كان لتأخر هجرة الزهراء عن ابيها لـه اثـره في التعريـف بهـا اكثـر وتسليط الـضوء عليهـا اكثـر اضـافة الى تبيـان منقبـة اخـرى مـن مناقـب امـير المؤمنين وكان لنزول الآية المباركة اثره في هذا الجانب.

ولابد من اشـارة الى ان المـرأة المـسلمة شـاركت بكـل الهجـرات الـتي سبقت الهجرة الى المدينة فقد كان في الهجـرة الى الحبـشة أحـد عـشر رجـلاً وأربع نسوة في رواية، وفي أخرى أن أول عشرة هاجروا إليها كان نصفهم من النساء. حيث رافقت النساء ازواجهن رغم مافي الهجرة مـن صـعوبات وقد ولدت بعضهن أولاداً حيث وضعت أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن ابي طالب وليدها عبد الله بن جعفـربن ابي طالـب وهـو اول مولـود مـسلم يولد في الحبشة بعد الهجرة، وفي هجرة المدينـة هـاجر الرجـال ولحقـت بهـم نساؤهم فيمـا بعـد وهـاجرت بعـض النـساء بمفـردهن وبقـين في مكـة، وفي الوقت المعاصـر هـاجر الملايـين مـن المـسلمين الى اوربـا في القـرن المنـصرم وهاجر أربعة ملايين عراقي الى دول العالم المختلفة بسبب القمع الـصدامي وعانى الكثير منهم الكثير من المشاق والاذى ومنهم من غرقت سفنهم فنجا بعض اعضاء اسرهم وبلع البحر الباقين!، فالهجرة معاناة تبـدأ مـن محاولـة قطع الارتباط المؤقت بالجذور ولا تكاد تنتهي عند ازمـة التكيـف والتـأقلم مع المجتمع الجديد.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً من الأرض، استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد – صلى الله عليهما وآلهما –».(١)

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا عصي الله في أرض أنت فيها فاخرج منها إلى غيرها»(٢).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «... ومن دخل في الإسلام طوعاً فهو مهاجر»(٣).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «... والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله»(٤).

وقد تركت الهجرة النبوية آثاراً جمة منها ان عززت الشعور بحقانية المسلمين فاصبح اهل مكة يعاودون انفسهم في سبب اقبال هؤلاء الذين ربما كانوا الى الامس القريب اقاربهم واهليهم لكنهم تركوا الاهل والوطن والمال من اجل مايؤمنون به فلابد ان يكون هناك مايستحق التضحية من اجله خاصة وان المهاجرين لم يكونوا فردا أو قلة من الناس بل كانو مجموعة كبيرة مع اولادهم واسرهم تاركين كل شيء خلف ظهورهم.

(١) بحار الأنوار: ج١٩ ص٣١ ب٦.

(٢) بحار الأنوار: ج١٩ ص٣٥ ب٦.

(٣) الكافي: ج٨ ص١٤٨ ح١٢٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٧٨ ب١٥٢ ضمن ح١٦٣٠٠.

الحياة الجديدة

ان الهجرة الى اي مكان جديد تستتبع حتما تغيرا في اوضاع الفرد والجماعة، فمجتمع المدينة يختلف كثيراً عن مجتمع مكة من حيث الحرية الموجودة فيه وارتفاع الضغوطات عن المسلمين بالشكل الذي اتاح لهم حرية التعبيرعن العقيدة واداء الشعائر الدينية بعلانية فأقيم اول مسجد في الاسلام وبدأ الأذان يصدح عاليا بصوت بلال الرخيم.

بيد أن ذلك لا يعني انه لم تكن هناك معارضة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان عبد الله بن ابي سلول الطامع بالكرسي والتاج يرى ان حضور الرسول الى المدينة قد بدد احلامه وكان يتحين الفرص للحصول على الملك الذي انتزع. وقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المساواة والتآخي بين المسلمين وكانت هذه الحالة من أعظم الصورالانسانية في المجتمع المدني وكانت من التأثير النفسي والاقتصادي والاجتماعي بل وحتى السياسي على وضع المسلمين المهاجرين الى المدينة مع الانصار وما كان عليٌّ عليه السلام بمعزل عن القوم فكانت مؤاخاته مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا مؤشر على تمتع المدينة وأهلها من المهاجرين والانصار بالحرية الكاملة بما يتيح لهم اتخاذ القرارات وتنفيذها بعد ان أصبح الجميع تحت قيادة واحدة هي قيادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

أما الزهراء عليها السلام فقد تغيرت كل الظروف المحيطة بها فقد هجرت ارض مكة وتركت ذكرياتها الحلوة مع أمها أم المؤمنين السيدة خديجة

عليها السلام ولم يعد الرسول وحيدا بل تزوج واتخذ له عدة زوجات لاسباب كثيرة اهمها المصالحة واسكات بعض التطلعات!. ولم تعد الزهراء عليها السلام بنت نبي مطارد فقط –وان كان هذا الوسام هو الاعلى– لكنها اضحت بنت القائد الكبير والرئيس الحاكم، لكن ياترى هل تأثر معدن الزهراء بالمتغيرات الجديدة؟ ابداً.. فالزهراء هي الزهراء...

لقد بدأت الزهراء عليها السلام تلتقي بمسلمين جدد وبالنساء المسلمات وبدأت منظومة علاقات جديدة مع زوجات ابيها اللائي كن كثيرات العدد لكن واحدة منهن لم تستطع ان تملأ الفراغ الذي تركته امها ابدا!!...

والتقت الزهراء عليها السلام في المدينة بنساء الانصاركزوجة أبي ايوب الانصاري واسماء بنت يزيد وغيرهما وتعرفت على المجتمع المدني الجديد لترسم انطلاقة جديدة ليس للزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحسب بل للمرأة المسلمة على مر التاريخ.

زواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

تزوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة خديجة عليها السلام بسودة بنت زمعة اول دخوله المدينة ثم ام سلمة وبعدها تزوج بأخريات وتعددت زيجاته وكانت هناك أسباب سياسية واجتماعية تدعو الى هذه الانواع من الزيجات بما يمكن ان يشكل حفاظا للدين وصيانة للمجتمع... ورغم هذا التعدد الا انه لم يرزق منهن بولد طيلة عمره الشريف حتى ان

ابراهيم بن مارية القبطية –وهي هدية النجاشي له – مات وهو صغير فانحسر نسله صلى الله عليه وآله وسلم في ابنته فاطمة عليها السلام.

وأصبح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع هذا العدد من النساء يبيت ليلة عند كل واحدة بالتناوب وبقيت فاطمة عليها السلام في قلبه ووجوده وفي اوج علاقته الابوية والرسالية.. ولكن هذا لم يمنع بأن يفتح الرسول ملف الزهراء المقدس امام زوجاته ففي الرواية:

قالت ام سلمة: تزوجني رسول الله وفوض امر ابنته اليّ وكانت والله آدب مني واعرف بالاشياء وكيف لا تكون كذلك وهي سلالة الانبياء(١).

وامر على هذه الرواية من جانبين:

الاول: دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ام سلمة رضي الله عنها الى الاهتمام بالزهراء عليها السلام.

الثاني: استجابة الزهراء عليها السلام للدعوة دون احتجاج أو اعتراض.

وفي الجانب الاول فمن المعروف ان الذي يتزوج زواجا ثانيا لا بد ان يُخبر عن اولاده وان كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غنيا عن التعريف فالناس تعرف انه لا يملك من حطام هذه الدنيا الا بضعته الطاهرة فاطمة عليها السلام ولكن يأتي الاهتمام بهذا الامر في دعوة ام سلمة الى رعاية الزهراء عليها السلام باعتبار أن ام سلمة قد دخلت الى البيت النبوي

---

(١) (دلائل الامامة: ٢١/٨١).

ولابد من مراعاة هذا الجانب، كما ولابد من ان تكون هناك علاقة بين الاثنتين، ولم يغب عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عمر ام سلمة فهي الكبيرة في السن غير ان الزهراء هي الكبيرة في الشأن!! والتوجيه الى ام سلمة برعاية الزهراء عليها السلام هو نوع من ايضاح وبيان للعلاقات الجديدة في البيت النبوي وهونوع من التعريف بعظمة الزهراء عليها السلام ولكن ليس على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو الزهراء بل على لسان ام سلمة!! اذ ان الكل سمع بما اخبر به الرسول من احاديث تبين الشأن العظيم لها، ومن ناحية ثانية هو توجيه لام سلمة على رعاية شؤون الزهراء والاهتمام بها كنوع من دعوة مبطنة الى ضرورة اهتمام جديد من قبل ام سلمة للزهراء عليها السلام ولكن هذه الدعوة اتخذت اسلوب (اياك اعني واسمعي يا جارة).... فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ان الزهراء هي خير النساء بل سيدة نساء العالمين ولكن مع ذلك يأتي هذا التأكيد على ام سلمة ونرى انه كان لام سلمة – فيما بعد – مواقفها الطيبة مع اولاد الزهراء مع الحسن والحسين وزينب وام كلثوم عليها السلام وبقيت حتى آخر لحظاتها تهتم بهؤلاء الاولاد وتتابع شؤونهم وهذا اهتمام لطيف من زوجة الأب.

لقد اعترفت ام سلمة وعرّفت بمكانة الزهراء عليها السلام وبأنها من سلالة الانبياء والعالمة بالاشياء ولم تأخذها غيرة من ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقبلها أو يتعامل معها باحترام أو غير ذلك!! وهذا دليل على طيب خلقها وعرفانها بمكانتها ومكانة آل البيت عليهم السلام بل اننا نجد انها

لا تبدي احتجاجا على منع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اياها من دخولها معهم تحت الكساء وهويقول لها صلى الله عليه وآله وسلم: انك على خير.. بما معناه انت لست كفاطمة وان كنتِ على خير! فلا نجد هناك غيرة أو مواجهة أو احتجاجاً أو حساسية بل تتقبل الامر كله وتتقبل ان هذه البنت الشابة هي اكثر منها ادبا وعلما وكرامةً!!.

ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من خلال قوله هذا لم يدعُ الى الاهتمام الظاهري بالزهراء عليها السلام فحسب بل هي دعوة الى الاهتمام المستمر بما لها من فضائل وهي دعوة للاتباع والاقتداء ومراعاة مكانتها العليا حتى بعد رحيل الزهراء عليها السلام وهذا ما يحفظه التاريخ لام سلمة التي وقفت الى جانب الزهراء في دعواها في فدك رغم ان ذلك كلفها حرمانها من عطائها ولعام كامل مع ان هناك من زوجات النبي من وقف مكذبا للزهراء - والعياذ بالله - وهذا مازاد في عطائهن!!.

اما المسار الثاني فهو موقف الزهراء عليها السلام نفسها من ام سلمة فالمعلوم ان البنات - وحتى البنين - لا يرضون بمجيء من يأخذ (اويحاول ان يسلب) مكان الاب أو الام... يريدون ان يبقى هذا المكان خاليا ولايسمحون لاحد باجتيازه ولهذا تصطدم الرغبات حينما يفكر الآباء والامهات بالزواج بعد الطلاق أو الترمل، اذ غالبا مايكون الابناء في صف المعارضة وهم لا يعطون رخصة زواج!!.. رغم ان ذلك ليس من حقهم لكن مشاعرهم لا تحتمل الشخص الثاني يجلس متربعاً في منازل الاحباب... واحيانا تدور

صراعات واحتجاجات قد تستمر لأمد غير محدد، وقد تنصرف الام أو الاب عن الزواج الثاني لتسكين عواصف الاولاد!!.

لكن الملاحظ ان الزهراء عليها السلام – وهي صاحبة الادب العظيم – تتقبل توصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لام سلمة ولا تبدي لها مشاعر التمرد أو البغض أو اي شكل من اشكال المعاملة السلبية مما يثير تعجب ام سلمة نفسها بهذا الخلق العظيم فتروج له!!.

انها لوحة فنية رائعة ترسم ادب الزهراء عليها السلام وسلوكها الجميل مع زوجة ابيها وهي التي مازال صدرها يموج بذكريات امها الحنون.

قال أبو عبد الله (عليه السلام): لفاطمة (عليها السلام) تسعة أسماء عند الله عز وجل:

فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكيّة، والراضية، والمرضيّة والمحدّثة، والزهراء؛ ثم قال (عليه السلام): أتدري أي شيء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرني يا سيّدي.

قال: فطمت من الشرّ، قال: ثم قال: لولا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) تزوجها لما كان لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الارض، آدم فمن دونه[1].

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (وهي الصديقة الكبرى، وعلى

---

(١) البحار: ٤٣/ ١٠ ح١، ودلائل الإمامة: ١٠. كشف الغمة: ١/ ٤٦٣).

معرفتها دارت القرون الأُولى)[١].

قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنّما سمّيت فاطمة محدّثة لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء، فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران))[٢].

«سميت فاطمة عليها السلام البتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً»[٣].

(١) امالي الطوسي، ج٢، ص٢٨٠.

(٢) علل الشرائع: ج ١، ص ١٨٢، الباب ١٤٦، ح ١، ودلائل الإمامة: ص ٨٠، ح٢٠، وص ١٥٢، ح ٦٦.

(٣) بحارالانوار، ج٤٣، ص١٥.

زواج الزهراء عليها السلام

كبرت فاطمة عليها السلام واصبحت شابة في مقتبل العمر وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبضعته الطيبة وهي ثمرة فؤاد قائد المسلمين وحاكم المدينة فأصبحت العيون كلها ترنو إليها وتفكر في تحصيل القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالزواج منها وقد تقدم لخطبتها الصحابة ورجال المال والاثرياء وكان الرسول يعرض عليها أسماء الخاطبين -كنوع من الاستشارة- فيرى الكراهة في وجهها فيعلم انها تشاركه انتظار الفيض الالهي بتقدم الكفؤ المناسب الذي يستحق هذه المرأة التي لا نظير لها أبدا.

فقد أخرج ابن سعد: أنَّ أبا بكر خطب فاطمة إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «يا أبا بكر أنتظر بها القضاء» فذكر ذلك أبو بكر لعمر، فقال له عمر: ردَّك يا أبا بكر. ثُمَّ إنَّ أبا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فخطبها؛ فقال له مثل ما قال لأبي بكر: «أنتظر بها القضاء»، أو قال: «إنَّها صغيرة»[1].

(١) (الطبقات الكبرى لابن سعد ٨: ١٦، أُسد الغابة ٧: ٢٣٩).

بل إن الآتي من خبر زواجها عليها السلام يؤكد النصّ الأول «أنتظر بها القضاء» إذ لم يكن زواجها إلاّ بأمر من الله تعالى.

وعن عبدالله بن مسعود، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ، ففعلت»[١].

ثمَّ إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض «خطبة عليٍّ» على فاطمة، فقال لها: «إنَّ عليَّاً يذكرك»[٢]، فسكتت، فخرج يقول: «سكوتها إقرارها».

وكان محل العقد الميمون في المسجد النبوي وفيه بارك المهاجرون والأنصار علياً والنبيّ بهذا الافتتاح السعيد،[٣] وقد جرت السنة على ذلك فكثير من العرسان يفضلون ان يكون العقد في العتبات والاماكن المقدسة لزيادة الخير والبركة.

استشارة البنت في الزواج

الزواج من القرارات الصعبة في حياة الانسان وربما هو الاصعب في حياة البنات؛ لانه قرار مصيري يتخذ لمرة واحدة في الحياة وهو مهم؛ لأنه يقرر نمط الحياة القادمة التي قد تمتد مدى الحياة وما سيلحق بها من وجود الاولاد والشعور بالسعادة والاستقرار والصحة النفسية الى غير ذلك من

---

(١) (المعجم الكبير، للطبراني ٢٢: ٤٠٧|١٠٢٠، مجمع الزوائد ٩: ٢٠٤).

(٢) (الطبقات الكبرى ٨: ١٦).

(٣) (كشف الغمّة ١: ٣٥٨ - ٣٥٩ وبحار الأنوار ٤٣: ١٢٠).

الامور مما يترك أثره على سلوك الفرد في المجتمع ومكانته الاجتماعية إضافة الى نمط الذرية التي تتكون من هذا الزواج.. وتلعب عوامل كثيرة دورا خطيرا في طريقة اتخاذ القرارات والعمل بها، وأحيانا يلعب المزاج والرغبة والطالع الفلكي واتباع الابراج دورا اكثر من التعقل ومشاورة الآخرين واستعراض النتائج ومعرفة الامر الاحسن في اتخاذ القرار المناسب في امر الزواج المصيري والذي قد يبدأ من استشارة البنت واعلامها بالخاطب الذي طرق بابها واختارها من بين البنات كلهن كشريكة حياة وام اولاده في المستقبل.

وتتفاوت الرؤى المطروحة حول الزواج فالبعض يراه مجرد اذن شرعي لاقامة علاقات جنسية وهو بهذا ينظر فقط الى هذا الجانب وهذا دليل على الرؤية الضيقة للحياة الزوجية وللاسرة ايضاً، وللاسف فهذه هي الرؤية الغربية التي جعلت من الزواج مجرد امر جنسي وهو نوع من الترف واللهو بعيدا عن المسؤولية والسكن والشراكة الى غير ذلك!!.. وبهذا يمكن ايجاد بدائل لمتطلباته كالانجاب عبر تأجير الارحام وشراء الحيامن والبيوض!! الامر الذي أسقط قدسية هذا الميثاق الغليظ بالتعبير القرآني وأصبح قابلا للفسخ والحل بسهولة مما اولد انماطا غير سليمة للاسرة كالاسرة المثلية أو اسرة الشراكة بلا زواج!! فاستيقظ بعض ذوي العقول النيرة وأضحوا ينادون بضرورة إحياء الرؤى الدينية للزواج والتي تجعله امرا مقدسا مباركا وهو احب السنن كما جاء في الحديث:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بني بناء في الاسلام

أحب الى اللّه من التزويج»[١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «النكاح سنتي، فمن رغب عن سنتي، فليس مني»[٢].

وفي عصر الرسالة حصل سوء فهم لدى البعض فلجأوا الى الرهبنة وترك الزواج والاعراض عن الجنس الآخر متفرغين للعبادة كما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي اشتكته زوجته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبيّ(صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله، إنّ عثمان يصوم النهار ويقوم الليل. فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) مغضباً يحمل نعليه حتّى جاء إلى عثمان فوجده يُصلّي، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال له: يا عثمان، لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفة السهلة السمحة، أصوم وأُصلي وألمس أهلي، فمَن أحبّ فطرتي فليستن بسنّتي، ومن سنّتي النكاح»[٣].

والامر التبس على كلا الجنسين حيث ظنوا ان الفضل في الرهبنة.. روى الكليني بسند صحيح عن عبد الصمد بن بشير، قال: «دخلت امرأة على أبي عبد الله عليه السلام فقالت: أصلحك الله إني امرأة متبتلة، فقال: وما التبتل عندك؟ فقالت: لا أتزوج، قال: ولم؟ قالت: ألتمس بذلك

(١) مكارم الأخلاق | الطبرسي: ١٩٦.

(٢) (البحار ج٢٣ ص ٥١، عن مكارم الأخلاق للطبرسي).

(٣) (الكافي ٥/ ٤٩٤ ح١).

الفضل، فقال انصرفي فلو كان ذلك فضلا لكانت فاطمة عليها السلام أحق به منك، أما إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل»[١].

نعم كان رد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان لا رهبانية في الاسلام وان الزواج سنة تقترب من الوجوب لولا مخافة العسر ولو كانت الرهبنة خير ما تزوجت الزهراء، تقول د. كلاوديا انكلمان في كتابها بلوغ النجاح في الحياة:

الواقع ان ثمة العديد من النساء العازبات وصاحبات مهن رفيعة الشأن في آن واحد، محور حياتهن يتجلى في أشياء: المهنة، والانفاق على انفسهن. ربما لا تلعب العلاقات العاطفية دورا في حياتهن الا لفترات قصيرة وسريعة جدا ولكن الشوق الساكن للواحدة منهن نحو كتف قوي تسند رأسها عليه يبقى قائما لا محالة.

غير ان الامر يجب ان لا يكون كذلك. فهي بالطبع لا تريد ان تضع نفسها في المقدمة دوما، وان تبرهن للرجل بشتى الوسائل انها قادرة على اثبات نفسها ناسية بذلك ان الرجل يتوق هو الآخر بدوره لأن تستخدمه المرأة![٢].

هذا ويؤثر الزواج على التوازن النفسي للفرد من خلال تدعيم الصحة النفسية حيث تقول النظريات ان المتزوجين أفضل من غير المتزوجين في الصحة النفسية والجسمية، ففي دراسة (وايز١٩٨١) وجد ان نسبة غير

(١) (الكافي ج٥ ص٥٠٩ ح٣ باب كراهية أن تتبتل النساء ويعطلن أنفسهن)

(٢) (د. كلاوديا انكلمان في كتابها بلوغ النجاح في الحياة الزوجية تعريب د. سامر نصري مكتبة العبيكان ٢٠٠٥ ص٥٠).

المتزوجين اعلى من المتزوجين في الشعور بالوحدة والاكتئاب والقلق وفي الادمان مما جعله يعدّ الانصراف عن الزواج في امريكا علامة خطر على الفرد والمجتمع وذلك لان الزواج يجعل للفرد قيمة ويعطي لحياته معنى ويكوّن له اسرة ينعم فيها بالامن والاستقرار.

فالزواج هو المسار الطبيعي للحياة ولانه حياة دائمة مع شريك من جنس آخر وجب ان تكون هناك آليات معينة للاختيار وللاستشارة والوصول الى قرار ناجح يؤدي الى حياة سعيدة وزواج ناجح يحقق التكامل النفسي والنمو الانساني ويرفد المجتمع بالذرية الطيبة.

.. وفي الروايات..

جاء الإمام علي (عليه السلام) إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو في منزل أُمّ سلمة، فسلّم عليه وجلس بين يديه، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): «أتَيْتَ لِحاجَة»؟

فقال الإمام (عليه السلام): «نَعَمْ، أتَيتُ خاطباً ابنتك فاطمة، فهلْ أنتَ مُزوِّجُني»؟

قالت أُمّ سلمة: فرأيت وجه النبي (صلى الله عليه وآله) يَتَهلّلُ فرحاً وسروراً، ثمّ ابتسم في وجه الإمام علي(عليه السلام)، ودخل على فاطمة(عليها السلام) وقال لها: «إنّ عَليّاً قد ذكر عن أمرك شيئاً، وإنّي سألتُ ربِّي أن يزوِّجكِ خير خَلقه، فما تَرَين»؟.

فسكتت، فخرج رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو يقول: «اللهُ

أكبَرُ، سُكوتُها إِقرارُها»، فأتاه جبرائيل (عليه السلام) فقال: يا محمّد، زوّجها علي بن أبي طالب، فإنّ الله قد رضيها له ورضيه لها.

وأمر رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنس بن مالك أن يجمع الصحابة ليُعلِن عليهم نبأ تزويج فاطمة للإمام علي (عليهما السلام) فلمّا اجتمعوا قال (صلى الله عليه وآله) لهم: «إنّ الله تعالى أمَرَني أن أزوِّجَ فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب»[1].

وقد خطبها بعض الصحابة فاستشارها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعرض عليها الامر فرأى الكراهة في وجهها بما يعني عدم رضاها وهو بذلك يكون قد منحها حق الاختيار والموافقة أو الرفض لمن تقدم لخطبتها.

وكلنا يعلم ان المجتمع الجاهلي لم يعطِ اي اهمية لإذن المرأة في الزواج واستشارة البنت ولم يبدِ اي اهتمام برأي البنت في الرجل الذي يتقدم لخطبتها لأن الامر محسوم من قبل اسرة الفتاة ولا اثر يترتب على رأي الفتاة اطلاقا في هذا الشأن، بل كان هناك إجبار للبنت على الزواج من شخص ما حتى لو كانت لا تريده ولا تطيقه ويعرض لنا تاريخ الاسلام عن بعض النساء اللائي جئن شاكيات الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الإجبار على الزواج والذي أدى الى زيادة روح الكراهية والبغض والى نشوء علاقة غير سليمة ومن ثم اسرة غير سليمة فقد رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ «أَنَّ فَتَاةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ – فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي زَوَّجَنِي مِنِ ابْنِ

(١) (إحقاق الحق ٤/٤٧٥، الأمالي للطوسي: ٣٩).

أَخٍ لَهُ؛ لِيَرْفَعَ خَسِيسَتَهُ، وَأَنَا لَهُ كَارِهَةٌ! فَقَالَ لَهَا: أَجِيزِي مَا صَنَعَ أَبُوكِ، فَقَالَتْ: لا رَغْبَةَ لِي فِيمَا صَنَعَ أَبِي! قَالَ: فَاذْهَبِي، فَانْكِحِي مَنْ شِئْتِ! فَقَالَتْ: لا رَغْبَةَ لِي عَمَّا صَنَعَ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُعْلِمَ النِّسَاءَ أَنْ لَيْسَ للآباء مِنْ أُمُورِ بَنَاتِهِمْ شَيْءٌ»[1].

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم كان إذا أراد أن يزوج امرأة من نسائه يأتيها من وراء الحجاب فيقول لها يا بنية إن فلانا خطبك فإن كرهتِه فقولي: لا وإن أحببت فإن سكوتك إقرار[2].

وعموما فإن المجتمعات التقليدية والريفية لا تستشير البنات عند الزواج بل ان البنت لا تعلم من امرها أو امر عريسها شيئا وفي احايين كثيرة يُلجأ الى زواج الشغار أو البدل للتخلص من المهر وهذه امور يرفضها الاسلام.

ان استشارة البنت عند الزواج تؤدي الى امور منها:

ان هذه الاستشارة تنمي عندها الشعور بأنها كائن محترم وانسان تام الاهلية وهي تُستشار في امر مصيري مهم لها ولأسرتها ايضا وهذا يُسهم في تحسين صورتها عن نفسها وفي تدعيم ثقتها بنفسها.

يقوي عندها الاحساس بالرضا عن الوالدين فهما لا يجبران انما يستشيران وهي حرة وهذا الشعور يضاعف فيما بعد من دعم الفتاة لوالديها وتقديم الحب والعون لهما والشعور بكرمهما وعظيم أخلاقها مقارنة

---

(١) (المبسوط – السرخسي – ج ٥ – الصفحة٢).

(٢) (مجمع الزوائد ٤ / ٢٨١).

بالآخرين. وعند تمرير الزواج بلا استشارة فإن الآباء يزرعون بذور الكراهية عند البنات تجاههم.

التعريف بالمسؤولية القادمة للبنت... فهي يجب ان تدرك ماهو المصير الذي تختاره واي حياة تريدها وان الزواج عِشرة دائمة قد تستمر مدى الحياة فلابد ان تكون هناك رؤية مستقبلية للمسؤولية الحياتية التي ستتولاها.

زيادة الإحساس بقدسية الزواج فهو رباط مقدس وميثاق غليظ لا يُحل بسهولة.

الاسرة التي تستشير ابنتها عند الزواج هي اسرة ديمقراطية واعية متفهمة للامور وهي تحترم إنسانية البنت وانوثتها.

والاستشارة دليل على مكانة البنت في الاسرة واحترام اهلها لها.

والاستشارة دليل على ان هناك علاقة طيبة بين البنت واهلها وبخاصة أبوها وهي تقوم على الحوار الطيب والاحترام والتقدير.

ولكن الامر الذي يثير تساؤلاً اكثر هو: هل ان مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحتاج الى سؤال ابنته واستشارتها؟ وهو رسول الله والعالم بأحوال قومه والعالم بأخلاقهم وهو الاب المقرب الى ابنته وهوخير البشر وهو أيضاً المربي لعلي والمواخي له؟ فرغم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم ان زواج الزهراء كان بأمر الهي وان الزواج تم في السماء قبل ان يجري واقعا في الارض!!- فهو امر يكاد يكون مفروغا منه - لكنه مع ذلك يستشير ابنته ويحفظ لها حق الاختيار!!. ولكونه أباً فهو يحفظ حق الاعلان

عن الخاطبين لابنته وتعريفها بهم!!. انها دروس للامة كي تتعلم ماينبغي القيام به في هذا الشأن كي تعرض عن الجاهلية وسبلها الظالمة.

العوامل المؤثرة في اختيار الزوج

كلنا يعلم ان الزواج هو عملية ارادية اختيارية انتقائية حيث ان الرجل ينتقي من النساء من تكون مواصفاتها ضمن ما يريده ويرغب فيه، وهو لما يتقدم لخطبة امرأة فانه يعلن عن رغبته في الزواج من امرأة من النساء اختارها لمزايا معينة.

نفس الشيء يقال عن المرأة، إذ إنها حينما تختار شخصا ما أو توافق على الطارق الذي يطرق باب حياتها فانها لابد وان تختاره وفق آليات معينة.

وهناك عوامل عدة تؤثر على نمط الاختيار منها البيئة والوضع الاسري والاجتماعي والديني وتلعب وسائل الاعلام دورا كبيرا وخطيرا ايضا في شكل هذا الانتخاب فقد تُطرح نماذج معينة قد لا تتناسب مع ثقافتنا واوضاعنا الاجتماعية.. كما انها تُسهم في غرس صورة خاصة تعتمد الاثارة والاغراء مع خواء الباطن وافول الوعي وتصدع الاخلاق فيصطدم الطرف بأنه وقع في ماء آسن!! فيبحث عن حل وعن وسيلة للخلاص وفك ارتباطه بالطرف الآخر، ولهذا يرتفع معدل الطلاق في المجتمع الحديث ويثقله بالمشكلات الخطيرة.

وتأتي الاعراف والتقاليد لتلعب دورا في عملية الاختيار فقد يكون هناك

الزام بالزواج من بنت العم رغم عدم وجود التوافق بين الشخصين أو عدم تزويج البنت الصغرى قبل الكبرى وقد تكون الكبرى نفسها غير راغبة بالزواج فتؤخر الاخريات.. وهناك انماط من الزواج غير صحيحة ولكنها رائجة كزواج الشغار وزواج الفصل حيث تؤخذ البنت مقابل دية القتيل، أو يتم نذر الفتاة منذ الصغر للزواج من شخص ذي سمات خاصة والنذر بحد ذاته حرام لانه دون اذن الفتاة وبهذا تعطل حياة الفتاة اذ قد لا يأتي هذا الشخص ابدا.. ولا ننسى الفوارق العمرية والاجتماعية، وقد تكون هناك اعراف تعتمد ثقافة الصورة دون الاهتمام بالجوهر.. وهناك مشترطات خاصة لبعض المجتمعات فنحن نرى ان المجتمع الافريقي مثلا يشترط سمن الفتاة ووزنها الثقيل في حين ان الصورة معاكسة تماما لذلك في المجتمع الايراني والاوربي.

وتؤثر ثقافة المجتمع على الاختيار وعلى نمط المعيشة وعلى مقدارالمهر.. وتأتي الثقافة الدينية لتكون صاحبة الثقل الاكبر في تحديد الدين والاخلاق ورسم المهور واباحة الزواج من افراد وتحريم غيرهم حسب الطوائف والاديان.. وقد تُخترق كما في المجتمعات المختلطة الاديان فأحيانا تقبل الفتاة المسلمة بالزواج من غير المسلم لوجود علاقة ما أو رغبة رغم ان هذا الزواج بحد ذاته حرام اصلا لكن العذر المقدم انه يسجل في المحاكم المدنية!.

فالعوامل المؤثرة على عملية الاختيار كثيرة وهي تبدأ من الوالدين وتنتهي بالشارع والمجتمع الكبير، فالوالدان هما مبدأ الموافقة والمباركة وتؤثر

طبيعة العلاقة بينهما ونظرهما للآخرين حسب الطبقات والمذاهب والمشاغل والعوائل، فكثير من الآباء يرفض زواج الاقارب أو من كان ابوها كذا أو من المنطقة كذا والعشيرة كذا وهذه تلعب كعوامل مجتمعة مؤثرة على نمط الاختيار كذلك طريقة الوالدين في اعطاء الرأي للبنت ومستوى التحدي عند البنات للآباء حسب العلاقات الموجودة بين الاطراف فكلما زادت المحبة والمشاورة والاحترام والتقدير كانت النتائج افضل لهذا الزواج... وقد لا تشجع الاعراف على زواج الاولاد بمخالفة الآباء بل تدعو الى تطييب الخواطر والاقناع الصحيح بالنسبة للآباء ونجد حرص الشريعة على حفظ ولاية الاب على ابنته الباكر في الزواج لكونه اعرف بالرجال واكثر خبرة بالمجتمع بما يمتلكه من تجارب ووعي..

وفي إحدى الدراسات التي اجريت على ٤٩٢ شابا جامعياً أشار ٧٠% إلى انهم تأثروا بوالديهم في اتخاذ قراراتهم وكانت النسبة عند البنات أعلى منها عند الأولاد. وكشفت دراسات أخرى وجود دوافع شعورية ولا شعورية عند البنات لاختيار أزواج شبيهين بآبائهن، وعند الأولاد لاختيار زوجات شبيهات بأمهاتهم، اللاتي أعجبوا بشخصياتهن وبأدوارهن في الأسرة.

كما يلعب الاصدقاء دوراً كبيراً في التأثير على عملية الاختيار عن طريق التشويق والتعريف والتأثير الذي قد يسلب الشباب مشاعرهم عند الاستشارة.

ولا ننسى ان العامل الأهم في الاختيار نفسه هو شخصية الزوج والزوجة، فكلما كانت هذه الشخصية اكثر نضوجاً ووعياً كلما كان الاختيار سليماً اكثر وكلما ازداد الوعي بمكانة الطرف الآخر وحقوقه كلما ارتسمت معالم النجاح في الزواج الجديد.. اما اذا كانت الشخصية ضعيفة وتتأثر بآراء الآخرين وأفكارهم وغير قادرة على تبني مواقف متزنة فالزواج يكون مهددا بالفشل.

وتلعب الظروف الاقتصادية دورا كبيرا في تشجيع الشباب على الزواج أو على البقاء في مدار العنوسية، فقد تكون ظروف البلد من الضيق الاقتصادي بحيث يقع الشاب بين امر الزواج مقرونا بالتيسير لهبوط القدرة المالية وهو امر حصل في كثير من البلاد التي تعيش ازمات اقتصادية.. وهنا يحاول علماء الدين والمؤسسات الاجتماعية تسهيل الزواج عبر المعونات والحفلات المشتركة وتخفيض المهور الى غير ذلك.

ويطرح علماء الاجتماع عدة انماط من الزواج ولكن الانجح هو مايقدمونه في نظرية التجانس والتي ترتكز على فكرة أن الشبيه يتزوج بشبيهه، (وأن التجانس هو الذي يفسر اختيار الناس بعضهم لبعض كشركاء في الزواج، أي تشابه وتجانس في الخصائص الاجتماعية العامة والسمات الجسمية، أي يكون هناك تشابه بين الشريكين في الدين، والعرق، والمستوى الاجتماعي، والاقتصادي وفي السن، والتعليم، والحالة الزواجية).

ويمكن تعريف الزواج المتجانس بأنه ميل الناس شعورياً ولا شعورياً

لاختيار شريك تتشابه خصائصه مع خصائصهم. ويرتبط النجاح الزواجي بمدى تقدير الفرد لمسائل الدين والقيم الرفيعة مضافا الى نمط الاهداف التي يحملها الزوجان في حياتهما العامة وكلما كانت الاهداف اكثر تقاربا كلما كانت العلاقة بين الزوجين اكثر نضجا واستمرارا وثمارا وكانت الاقدر على اجتياز الازمات والعوائق التي تقف في طريق استمرار الزواج أو الشعور بالسعادة فيما بينهما.

بهذا يكون المهم في الزواج تحقيق اكبر قدر من التوافق الزوجي والذي يمثل محطة عبور نحو الآخر مما يسهل عملية التكيف بكل أنواعه بين الزوجين.

أنماط الإختيار الزواجي

على هذا الاساس هناك جملة عوامل مؤثرة في اختيار شريك الحياة فقد تكون اجتماعية أو نفسية أو عاطفية أو أسرية وهذا من ثم مما يعرفنا بأنماط الخيارات المتاحة في اختيار الزواج.. وأشهر ذلك حاليا هو الاختيار العاطفي الذي يقوم على الرغبة العاطفية ليس اكثر دون الاهتمام بالعوامل الاخرى، وقد لايوافق الآباء على هذا الزواج الذي لا يقوم على العقلنة بل على التموجات العاطفية الامر الذي يعمق الصراع بين الاجيال، والاعلام هو الذي ركز فكرة الغرام والحب قبل الزواج وأعطى قدسية للعلاقات غير السليمة بين الجنسين وهو الذي يقدم نتائجه الاعلامي الكثيف الذي يدور حول نقطة واحدة الا وهي العلاقات العاطفية بين الجنسين ضاربا عرض الحائط كل القيم والاخلاق والاوامر الالهية الامر الذي ادى الى ايجاد تحدِ

للآباء، اذ عادة ما يكون الطرف هنا شديد العناد والدفاع عن شريكه المنتخب، وهناك تهديد دائم اذا لم تتم الموافقة!! والاحصائيات المعاصرة تشير الى ان نصف حالات الزواج (الاعمى) الذي تكون فيه العاطفة بمفردها هي سبب الاختيار ينتهي بالفشل والطلاق!!. والمشكلة هنا ان الازواج لايفرقون بين الحب كعاطفة عابرة وبين الزواج كمسؤولية ولهذا تنهار التوقعات بعد الزواج فالعاطفة غير المحكمة مصيرها الافول وعدم الثبات. يقول احد علماء النفس وهود. جورج تابوري:

ربما يحتاج الانسان الى نصف قرن آخر من الزمن حتى يعي تماما ان الحب ليس مهزلة على الاطلاق، وانما هو سعي جاد وحثيث للاندماج عقليا وروحيا ونفسيا مع الطرف الآ خر، وتحقيق ذاته من خلال ذلك.

عكس ذلك النمط العقلاني الذي يدخل ألغازاً حسابية ومعادلات رياضية لا تقيم وزنا للعلاقات العاطفية والخصائص الذاتية المتجاوبة مع المشاعر والانفعالات وهنا تكون الحياة جدباء صحراء لا تشعر فيها بحياة..

وهناك النمط المصلحي في الاختيار والمصالح متعددة كالمصالح المادية اذ يقبل الشاب على فتاة لمجرد كونها بنت ثري أو انها تمتلك رصيدا ضخما في البنوك.. واحيانا يكون الزواج لمصالح سياسية أو حكومية الى ماغير ذلك.. واذا لم يحقق صاحبه المصلحة التي ابتغاها من خلال هذا الزواج فإنه يتصدع بشكل أو بآخر.

وفي بعض الأحايين يِسلب حق الاختيار بشكل أو بآخرمن العروسين

فقد يكون الزواج تابعا لتخطيط وارادة الاسرة لا الشباب انفسهم فهؤلاء ينفذون ويطيعون وهنا تسقط كل ارادة للازواج ويشعرون انهم لا وزن لهم.. كافتراض زواج بنت العم لابن عمها أو زواج البنت من ابن خالها الذي قام بتربيتها بعد رحيل ابيها حتى لو كانت الفتاة كارهة لابن خالها اصلا ولكن لا رأي هنا.. وهذا هو النمط الاسري والعشائري.

وأحيانا تلعب الظروف الاجتماعية دورا في الاختيار من خلال انماط غير متوازنة من الاختيار فالفتاة التي تعيش تحت رحمة أب يضطهدها أو زوجة أب ظالمة ترضى بالزواج من اي قاصد يطرق بابها دون وعي؛ حيث تنظر إليه كمحررلها لكنها قد تقع تحت نماذج اخرى من الظلم بسبب عدم اتباع آليات سليمة في الاختيار.. ونفس الشيء يقال عن الفتاة التي فاتها القطار فإنها تتسرع بعد الرفض المتكرر للخاطبين فتتزوج من اول طارق جديد لها خوفا من فوات القطار.

وهناك نمط اختيار يقوم على الصورة والمظهر مسقطا كل الاعتبارات الاخرى. والمشكلة هنا ان الصورة لا تدوم على حال ويفترض ان يدوم الزواج رغم كل حال!!.

وهناك شكل آخر من الاختيار يقوم على تحكيم رأي الدين الذي يهتم بالجوهر بالدرجة الاولى مع اهتمام بالصورة والمظهر بشكل معقول اضافة الى تبني الخلق الحسن والاعراق الطيبة.

فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إذا جاءكم من

ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلاّ تفعلوا ذلك تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[١].

والصحيح ان يكون نمط الاختيار متكاملا يقوم على الدين والاخلاق والصورة الجمالية ورضا الوالدين وقبول الاسرة والنظر الى المستقبل البعيد برؤية عقلانية تجمع مشاعر الود والامل في تحقيق الهناء الزوجي. وقد يتصور البعض ان هذا الامر صعبٌ ولكن عند التأمل نجد أن كثيرين من أصدقائنا قد وفّقوا لهذا الاختيار.

ونعود الى الآليات التي اتبعتها الزهراء عليها السلام في اختيار شريك حياتها فقد تزوجت من اول القوم إسلاما وأعظمهم شأنا وهو سيف الله المسلول وخير البرية.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: زوجتك يا بنية أعظم الناس حلماً، وأقدمهم سلماً وأكثرهم علماً[٢].

وعن سلمان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أول هذه الأمة وروداً على الحوض أولها إسلاماً علي بن أبي طالب عليه السلام وجاء أنه لما زوجه فاطمة قال لها: زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة وإنه لأول صحابي إسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً[٣].

(١) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٧٦ ب٢٨ ح٢٥٠٧٣.

(٢) (الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ١ ص ١٠٨).

(٣) (وفي السيرة الحلبية للحلبي، ج١ ص٤٣٢).

تزوجت الزهراء عليها السلام من عليّ عليه السلام الذي جمعها وإياه مربٍ واحد وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو القائل:

أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسوت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسُّني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يُلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا غلطة في فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتِّباع الفصيل أثر أُمه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علَماً ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة. وأشم ريح النبوَّة"[1].

والإمام علي بن أبي طالب غني عن التعريف فقد عاش مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيته منذ كان صغيرا وهو أول من أسلم وكان عمره ثماني سنوات فقط ولم يسجد لصنم قط ونزلت فيه ثلث آيات القرآن منها المباهلة والدهر والولاية وغيرها.

لقد عاش مع الزهراء عليها السلام في نفس البيئة ابتداءً من مكة ثم الى

---

(١) (نهج البلاغة خطبة ١٩٢).

المدينة. وعاش عليّ هَم الدفاع عن الاسلام وعن شخص الرسول منذ نعومة اظفاره.

وعاش نفس الهدف والهم وهو هم الرسالة وهدف نشرها وحمايتها حتى فداها بنفسه واهله وولده.

وقد أشار عليّ الى ذلك في مواضع كثيرة، ففي الاحتجاج: روى أبو عبيدة قال: كتب معاوية إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام: إن لي فضائل كثيرة كان أبي سيدا في الجاهلية وصرت ملكا في الاسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وخال المؤمنين وكاتب الوحي.... فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أبالفضائل يبغي علي ابن آكلة الأكباد؟ اكتب إليه يا غلام:

محمد النبي أخي وصنوي ... وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يمسي ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أمي

وبنت محمد سكني وعرسي ... مسوط لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيكم له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الإسلام طرا ... غلاما ما بلغت أوان حلمي

وصليت الصلاة وكنت طفلا ... مقرا بالنبي في بطن أمي

وأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خم

فويل ثم ويل ثم ويل ... لمن يلقى الإله غدا بظلمي

أنا الرجل الذي لا تنكروه ... ليوم كريهة أو يوم سلم

رواه الطبرسي في أواخر عنوان: "احتجاجه عليه السلام على معاوية في جواب كتبه إليه" من كتاب الاحتجاج: ج ١، ص ٢٦٥.

وللأبيات مصادر كثيرة يقف الباحث على عدة منها في كتاب الغدير: ج٢ ص٢٥ ط٢).

علي والزهراء عليهما السلام كلاهما اخذا العلم من معين واحد وعاشا تربية واحدة ورغم زواجهما وانفصالهما عن البيت الاصلي الذي تربيا فيه الا ان التواصل بقي الى آخر لحظات الحياة.

ولهذا كانت نسبة التوافق الزوجي عالية اذ كان هناك توافق ديني من حيث العقيدة ووحدة الهدف وكان هناك توافق اجتماعي من حيث البيئة والمجتمع بل ومن نفس القبيلة والمهاجرة وكان هناك توافق نفسي اولي فهناك معرفة اولية والاهداف واحدة وكان هناك توافق اخلاقي حيث كان كلاهما صورة عليا كاملة للاخلاق الاسلامية الحميدة.

الزواج في رحاب الدين

يعدّ الدين اهم العوامل المؤثرة في الاختيار الانسب لشريك الحياة.. فالدين يحدد الدوائر المحرمة والمحللة في التزاوج ثم انه يؤكد على مواصفات معينة فيقدم نصائح اولية تدعو الى الزواج بمن تمتلك مواصفات معينة اهمها (ذات الدين) والابتعاد عن (خضراء الدمن) والنهي عن (الزواج من المشركات حتى يؤمن) ويسهل عوامل كثيرة هي اليوم تبدو بمثابة عوائق على

طريق الزواج كالعامل الاقتصادي ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٢). ويدعو الاسلام الى تزويج.

وفي الحديث (تخيروا لنطفكم فإن العِرق دساس)[١].

وجاء رجل الى الامام العسكري (عليه السلام) يستشيره في زواج ابنته، فقال (عليه السلام): «زوجها من رجل تقي؛ فإنه إنْ أحبها أكرمها. وإن أبغضها لم يظلمها»[٢].

وبإسناده قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) خطيبا فقال: أيهاالناس إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء[٣].

وحذّر الاِمام الصادق عليه السلام من تزوج المرأة المستعلنة بالزنا وعن تزويج الرجل المستعلن بالزنا حيثُ قال عليه السلام: «لا تتزوجوا المرأة المستعلنة بالزنا، ولا تزوجوا الرجل المستعلن بالزنا إلاّ أن تعرفوا منهما التوبة»[٤].

وروى الإمام الصادق عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل نساء امتي أصبحهن وجها وأقلهن مهرا»[٥].

---

(١) (الكافي، للكليني ٥: ٣٣٢ / ٢).

(٢) (مكارم الاخلاق: ٢٠٤).

(٣) (الكافي ٥: ٣٤٢ / ١ باب ان المؤمن كفؤ المؤمنةص ٣٣٢ ح٩٤٩٤– ٤).

(٤) (مكارم الاخلاق: ٣٠٥).

(٥) (مكارم الأخلاق: ١ / ٤٣٩).

وجاء رجل الى الامام الصادق (عليه السلام) يستشيره في زواج ابنته لأحد أقاربه وكان سيّئ الخلق، أيزوجه ام لا؟ قال (عليه السلام): «لا تزوجه ان كان سيّئ الخلق»[١].

وحذّر الإمام الصادق عليه السلام من تزويج شارب الخمر فقال: «من زوّج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها»[٢].

وان (شارب الخمر لايزوج اذا خطب»[٣].

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اختيار الزوج الكفؤ وعرّفه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الكفؤ أن يكون عفيفاً وعنده يسار»[٤]. الكفء في اللغة هو النظير المساوي).

وفي الحديث: اذا خطب اليكم كفو فزوجوه[٥] ويشير هذا التكافؤ بالمماثلة في الايمان والتقوى والطهارة والعفاف لا في المال والثروة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اذا جاء كم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه»[٦].

وعن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى،

---

(١) (مكارم الاخلاق: ٢٠٤).

(٢) (وسائل الشيعة ٢٠: ٧٩. الكافي ٥: ٣٤٧ / ١ باب ٢٩).

(٣) (وسائل الشيعة: ١٤ / ٥٣ ح٢).

(٤) (الكافي ٥: ٣٤٧ / ١ باب الكفؤ).

(٥) (الوسائل ج١٤ ص٥٠-٥٢).

(٦) (الكافي ٥: ٣٤٧ / ٢، ٣).

عن عبدالله بن مسكان، عن بعض أصحابه قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنما المرأة قلادة فانظر إلى ماتقلده، قال: وسمعته يقول: ليس للمرأة خطر لالصالحتهن ولا لطالحتهن أما صالحتهن فليس خطرها الذهب والفضة بل هي خير من الذهب والفضة وأما طالحتهن فليس التراب خطرها بل التراب خير منها[1].

وتذهب الدراسات في علم النفس الحديث الى ان تدين الرجل والمرأة من أهم عوامل نجاحهما في الحياة الزوجية واستقرارهما الاسري حيث تبين ان نسبة الطلاق عند الازواج المتدينين أقل منها عند غير المتدينين وقد أرجع هذا إلى أن التدين يدفع الى حسن الخلق مع الأهل والناس، وإلى التمسك بالقيم والأخلاق ويعزز الشعور بالتقوى والخوف من الله لا فقط من الناس والمجتمع.

ولهذا نجد النهي عن الزواج من غيرالمسلمة قال تعالى:

﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٢١) سورة البقرة

وهذه دائرة ثابتة لا يمكن اختراقها فالحلال والحرام مسألة ثابتة غير متأثرة بالعواطف والرغبات، وذلك للآثار السلبية التي يتركها هذا الزواج

(١) (الكافي ٥: ٣٤٢ / ١ باب ان المؤمن كفؤ المؤمنة ص٣٣٢ ح -٩٤٩١- ١).

على مستقبل الابناء والازواج على حد سواء، وسمعنا وشاهدنا الكثير من الذين تزوجوا من مشركات فكان ان اولادهم لم يتبعوا دينهم بل دين امهاتهم!!حيث ان الام اكثر احتكاكاً بالاولاد واكثر تأثيرا عليهم والاطفال اكثر انصياعا لامهاتهم خلال السنوات الاولى مضافا الى ذلك كله انشغال الآباء عن أبنائهم وعن متابعة شؤونهم والاهتمام بتربيتهم، وتساعد قوانين الدول الاجنبية – التي تعطي الحضانة كلها للام بشكل يحرم الآباء من كل رعاية للابناء في حالة الانفصال – على إبعاد الابناء عن كل تعلقات دينية مع الاباء.. و يؤدي الزواج من امرأة مختلفة في الدين والثقافة الى تعب جميع الاطراف واضطراب الاسرة بشكل يجعل الفرد بين خيارات قاسية للغاية ويعود السبب في ذلك كله الى اختلاف الثقافة التي يعطيها الاسلام للفرد واستتباعات هذه الثقافة في الطهارة وعدم اكل المحرمات وفي حدود لباس المرأة واداء العبادات الى غير ذلك..

وشجع الاسلام على اختيار الزوجة الصالحة قال تعالى:

﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور ٢٦).

وقال ايضاً:

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ (البقرة ٢٠١).

فالزوجة الصالحة حسنة لما تضفيه على العلاقة الزوجية من امور حسنة.

قال الامام الصَّادق عليه السلام: ثلاثة من السعادة: الزوجة المؤاتية،

والأولاد البارّون، والرجل يرزق معيشه ببلده يغدو إلى أهله ويروح[١].

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما استفاد امرؤ فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله»"[٢].

وعن الحسين بن بشار الواسطي قال:

كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام أسأله عن النكاح فكتب إلي من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته فزوجوه " إلا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير[٣].

ان الدين يجعل الشخص اكثر رضا عن حياته الزوجية عن طريق تفويض الامور الى الله والتوكل عليه والتحلي بفضائل الاخلاق كالقناعة والصبر وحسن الخلق كما ان الدين يدعو الى النظر في عواقب الامور والازمات من خلال العوامل النفسية والروحية وليس فقط الى العوامل الاقتصادية أو الاجتماعية الظاهرة. وتبدو مسألة القيم والاتجاهات مهمة لانها تؤثر على اتجاه الاهداف عند الزوجين كما تسهم في توجيهها نحو مسار واحد.

على هذا فالدين له دور كبير في:

١ - إن الإسلام يرى ان قضية اختيار كل قرين لقرينه هي محك سعادة

(١) (الكافي ج٥ ص٣١٠ ح٢٦).

(٢) الكافي ج٥ ص٣٢٧.

(٣) (نفس المصدرص٣٤٧ح٩٥٣٨-١).

أو شقاء الاسرة ومن ثم وضع ضوابط لعملية اختيار الازواج من خلال الآليات التي طرحها والدوائر المحرمة والمحللة فهناك خطوط حمراء يجب الوقوف عندها وبهذا يحمي الاسرة الجديدة من كل ما يوثر مستقبليا على افرادها وانتماءاتهم ودينهم ومسارهم الاجتماعي.

٢ - كما أن الإسلام يتخذ موقفاً وسطاً فيما يتعلق بأسلوب الاختيار في الزواج فمن المعروف ان الإسلام يسمح للأهل بالتدخل في الاختيار مع مراعاة ان الأبناء يحتفظون بحريتهم في الاختيار.. فأعطى البنت حق الاختيار وإبداء الرأي فيمن يتقدم طالبا يدها بالقبول أو الرفض لكنه جعل ايضا للاب ولاية على البنت الباكر كي يتحمل الآباء مسؤولياتهم تجاه البنات لكنه مع ذلك اعطى للمرأة الراشدة الحق في ان تزوج نفسها دون اذن ابيها. اضافة لذلك فقد الغى كل ولاية اخرى على الفتاة دون ذلك صيانة للفتاة نفسها من تدخل الآخرين حتى لو كان الاخ الاكبر!!.

٣ - اضافة الى ذلك فإن الانسان وان كان حرا في الزواج أو العزوبية الا ان الاسلام جعل الاختيار بين الاثنين امرا بعيدا اذ جعل الزواج سنة والعزوبية ابتعاد عن السنة وان العزاب هم شرار الأمّة!!- كي يفكروا في الزواج-... عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله تعالى من التزويج»[1].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٣٨٣.

٤ - كما ان كل الاعمال المقدمة في الحياة الزوجية مربوطة بالثواب والعقاب فالزواج عبادة وسنة وركعتان يصليهما المتزوج تعادل ٧٠ ركعة للأعزب!!، كما ان الطلاق أبغض الحلال...

وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يؤتى بالرجل من أمتي يوم القيامة وماله من حسنة تُرجى له الجنة، فيقول الرب تعالى: أدخلوه الجنة، فإنه كان يرحم عياله[١].

وقال ايضا: ان الرجل اذا سقى امرأته أُجر[٢].

وهذه دعوة الى المشاركة والتعاون حتى في أصغر الامور كشرب الماء وهذا العمل في حدّ ذاته عبادة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ايضا: من ضرب امرأة بغير حق فأنا خصمه يوم القيامة، لا تضربوا نساءكم فمن ضربهم بغير حق فقد عصى الله ورسوله[٣].

وقال ايضاً: من كان له امرأة تؤذيه، لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وان صامت الدهر... وعلى الرجل مثل ذلك من الوزر والعذاب اذا كان لها مؤذيا ظالما[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «من صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها

---

(١) (تاريخ بغداد: ج٣ ص٣٣٠ رقم ٨١٩ عن علقمة بن عبد الله).

(٢) (مسند ابن حنبل: ج٦ ص٨٥ ح١٧١٥٥).

(٣) (الريشهري، تهزيز الاسرة نقلا عن ارشاد القلوب ص١٧٥).

(٤) (البحار ج٧٦ص٣٦٣ح٣٠).

مثل ثواب آسيا بنت مزاحم»"[١].

٥ – التعريف بحقوق كلا الطرفين وهذا يسهم في زيادة الاهتمام بالطرف الآخر ورعاية الحقوق (لأنها الهية) اضافة الى تعريف الافراد بما لهم وما عليهم، الأمر الذي يلزم كل طرف عند حدوده مما يسهم الى حد بعيد في صيانة الاسرة.

أَلا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ أَلا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ[٢].

٦ – كما ان التدين يعزز من وجود المقومات الاخلاقية للزواج من قبيل القناعة والوفاء والكرامة وتجنب الغضب والسخط وحفظ الاسرار الزوجية، الامر الذي يزيد من نسبة الرضا عن الزوج والحياة الزوجية. وهو من عوامل ديمومة الزواج.

٧ – كما أن التدين يسهم في الاقلاع عن السلوكيات المهدمة للأسرة مثل الزنا وشرب الخمر. وقد ازدادت في اوربا نسبة زواج اوربيات –لم يكن مسلمات اصلا– من مسلمين والسبب يعود الى ان الاسلام يمنع السلوكيات الخاطئة كالزنا والخيانة الزوجية مما يعزز الشعور بالامان.

٨ – كما يسهم التدين في التخلص من كثير من الاضطرابات النفسية بما

---

(١) مكارم الاخلاق ص٢١٤.

(٢) (سنن الترمذي ج٣ص٤٦٧ح١١٦٣).

يقدمه من دعم نفسي ومعنوي مضافا الى الرعاية، الامر الذي يسهم في تقوية الصحة النفسية لدى الافراد وتوجيه الشخصية نحو التوازن بعيداً عن الاكتئاب والقلق.

٩ - ويسهم التدين في تقوية مهارات حلول المشكلات والابتعاد عن اليأس والقنوط، كما يضاعف نسبة الامل بالحياة والزواج من خلال تقوية الثقة بالله تعالى ومن ثم سوف تسهم هذه الثقة في زيادة الثقة بالنفس والصبر على المشكلات.

مضافا الى فوائد عديدة وكثيرة وبهذا يكون الدين حصنا امينا للزواج يحول دون انهياره ويسهم في تطييب الخواطر اذا ما ادلهمت الخطوب.

فلسفة المهر في الاسلام

سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام: «هل عندك شيء؟» وكان لا يملك غير سيفه ودرعه وناضحه.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأمَّا سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه حلَّك في سفرك، ولكنِّي رضيتُ منه بالدرع»[1].

فباعها وباع أشياء غيرها كانت عنده، فاجتمع له منها أربعمائة درهم، فكان هذا مهر فاطمة.

---

(١) (كشف الغمة: الاربلي ٣٦٨: ١. الطبراني المعجم الكبير: ٢٢: ٤٠٩/ ١٠٢١).

وجاء علي عليه السلام بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان، وكان اربعمائة درهم سود هجرية، فقبض الرسول (صلى الله عليه وآله) الدراهم وأعطاها لبعض اصحابه ونسائه ليشتروا متاعا للبيت الجديد، فكان الجهاز:

«١ – قميصاً بسبعه دراهم. ٢ – خماراً بأربعه دراهم. ٣– قطيفة سوداء خيبرية. ٤ – سريراً مزملاً بشريط. ٥ – فراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جز الغنم (صوف). ٦– أربعة مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر. ٧– ستراً من صوف. ٨– حصيراً هجرى. ٩– رحاءَ اليد. ١٠ – سقاءً من أدم. ١١ – مخضباً من نحاس. ١٢ – قعباً للَّبَن. ١٣ – شنّاً للماء. ١٤ – مطهرةً مزفَّتة. ١٥ – جرَّةً خضراء. ١٦ – كيزان خزف. ١٧ – نطعاً من أدم. ١٨ – عباءً قطراني. ١٩ – قربة ماء».

وقد ورد في الطبقات(١) انه كان جهاز فاطمة كما بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان لها غير سرير من جريد النخل، وسادة من أدم حشوها ليف، ومنخل ومنشفة، ورحى للطحن، وجرّتان وقميص، وخمار لغطاء الرأس، وثوب له زغب، وعباءة قصيرة بيضاء، وجلد كبش..

ان الجاهلية كانت ترى ان المهر لاسرة الفتاة – لا للفتاة – نفسها ولهذا يقولون عند ولادة الطفلة بما ورد في تفسير الكشّاف وغيره: أنّه حين كان يولد لأحدهم فتاة ويريد آخر أن يهنّئه يقول له: (هنيئاً لك النافجة) أي الزيادة في الثروة، يقصد أنّها ستجلب له مالاً حين تشب وتتزوّج ويدفع له مهرها.

---

(١) (الطبقات الكبرى ٨: ١٩).

هـذا مـضافا الى ان الجاهلية كانـت موبـوءة بكـثير مـن العـادات الظالمـة كظاهرة ارث النساء كرها وذلـك مـن قبـل ابنـاء الـزوج أو اخوتـه أو اللجـوء لزواج الـشغار خلاصـا مـن المهـر (وللاسـف فـان هـذه الظـاهرة موجـودة في عصرنا الحالي).

يقول القرآن الكريم ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾ النساء ٤.

والصدُقة بضم الدال مشتقة من مادة صـدق بمعـنى انـه الـدليل الـصادق على حب الرجل للمرأة وسعادته بالارتباط بها فهي هدية حب صـادقة وهـي خاصة خالصة للمرأة كما يذهب لذلك عموم علمائنا ومراجعنا.

وقد يكون المهرعبارة عن هدية مالية وقد يكون هدية منفعة كما حـدث في عصر الاسلام الاول فقد كان مهر بعض المسلمات هو تحفيظ النساء لسور من القرآن أو تعليمهن ذلـك، وفي عـصرنا الحـالي يتنـوع بـين الامـر المـادي أو المعنوي كأن يجعله البعض سفرا للحج الى غير ذلك.

والاولى ان نتعرف على فلسفة المهر من خـلال كـلام علمائنـا الاعـلام حيث يقول مرتضى مطهري في كتـاب نظـام حقـوق المـرأة في الاسـلام تحـت عنوان الفلسفة الحقيقية للمهر:

إنّ المهر – في رأينا – قد وجد نتيجة تدبير ذكي في أصل الخلقة من أجل تمتين علاقة المرأة بالرجل وتماسكها. وُجد المهر لأنّ دور كل من المرأة والرجل في مسألة الحب مختلف في أصل الخلقـة فـأنّ مـشاعر المـرأة والرجـل تجـاه كـل

منهما ليست متشابهة. فعادل ضعف المرأة في مقابل قوّة الرجل بهذه الطريقة، وهكذا نجد الرجل هو الذي يذهب لخطبة المرأة، وكما رأينا من قبل طبقاً لأقوال علماء الاجتماع في مرحلة سلطة الأم كما في مرحلة سلطة الأب أنّ الرجل هو الذي يبحث عن المرأة.. اضطر الرجل إلى إظهار حاجته إلى المرأة والمبادرة إلى جلب رضاها، وكان من هذه المبادرات - من أجل جلب رضاها واحترام رغبتها - أن يقدّم لها هدية.

وللمهر جذر مشترك مع حياء وعفّة المرأة، فقد أدركت المرأة بإلهام فطري أنّ عزّتها واحترامها يقضيان بأن لا تسلّم نفسها للرجل مجّاناً: أي - كما يصطلح عليه - أن تعرض سلعتها بثمن غال. وقد أدّى ذلك كلّه إلى أن تستطيع المرأة - مع ضعفها الجسمي - جرّ الرجل إلى ساحتها خاطباً، وتدفع الرجال إلى التنافس من أجلها، كما أنّها - بإخراج نفسها من متناول يد الرجل - صنعت الحب الرومانتيكي فصار كل مجنون يعدو خلف ليلاه، وحين ترضى بالزواج من الرجل تتسلّم منه هدية دليلاً على الصداقة.

ويضيف:

المهر بهذه الصورة هو إبداع الخلقة، ودور القرآن إنّما هو إعادة المهر إلى حالته الفطرية.

يقول القرآن الكريم بلطف وظرف منقطعي النظير: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[1]، أي أعطوا النساء مهورهن - التي هي ملك لهن -

---

(١) (الطبقات الكبرى ٨: ١٩).

بأيديهن لا بأيدي الآباء أو الإخوة. إنّها هداياكم إليهن.

والقرآن الكريم في هذه الجملة القصيرة أشار إلى ثلاث نقاط:

أولاً: سمّى المهر (صدقة) بضم الدال والصدقة مشتقة من مادة (صدق) ولذا يسمّى المهر صداقاً أو صدقة لدلالته على صدق العلاقة مع الرجل، وقد أشار إلى هذه النقطة بعض المفسّرين كصاحب الكشّاف، وكذلك أورد الراغب الأصفهاني في مفردات غريب القرآن أنّ الصدقة (بفتح الدال) سمّيت كذلك لأنّها دليل على صدق الإيمان.

ثانياً: بإلحاق ضمير (هنّ) بالصدقات أراد عزّ وجل أن يشير إلى تعلّق المهر بنفس المرأة لا بالأب والأُم؛ لأنّ المهر ليس أجرة التربية والإرضاع والإطعام وغيرها من الخدمات التي قدّماها.

ثالثاً: إنّه باستعمال كلمة (نحلة) يصرّح بوضوح أنّ المهر ليس له عنوان غير الهدية والمنحة فحسب.

وألغى القرآن الكريم كل عادة تستوجب تضييع مهر النساء، ومن جملتها أنّ الرجل كان حين يفقد ميله إلى زوجته فإنّه يضايقها ويؤذيها قاصداً بأذيّتها أن ترضى بالطلاق وتعيد إليه كلاً أو قسماً ممّا كان قد وهبها من المهر، يقول القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾[١].

ومن هذه العادات - أيضاً - أنّ رجلاً مثلاً يتزوج من امرأة ويجعل لها مهراً غالياً، وحين يملّها ويشتاق إلى الزواج من أخرى، يتهم الأُولى بالفحشاء

(١) سورة النساء، الآية ١٩.

ويلوّث سمعتها ويدّعي - لذلك - أنّ هذه المرأة لم تكن لائقة بالزواج منه أصلاً ويجب فسخ عقد الزواج، ويطالب باستعادة قيمة المهر الذي وهبه لها عند الزواج، وقد ألغى القرآن الكريم هذه العادة ومنعها(١).

في النظام الغربي المعاصر تبدأ علاقات الحب والغرام بتقديم هدايا ولايوجد مهر للمرأة!! بل انها محرومة حتى من النفقة بعد الزواج فهي تستمر في الانفاق على نفسها وربما على زوجها ايضا!!وبهذا فلا فارق في وضعها المالي قبل وبعد الزواج!! وقد حاول الغربيون ايجاد لوائح قوانين تصون الحقوق المالية للمرأة لكنها مازالت متعثرة.

على هذا كان لابد لعلي عليه السلام كتعبير عن رغبته في الزواج بابنة المصطفى ان يقدم المهر لعروسه ورغم انه لم يكن ميسور الحال الا انه اضطر من اجل تأمين المهر المتواضع للزهراء الى بيع درعه، وتقبل والد العريس المهر المتواضع فأعطاه لمن يستطيع شراء متطلبات الحياة الجديدة وهذا المهر المتواضع للزهراء عليها السلام كان قد اصبح سنة حتى عصرنا الحالي.

غلاء المهور.. مصائب ام فوائد؟

لعل واحدة من اخطر الظواهر الموجودة حاليا في مجتمعاتنا هي مشكلة غلاء المهور، فهناك تباهٍ في قيمة المهر بالنسبة للاسرة والازواج والنساء ايضاً!! وكأن ارتفاع المهر مفخرة لابد من التباهي بها!!.. ويعتقد بعض الآباء ان المهر العالي يمثل حصانة للمرأة عن الانفصال عن زوجها ولهذا فكلما كان عاليا

(١) (مرتضى مطهري في كتاب نظام حقوق المرأة في الاسلام بتصرف ص٢٢٤-٢٣٤).

كلما كان افضل من حيث انه سبب لارتفاع مؤشر الشعور بالامان لدى الزوجة!!.. لكن الواقع المعاصر يعكس غير ذلك تماما فان ارتفاع نسبة الخلع عند النساء والذي يكون في غالب الاحيان عبر تنازل الزوجة عن المهر لكي يجبر الزوج على البوح بكلمة الطلاق.. لهي دليل واضح على ان المهر العالي لم يعطِ اية حماية أو صيانة للزوجة..

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أضر بامراة حتى تفتدي منه نفسها، لم يرضَ الله تعالى له بعقوبة دون النار(١).

كما ان كثيراً من الآباء يأخذون المهور لأنفسهم رغم حرمة ذلك خاصة في حال زواج الصغيرات من الاثرياء، ونرى شيوع ظاهرة زواج الفتيات من رجال كبار في السن وربما اكبر حتى من آبائهن لانهم يملكون ثروة عالية!! فالمهر العالي قد لا يمثل شيئا بالنسبة لهؤلاء الاغنياء لكن هذه الحالة ادت الى عدد من الظواهر الاجتماعية منها زيادة نسبة عنوسة الشباب من الذكور الذين بدأوا للتو في تكوين حياتهم وليس لديهم اي ثروة يتباهون بها من هذا من ناحية، والامرالثاني هو زيادة نسبة الارامل الصغيرات في السن اللائي مات ازواجهن الطاعنون في السن مما ادى الى ظهور مشاكل جديدة. والملاحظ ان المرأة المعاصرة لم تعد تمتلك نفس القدرة من التحمل التي كانت عند امهاتنا وجداتنا رغم انها الاكثر راحة والاكثر تنعما!! والسبب يعود الى المفاهيم الخاطئة التي بدأت تنتشر في مجتمعاتنا عن الحقوق الخاطئة للمرأة

---

(١) (البحار: ج٧٦ ص٣٦٥ ح٣٠).

والعلاقة بين الجنسين ورؤية المرأة للرجل على انه ند وليس شريك حياة، ولهذا نجد ارتفاع نسبة الطلاق في مجتمعاتنا بشكل مذهل ومخيف ايضا!! وهذا ادى الى ظواهر سلبية اخرى منها ارتفاع نسبة الاسر الاحادية (اي اسر اما فيها اب أو ام) وزيادة نسبة اولاد الطلاق واولاد الشوارع وتزايد الملفات المقدمة الى الشرطة والجنايات عن حوادث سابقة ولاحقة كاختطاف الاطفال خاصة حينما يحرم الطرف الآخر من اولاده.. يضاف الى ذلك ان الطلاق قد يكون حلا لمشكلة غير موجودة اصلا اي مجرد وهم!! وقد يكون حلاً لمشكلة حقيقية فلا يكون هناك اي مفر منه اذ لابد من انهاء العلاقة الزوجية بعد ان اصبح البيت الزوجي محطة للشجار والعنف وبعد افول المودة والرحمة وغياب السكينة ومن ثم فاستمرار الحياة الزوجية مع مشكلاتها امر عسير وبهذا يكون الطلاق آخر الحلول لهذه المعضلة وهنا تبرز مشكلة المهر العالي الذي يقف حائلا دون ذلك فيلجأ الزوج الى هجر الزوجة وتركها معلقة وهو امر اقسى من الطلاق نفسه فضلاً عن ان الهجر حرام والطلاق أبغض الحلال!! قال تعالى:

﴿ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾(١).

والعجيب ان الآباء عند الزواج يشترطون المهر العالي كضمان لحياة ابنتهم عند الانفصال وهذا بحد ذاته امر خطأ.. فلماذا نجعل ذاكرة الازواج

(١) النساء ١٢٩.

الجدد-لكلا الجنسين- ملوثة بريح الطلاق؟ وللتو كانت شمس الخطوبة الحالمة قد اشرقت وانارت تلافيف العقول والقلوب خاصة عند البنات ونجعهلن في دائرة الشك والوسوسة منذ البداية وتصبح هناك فكرة قابعة في الذاكرة(انني ربما اترك هذا الرجل حتى لو كان ابا لاولادي)!! لماذا نعطي منذ البداية تصوراً للبنات ان هذه الحياة الزوجية التي بدأت الان ربما لا تستمر!! ولابد ان تستعد البنت لما بعد الانفصال وهي للتو عروس تهيأ ثوبها الابيض لدخول الحياة الزوجية الجديدة!!.

وقد عرضت سجلات المحاكم حالات طلاق كثيرة يكون فيها المهر عاليا ولكن الزوج لا يستطيع دفعه فيلجأ الزوج الى التقسيط للخلاص من المشكلة نفسها، واحيانا يستدين من آخرين لتقديم المهر للخلاص من طوق الزوجية وبأسرع وقت ولا ادري هل يكفي حصول هذا المال الوفير للزوجة ليكون امناً وامانا للمرأة؟ ان المهر العالي اصبح الآن احد اهم أسباب زيادة العنوسة لدى الرجال والنساء على حد سواء!! وكثيراً ما ادى الى الوقوع في الحرام بسبب عدم القدرة على تأمين الحلال!!.

وفي البلاد التي تقدم فيها المرأة جهاز العرس(مثل ايران حيث تتولى الفتاة مسألة تأثيث البيت كاملا) يتحول المهر الى وسيلة ابتزاز!! فهي تطالب بالمهر العالي ثم تطلب الطلاق (قبل الدخول فيكون لها نصف المهر) وبهذا المبلغ تشتري جهاز العرس لعريس آخر!! واذا لم يستطع الزوج تنفيذ ذلك فالسجن مثواه!!.. فتجد السجون تعج بنزلاء لم يرتكبوا جرما سوى انهم لا

يستطيعون دفع المهر العالي!!، لان الزواج هو احد العقود التي تستوجب الوفاء وهذا الذي يدخل السجن لا لسبب سوى فقره أو بالاحرى فشله في الانتخاب الحسن للزوجة قد يصل به المطاف فيما بعد الى الاجرام نفسه؛ إذ إنه عند خروجه من السجن يطالبه رب العمل بورقة عدم المحكومية ولما كان السجن قد ثبّت ادانته فقد كتّب عليه الشقاء في ساحة العمل فقد يرضى بالوظائف السيئة أو التي تكون ادنى من مؤهلاته الاصلية. ويكون الزوج هنا قد فقد مهنته وعمله؛ لأنه حكم عليه بالسجن لخطأ الحب كما يقول!!.. حقا إن المهر العالي شؤم للمرأة والرجل على حد سواء.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تياسروا في الصداق، ان الرجل يعطي المرأة حتى يبقى ذلك في نفسه عليها حسيكة (اي عداوة وبغضا)[١].

وبإسناده عن إسماعيل بن مسلم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أفضل نساء أمتي أصبحهن وجها وأقلهن مهرا[٢].

وعن محمد بن علي بن الحسين قال: روي أن من بركة المرأة قلة مهرها، ومن شؤمها كثرة مهرها[٣].

---

(١) (النهاية في غريب الحديث: ج١ ص٣٨٦).

(٢) (من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٤٣ | ١١٥٦، أخرجه عنه وعن الكافي والتهذيب في الحديث ٨ من الباب ٦ وفي الحديث ٣ من الباب ٥٢ من أبواب مقدمات النكاح).

(٣) (الفقيه ٣: | ١١٦٠، وأورده في الحديث ٤ من الباب ٥٢ من أبواب مقدمات النكاح).

وعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة (عليها السلام) على درع حطمية تسوى ثلاثين درهما[1].

وبهذا يمكن القول إن المهر العالي لايمثل حصانة أو أمناً للمرأة ابداً فما اكثر حيل الرجال التي تجعل المرأة تتنازل عن المهر بكامله لفكاك رقبتها من زوج لا تتوافق معه! وما اكثر تبني النساء للخلع خلاصا من الرجل!!.

زفاف الزهراء عليها السلام

وأرجح الأقوال أنَّ زواجهما عليها السلام كان بعد الهجرة وأرَّخه ابن الأثير في الكامل في السنة الثانية من الهجرة في شهر شوال وقّته آخرون في شهر ذي الحجة من السنة الثانية[2].

والروايات التي وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) تنص كلها على وقوع الزواج بعد عودة المسلمين من معركة بدر منتصرين.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «تزوج علي فاطمة (عليها السلام) في شهر رمضان وبنى بها في ذي الحجة من العام نفسه بعد معركة بدر»[3].

---

(١) (الكافي ٥: ٣٧٧ | ٢).

(٢) (الاربلي | كشف الغمة ١: ٣٦٤، بحار الانوار ٤٣: ١٣٦).

(٣) كشف الغمة: ١/ ٣٦٤، بحارالأنوار: ٤٣/ ١٣٤.

وروي أيضاً أنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) دخل بفاطمة (عليهاالسلام) بعد رجوعه من معركة بدر لأيام خلت من شوال السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة[١].

وروى ايضا انه في أول يوم من ذي الحجة (السنة الثانية من الهجرة) زوّج رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) فاطمة علياً (عليه السلام)[٢].

وروى المجلسي عن أمير المؤمنين عليه السّلام (في حديث زواجه بفاطمة عليها السّلام)، قال: ومكثتُ بعد ذلك (بعد شراء أثاث البيت) شهراً لا أُعاود رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر فاطمة بشيء؛ استحياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله، غير أنّي كنتُ إذا خلوتُ برسول الله يقول لي: يا أبا الحسن، ما أحسَنَ زوجَتَك وأجمَلَها! أبشِر يا أبا الحسن، فقد زوّجتُكَ سيّدة نساء العالمين[٣].

وعن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «لقد تزوَّجت فاطمة وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لي ولها خادم غيرها»)[٤].

عن عائشة وأُمّ سلمة قالتا: أمَرَنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نجهِّز فاطمةَ حتّى نُدخِلَها على عليّ. (اي قمن باعداد زينتها وملابسها

---

(١) أمالي الطوسى: ٤٣ مجلس ٢ حديث ٤٧.

(٢) مصباح المتهجد للطوسي: ٦١٣.

(٣) (البحار ٤٣ص١٣٠).

(٤) الطبقات الكبرى ٨: ١٨).

وماتحتاجه المرأة للزفاف).. فما رأينا عُرساً أحسن مِن عرس فاطمة[١].

قالت أُمّ سلمة: فسألت فاطمة: هل عندك طيب ادّخرْتِهِ لنفسك؟

قالت (عليهاالسلام): «نعم» فأتت بقارورة فسكبت منها في راحتي فشممت منها رائحة ما شممت مثله قط.

أمَّا عليٌّ عليه السلام قد رشَّ أرض الدار برمل ناعم، ونصب في البيت خشبة من الحائط إلى الحائط، لتعليق الثياب.

ولّما كانت ليلة الزفاف، أتى (صلى الله عليه وآله) ببغلته الشهباء، وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة (عليها السلام): «اركبي»، فأركبها وأمر سلمان أن يقود بها إلى بيتها، وأمر بنات عبد المطّلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن، ولا يقلن ما لا يرضي الله تعالى[٢].

ثمّ إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ علياً (عليه السلام) بيمينه وفاطمة (عليها السلام) بشماله، وضمّهما إلى صدره، فقبّل بين أعينهما، وأخذ بيد فاطمة فوضعها في يد علي، وقال: «بارك الله لكَ في ابنة رسول الله».

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا علي، نعم الزوجة زوجتك»، وقال: «يا فاطمة، نعم البعل بعلك»، ثمّ قال لهما: «اذهبا إلى بيتكما، جمع الله بينكما

(١) (سنن ابن ماجة ٦١٦:١ / ح ١٩١١).

(٢) (مناقب آل أبي طالب ٣/١٣٠).

وأصلح بالكما»، وقام يمشي بينهما حتّى أدخلهما بيتهما[١].

ثمّ أمر(صلى الله عليه وآله) النساء بالخروج، فخرجن. تقول أسماء بنت عُميس: فبقيت في البيت، فلمّا أراد (صلى الله عليه وآله) الخروج رأى سوادي فقال: «من أنتِ»؟ فقلت: أسماء بنت عُميس، قال: «ألم آمرك أن تخرجي»؟

قلت: بلى يا رسول الله، وما قصدت خلافك، ولكن أعطيت خديجة عهداً. ثمّ حدّثته بما جرى عند وفاة السيّدة خديجة (عليها السلام)، فبكى (صلى الله عليه وآله) وأجاز لها البقاء[٢].

عن جابر، قال: حضرنا عرس علي وفاطمة عليهما السلام فما رأينا عرساً كان أطيب منه، حشونا الفراش الليف، وأُوتينا بتمرٍ وزبيب فأكلنا، وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش[٣].

وروى ابن شهرآشوب عن الخطيب في تاريخه وابن مردويه وابن المؤذن وشيرويه الديلمي بأسانيدهم عن ابن عباس وجابر، قالا: لّما كانت الليلة التي زفت فاطمة عليها السلام إلى علي عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك من خلفها، يسبّحون الله ويقدسونه حتى طلع الفجر[٤].

---

(١) (بحار الأنوار ١٤٢/٤٣.

(٢) (البحار ١٣٨/٤٣).

(٣) (مجمع الزوائد ٩: ٢٠٩. والثغور الباسمة: ٣٣. وذخائر العقبى: ٣٤. والرياض النضرة ٣: ١٤٤).

(٤) (المناقب ٣: ٣٥٤. وتاريخ بغداد ٥: ٧. ومقتل الحسين عليه السلام | الخوارزمي ١: ٦٦. وذخائر ←

عن ابن بابويه – في خبر – قال: أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن، ولا يقلن ما لا يرضي الله، فارتجزت أُمّ سلمة وعائشة وحفصة ومعاذة أُمّ سعد بن معاذ، وكانت النسوة يرجعن أوّل بيت من كل رجز، ثم يكبّرن، ودخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي ودعاه إلى المسجد، ثم دعا فاطمة عليها السلام فأخذ بيدها ووضعها في يده، وقال: «بارك الله في ابنة رسول الله»[١].

الدعاء للزوجين

وفي حديث أُمّ سلمة: أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ عليّاً بيمينه، وفاطمة بشماله وجمعهما إلى صدره، فقبّل بين أعينهما، ودفع فاطمة عليها السلام إلى علي عليه السلام وقال: «ياعلي، نعم الزوجة زوجتك» ثم أقبل على فاطمة عليها السلام وقال: «يافاطمة، نعم البعل بعلك»، ثم قام معهما يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما الذي هيّىء لهما، ثم خرج من عندهما، فأخذ بعضادتي الباب. فقال: «طهركما الله وطهّر نسلكما، أنا سلمٌ لمن سالمكما، أنا حربٌ لمن حاربكما، أستودعكما الله واستخلفه عليكما»[٢].

روى أنس بن مالك عن أُمّ أيمن، قالت: إنّه لما كانت ليلة البناء، قال

العقبى: ٣٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١١٥).

(١) (المناقب ٣: ٣٥٤. وبحار الأنوار ٤٣: ١١٥).

(٢) (كشف الغمة | الاربلي ١: ٣٦١).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك» فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لفاطمة عليها السلام: «ائتيني بماء» فقامت إلى قعب في البيت فجعلت فيه ماء فأتته به، فمجّ فيه ثم قال لها: «قومي» فنضح بين ثدييها وعلى رأسها، ثم قال: «اللهمَّ أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» ثم قال لها: «أدبري» فأدبرت، فنضح بين كتفيها، ثم قال: «اللهمَّ إني أُعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» ثم قال: «ائتيني بماء» فأتته، فأخذ منه بفيه، ثم مجّه فيه، ثم صبّ على رأس علي وبين يديه، ثم قال: «اللهمَّ إني أعيذه وذريته من الشيطان الرجيم» ثم قال: «ادخل على أهلك باسم الله والبركة»[(١)].

وكان من عادة العرب في الجاهلية أن يقولوا للمتزوجين: بالرفاء والبنين، فنهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في زواج الزهراء عليها السلام وسنّ فيه غيره، روى ثقة الإسلام الكليني عن أبي عبدالله البرقي رفعه، قال: «لمّا زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة قالوا: بالرفاء والبنين. قال: لا، بل على الخيروالبركة»[(٢)].

على هذا نرى ان زواج الزهراء عليها السلام كان جديداً في كل مفاصله ومراحله وقد اسس لقيم جديدة مازالت فاعلة حتى وقتنا الحالي، لقد كان زواجا ربانيا سماويا ارضيا لم ير الناس اجمل منه.

---

(١) (مجمع الزوائد ٩: ٢٠٦).

(٢) (الكافي ٥: ٥٦٨ | ٥٢. وبحار الأنوار ٤٣: ١٤٤ | ٤٦).

وفي رواية: لما زوج رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) ابنته فاطمة (عليهاالسلام) قال لها: «زوجتك سيّداً في الدنيا والآخرة، وإنّه أول أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً»[١].

كلام الناس

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «خلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابنته في صبيحة اليوم الرابع، قال لها: كيف أنت يا بنية، وكيف رأيت زوجك؟ فقالت له: يا أبه، خير زوج، إلاّ أنه دخل عليَّ نساء من قريش، وقلن لي: زوّجك رسول الله من فقير لا مال له، فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم: يا بنية، ما ألوتك نصحاً أن زوجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. يا بنية، إنّ الله عزَّ وجلَّ اطلع إلى الأرض إطلاعة فاختار منها رجلين، فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك. يا بنية، نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً. ثم صاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي، فقلت: لبيك يا رسول الله. فقال: ادخل بيتك والطف بزوجتك وارفق بها، فإن فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها، ويسرني ما يسرها، أستودعكما الله وأستخلفه عليكما»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لّما زوج فاطمة عليها السلام، دخل النساء عليها، فقلن: يا

(١) بحارالأنوار: ٤٣/ ١٣٣، ومسند الإمام أحمد: ٥/ ٢٦.

(٢) (كشف الغمة | الاربلي ١: ٣٦٣).

بنت رسول الله، خطبك فلان وفلان، فردّهم عنك، وزوّجك فقيراً لا مال له، فلمّا دخل عليها أبوها صلى الله عليه وآله وسلم رأى ذلك في وجهها، فسألها فذكرت له ذلك، فقال: يا فاطمة، إنّ الله أمرني فانكحتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، وما زوجتك إلاّ بأمرٍ من السماء، أما علمت أنه أخي في الدنيا والآخرة»[١].

واني اعجب لبعض المؤرخين الذين افتقدوا للامانة العلمية فنقلوا الحديث من وسطه وكأن هذا هو رأي الزهراء!! والعياذ بالله!! ان الزهراء عليها السلام كانت تعرف علياً عليه السلام حق المعرفة وكانت تعرف فقره وقلة ذات يده وكانت عارفة بأنه الانسب لها وانه لا يوجد على وجه الارض من هو كفؤ لها سواه، وما كانت الزهراء عليها السلام لتتأثر بكلام هذه وتلك وان جئن مهنئات! ولكنها نقلت الامر للرسول ليكون على بينة من أخبار أمته وكيف يفكرون!!.

عن جابر بن عبدالله قال: لّما زوّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً من فاطمة عليها السلام أتت قريش فقالوا: يا رسول الله، زوجت فاطمة بمهر خسيس، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما زوجت فاطمة من علي، ولكن الله زوجها»[٢].

والحقيقة ان كلام الناس مشكلة كبيرة وهو مدخل لمصائب اكبر

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٧.

(٢) (المناقب | ابن المغازلي: ٣٤٣ | ٣٩٥. وأمالي الطوسي: ٢٦٦ | ٤٦٤. والفقيه ٣: ٢٥٣ | ١٢٠٢).

ومشكلات أخطر، والمتكلمون بهذه الامور التافهة هم من اصحاب الخواء الفكري والثقافي الذين لا يجدون ما يشغلهم سوى القيل والقال والغيبة والنميمة وهم الاعلام السيئ في المجتمع (الطابور الخامس) وهم المروجون للاشاعات والمؤسسون للفتن ايا كان نوعها أو حجمها!!، وهم يتكلمون بهذا الكلام وامثاله اما حقدا أو حسدا أو رغبة في اثارة النعرات وسلب الراحة والهناء لدى من يتكلمون عنهم خاصة في حالة زواج الزهراء عليها السلام فمظاهر العظمة والسرور التي بانت في الارض والسماء فرحا بهذا العرس الملكوتي الملائكي الدنيوي والاخروي تجعلهم يبحثون عن ثغرات ليقوضوا الشعور بالبهجة وليداووا نقصهم!!.. فهم يتكلمون بهذه الصورة المخجلة لشعورهم بالنقص والصِغر والضعة فأين هم من الزهراء وابيها وزوجها!!وهؤلاء وامثالهم يتربصون الاحداث ويهولون الصغائر ويصغرون حقائق تبدو واضحة كالشمس.. ولديهم قدرة على التلاعب بالافكار والحقائق والامور الواضحة وانما تتضح قدرة التلاعب عندهم لغياب التقوى وضعف اجهزة الرقابة الذاتية مع عدم سماع نصائح النفس اللوامة.. وقد يتلبسون بمظاهر الحب والرغبة في خدمة الآخرين لكنهم العدو فلابد من الحذر.. ولانهم جراد منتشر ولهم في كل مساحة من المجتمع بؤر شيطانية خبيثة هدفها تدمير البيوت بالشائعات والاقاويل.... ويدخل الاعلام المشوه ضمن مساحة اراضيهم فالاعلام يحجب الحقائق ويسند الضلالات بل هو مصيبة كبرى فهو مشوه مدسوس يخفي احقاده (خاصة على المسلمين والموالين لاهل

البيت عليهم السلام فنحن نختار بيوتنا وسلوكنا وملابسنا بل وحتى افكارنا وطعامنا تبعاً لكلام الناس! فلئن خرجنا من عبودية الاوثان الترابية فقد رجعنا لعبودية اوثان اخرى ربما هي اشد خطرا وفتكا. !!. على هذا يمشي البعض مع هوى الناس فيفعلون اشياء لا يحبونها وقد تناقض عقائدهم التي آمنوا ودافعوا عنها ردحا من الزمن، فلقد اسفرت النساء خوفا من كلام الناس كي لا تتهم بالتخلف والرجعية!! وقد سألت فتاة خلعت الحجاب عن سبب ذلك قال: كلام الناس والى هذا تشير بنت الهدى رحمها الله:

رجعية إن قيل عنك، فلا تبالي، واصمدي..

قولي: أنا بنت الرسالة من هداها اهتدي

لم يثني خجلي عن العليا ولم يغلل يدي

كلا ولا هذا الحجاب يعيقني عن مقصدي

فغد لنا اختاه والحق يعلو فوق كيد المعتدي

.. وقديكون هذا الكلام ناتجاً عن حقد دفين اوحسد مريض فما اكثر الحساد!حتى على ابنة المصطفى!، يقول تعالى:

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[1].

فالزهراء عليها السلام خطبها الكثيرون بما فيهم الاغنياء فكيف تكون

---

(١) سورة النساء الآية (٥٤).

لعلي عليه السلام الذي يسمو بايمانه وان خلا جيبه!!..

وقد تزوج الزهراء بعد معركة بدر (كما نقلت بعض الروايات) حيث تناقل الناس (بما في ذلك الذين لا يعرفونه) بطولاته وشجاعته وبلاءه في المعركة، ولعل كلام (المهنئين) اشارة اولية الى الزهراء عليها السلام بما سيلاقيه آل علي فيما بعد فهي رسالة حقد بدأ ينمو في قلوب الحاسدين!.

ونجد ان الزهراء عليها السلام في الوقت الذي تجد علياً (خير زوج) فإنها اكتفت بنقل الصورة الى أبيها صلى الله عليه وآله وسلم.. وكان البوح تخلصا من ثقل الكلام، فالزهراء الفرحة بعرسها وعريسها تسمع الملامة على حسن الاختيار بدل كلمات التهنئة والتبريك!!.. وهي بهذا النقل تعلن ادانتها لما سمعت وتعلن عدم تأثير هذه الكلمات الفارغة على شخصها أو على اعتزازها بزوجها الفقير وهذه اشارة على قوة الشخصية عندها واشارة ايضا الى عمق الوعي لديها وهو درس للآخرين على ان لايتأثروا بكل مايسمعونه، فما اكثر البيوت التي تهدمت بسبب الاقاويل الخاوية. ونحن نعلم ان المتأثرين بالشائعات والاقاويل هم ضعاف الشخصية وهم السذج من الناس (والامّعة) الذين يدورون مع الغير حيث داروا حتى لو كان الدوران الى الحائط الذي يشج رؤوسهم!!.

على اننا يجب ان لا ننسى ان النساء لقلة الوعي لديهن وقياسهن الامور بالصور الخارجية هن الاكثر تأثرا بكلام الناس والامر يعود ايضا الى انخفاض مؤشر الثقة بالنفس عندهن اضافة الى الفراغ العقائدي، وفي نفس الوقت هن

الاكثر اثارة لهذا النمط من الكلام في الميدان الاجتماعي بسبب تعدد العلاقات الموجودة، اما الرجال فهم الاكثر اثارة لمثل هذه الاقاويل في الميدان السياسي والتجاري بل وحتى المعرفي والجميع يبتغي ان يؤثر على عقلية الطرف المقابل وجره الى انماط معينة من السلوك أو على الاقل اثارة الفكرة عند الآخر لسلب الراحة وايجاد ثقب صغير لنفوذ الهواء الملوث!!.

وقد يكون الامر غير متوقع من نساء المدينة التي هاجر اليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تاركا كل ماعنده في مكة وهو ايضا تحذير لنا اذ قد نجد من الآخرين ما لانتظره حتى في لحظات الفرح! فالناس حتى في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي مدينته المقدسة هم انماط شتى ودرجات متباينة من الايمان.

أخرج المحبُّ الطبري في (الرياض النضرة) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للإمام علي عليه السلام: (أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد ولا أنا: أوتيتَ صهراً مثلي، ولم أوت أنا مثلك، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أُوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم)[(١)].

وفي كتاب مستدرك الحاكم - كتاب معرفة الصحابة - سدوا هذه الأبواب إلاّ باب علي - حديث رقم (٤٦٠٨) أخبرني: الحسن بن محمد بن إسحاق الإسفراييني، ثنا: أبو الحسن محمد بن أحمد بن البراء، ثنا: علي بن

---

(١) (المحب الطبري، الرياض النضرة | ٣: ١٧٢).

عبد الله بن جعفر المديني، ثنا: أبي، أخبرني: سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطي حمر النعم قيل: وما هن يا أمير المؤمنين قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسكناه المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحل له فيه ما يحل له والراية يوم خيبر.

الاسرة الجديدة

انتقلت الزهراء عليها السلام الى بيتها الجديد المتواضع وبدأت حياتها الزوجية مع امير المؤمنين عليه السلام.. حياة هادئة طيبة يحميها رضا الاثنين عن بعضهما ويشد اواصرها الهدف السامي الذي عاشوا له. واثمرت حياتها الجديدة عن اولادها الاربعة الذين هم قرة عين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم:

الامام الحسن عليه السلام ولد في عام ٣ هـ ١٥ رمضان.

الامام الحسين عليه السلام ولد في عام ٤ هـ ٣ شعبان.

السيدة زينب عليها السلام ولدت في عام ٥ هـ أو ٦ - على اختلاف الروايات - في الخامس من جمادى الاولى.

السيدة ام كلثوم ولدت عام ٧ هـ.

والمحسن اسقط في حادث الهجوم على الدار.

وعاشت الزهراء عليها السلام مع اولادها مشغولة بتربيتهم وتهذيبهم

ومراعية لامور زوجها الذي يسجل في ساحات الوغى بطولات حيدرية، لكنها لم تهمل الشأن الخارجي في رعايتها للامة وفي الاهتمام بشؤونها وهو ما سنستعرضه في الفصل الثاني من هذا الكتاب، كما سنمر مفصلا على اهم مباني حياة الزهراء عليها السلام الزوجية مع اهم الاسس التربوية عندها ضمن الدور الاجتماعي في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا كانَ يَوْمُ القيامَةِ نادى مُنادٍ: يا أَهْلَ الجَمْعِ غُضُّوا أَبْصارَكُمْ حَتى تَمُرَّفاطِمَة)[١].

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أَوَّلُ مَنْ يدخل الجَنَّةَ فاطِمَة بنت محمد)[٢].

- وعن عائشة قالت: ما رأيتُ قطُّ أحداً أفضلَ مِن فاطمةَ غيرَ أبيها[٣].

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطِمَة بَضْعَةٌ مِنّي، يُريبُنِي ما رابَها، وَيُؤذِيني ما آذاهَا)[٤].

---

(١) (الصواعق المحرقة ص ١٩٠/ أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٣/ تذكرة الخواص ص٢٧٩/ ذخائر العقبى ص٤٨/ مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ٣٥٦).

(٢) (ينابيع المودّة ج٢ ص٣٢٢ الخبر ٩٣٢).

(٣) (الإصابة ٣٧٨: ٤، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي الشافعي ٢٠١: ٩، السيرة النبويّة لابن هشام ١٠٧: ٢).

(٤) صحيح مسلم ج ٥ ص ٥٤/ خصائص الإمام علي للنسائي ص ١٢١ و١٢٢/مصابيح السنّة ج ٤ ص١٨٥/ الإصابة ج ٤ ص ٣٧٨/ سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١١٩/ كنز العمّال ج ١٣ ص ٩٧/ وقريب من لفظه في سنن الترمذي ج ٣ باب فضل فاطِمَة ص ٢٤١/ حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٠.

وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

عاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة بعد أداء مناسك الحج، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي ادى فيها الرسول (وكذلك ابنته) مناسك الحج فيما عرف (بحجة الوداع)...

عاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا السفر الذي اكمل فيه الوحي والتليغ واعلن - بأمرمن الله تعالى - ان علي بن ابي طالب عليه السلام هو الولي والوصي من بعده، وبايعته الامة الحاضرة في غدير خم والتي تفاوتت الروايات في بيان عددها فمن قال مئة الف ومن قال اكثر أو اقل والمهم ان الكثرة الكاثرة من الامة كانت حاضرة. ولقد تم اعداد الامة على تقبل امر الرحيل بعد اعلان الوصاية والولاية لعلي عليه السلام فقد اخبر الرسول اكثر من مرة انه راحل الى ربه عما قليل..

وقد رأت فاطمة (عليها السلام) في منامها - بعد حجّة الوداع - أنّها كانت تقرأ القرآن وفجأةً وقع القرآن من يدها واختفى، فاستيقظت مرعوبةً وقصّت الرؤيا على أبيها (صلى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلى الله

عليه وآله): «أنا ذلك القرآن – يا نور عيني – وسرعان ما أرحل»[١].

ولم يطل الامر كثيرا اذ سرعان ما داهمه صلى الله عليه وآله وسلم المرض وانتابته حمى وشعر بدنو اجله وانه بعد قليل مفارق لأمته واخذ المرض يشتد به وعلى مدى هذه الايام القاسية والصعبة لم تفارقه ابنته التي كانت معه في هجرته ودعوته وغزواته، ولقد كانت فاطمة (عليها السلام) وأمير المؤمنين (عليه السلام) أشدّ الناس لصوقاً وأقربهم إلى رسول الله في مدة مرضه وحتى وفاته (صلى الله عليه وآله)، فعن عليّ (عليه السلام): أنّ معاذاً سأل عائشة كيف وجدت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند وجعه ووفاته؟ فقالت: يا معاذ ما شهدته عند وفاته ولكن دونك هذه فاطمة ابنته فاسألها[٢].

كما أنّ فاطمة كانت تطوف حين مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على أزواجه فتقول: إنّه يشق على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يطوف عليكنّ، فقلن هو في حلّ[٣].

واشتد المرض بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أكثر فأكثر، وكانت الزهراء تتابع ذلك وتقدم كل ما عندها من رعاية وعناية وتدعو لوالدها بالسلامة.

وعن أنس قال: جاءت فاطمة عليها السلام ومعها الحسن والحسين عليهما السلام إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) في المرض الذي قبض فيه فانكبّت

(١) (البحار ٢٢ / ٤٧٠، إرشاد المفيد ٨٨).

(٢) (الإصابة: ٢ / ١٧٨ (ط. مصر).

(٣) (عوالم العلوم: ١١ / ٣٩٠).

عليه فاطمة وألصقت صدرها بصدره وجعلت تبكي، فقال لها النبيّ (صلى الله عليه وآله): «يا فاطمة لا تبكي عليَّ ولا تلطمي ولا تخمشي عليَّ خداً ولا تجزّي عليَّ شعراً، ولا تدعي بالويل والثبور، وتعزّي بعزاء الله، ثم بكى وقال: اللهمّ أنتَ خليفتي في أهل بيتي، اللهمّ هؤلاء وديعتي عندك وعند المؤمنين.

وعن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: مرحباً يا بنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو شماله، ثم إنه أسر إليها حديثاً، فبكت، فقلت لها: استخصك رسول الله صلى الله عليه وآله حديثه ثم تبكين؟ ثم أنه أسر إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها عليها السلام قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى إذا قبض النبي صلى الله عليه وآله سألتها، فقالت: إنه أسر إلي فقال: إن جبرائيل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن في كل عام مرة، وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك. فبكيت لذلك، ثم قالت: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة - أو نساء المؤمنين - قالت فضحكت لذلك[1].

ثم ضمّها اليه وقبّل رأسها وقال: «فداكِ أبوكِ يا فاطمة» فعلا صوتها بالبكاء ثم ضمّها اليه وقال: «أما والله لينتقمنّ الله ربّي، وليغضبنّ لغضبك،

---

(١) (مسند أحمد: ٦ / ٢٨٢، الطبقات الكبرى: ٢ / ٤٧، الاستيعاب: ٤ / كشف الغمة: ٢ / ٧٩، بحار الأنوار: ٣٧ / ٤٠).

فالويل ثم الويل للظالمين، ثمّ بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وعن موسى بن جعفر عن أبيه (عليهم السلام): «لمّا كانت الليلة التي قُبض النبيّ في صبيحتها، دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وأغلق عليه وعليهم الباب وقال (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة! وأدناها منه فناجاها من الليل طويلاً فلمّا طال ذلك خرج عليّ ومعه الحسن والحسين وأقاموا بالباب والناس خلف الباب، ونساء النبيّ ينظرن إلى عليّ (عليه السلام) ومعه إبناه» فقالت عائشة: لأمر ما أخرجك منه رسول الله وخلا بابنته عنك في هذه الساعة؟ فقال لها عليّ (عليه السلام): «قد عرفت الذي خلا بها وأرادها له، وهو بعض ما كنتِ فيه وأبوك وصاحباه فوجمت أن تردّ عليه كلمة».

قال عليّ (عليه السلام): «فما لبثت أن نادتني فاطمة (عليها السلام) فدخلت على النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو يجود بنفسه فقال لي: ما يبكيك يا عليّ؟ ليس هذا أوان بكاء فقد حان الفراق بيني وبينك، فأستودعك الله يا أخي، فقد اختار لي ربّي ما عنده، وإنّما بكائي وغمّي وحزني عليك وعلى هذه أن تضيع بعدي، فقد أجمع القوم على ظلمكم، وقد استودعتكم الله وقِبَلَكُم مني وديعةً، إنّي قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء وأمرها أن تلقيها اليك فنفّذها فهي الصادقة الصدوقة.

ثم ضمّها اليه وقبّل رأسها وقال: «فداكِ أبوكِ يا فاطمة» فعلا صوتها بالبكاء ثم ضمّها اليه وقال: «أما والله لينتقمنّ الله ربّي، وليغضبنّ لغضبك،

فالويل ثم الويل للظالمين، ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عليّ (عليه السلام): «فوالله لقد حسبت قطعة منّي ذهبت لبكائه حتى هملت عيناه مثل المطر، حتى بلت دموعه لحيته وملاءة كانت عليه، وهو يلتزم فاطمة لا يفارقها ورأسه على صدري وأنا مسنده، والحسن والحسين يقبلان ويبكيان بأعلى أصواتهما» قال عليّ (عليه السلام): «فلو قلت إنّ جبرئيل في البيت لصدقت لأنّي كنت أسمع بكاء نغمة لا أعرفها، وكنت أعلم أنّها أصوات الملائكة لا شك فيها، لأن جبرئيل لم يكن في مثل تلك الليلة يفارق النبي (صلى الله عليه وآله)، ولقد رأيت بكاءً من فاطمة أحسب أنّ السماوات والأرضين بكت لها».

ثم قال (صلى الله عليه وآله) لها: «يا بنية، الله خليفتي عليكم وهو خير خليفة، والذي بعثني بالحقّ لقد بكى لبكائك عرش الله وما حوله من الملائكة والسماوات والأرضون وما بينهما، يا فاطمة والذي بعثني بالحقّ لقد حرمت الجنة على الخلائق حتى أدخلها، وإنّك لأول خلق الله يدخلها بعدي، كاسية حالية ناعمة، يا فاطمة هنيئاً لكِ، والذي بعثني بالحقّ إنّ جهنّم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلاّ صعق، فينادى إليها أن يا جهنّم يقول لك الجبار اسكني بعزّي واستقري حتى تجوز فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) إلى الجنان لا يغشاها فقر ولا ذلة، والذي بعثني بالحقّ ليدخلن حسن وحسين، حسن عن يمينك وحسين عن يسارك، ولتشرفنّ من أعلى الجنان بين يدي الله في المقام الشريف، ولواء الحمد مع علي بن أبي طالب (عليه

السلام)، والذي بعثني بالحقّ لأقومن بخصومة أعدائك، وليندمنّ قوم أخذوا حقكِ وقطعوا مودّتكِ وكذبوا عليَّ، وليختلجنّ دوني فأقول: أُمتي أُمتي، فيقال: إنّهم بدّلوا بعدك وصاروا إلى السعير»[(١)].

روى الشيخ الطوسي بسند صحيح إلى أبان بن تغلب، عن عكرمة عن عبد الله بن عباس قال: «لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة بنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي، فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تبكي يا بنية، فقالت: لست أبكي لما يصنع بي من بعدك، ولكني أبكي لفراقك يا رسول الله، فقال لها: أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي، فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي»[(٢)].

وأقول لقد رأيت الكثير من الامهات يطلبن تأجيل الموت من اجل اطفالهن ففي بعض الاماكن اقام الناس مسجدا يتبركون فيه لامراة علوية اصيبت بمرض عضال وأخبرها الاطباء بأنها عما قليل ستفارق أولادها فكان ان قضت الليل كله تبكي وتتوسل الى الزهراء عليها السلام ان تكون لها عونا في تحصيل العافية كي لايبقى اولادها لوحدهم بلا ام!، فرأت السيدة الزهراء

(١) بحار الأنوار: ٢٢ / ٤٩٠، وراجع: نصوص المقطع الأخير من الحديث في صحيح البخاري: كتاب الفتن، الأحاديث (١ - ٥) بتصرف.

(٢) (الأمالي ص١٨٨).

عليها السلام تمسح على جسمها فأصبحت معافاة وبقيت مع اولادها حتى كبروا!! في حين ان امر الزهراء عليها السلام عكس ذلك تماما وهو بيان عمق الحب الالهي العظيم الذي كانت تحيا به والشوق للقاء الله وهو ارفع درجات الايمان حين تغيب عن الانسان كل متعلقاته الدنيوية حتى لو كانت اعز ماعنده!! فهو ينظر بعين الله ولا خيرة له في امره بل اوكل الامور الى بارئه وهو يعلم ان الله تعالى سيجعل له الخير فيما اراده وهذه قلوب المخلِصين بالكسر والمخلَصين بفتح اللام الذين أخلصهم تعالى بخالصة الدار وهي عليها السلام مازالت في ريعان شبابها واوج حياتها لكن لقاء الله والشوق اليه كان سابقا لكل امر مهما علا وغلا.

وقد أشار الأربلي إلى هذه الواقعة بشيء من التحليل، وعقد مقارنة بين شوق الزهراء عليها السلام إلى الموت وبين عدم رغبة بعض الأنبياء فيه مع وجود أولي العزم فيهم، ثم قال:

«فهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم ممن عرفت شرفهم وعلو شأنهم وارتفاع مكانهم ومحلهم في الآخرة، وقد عرفوا ذلك وأبت طباعهم البشرية إلا الرغبة في الحياة، وفاطمة عليها السلام امرأة حديثة عهد بصبى، ذات أولاد صغار وبعل كريم، لم تقض من الدنيا إربا وهي في غضارة عمرها وعنفوان شبابها، يعرفها أبوها أنها سريعة اللحاق به فتسلو موت أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وتضحك طيبة بفراق الدنيا وفراق بنيها وبعلها وفرحة بالموت، مائلة إليه مستبشرة بهجومه، مسترسلة عند قدومه، وهذا أمر عظيم

لا تحيط الألسن بصفته، ولا تهتدي القلوب إلى معرفته، وما ذاك إلا لأمر علمه الله من أهل هذا البيت الكريم، وسر أوجب لهم مزية التقديم، فخصهم بباهر معجزاته، وأظهر عليهم آثار علائمه وسماته، وأيدهم ببراهينه الصادعة ودلالاته، والله أعلم حيث يجعل رسالاته»[1].

توفي النبيّ (صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين في الثامن والعشرين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة ورأسه في حجر علي (عليه السلام). مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان اكمل الرسالة والنعمة وبعد عمر قضاه ذائبا في الله ذادا عن حياضه ناشرا لواء التوحيد ماحقا لألوية الشرك والضلال التي حكمت دهورا في الارض.. اغمض عينيه بعد ان اخرج خير امة للناس وبعد ان اسس اعظم دولة على وجه الارض.. وبموته اعلن انقطاع الوحي وانتهاء النبوة واعلنت مرحلة جديدة في تاريخ الاسلام.. وكانت الزهراء عليها السلام اشد الناس حزنا على ابيها فعن الامام الباقر عليه السلام مارئيت فاطمة عليها السلام ضاحكة مستبشرة منذ قبض أبوها حتى قبضت (كشف الغمة المجلد الثاني).

وقد تملّك الزهراء عليها السلام حزن شديد فقد غاب عنها الاب والصديق والمواسي والمربي والنبي والقائد والرسول والحاكم والسند مما جعل هم الفراق يطحن قلبها.

وقد روي أنها ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة

(١) (كشف الغمة ج٢ ص٨٢).

الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة؟ أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً، ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما![1]

.. وفي الرواية:

(.. وكان جبريل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعد في ذريتها، وكان علي يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة)[2].

لقد بدأت مرحلة اخرى في حياة الزهراء عليها السلام، مرحلة قاسية وممرا صعبا عدّه البعض أضيق المضايق في التاريخ!!.

الايام الساخنة ... فاطمة بعد ابيها

ما زال الحزن يلف المدينة برحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان لهذا الامر ثقله الكبير على البيت الهاشمي الذي انشغل بتجهيز الرسول ودفنه، في حين ان المناورات كانت في اعلى تصعيد لها في السقيفة!!، اذ سرعان ما اُهمل امر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم!!فرغم ان جسده المبارك مازال على وجه الارض ولم يُوارَ الثرى الا ان (كبارالقوم) منشغلون بالمؤامرة الجديدة التي خططوا لها طويلا!! وبحجة البحث عن خليفة للمسلمين

---

(١) [مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٤٢].

(٢) الكافي: ج١ ص٢٤١، والبحار ج٢٦ باب ٢٦ ص٤١ رواية ٧٢).

ضربوا عرض الحائط بيعتهم مع سيد الاوصياء عليه السلام في يوم الغدير!! نكثوا البيعة والعهد والميثاق الذي أبرموه علانية امام الامة الكثيرة من المسلمين!!، وهو دليل على ما خبّأته النفوس الضالة من حقد لئيم وحسد دفين لهذا البيت الذي كان ومازال أعظم البيوت وأرفعها شأنا، وان دل الامر على شيء فهو تعبير عن عدة انهيارات للامة فهناك انهيار اخلاقي كبير وانهيار ادبي صريح، فالأدب كان يتطلب من الناس جميعا الاشتراك بمراسم دفن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإقامة مجالس العزاء على فقده وتسلية اسرته ولكن لم يكن هناك من اهتم بهذا الامر غير عليّ عليه السلام واسرته والخلص من اصحابه اما باقي القوم فقد سكنوا السقيفة لتحصيل مكاسب اكبر!!، قال الشيخ المفيد: "ولم يحضر دفن رسول الله كثير من الناس لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة. وفات أكثرهم الصلاة عليه. وأصبحت فاطمة تنادي: واسوء صباحاه. فسمعها عمر فقال لها: "إن صباحك لصباح سوء""[1].

فهل هناك ادنى من هذا الخلق؟!، وهناك انهيار عقائدي تمثل في نكث بيعة الرسول ووصيه علي بن ابي طالب والاغفال والتغافل عن الامر تماما وكأن شيئا لم يكن!!كل ذلك من اجل تحصيل زعامات غير شرعية بعد ان كانت املا يسكن النفوس منذ ان كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيا لكنه انكشف للامة بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم!!، وظهرت

(١) (الإرشاد للمفيد: ج ١ ص ١٨٩).

بوادر الانهيارات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تلت الحدث وكان من أخطرها بعد سلب الولاية ممن نصب الرسول له البيعة هو غصب أرض فدك من اهلها الشرعيين اي من الزهراء عليها السلام!!، اذ لم تمضِ ايام قلائل على الفاجعة واذا بالخلافة تُستتب لأبي بكر بعد ان كان احد المبايعين للامام علي عليه السلام في بيعة الغدير واول انجاز للخليفة الجديد انه طرد عامل الزهراء عليها السلام في فدك وصادر ملكيتها!! وكأن الزهراء عليها السلام استفاقت من حلم مهول!! فماذا جرى للامة كي تصل الى هذا الحد من الانقضاض على اسرة نبيهم ومازال قبره نديا لم يجف بعد، فقد تسارعت الاحداث في ايام قلائل بُعيد رحيل أبي الزهراء صلى الله عليه وآله وسلم! كان الحدث القاسي هو غصب حقها في هذه الارض التي نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في زمانه غير ان الحدث الاقسى هو غصب الولاية من زوجها امير المؤمنين عليه السلام رغم العهود والمواثيق فانبرت الزهراء عليها السلام تذود عن حياض الامامة وتتخذ من فدك جسرا للمطابة بكل الحقوق المسروقة ولبيان الخطر الذي تتعرض له الامة الفتية بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. وكانت مناوشات وخطابات فكانت تدور على بيوت الانصار والمهاجرين تذكّرهم بما عاهدوا عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما سنمر عليها مفصلا في دورها السياسي.

كانت الاحداث قاسية وفي ظروف حرجة للغاية.. وهاهي ام سلمة تسأل الزهراء عن حالها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم؟: فتجيب عليه السلام بالم:

أصبحت بين كمد[١] وكرب: فقد النبي وظلم الوصي، هتك والله حجابه من أصبحت إمامته مقتضبة على غير ما شرع الله في التنزيل وسنها النبي صلى الله عليه وآله في التأويل ولكنها أحقاد بدرية، وترات أحدية[٢]، كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لا مكان الوشاة، فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق[٣]، فيقطع وتر الإيمان من قسي صدورها[٤]، وبئس على ما وعد من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين أحرزوا عائدهم غرور الدنيا بعد انتصار ممن فتك بآبائهم في مواطن الكرب ومنازل الشهادات[٥].

لقد كانت الامور كلها غير متوقعة على الاقل بهذه السرعة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة!! وكأن الوله بالزعامة قد مسح كل حياء وكل اعتبار.. فمازالت عيونها عليها السلام ندية بدمع فراق ابيها واذا بالاحداث تمر سراعا كأنها نذر شؤم هبت على الامة على غير انتظار.. أبهذه العجالة تهجر الامة محمدا نبيها وهاديها وتبدأ المطاردة لعترته التي مثلت احب الخلق الى الرسول والى بارئه.. يالعجب الايام!! غير ان الامور تسارعت واذا بالقوم يعلنون الحرب على آل علي ولم تستثنَ الزهراء التي

(١) الكمد - بالتحريك -: تغير اللون وذهاب اللون والحزن الشديد.

(٢) ترات: جمع ترة - كعدة -: الانتقام.

(٣) المخيلة: السحابة المنذرة بالمطر. والمخيلة أيضاً: المظنة.

(٤) الوتر: شرعة القوس. والقسي - بالكسر والضم -: جمع القوس.

(٥) البحار: ج٤٣، ص١٥٦ -١٥٧، نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب، ج٢، ص٢٠٥.

يغضب الله لغضبها من هذه الحرب الشعواء ولم يبالِ القوم بذلك فليس المهم الغضب الرباني انما المهم اصطياد الدنيا!! ولايام لا تتجاوز عدد اصابع اليد هجم القوم على دار بضعة المصطفى فأسقطت الزهراء ولدها المحسن وبقيت طريحة فراش المرض تندب امة فتحت مشوار الظلم لآل محمد على مصراعيه وبأقبح صورة وأفتك ظليمة!!.

وداعا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ... فتكون أول من يلحقني من اهل بيتي فتقدم علي محزونة مكروبة مغصوبة مقتولة(١).

مرت الايام ثقيلة على آل البيت بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد اصرت الخلافة الجديدة المغصوبة على اجبار امير المؤمنين على المبايعة مما ادى الى تأزيم الاوضاع اكثر.. وتمت محاصرة البيت الفاطمي لاخذ البيعة من امير المؤمنين في محاولة بائسة لاسباغ الشرعية على الخلافة المغتصبة والتلويح بأن الامام عليه السلام هو ممن يؤيد هذه الخلافة وكانت محاولة يتيمة بائسة جعلت القوم ينسون كل ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في اهل البيت عليهم السلام وفي فاطمة عليها السلام بالذات حيث تجمع القوم امام دار الزهراء منادين عليا بأن يخرج مبايعا فلما أبى هجم القوم على الدار هجوما شرسا كانت نتيجته ان اسقطت الزهراء جنينها الذي سماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ايام حياته محسنا!.

(١) (امالي الصدوق ص١٧٦).

اذ تنقل مصادر الفريقين ان القوم بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هجموا على بيت فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأضرموا فيه النار، وروى خبر الهجوم وحرق الدار جملة من ائمة المخالفين كـ: ابن قتيبة الدينوري في الإمامة والسياسة (ج١، ص٣٠) والبلاذري في أنساب الأشراف (ج١، ص٥٨٦) وابن عبد ربه الاندلسي في العقد الفريد (ج٥، ص١٢). وأرخ الحادثة شعراً الشاعر حافظ ابراهيم في ديوانه[(١)].

قال ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) تحت عنوان: كيف كانت بيعة علي (عليه السلام): وإن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي (عليه السلام)فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفسُ عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على مَن فيها!. فقيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة (عليها السلام)؟

فقال: وإن![(٢)]

كما روى البلاذري وغيره ؛ وروته الشيعة من طرق كثيرة: أن أبا بكر أرسل إلى علي يريده للبيعة، فلم يبايع، فجاء عمر، ومعه قبس، فتلقته فاطمة على الباب، فقالت: يا ابن الخطاب، أتراك محرقا علي بابي؟!. قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك.[(٣)]

---

(١) (ج١، ص٧٥، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة).

(٢) (الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١٩، أعلام النساء، كحالة: ٤ / ١١٤).

(٣) (البحار: ج ٢٨ ص ٣٨٩ و٤١١، وهامش ص٢٦٨، عن البلاذري، وأنساب الأشراف: ج١ ص٥٨٦).

وعن سلمان وعبد الله بن عباس، فذكرا: إنه بعد أن بويع أبو بكر، بعثا - أبو بكر وعمر - مرارا، وأبى علي عليه السلام أن يأتيهم، فوثب عمر غضبان، ونادى خالد بن الوليد، وقنفذا، فأمرهما أن يحملا حطبا ونارا، ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي، وفاطمة عليهما السلام قاعدة خلف الباب، وقد عصبت رأسها، ونحل جسمها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل عمر حتى ضرب الباب، ثم نادى: يا ابن أبي طالب ؛ افتح الباب، فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه؟!. قال: افتحي الباب، وإلا أحرقنا عليكم. فقالت: يا عمر، أما تتقي الله عز وجل، تدخل علي بيتي، وتهجم علي داري، فأبى أن ينصرف، ثم دعا بالنار، فأضرمها في الباب، فأحرق الباب، ثم دفعه عمر، فاستقبلته فاطمة، وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله[1].

وقد ادى كسر الضلع وانبات المسماروعصرها بين الباب والحائط الى ان تسقط (عليها السلام) جنينها (محسنا) من بطنها، وهذا ما كثر ذكره حتى في مصادر المخالفين كـ: ميزان الاعتدال للذهبي (ج١، ص١٣٩) ولسان الميزان لابن حجر (ج١، ص٢٩٢) والوافي بالوفيات للصفدي (ج٥، ص٣٤٧) وغيرهم الكثير.

وقد ندم ابو بكر بعدها... ففي الرواية:

ودخل عبد الرحمن بن عوف في مرضه - أي مرض أبي بكر - إلى أن

---

(١) (البحار: ج ٤٣ ص ١٩٧ و١٩٨ وج ٢٨ ص ٢٩٩ وكتاب سليم بن قيس: ج ٢ ص ٢٥٠ (ط الأعلمي).

قال له: فلا تأس على الدنيا؟

قال: ما آسي إلاّ على ثلاث خصال صنعتها ليتني لم أكن صنعتها... وليتني لم افتش بيت فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأدخله الرجال، ولو كان أغلق عليِّ الحرب...[١]

ويقول المسعودي: " فوجهوا إلى منزله، فهجموا عليه، وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرها "[٢]

وحتى الذين يترددون في قبول روايات الهجوم على دار فاطمة فإنهم لا يشككون ان ثمة احداثا ساخنة قد حصلت بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ادت الى إسقاط الزهراء لجنينها ورحيلها عن هذه الحياة وهي في ريعان الصبا.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في وصيته لعلي عليه السلام عن فاطمة "... وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها "[٣].

وهذا ان كشف عن شيء فإنه مؤشر على الحقد الدفين على اهل البيت عليهم السلام وهو تعرية لهم امام الملأ انفسهم الذين ظلوا متحيرين من هذا الخطب الجليل!! كما ان هذا الحادث كان بداية لسياسة العزل والمحاصرة التي

---

(١) (تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٣٧).

(٢) (مأساة الزهراء عليها السلام ج ٢ - السيد جعفر مرتضى ص ٢٩٤).

(٣) (مأساة الزهراء عليها السلام ج٢ - السيد جعفر مرتضى ص٢٩٢).

اتبعها الخلفاء الثلاثة تجاه بني هاشم عموما وامير المؤمنين خصوصا حيث تم اقصاؤهم تماما عن الحياة السياسية والاجتماعية!!.

اما فاطمة عليها السلام بعد هذه الاحداث الساخنة «فقد مرضت واشتد مرضها، فلزمت الفراش وقد نحل جسمها وذاب لحمها وصارت كالخيال، وعاشت بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم سبعين يوماً»(١).

وهذا مما جعل الحزن والاسى يخيم على البيت العلوي الفاطمي المحمدي.. وقد انتشر الخبر في المدينة عما تعرضت له ابنة المصطفى فزارها في مرضها نساء الانصار.. فقد روى العلامة المجلسي رحمه الله عن الشيخ الثقة الصدوق رحمه الله عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليها السلام قالت: لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وغلبها، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلنَ لها، يا بنت رسول الله: كيف أصبحت من علتك؟ فقالت عليها السلام: أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنئتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحد، وخور القناة، وخطل الرأي، و﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾. لا جرم لقد قلدتهم ربقتهاوشننت عليهم غارها فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الوحي الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبي

(١) (مستدرك الوسائل للنوري: ج ٢، ص ٣٦١، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام).

الحسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطئه، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عز وجل. والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله إليه لاعتقله، ولسار بهم سيراً سجحاً، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفتاه ولأصدرهم بطاناً، قد تحير بهم الري غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء وردة شررة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون. ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث! إلى أي سناد استندوا، وبأي عروة تمسكوا، استبدلوا الذنابي والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. أما لعمر إلهك لقد لقحت فنظرة ريث ما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما سن الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً، وطأمنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وزرعكم حصيداً فيا حسرتي لكم، وأنى بكم، وقد عميت (قلوبكم) عليكم أنلزمكموهاوأنتم لها كارهون).

وهذا العتاب كان كافيا لكي يفهم الناس ان ما يجري ليست (امورا عادية) مما ابقى لواعج الزهراء حزينة في كل قلب.. يذكر سليم بن قيس

(وخرجت نسوة بني هاشم فصرخن وقلن: "يا أعداء الله، ما أسرع ما أبديتم العداوة لرسول الله وأهل بيته، لطالما أردتم هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم تقدروا عليه، فقتلتم ابنته بالأمس ثم (أنتم) تريدون اليوم أن تقتلوا أخاه وابن عمه ووصيه وأبا ولده؟ كذبتم ورب الكعبة، ما كنتم تصلون إلى قتله"[(١)].

بقيت الزهراء عليها السلام مريضة ناحلة حتى وفاتها وكان ممن زارها ايضا ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها وعائشة بنت طلحة ولم تسمح للشيخين بعيادتها وكان ذلك الرفض هو تسجيلا لاحتجاج خالد للزهراء عليها السلام ليبقى ألمها وجرحها خالدا مدى الدهر على صفحات التاريخ... وكان مرضها شديداً، فمكثت اربعين ليلة في مرضها، فلما نعيت اليها نفسها قالت لعلي عليه السلام: يابن عم، انه قد نعيت إلي نفسي، وانني لا أرى مابي إلاّ أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وانا أوصيك بأشياء في قلبي.

قال لها علي عليه السلام: أوصي بما أحببت يابنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، ثم قالت: يابن عم، ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال عليه السلام: معاذ الله، أنت أعلم وأبر واتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله، من أن أوبخك بمخالفة، وقد عزعلي مفارقتك وفقدك إلا انه أمر لابد منه، والله جددت علي مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) (كتب سليم ج٢ ص ١٦٩).

وقد عظمت وفاتك وفقدك، وإنا الله وانا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها، هذه والله مصيبة لاعزاء لها، ورزية لا خلف لها، ثم بكيا جميعاً ساعة[١] وبعد ان بكيا ساعة أخذ علي عليه السلام رأسها وضمها إلى صدره ثم قال: أوصيني بما شئت، فإنك تجديني فيها أمضي كما أمرتِني به، واختار أمرك على أمري.

ثم قالت: جزاك الله عني خير الجزاء، وأوصته بوصاياها، وهي:

يابن عم، أوصيك ان تتزوج بعدي بابنة أختي امامة، فانها تكون لولدي مثلي، فإنّ الرجال لابد لهم من النساء[٢].

ان أنت تزوجت امرأة فاجعل لها يوماً وليلة واجعل لاولادي يوماً وليلة، يا أبا الحسن لا تصح في وجوههم فيصبحا يتيمين غريبين[٣].

أوصيك يابن عم، ان تتخذ لي نعشا، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال لها: صفيه لي.. فوصفته، فاتخذه لها[٤].

أوصت لأزواج النبي لكل واحدة منهن اثنتي عشرة أوقية.

ولنساء بني هاشم مثل ذلك.

وأوصت لأمامة بنت أبي العاص بشيء.

وكانت لها وصية مكتوبة جاء فيها: "هذا ما أوصت فاطمة بنت رسول

---

(١) (البحار: ٤٣ | ١٩١).

(٢) (مناقب ابن شهر اشوب: ٣ | ٣٦٢).

(٣) (البحار: ٤٣ | ١٧٨).

(٤) (البحار: ٤٣ | ١٩٢).

الله بحوائطها السبع؛ ذي الحسنى والساقية، والدلال، والغراف، والرقمة، والهيثم، ومال أم ابراهيم، إلى علي بن أبي طالب، ومن بعده فإلى الحسن، فإلى الحسين، ومن بعد الحسين فإلى الاكبر فالاكبر من ولده، شهد الله على ذلك وكفى به شهيداً، وشهد المقداد بن الاسود، والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب[1].

ثقل عليها المرض، والإمام لا يفارقها، وأسماء تمرضها، والحسن والحسين وزينب وام كلثوم عندها، وهي تفيق مرة ويغشى عليها اخرى من شدة المرض، وتجيل بصرها في أولادها.. يقول الإمام علي عليه السلام: انها لما حضرتها الوفاة فتحت عينيها وقالت: السلام عليك يا جبرئيل، السلام عليك يا رسول الله، اللهم احشرني مع رسولك، اللهم اسكني جنتك وفي جوارك.

ثم قالت: هؤلاء ملائكة ربي، جبريل ورسول الله حاضرون عندي، وأبي يقول: القدوم الينا يقول علي عليه السلام: فلما كان الليلة التي أراد الله ان يكرمها ويقبضها إليه اخذت تقول: وعليكم السلام. يابن عم، هذا جبريل أتاني مسلماً، وقال: السلام يقرئك السلام يا حبيبة حبيب الله وثمرة فؤاده - اليوم تلحقين بالرفيق الاعلى وجنة المأوى ثم انصرف عني.

وقد اوصت عليا عليه السلام ان لا يشهد جنازتها كل من كان سببا للاذى عليها.. ففي الرواية.

---

(١) (دلائل الإمامة: ٤٢).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قالت فاطمة لعلي عليهما السلام: إني أوصيك في نفسي وهي أحب الأنفس إلي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذا مت فغسلني بيدك، وحنطني وكفني وادفني ليلاً، ولا يشهدني فلان وفلان، واستودعتك الله تعالى حتى ألقاك، جمع الله بيني وبينك في داره وقرب جواره[١].

وعن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام: لماحضرت فاطمة الوفاة بكت فقال لها امير المؤمنين:

سيدتي ما يبكيك؟ قالت: ابكي لما تلقى بعدي[٢].

ثم اوصت ان لا يؤذن لجنازتها وروى صاحب كشف الغمة وابن عبد البر في الاستيعاب بسنده أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) لما مرضت مرضها الذي توفيت فيه، قالت لأسماء بنت عميس: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى. فقالت أسماء: يا بنت رسول الله أنا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد - النخل - رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا، فقالت فاطمة (عليها السلام): ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل، ثم قالت فاطمة (عليها السلام): إذا أنا مت فاغسليني أنت ولا يدخلن علي أحد.. ولا يصلِّ عليّ الشيخان[٣].

وكان لابد من رحيل.. ولكن اي رحيل؟.. ماتت فاطمة مظلومة

(١) بحار الأنوار، ج٨١، ص٣٩٠ح١٠٤.

(٢) (المجلسي، البحار، ج٤٣ ص٢١٨ ح١١١٠).

(٣) بحار الأنوار، ج٨١، ص٣٩١.

مغصوب حقها وحق زوجها.. ماتت والالم يعتصر قلبها لما اقدمت به الامة من ظلم للبيت النبوي.. ماتت وارتحلت عن الدنيا بعد ان اجتازت امتحانات عدة خرجت منها متفوقة بامتياز، وانتقلت الروح الى بارئها وكان لابد من صعود الروح فما جعل الله لبشر الخلد وكان الوداع وكان الفراق.. رحلت أعظم النساء قدسية وكرما وفضلا ورزية!! امرأة ليس لها شبيه على وجه الارض.. امرأة اسمها فاطمة بنت محمد هي آخر ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأول من ظُلم من ذرية النبي الخاتم.

نعم رحلت فاطمة عليها السلام بعد ان عاشت مع الاسلام في كل مرافئه وكل محطاته المفرحة والمحزنة والخطيرة والصعبة وانبرت للدفاع عنه في كل مراحل حياتها في طفولتها وشبابها.. وذادت عن حياض الاسلام ورسمت للانسان ابعاد حركته الرسالية وعرفت المرأة كيف تعيش الهم الرسالي وتتحرر من اطار الجمود والدوران حول الذاتية والفردية لتنطلق الى رحاب الايمان الواسعة وتعيش السبق مع الرجل والتنافس – وليس الندية – لتحصيل الرضا الالهي وارساء دعائم الكمال البشري بعيدا عن التطرف والغلو وبعيدا عن تضييع حقوق الآخرين فكانت سيدة نساء العالمين بفضائلها وأدوارها وأخلاقها قبل ان تكون ذلك بنسبها وسرعان ما انتشر خبر وفاة بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، فصاح أهلها صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها تتزعزع فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة ان تتزعزع لصراخهن وهن يقلن: يا سيدتاه، يا بنت رسول الله، واقبل الناس

مثل عرف الفرس إلى علي عليه السلام وهو جالس والحسن والحسين عليهم السلام بين يديه يبكيان، فبكى لبكائهما، وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة تجر ذيلها، متجللة بردائها وقد غلب عليها نشيجها، وهي تقول: الله يا أبتاه، يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً؛ واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون وينتظرون ان تخرج الجنازة فيصلون عليها فخرج أبو ذر الغفاري وقال: انصرفوا فان ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخر إخراجها في هذه العشية فقام الناس وانصرفوا.

يقول السيد العاملي رحمه الله:

الناس يلوم بعضهم بعضاً: ولا ندري لماذا يتلهّف الناس على ما فاتهم من الصلاة على البنت الوحيدة لنبيهم، وهم الذين خذلوها بالأمس، ولم ينصروها على من هاجمها، وضربها وحاول احراق بيتها عليها وعلى زوجها وابنائها، وخالفوا بذلك وصية أبيها فيها؟!

وماذا ينفع هذا التظاهر بالإعزاز والمحبة للزهراء (عليها السلام)، وكيف نفسره من أناس كانوا هم الذين آذوها، وقتلوها.. أو سكتوا عما يجري عليها..

فما أحرى هؤلاء بقول عبيد بن الأبرص:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي[١].

(١) (العاملي، الصحيح من سيرة الامام علي عليه السلام، ج١٠، ص٣١١).

فلما جن الليل غسلها أمير المؤمنين عليه السلام ولم يحضرها غيره والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم عليهم السلام وفضة جاريتها وأسماء بنت عميس.

قال علي عليه السلام: «والله لقد أخذت في أمرها وغسلتها في قميصها ولم أكشفه عنها، فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهرة، ثم حنطتها من فضلة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكفنتها وأدرجتها في أكفانها فلما هممت ان أعقد الرداء ناديت يا أم كلثوم يا زينب يا سكينة يا فضة يا حسن يا حسين هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة.

فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وهما يناديان: واحسرة لا تنطفئ أبداً من فقد جدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فأقرئينه منا السلام وقولي له: إنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إني أشهد الله أنها قد حنت وأنّت ومدت يديها وضمتهما إلى صدرها مليا؛ وإذا بهاتف من السماء ينادي يا أبا الحسن ارفعهما عنها فلقد أبكيا والله ملائكة السماء فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب، قال: فرفعتهما عن صدرها»[1].

فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

"السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك، وقرة عينك وزائرتك، والبائتة في الثرى ببقعتك، المختار الله لها سرعة اللحاق بك،

(١) (البحار ج١٠ ص٥١).

قل يا رسول الله عن صفيتك صبري، وضعف عن سيدة النساء تجلدي، إلا أن في التأسي لي بسنتك، والحزن الذي حل بي لفراقك، موضع التعزي،..... إنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء.

يا رسول الله، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد، لايبرح الحزن من قلبي أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق بيننا، وإلى الله أشكو، وستنبئك ابنتك بتظاهر أمتك علي، وعلى هضمها حقها فاستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين»[1].

وانشد يقول:

أرى علل الدنيا علي كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقةٌ ... وكل الذي دون الممات قليل

وان افتقادي فاطماً بعد ... احمد دليل على ان لا يدوم خليل

وكيف يهناك العيش من بعد فقدهم ... لعمرك شيء ما إليه سبيل

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويظهر بعدي للخليل بديل[2]

.. فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.. هذا مايقوله عنه زوجها وهو اعلم الناس بما كان

(١) (أمالي المفيد ص٢٨١ ح٧ وأمالي الطوسي ص١٠٩).

(٢) (الأمالي للصدوق: ص ٥٨).

يجول بخاطرها وبما مر عليها من مصائب ونوائب.. لهفي لسيدة النساء التي يموج قلبها بالاسى فلا تجد من تبثه احزانها.. وربما لم تبث حزنها لزوجها كيلا يزداد المًا بعد الم!!...

وقد اختلفت الروايات في تاريخ وفاتها والارجح انه في الثالث من جمادى الآخرة في نفس العام الذي قبض فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اي بعد ثلاثة اشهر من وفاة ابيها كما ذكره المجلسي[١] والطوسي[٢] وهناك روايات تشير الى وفاتها بعد أربعين يوما من وفاة أبيها أو خمسة وسبعين يوما من رحيله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: عاشت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوما، لم تر كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين: الاثنين والخميس، فتقول: ها هنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وها هنا كان المشركون»[٣].

قال الكليني (رحمة الله عليه): ولدت فاطمة (عليها السلام) بعد مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخمس سنين، وتوفيت (عليها السلام) ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما، وبقيت بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوما[٤].

---

(١) البحار ج١ ص١.

(٢) مصباح المتهجد ص٥٥٤

(٣) (الكافي ج٤ ص٥٦١ ح٤).

(٤) (اصول الكافي ج ١ ص. ٤٥٩).

وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد وصّى عليّاً برعاية سبطيه، وكان ذلك قبل موته بثلاثة أيام، فقد قال له: سلام الله عليك أبا الريحانتين، اُوصيك بريحانتيّ من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركناك، والله خليفتي عليك، فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عليّ: هذا أحد ركني الذي قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا ماتت فاطمة (عليها السلام) قال عليّ: هذا الركن الثاني الذي قال لي رسول الله[1].

اما محل دفنها فهو ايضا محل اختلاف فهناك روايات تشير الى دفنها في البقيع وهناك رواية تقول إنها دفنت إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد سئل الإمام الرضا عليه السلام عن هذه المسألة كما في (عيون أخبار الرضا)، فعن أحمد بن محمد بن أبي نصير البزنطي، قال: "سألت أبا الحسن الرضا عن قبر فاطمة عليها السلام، قال: دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنو أميّة في المسجد صارت في المسجد"[2]. فالإمام علي عليه السلام لم يخرجها من بيتها ليدفنها في البقيع أو في مكان آخر، فهو حينما قال: أخّر دفنها هذه الليلة، إنما أراد دفنها ليلاً في بيتها ليتمثّل بذلك الاحتجاج على القوم الذين ظلموها، وهذا الرأي يتبنّاه الكثير من علمائنا الأوّلين.

فالسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث شاكية ظلم الامة لها نادبة اولادها!.

---

(١) (بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٦٢).

(٢) الكافي، ج٢، ص: ٣٦١.

عمر الزهراء عليها السلام

اذا اردنا ان نحسب عمر الزهراء عليها السلام فهو لم يكن ليتجاوز العشرين ببضع سنوات حسب عموم الروايات التي تجعل ولادتها قبل البعثة اما الروايات التي اعتمدناها والتي جعلت مولدها المبارك بعد البعثة بخمس سنوات مما يعني انها فارقت الحياة عن ثمانية عشر ربيعا ليس اكثر وبهذا فقد ذهبت وهي في ريعان شبابها. ان العمر الذي نحسبه من خلال السنوات التي يعيشها الانسان في الحياة هو العمر الزمني وهو ماتشير اليه شهادة الميلاد والوفاة وهو يمثل رسالة ضمنية بان كل من يمتلك شهادة الميلاد فلينتظر شهادة الوفاة لاحقا مهما طال به العمر!!.

في الكافي عن عبد الله بن جعفر، وسعد بن عبد الله جميعاً، عن إبراهيم ابن مهزيار، عن أخيه علي بن مهزيار، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستاني قال: سمعت أبا جعفر(عليه السلام) يقول: ولدت فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) بعد مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخمس سنين؛ وتوفيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما.[1]

(١) البحار: ٤٣/ ٩ ح١٣.

في كتاب «مواليد الأئمة (عليهم السلام)» بسنده، عن نصر بن علي الجهضمي، قال: سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن عمر فاطمة (عليها السلام)؟

قال: ولدت فاطمة بعد ما أظهر الله نبوته بخمس سنين وقريش تبني البيت؛وتوفّيت ولها ثماني عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً؛

وكان عمرها مع النبي (صلى الله عليه وآله) بمكّة ثمانية سنين.

وهاجرت مع النبي إلى المدينة وأقامت فيها عشر سنين.

وأقامت مع أمير المؤمنين من بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) خمسة وسبعين يوماً.

وفي الثقافة اليابانية يضاف عمر سنة الى عمر الانسان الزمني لحساب العمر الفعلي لحياة الشخص، غير ان هناك اعمارا اخرى للانسان تفوق اهميتها العمر الزمني ومنها:

١ - العمر الاجتماعي: وهو العمر الذي قضاه الانسان في علاقاته الاجتماعية ربما مع الاسرة وربما مع المجتمع والاصدقاء والمؤيدين والاحبة وهو يحسب بإنقاص ساعات النوم والخلوة من مجمل العمر الزمني وهو يشمل ايضا العمر الذي يقضيه الانسان في تعلم أو تعليم خبرات أو مهارات اجتماعية.

٢ - العمر الثقافي وهو العمر الذي يقضيه الفرد في التعليم وتحصيل الثقافة وتعلم المهارات الثقافية وهو يحسب بنفس الطريقة التي يحسب بها

العمر الاجتماعي حيث تُنقص الساعات الاجتماعية مع اوقات النوم والخلوة وغير ذلك. وهذا العمر تُنقصه ساعات الامية والجهل والتعلم الخاطئ والثقافة المشوهة بمعنى آخر انه العمر الذي نقضيه في تعلم الثقافة الهادفة والواعية وهو لا يعني مجرد التعليم الاجوف فما اكثر متعلمينا واقل مثقفينا!! فالثقافة هي امتلاك المعرفة التي تؤهل للعمل الجاد والمثمر وتحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة.

٣ - العمر الايماني: وهو مايقضيه الانسان من وقت في عبادة الله وطاعته وربما يشمل كل العمر الزمني مضافا اليه ما كرّسه من ثقافة للآخرين وما سَنّه من سنن اجتماعية هادفة وما تعلمه الناس منه بل حتى ساعات النوم قد تكون قربة الى الله (ونومكم فيه عبادة) وكذلك ساعات الطعام والخلوة فتسجل حسنات مضاعفة وزمنا اطول وهذا العمر المبارك يمتد فسيحا على مدى التاريخ وربما قبل ولادة الانسان نفسه وبعد رحيله وبعد انتهاء العوالم فهل يمكن لأحدنا ان يحسب الزمن والوقت الذي سنّته سورة الدهر؟، وضربة علي يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين فهل عبادة الثقلين تقاس بسنين وجودهما على هذه الارض؟، ومن هنا لا تكون هناك اهمية لعمر طويل اذا لم يكن فيه مايخلد الانسان، ونفس الشيء يقال عن العمر القصير.

وفي الحديث عن الامام الصادق عليه السلام: من يموت بالذنب اكثر ممّن يموت بالآجال ومن يعيش بالاحسان اكثر ممن يعيش بالاعمال.

ومما يساعد على إسباغ البركة على الأعمار هو بر الوالدين وصلة

الرحم (وقد جاء في ان الذنوب التي تعجل الفناء هي قطيعة الارحام) والعدل والصدقة والاحسان الى الزوجة (من حسن بره بأهله زاد الله في عمره) والدعاء (وأسالك ان تطيل عمري في خير وعافية).

- قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله): (خَيْرُ نِساءِ العالَمين أَرْبَع: مَرْيَم وآسية وَخَدِيجَة وَفاطِمَة)[1].

- وفي فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (١٣٣٩) - بسند صحيح - عن ابن عباس قوله: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنتُ خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون.

- وفي المستدرك على الصحيحين (١٧٠/٣) أن النبي - صلى الله عليه وآله - قال لفاطمة - عليها السلام -: يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين.

- قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله): (أَفْضَلُ نِساءِ أَهْل الجَنَّةِ: مَرْيَمُ وَآسيةُ وَخَدِيجَةُ وَفاطِمَة[2].

- قال الامام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف: وفى ابنةِ رسولِ اللّهِ لي اسوةٌ حسنةٌ[3].

(١) الجامع الصغير ج١ ح٤١١٢ ص٤٦٩/ الإصابة في تمييز الصحابة ج٤ ص٣٧٨/ البداية والنهاية ج٢ ص٦٠/ ذخائر العقبى ص ٤٤).

(٢) (سير أعلام النبلاء: ج ٢ ص ١٢٦ /ذخائر العقبى: ص ٤٤).

(٣) (المجلسي، بحارالانوار، ج ٥٣، ص ١٧٩ ١٨٠).



الفصل الثاني

الزهراء عليها السلام... ادوار حضارية

ماهو الدور؟

الدور هو مجموعة من الصفات والتوقعات المحددة اجتماعياً والمرتبطة بمكانة معينة. والدور هو النشاط الذي يقوم به الشخص وفق الموقع الذي يحتله في الجماعة.. ويمكن لصاحب الموقع ان يتخذ ادوارا عديدة الى جانب دوره الرئيسي(١) والدور له أهمية اجتماعية؛ لأنه يوضح أن أنشطة الأفراد محكومة اجتماعياً، وتتبع نماذج سلوكية محددة، فالمرأة في أسرها تشغل مكانة اجتماعية معينة، ويتوقع منها القيام بمجموعة من الأنماط السلوكية تمثل الدورالمطلوب منها. ولما كان لكل فرد أوضاع كثيرة داخل المجتمع لذلك فهو يؤدي ادوارا مختلفة(٢).

وهناك ادوار مستمرة مثل ادوار المرأة والرجل واخرى متغيرة كدور الطالب، وهناك ادوار سهلة كدور المواطن فهو سهل نسبيا اما دور العالم فهو دور صعب(٣)، وبهذا يكون دور الإمام والمعصوم والقدوة المطلقة هو أصعب

(١) (د. رجاء مكي طبارة، علم النفس الاجتماعي، ص١٥)

(٢) (محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص٣٩٠).

(٣) (الزهران، علم النفس الاجتماعي، ص ١٣١).

حتى من دور العالم نفسه.

والدور يمكن جمعه في ثلاث محطات هي ما يتوقع أن يقوم به الفرد وما قام به فعلا وماينبغي القيام به.

وهناك تفاوت في الرؤى الاسلامية والغربية للدور ففي الرؤية الغربية يقوم الدور على ما يقوم به الفرد من سلوكيات معينة ايا كانت دوافعها أو اهدافها أو الآليات المتبعة فيها، في حين انه في المنظومة الاسلامية التي تستند إلى القيم الاسلامية نجد ان مفهوم الدور ينطلق من مبدأ الاستخلاف فهو غير ثابت أو محدد فالانسان الخليفة هو: (النائب والقائم بالدور الموكول إليه نيابة عن غيره) ويتمثل دوره في الحياة فيما يمكن أن يسهم به في تحقيق الاستخلاف التوحيدي بحسب مايقوم به من اعمال لنشر التوحيد والعدالة والرحمة الى غير ذلك، فالآليات والاهداف والدوافع لابد من ان تنسجم مع القيم الالهية وحيثما كانت المرأة -كما هو الرجل- كائناً مستخلفاً فالدور الاستخلافي واحد لكلا الجنسين ولهذا نجد عليا عليه السلام يقاتل بالسيف ولكن الزهراء عليها السلام تقاتل بالكلمة!! وكلا الامرين ينطلق من دافع واحد ويسير نحو غاية واحدة وهدف واحد ولكن هناك انسجاماً مع الهوية الخاصة، فكما نعلم ان لكل شخص هويتين؛ الهوية الانسانية تحدد مساره الانساني والهوية الخاصة تحدد متعلقات الدور من الانوثة والذكورة وليس هناك اي منقصة في اتجاه الاهداف الواحدة، فهناك ادوار خاصة بالنساء كدور الامومة وادوار عامة تشترك فيها مع الرجل كمختلف الانشطة السياسية والاجتماعية والثقافية الى

غير ذلك.

وقد كانت مشكلة الدور غير واضحة عند نساء صدر الاسلام خاصة وان الاسلام قد قام على مبدأ المساواة بين الجنسين وهذا مادفع المسلمات الاوائل الى السؤال والبحث عن المطلوب منهن في الاسلام، فهذه أسماء بنت يزيد الانصارية وَفَدَتْ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جماعة من النساء، فقالت:

بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليكَ، إنّ الله عزّوجلّ بعثك إلى الرجال والنساء كافّة، فآمنّا بك وبإلهك، وإنّا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد في بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم. وانّكم معشر الرجال فُضّلتم علينا بالجُمَعِ والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحجّ بعد الحجّ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عزّوجلّ. وأنّ الرجل إذا خرج حاجّاً، أو معتمراً، أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربّينا لكم أولادكم، أفما نُشارككم هذا الأجر والخير؟

فالتفتَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه فقال: «هل سَمعتم مقالةَ امرأةٍ أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟!..

فقالوا: بلى والله يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «انصرفي يا أسماء، وأعلِمي مَن وراءكِ من النساء أنّ حُسن تبعّل إحداكنّ لزوجها، وطلبها لمرضاته،

واتّباعها لموافقته، يعدل ما ذكرتِ للرجال.

فانصرفتْ أسماء وهي تُهلّل وتُكبّر استبشاراً بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ويمكن القول إن الاسلام قد وجّه الانسان بصورتيه (الذكر والانثى) الى روضة الاستخلاف ونشر راية التوحيد والعدل وبهذا انتشلهما من الادوار الهامشية والضيقة واللاانسانية التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي والتي عادت الى الانتشار مع الجاهلية الجديدة.

وتتفاوت الأدوار فيما بينها فهناك أدوار مكملة كدور الزوج إزاء زوجته، وأدوار متطابقة كدور الصديق إزاء صديقه، وتنشأ المشكلات حينما تضطرب توقعات الأفراد للأدوار المنوطة بهم أو بغيرهم.

وتلعب عوامل عديدة في تحديد الادوار ومداخل عدة في فهمها، فهناك المدخل الثقافي لفهم ادوار البشر والذي يرى ان كل مجتمع يتوقع من افراده انماطا معينة من السلوك تبعا لثقافته بالمعنى الواسع للثقافة بما تحتويه من قيم وعادات وتقاليد واعراف، وعموما فان هناك رؤية عامة الى ان ادوار النساء - في مختلف الثقافات - هي ادنى من ادوار الرجال من حيث الاهمية (غيدنز، انتوني، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصباغ) ومشكلة هذا التصور انه يرى انجازات الرجال شاخصة امام الابصار وانهم قاموا بادوارهم كاملة في حين لا يرون في الادوار النسائية الا انها ادوار هامشية؛ إذ إن حركة الرجل في

---

(١) (انظر الاصابة ٤ : ٢٣٤، الاستيعاب (المطبوع بهامش الاصابة) ٤ : ٢٣٨).

الاقتصاد والسياسة هي الكفيلة بتحصيل المال والمكانة والمنصب، وهؤلاء يخلطون بين الدور وبين الوظيفة التي تستوجب انماطا معينة من السلوك، ولان ثقافة المجتمعات متباينة ولا تعتمد كلها على رؤى دينية فإن الفهم الخاطئ للدور النسوي قد ادى الى تحميلهن فوق الوسع مع طمس كل معالم الحركة الحضارية التي تقوم بها المرأة سواء من خلال تربية الاجيال أو صيانة ونقل القيم الى غيرها من الادوار، وهذه الرؤية لا تعطي وزنا لادوار النساء بل ترى لها دورا هامشيا تابعا للرجل وبخاصة فى ظل تقسيم العمل القائم على التفرقة بين الذكور والإناث. في حين (أن أغلب الأدوار المنوطة بالمرأة هي أدوار "جذرية"، فهي تؤدي دور الجذر في الشجرة فلا يكون لها الظهور ولكن يكون عليها الاعتماد والارتكاز).

وهناك من يرى ان المرأة لا تمتلك دورا محددا انما دورها تابع للرجل ومعنى هذا انها لاتمتلك القناعات الاصلية بما يمكن ان تقوم به !! بمعنى انها ليست كائنا مستقلا حرا يمكن ان يتخذ قراراته التامة فيما يمكن ان تقوم به من ادوار واعمال وبما يمكن ان تحققه لنفسها وللآخرين!!، وهذه الرؤية تطمس كل معالم الابداع عند المرأة بل وتسلب منها كل خياراتها!، وفي هذه الحال تكون المرأة كائناً متلقياً خاضعاً لاملاءات الغير مما قد يتعارض مع مسؤولية التكليف التي تتحملها المرأة كالرجل تماما وتجعلنا نتساءل عن جدوى الحساب الالهي لكائن مستعبد يؤدي ما يأمرونه دونما ارادة؟!.

وفي مدخل التبعية يُحرص على إبقاء المرأة كقوة عمل احتياطية يستعان

بها عند الضرورة ويتم الاستغناء عنها تبعًا لمتطلبات الإنتاج. ويرى أنصار هذا المدخل أن الأدوار التى تقوم بها المرأة تعد أكثر ارتباطًا بالاقتصاد المحلي كما أنها تقوم بأدوار أقل تخصصًا وأقل انتاجية وهذه الرؤية لا تختلف عن سابقتها.

وهناك الرؤى المادية للدور فالانسان قيمته ومكانته بما يحصل عليه من اموال وبدوره في العمل الاقتصادي والانتاجي اي حسب موقعه في السلم الاقتصادي فهل هو صاحب رؤوس اموال ام هل هو منتج ام مستهلك؟ وهذه النظرية تطيح بإنسانية العاطلين عن العمل وتصور ربة البيت على انها كائن غير منتج، وقد تبنى الفكر الماركسي هذه الرؤى فهدم كل مايعارضه من افكار واديان غير انه سقط فسقطت قيمه وافكاره!! اذ لا يمكن ان يكون السارق والمحتكر والطماع قد قاموا بادوار سامية!! ويرى هذا المدخل أن أدوار المرأة ومكانتها فى المجتمع تفسر فى ضوء حجم مشاركتها فى عمليات الإنتاج، ومن ثم يمكن تفسير تدني مكانة المرأة فى ضوء قيامها (بأدوار هامشية)لا تُعد ضمن موارد الانتاج وفى تصنيع سلع ذات قيمة اقتصادية مرتفعة فى السوق. فهنا دور الانسان مبني على الاموال والانتاج لا اكثر!!.

اما المدخل البنائي فيرى ان دور المرأة قد يكون بنائيا يرتبط بالمتغيرات الاجتماعية التي قد لاتعني التحول الى احسن لكن عملية التغيير تؤثر على نمط الانتاج والمكانة الاجتماعية كما حصل في المجتمعات التي ظهر فيها البترول مما ادى الى قلب الاوضاع الاجتماعية لكنه أسهم في ايجاد ظواهر ايجابية وسلبية

كارتفاع نسبة العنوسة لطغيان القيم الاستهلاكية على القيم الاخلاقية.

على هذا نجد ان كل هذه المداخل لفهم الدور ومتطلباته تنبع من افق مادي بحت لا يهتم للثوابت كالدين وتُقرر آراؤه حسب نسبة العاملين والعاملات في السوق بغض النظر عن نوع المادة المنتجة أو حقوق العامل أو خلق الانسان وقيمّهُ.

أما الاسلام فانه يرى ان هناك ادوارا انسانية لا يمكن التخلي عنها تتميز بدوافعها واهدافها واساليبها الربانية، ولهذا جاء القرآن معظما لتصدّق اهل البيت عليهم السلام على المسكين واليتيم والاسير رغم انه كان رغيفا لا اكثر!!، فليست القيمة بالمادة أو الصورة انما المهم هنا النية فنية المرء خير من عمله والايثار سجية انسانية عظمى، وقد جعل الاسلام الجنة تحت اقدام الامهات تكريما وتعظيما لدور الام لكنه في نفس الوقت دعا كلا الجنسين الى التكامل عبر الايمان بالله والعمل الصالح وسنمر على استقراء بسيط عن الفرق القيمي بين الثقافتين لنصل الى فهم محدد.

والبعض يرى ان ادوار المرأة يجب ان تحصر في البيوت ويقدم مبررات كثيرة لتعطيل الطاقة الانسانية للمرأة في حين ان الحجز في البيوت يحرم المرأة من تحقيق نمو سليم لقدراتها العقلية والذاتية ثم اذا كانت المرأة أمّاً تنشغل بالاولاد فما بال البقية من النساء اللائي لم يتزوجن ولم يصبحن امهات!! أفيعقل ان طاقاتهن الانسانية تهدر الى فناء لعدم وضوح الرؤية الى ادوارهن؟! ويؤثر تقييد دور المرأة في إطار المنزل على قدراتها الذهنية(وهو ما أشار إليه

ضمنياً الطهطاوي عندما قال: إن تحديد دور المرأة في المنزل فقط سيحول قدراتها إلى الثرثرة والأقاويل) فاذا كان لكل انسان طاقة يمكن ان يوجهها في اتجاه الخير والشر، فما أحوجنا الى تعلم آليات توجيه الطاقة نحو دور الانسان الرئيسي في الحياة الا وهو الاستخلاف.

يقول الشيخ محمد الغزالي: المرأة عندنا، ليس لها دور ثقافي ولا سياسي، ولا دخل لها في برامج التربية، ولا في نظم المجتمع، ولا مكان لها في صفوف المساجد ولا ميادين الجهاد!!.

واذا اردنا ان نحدد صورة الادوار في الرؤية الاسلامية فهي نابعة من:

الرؤية الاستخلافية التي تنظر الى ان الانسان يمتلك القدرات والامكانيات والقابليات التي تؤهله لاسمى وارقى الادوار الانسانية، ويمكن ان يوظف هذه القابليات في خدمة الغايات التوحيدية.

الرؤية الفسيولوجية للانسان والتي تحدد ادواره ومهامه الجنسية والتناسلية على اساس هويته الذكرية والانثوية.

والمشكلة ان الحالة الثانية مقبولة عند الجميع اما الحالة الاولى فمحل تساؤل (لغلبة واستمرارية الثقافة الذكورية الجاهلية حيث يصعب على الرجال أن يأخذوا بثوابت الشريعة الإسلامية بعد أن اقتحمت حدودها أسباط من الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي زلزلت مكانة وأدوار المرأة للمشاركة في منظومة الاستخلاف والتنمية والاعمار وأعادتها إلى الوراء فراسخ وأميالا عن خطوات مسارات الرجال، فهي مجرد وعاء للمتعة

والإخصاب وتجريدها من إرادتها للمشاركة الحقيقية في مسؤولية الاستخلاف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

على هذا لو اخذنا الادوار التقليدية للنساء في صورة الزهراء عليها السلام لوجدناها في القمة فهي نِعم البنت البارة الحنونة المتابعة لشؤون والدها صلى الله عليه وآله وسلم في سرائه وضرائه وهي الزوجة التي تعطي من نفسها الكثير من خلال تحملها لمسار حياة زوجها المرهقة اقتصاديا وحركيا وجهاديا، وهي نِعم الام التي كانت وراء سيدي شباب اهل الجنة واختهم العقيلة عليهم جميعا افضل التحية والسلام.

واذا اخذنا الرؤى الاخرى للادوار فيكفي انها اعطت مفهوم التملك الصحيح للمال من خلال الانفاق السليم بعيدا عن الاسراف والتقتير، وهي التي جعلت اموال فدك صدقة جارية لفقراء المسلمين مما أسهم في تحسين ظروفهم المعاشية.

اما المدخل الثقافي للدور فإن وجودها المبارك في بداية ظهور الاسلام قد أسهم في التعريف بالثقافة الاسلامية الصحيحة وما حملته من قيم جديدة مازالت نافذة المفعول حتى وقتنا الحاضر وستبقى كذلك بفضل الصورة السليمة والحسنة التي قدمتها في وقت كانت هناك الحاجة الماسة الى النموذج الاسلامي الواضح فبانت صورة المرأة المثقفة الواعية ذات المشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولا ننسى ان الاسلام جاء بأفق جديد للمرأة ونقلها من ضيق الجمود

والجسد الى المنافسة الرحبة في رحاب الله والى العلم والدعوة وتحصيل الثواب، وحفظ لها كرامتها وهذا التطور النوعي ترك اثره على حركة المرأة المسلمة وعلى اتجاهاتها في الحياة وعلى طموحاتها ايضا فلم تعد تلك الفتاة التي تؤأد بأي شكل من اشكال الوأد ولم تَعُد ذاك الانسان المقهور ضحية الشعوذة والخرافة بل استعادت المرأة المسلمة إنسانيتها اولا ومن ثم كانت ادوارها إنسانية تكاملية سامية.

يقول د. حليم بركات:

ماذا نعني بالتطور النوعي؟ بكل بساطة نعني ان تتحول المرأة من وظيفة ودور وموضوع جنسي وانجابي الى انسان، فيكون لها الحقوق وعليها الواجبات والمسؤوليات لفرض ذاتها التي للرجل دون تمييز، اذن، يجب ان تكون المرأة اولاً وآخراً انساناً لا جسداً، وان تشترك في جميع الميادين العامة، وان تتساوى مع الرجل في الحقوق وبخاصة في إطار الاحوال الشخصية، وان تكون كائناً بذاتها لا بغيرها[1].

اما بالنسبة لادوار الزهراء عليها السلام فقد وجدت علماءنا يتخذون عدة اتجاهات في فهمها وعرضها؛ اهمها:

١ـ الاتجاه الاول يدعو الى الاهتمام فقط بالدور الاسري وصرف النظر عن الادوار الاخرى!! وهذا امر عجيب فلو كان هذا هو الحق لما ذهبت عليها السلام شهيدة مظلومة لدفاعها عن دينها وإمامها وهي في ريعان

(١) (حليم بركات، النظام الاجتماعي وعلاقته بمشكلة المرأة العربية).

شبابها!! تاركة اسرتها واولادها الصغار. وهذه اكبر اساءة للزهراء عليها السلام نفسها بل هو منتهى الظلم لها.

٢ - الاتجاه الثاني على العكس ربط الزهراء عليها السلام بمسألة فدك ولاشيء آخر!! اي اختزل هذه الشخصية التي لانظير لها في احداث فدك!! فانا لانفهم شيئا عن الزهراء عليها السلام سوى مطالبتها بفدك!، الامر الذي ترك اثره على الاجيال المعاصرة التي بات يغيب عنها انها عليها السلام كانت امرأة مثقفة وناشطة نسوية واجتماعية وممرضة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحروب وداعية مجاهدة وامرأة عاملة الى غير ذلك من الادوار!!، وهذا العرض قد جمد صورتها عليها السلام وحدد حياتها كلها في دائرة فدك لا اكثر!!.

٣ - الاتجاه الثالث لا يستطيع ان يقدم الزهراء عليها السلام بروح المعاصرة كل الذي يملكه انها قالت: خير للمرأة ان لا ترى رجلا! وهذا معناه حجر النساء في البيوت! وحرمانهن من العلم والعمل وكل انماط الفاعلية في المجتمع وهو مالم تقم به الزهراء عليها السلام نفسها!!. فنراها ذهبت الى مسجد النبي وألقت خطابها الجماهيري فرآها الرجال والنساء وتابعها الجميع في بيت الاحزان فكيف استند الحجر على المرأة إلى كلمة الزهراء عليها السلام هذه بل لماذا لم يتم الحجر على الزهراء نفسها والناس سواسية؟!!.

٤ - الاتجاه الرابع يحاول ان يرسم صورة ادوارها بشيء من المرونة عله يستطيع ان يروج الرؤية المعاصرة للزهراء عليها السلام والتي تنسجم مع

التطور الانساني والحضاري، ونرى هنا ان الرؤية الاسلامية الصحيحة للمرأة وماهو المطلوب منها تبدو اكثر وضوحا في هذه الشخصية العظيمة.

على هذا نرى ان الزهراء عليها السلام قد امتدت ادوارها وكذلك القيم التي حملتها لتكون اكثر من الثمانية عشر ربيعا التي عاشتها فلها ادوار خالدة ذات منطق سليم يواكب الفطرة تمتد مع بقاء الانسانية وخلود الحياة ولهذا يذهب السيد محمد باقرالحكيم رحمه الله الى ان دور الزهراء في التكامل الفردي والاجتماعي قد أسهم في بناء الجماعة الصالحة التي بنت المجتمع الاسلامي الاول ولانه دور ديناميكي حضاري فسيبقى يرفد المجتمعات على مر الدهور بالجماعات الصالحة التي تحفظ للدين كيانه وقدسيته وافكاره.

ويضيف السيد الحكيم:

لابد من معرفة سر كل هذا التأكيد الواسع من قبل رسول الله، وقبله تأكيد القرآن الكريم، على شخصية الزهراء عليها السلام؛ وذلك لرسم معالم الأدوار التى يمكن أن تضطلع بها المرأة فى الحياة الإنسانية وفى المجتمع الصالح، من خلال تقديم هذا المثل الصالح، وهذه القدوة والأسوة الطاهرة، وهذا النموذج الراقى والكامل للمرأة وأدوارها فى المجتمع (الحكيم، فاطمة الزهراء عليها السلام، الموقع).

وحتى لو لم تكن هناك نشاطات للزهراء عليها السلام سواء في خطبتها التي قالتها دفاعا عن الدين أو في رعايتها للقيادة أو في اهتمامها بالتعليم ونشر الثقافة فان مجرد ادائها الادوار التقليدية وفق الاسس الاسلامية الجديدة مع

ماحملته هذه الادوار من قيم جديدة واطروحات اسلامية حديثة الوجود فإن هذا التأسيس لهذه المشاريع التربوية لهو شيء عظيم، وحتى لو لم تكن هذه الادوار واضحة للبعض فإن وجود اهل البيت عليهم السلام بركة لاهل الارض وامان لهم، وهم مصدر كل خير وكرامة وهم اصل الامور ووجودها في الحياة ونجد في زماننا من يفرح بانه عاصر الرئيس الفلاني أو العالم الفلاني فكيف بمن عاصر مدن العلوم الالهية وابوابها ومنشأ خيراتها وهم الذين قال عنهم تعالى:

وعزتي وجلالي: إني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً تسري إلا لأجلكم ومحبتكم.

يقول العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي:

كل زمان له متطلباته وتقنياته، وأطر نشاطه. وإنما يطالب كل من الرجل والمرأة ويحاسب وفقا لذلك، ويتم تقويم نشاطاته أيضا على هذا الأساس، من حيث حجم تأثيرها في الواقع الإسلامي كله.

وبالنسبة لعصر النبوة، فإن تعليم الزهراء القرآن للنساء، وتثقيفهن بالحكم الشرعي، وبالمعارف الإلهية الضرورية. ثم مشاركتها الفاعلة والمؤثرة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في المواقع المختلفة، حتى في المباهلة مع النصارى. ثم دورها الرائد في الدفاع عن القضايا المصيرية، ومنها قضية الإمامة. ثم خطبتها الرائعة في المسجد، التي تعتبر مدرسة ومعينا يرفد الأجيال بالمعرفة... هذا، عدا عن إسهامها المناسب لشخصيتها ولقدراتها، ولظروفها

في حروب الإسلام المصيرية.

وعدا عن طبيعة تعاملها مع الفئات المحتاجة إلى الرعاية كاليتيم، والأسير، والمسكين، وهو ما خلده الله سبحانه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة. وأعظم من ذلك كله.. موقفها القوي والمؤثر، الذي وظفت فيه حتى فصول موتها ودفنها لصالح حفظ ثمرات الجهاد، في سبيل قضية الإسلام الكبرى، تماما فعلته ابنتها زينب عليها السلام في نطاق حفظها القوي والمؤثر لثمرات الجهاد والتضحيات الجسام للإمام الحسين عليه السلام وصحبه في كربلاء.. نعم، إن ذلك كله، ونظائره، يدل على أن الزهراء (عليها السلام)، قد شاركت في العمل الإنساني، والسياسي، والثقافي، والإيماني بما يتناسب مع واقع، وحاجات، وظروف عصرها.

ويضيف:

وهنا الذي حققته قد لا يوازيه أي إنجاز لأية امرأة عبر التاريخ، مهما تعاظم نشاطها، وتشعبت مجالاته، وتنوعت مفرداته، لأنه استهدف تأصيل الجذور. فكان الأبعد أثرا في حفظ شجرة الإسلام، وفي منحها المزيد من الصلابة والتجذر، والقوة. وفي جعلها أكثر غنى بالثمر الجني، والرضي، والهني.

ولا يجعل إنجاز المرأة في هذا العصر أعظم أثرا، وأشد خطرا. حتى ولو اختلفت متطلبات الحياة، واتسعت وتنوعت آفاق النشاط والحركة فيها.. لأن من الطبيعي أن يكون عصر التأصيل لقواعد الدين. والتأسيس الصحيح لحقائق الإيمان، وقضايا الإنسان المصيرية هو الأهم، والأخطر، والانجاز فيه لا

بد أن يكون أعظم وأكبر. (مأساة الزهراء عليها السلام، ج ١ جعفر مرتضى العاملي، ص ٤٩).

وسنمر على ادوار الزهراء عبر ستة محاور اساسية هي:

الدور الاجتماعي

الدور السياسي

الدور الاعلامي

الدور الثقافي

الدور الاقتصادي

الدور القيمي



الدور الاجتماعي

يعرف الدور الاجتماعي بانه النشاطات التي تقوم بها المرأة في نطاق أسرتها وبخاصة ما يتعلق بتربية أبنائها وعلاقتها مع زوجها وعلاقة أسرتها بغيرها من الأسر الأخرى من خلال نشاطها اليومي والاجتماعي.

والدور الاجتماعي هو ما يتوقعه الآخرون بنسق اجتماعي من شخص يشغل وضعا اجتماعيا معينا؛ وذلك في أثناء موقف معين يتفاعل فيه هذا الشخص مع الآخرين.

وقد كان للزهراء عليها السلام اكثر من دور واكثر من نشاط اجتماعي سنمر عليها تباعا.

الدور الاجتماعي للزهراء عليها السلام في الحياة الخاصة

فاطمة البنت البارّة

لقد مررنا سابقا على نمط العلاقة بين الاب تجاه ابنته فاطمة وسنمر الآن على دورها عليها السلام كبنت، وعلاقتها السامية بأبيها، اذ تبدو عليها السلام اكثر حنانا واكثر متابعة واكثر اعانة لأبيها حتى في ظروفه الحرجة التي عاشها، فقد كانت معه في هجرته وجروحه وجوعه ومرضه.. ولقد كانت رعايتها لأبيها مستمرة متواصلة حتى بعد زواجها وعند مرضه ورحيله صلى الله عليه وآله.

فقد روى مسلم والبخاري في الصحيح عن عبدالله، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجد وحوله ناس من قريش، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور، فقذفه على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم: " اللهم عليك الملأ من قريش أبا جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة وعقبة بن ابي معيط وشيبة بن ربيعة، وأمية بن

خلف- أو أبي بن خلف - " قال عبدالله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في القليب[١].

- وقد الم بها الحزن والاسى لما تراه من اذى المشركين لابيها ومواصلته طريق الدعوة فانفجرت مرة باكية وهي تزيل التراب والاوساخ عن وجهه ورأسه وثيابه فرفع صلى الله عليه وآله وسلم رأسه إليها قائلا: ان الله مانعٌ أباك وناصره على اعداء دينه ورسالته.

- وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام إليها فقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[٢].

- وكانت «سلام الله عليها» تؤثره بما عندها من طعام كالأُمّ المشفقة على ولدها، فعن أنس، قال: جاءت فاطمة عليها السلام بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما هذه الكسرة؟» قالت: «قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة..»[٣].

- وعن عبدالله بن الحسن قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة عليها السلام فقدّمت إليه كسرة يابسة من خبز شعير، فأفطر عليها، ثم قال: «يابنية، هذا أول خبزٍ أكل أبوك منذ ثلاثة أيام»،

---

(١) (صحيح مسلم ١٤١٩/١٠٨ كتاب الجهاد والسير. وصحيح البخاري ج ٤ ٢٢٠/٢٦ كتاب الجزية والموادعة باب طرح جيف المشركين في البئر ودلائل النبوة / البيهقي ج ٢ /٢٧٨).

(٢) (سنن الترمذي ٥: ٧٠٠ |٣٨٧٢. ومستدرك الحاكم ٤: ٢٧٢).

(٣) (مجمع الزوائد ١٠: ٣١٢).

فجعلت فاطمة عليها السلام تبكي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح وجهها بيده[١].

- أخرج البخاري ومسلم في الصحيح عن عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه، أنّه سمع سهل بن سعد يُسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد، فقال: جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسرت رباعيته وهشمت بيضته على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يسكب عليها بالمَجَنّ، فلمّا رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلاّ كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم[٢].

- وفي معركة احد.. وكُنّ أربع عشرة إمرأة منهن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم[٣].

- أخرج الطبراني والحاكم وغيرهما عن أبي ثعلبة الخشني، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من سفر، صلّى في المسجد ركعتين، ثمّ أتى فاطمة فتلقته على باب البيت، فجعلت تلثم فاه وعينيه وتبكي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما يبكيك؟» فقالت: «أراك شعثا نصباً، قد أخلولقت ثيابك» فقال لها: «لا تبكي، فإنّ الله قد بعث أباك بأمرٍ

---

(١) (مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٣. وبحار الأنوار ٤٣: ٤٠).

(٢) (ذخائر العقبى: ٥١. والمناقب | ابن شهرآشوب ٣: ٣٤٣. وبحار الأنوار ٤٣: ٢٦ | ٢٨).

(٣) (المغازي/الواقدي/ج١/ص٢٤٩).

لا يبقى على وجه الأرض بيت ولا مدر ولا حجر ولا وبر ولا شعر إلاّ أدخله الله به عزّاً أو ذلاً حتى يبلغ حيث بلغ الليل»[1].

– وقد روي أن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) قدم من غزاة له، فدخل المسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم بدأ– كعادته– ببيت فاطمة قبل بيوت نسائه، جاءها ليزورها ويسر بلقائها، فرأت على وجهه آثار التعب والإجهاد، فتألّمت لّما رأت وبكت فسألها (صلى الله عليه وآله): «ما يبكيك يا فاطمة؟» فقالت: «أراك قد شحب لونك» فقال (صلى الله عليه وآله) لها: «يا فاطمة إن اللّه– عز وجل– بعث أباك بأمر لم يبق على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلا أدخله به عزاً أو ذلاً يبلغ حيث بلغ الليل[2].

– كان رسول الله منهمكاً مع أصحابه في حفر الخندق لتحصين المدينة وحماية الإسلام، جاءت وهي تحمل كسرة خبز فرفعتها إليه فقال (صلى الله عليه وآله): «ما هذه يا فاطمة؟» قالت: «من قرص اختبزته لابني، جئتك منه بهذه الكسرة» فقال (صلى الله عليه وآله): «يا بنية أما إنها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث»[3].

وإذا ما أخذنا في الحساب ان المعركة حصلت في شوال فمعنى ذلك ان الاستعدادات لحفر الخندق بدأت قبل ذلك وفي السنة الخامسة للهجرة الذي

---

(١) (مستدرك الحاكم ١: ٤٨٨ و٣: ١٥٥. وحلية الأولياء / أبو نعيم ٣: ٣٠ و٦: ١٢٣ دار الكتب العلمية).

(٢) (حلية الأولياء لأبي نعيم: ٢/ ٣٠، وكنزالعمال ١/ ح ١٤٤٨).

(٣) (ذخائر العقبى: ٤٧).

هو عام الاحزاب كانت ولادة الامام الحسن المجتبى عليه السلام الابن البكر للزهراء فمعنى ذلك ان زيارتها عليها السلام لابيها اما في اخريات ايام الحمل أو بعد الولادة وهي ايام ثقيلة على المرأة والطفل أيضاً.

- وسأل مُعاذُ بن جبل عائشة: كيف وجدتِ رسول الله صلى الله عليه وآله عند وجعه ووفاته؟ فأجابته: يا مُعاذ، ما شَهِدتُه عند وفاته، ولكنْ دونَك فاطمةَ ابنتَه فاسألْها[1].

- وخرجت مع ابيها وبعلها يوم فتح مكة، وقد ضرب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بخباء بالبطحاء وجلس فيه يغتسل وكانت فاطمة تستره وقيل امرها: فسكبت له غسلا فاغتسل[2] وقد كانت لرسول الله زوجات كثار آنذاك ولكنها عليها السلام اختصت برعاية شؤونه صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته من تطفل أو اذى بقية النساء.

- ولعل واحدة من أسوأ الظواهر الموجودة في عصرنا الحالي هو طغيان النزعة الفردية عند الابناء، والذي انتقل إلينا من الغرب؛ إذ كثيراً ما تلاحظ الوالدين قد أصبحوا في زاوية الاهمال من قبل الابناء الذين انشغلوا بالحياة ومشاكلها وأفراحها وأتراحها فنسوا أن لهم آباء عليهم أن يبروهم ويحسنوا اليهم بل ان الابناء ليضيق صدرهم اذا ما أعلن الآباء والامهات عن حاجتهم الى شيء من الرعاية من قبل الابناء الذين استنزفوا حياة آبائهم بما في ذلك

---

(١) (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني الشافعي ٣٦٠: ٤).

(٢) (الازرقي، اخبار مكة، ١: ١٦١ ومغازي الذهبي ص٥٥٥).

الجهد والمال والعافية فاصبحت دور العجزة مزدهرة وتكاد تضيق بازدحام نزلائها!!. هذا حال بلاد المسلمين!!.

أم أبيها

عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام: «أنّ فاطمة عليها السلام كانت تُكنى أُمّ أبيها»[(١)].

وفي كشف الغمة «إن النبي كان يحبها عليها السلام ويكنيها بأم أبيها».

وقد اختلفت التفسيرات حول هذا اللقب من ناظر يرى انه دلالة على العلاقة الطيبة بين الاب وابنته وعلى الحب العظيم الذي يعلنه الاب لهذه البنت البارة من خلال هذا اللقب، وقد أشرنا سابقا الى الرعاية الابوية للبنت وأثرها في نضج الشخصية ونموها وسلامتها من كل الجوانب، والمسألة هنا لا تبدو عاطفية ابدا وان كانت العاطفة جزءاً من الحنان الابوي لكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى وانما اراد بهذه الكلمات بيان عظمة هذه الشخصية وقد لاحظنا ذلك مرارا من خلال ارسال الفقراء الى بيتها والاشادة بها وبعطائها امام المسلمين، فهي اذن رسالة تعريف وتعظيم لالفات النظر الى مقامها السامي عليها السلام وسنتحدث عن دور الاسماء والالقاب وتأثيرها في القسم الاخير من هذا الكتاب.. ولا ننسى ان الام في اللغة هي الاصل في كل شيء فقد يكون المراد بهذا اللقب ان

---

(١) (مقاتل الطالبيين، أبي الفرج: ٢٩ والمناقب. ابن المغازلي: ٣٤٠ | ٣٩٢. والاستيعاب ٤: ٣٨٠ عن الإمام الصادق عليه السلام. وبحار الأنوار ٤٣: ١٩ | ١٩).

الزهراء عليها السلام هي الاصل في ذرية المصطفى الممتدة حتى عصرنا الحالي بعد ان حرم عليه الصلاة والسلام من الذرية من كل زوجاته الاخريات وهوالذي اشارت اليه سورة الكوثر، ولكن تبدو المسألة اكثر من رؤية نسبية فأن الزهراء عليها السلام كانت السبب في البقاء الاصيل للرسالة من خلال المواقف العظيمة التي ذادت فيها عن روضة الجمع بين النبوة والامامة فالامومة نسبية سببية دعوية خالدة. وهذا اللقب هو تكريم للزهراء عليها السلام لتثبيت مكانتها الفضلى العليا في المجتمع فربما فرحت زوجات النبي بلقب ام المؤمنين الذي منحه القرآن لهن ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[1] فيأتي علو المقام للزهراء عليها السلام فهي افضل من ام المؤمنين؛ لانها ام ابيها وابوها هو حبيب إله العالمين ونبيه المصطفى ورسوله الذي ختم به رسالة السماء فأي تكريم هذا لاتدانيه مرتبة؟!!.. بل ان الزهراء عليها السلام لتكون اما لابيها في صورته التي جسدتها في كيانها وذاتها.

قالت عائشة: «إذا أقبَلَت فاطمة كانت مِشْيَتُها مِشيةَ رسول الله صلى الله عليه وآله..»[2].

وعن عائشة بنت طلحة، عن عائشة قالت: ما رأيتُ أحداً كان أشبَهَ كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله، وكانت إذا دخَلَت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبّلها، وأجلَسَها في مجلسه»[3].

---

(١) (الاحزاب ٦).

(٢) (صحيح مسلم ١٩٠٥: ٤ / ح ٩٩).

(٣) (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوريّ الشافعي ١٥٤: ٣).

يقول السيد محمد علي الحلو في كتابه مقامات الزهراء ص١٠١ :

واذ أكرم الله زوجاته (صلى الله عليه وآله) بأن جعلهن أمّهات للمؤمنين لقوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ اشارة الى بعض آثار الامومة من الاحترام والتكريم لهن كاحترام الأم الحقيقية وتكريمها، فإنّ فاطمة عليها السلام قد فاقت منزلتها بحجيتها الالهية لتكون أمّاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى لسانه بقوله "فاطمة أمّ أبيها" مما يشير الى عِظم منزلتها وخطير درجتها، فأمومتها له صلى الله عليه وآله وسلم تعني أن هناك علاقة ارتباط وثيق على مستوى الحجية، أي انّ امومتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن رعايتها له صلى الله عليه وآله وسلم والقيام بشؤونه، فانّ لأمومتها جنبة اشراف ورعاية لدعوته وتصديقه، كاشراف مريم عليها السلام لنبي الله عيسى ورعايتها له فضلاً عن رعايتها لدعوته والقيام ببعض شؤون رسالته.

فكما انّ الرسالة العيسوية قد اعتمدت نشوءاً وبقاءً على مقام السيدة مريم من بدء الحمل حتى ما بعد الولادة، فإن فاطمة عليها السلام تحتل مقام الحجية المشار اليها سابقاً مما يعطي لوقفتها عليها السلام بُعداً آخر في تأييد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتصديقه بدعوته، اذ اقترانها معه بآية التطهير ومشاركتها له بآية المباهلة وبيان مقامها في سورة الدهر من كونها من المقربين الذين يفيضون على الابرار ويتزودون من عين السلسبيل وهي عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ذلك يؤكد أن أمومتها استناداً الى حجيتها

ستكون رعاية اشراف وحجية للدين، وبهذا فكم فرق بين الأمومة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأمومة للمؤمنين.

ويحتمل معنى أمومتها للنبي (صلى الله عليه وآله) ما تقدم في المقام السابق من كون وجودها النوري أصلاً لوجوده البدني، لأن الأم في اللغة تستعمل بمعنى الأصل، نظير ما ورد أن المؤمن أبوه النور وأمّه الرحمة).

وكأن الامر اقرار مسبق بأن الزهراء وأباها على نهج واحد وخط واحد، وكأن الامر يثبت لكرامة ومنزلة عليا لا تدانيها اي من زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم!! وهي رسالة موجهة للآباء في التعامل السامي مع البنات لتكون كل واحدة ام ابيها بحق وهي ايضا رسالة موجهة الى البنات بأن يسعين ليكن ام أبيهن سببا ونسبا ورسالة ودعوة فمحمد وعلي هما أبوا هذه الامة وهذه هي الصورة التي يجب ان تعيشها كل فتاة وكل امراة فتضع في جدول طموحاتها ان تكون ام ابيها!!.

الزهراء زوجة امير المؤمنين عليه السلام

تحدثنا سابقا عن زواج الزهراء عليها السلام مع امير المؤمنين عليه السلام والامور التي رافقته، وبهذا الزواج تشكلت اول اسرة فيها زوجان معصومان لم ولن يوجد مثلها على مدار التاريخ، والاسرة هي اللبنة الاساسية للمجتمع ولابد للاسرة - كل اسرة - ان تسعى لتحقيق اهداف الزواج في السكن النفسي وتحكيم المودة والرحمة وانجاب الابناء وتربيتهم

التربية السليمة، وأحد العوامل المؤثرة على ذلك هو نمط العلاقة بين الزوجين وهل هي علاقة سوية تحقق اهداف الزواج وترسم نموذجاً ساميا للاسرة المسلمة ام انها – والعياذ بالله – علاقة غير سوية تكون سببا لخراب البيوت وتوجد اختلالات في تربية الاولاد وسلامتهم نفسيا ودينيا واجتماعيا.. ويمكن القول ان كل مايصدر من الزوجين من اشارات وكلمات وهمسات وتحركات اضافة الى سلوكيات التعامل في مختلف مفردات الحياة الخاصة بين الاثنين، وكذلك نمط شخصيتي الزوجين والثقافة التي يحملانها والاعمال التي يمارسانها والاهداف التي يحملانها هي عوامل تؤثر على نسبة تحقق النجاح والاستقراروالتوافق في الحياة الزوجية ولهذا لابد من التعرف اولا الى اهم الاتجاهات والاساليب في العلاقة الزوجية واهمها:

١- اسلوب القسوة والتسلط

وغالباً ما يلجأ الرجال الى هذا الاسلوب كوسيلة للتحكم بالزوجة، وقد يصل اسلوب القسوة هذا الى حد ممارسة العنف ضد الزوجة والذي يتخذ اشكالاً متعددة (النفسي والاقتصادي والبدني والاجتماعي وغيره) مع استعمال وسائل مؤذية كالضرب والحبس والحرق، وربما يعود السبب في استشراء هذه الظاهرة في المجتمعات الحديثة الى اعلاء قيمة الذكورة واغماض وانتقاص قيمة الانوثة فالملاحظ مثلا ان المجتمع يشجع الرجل (احيانا) على هذا النوع من العنف، وفي الاحصائيات العالمية نجد ان:

٧٠٪ من النساء تعرضن للضرب لمجرد انهن رددن على أزواجهن بلهجة

لا تعجبهم!

٣٥٪ من النساء في فرنسا وتركيا يتعرضن لعنف الازواج!

٨٢٪ من الازواج يمنعون الزوجات من الخروج (بلدان الشرق الاوسط والخليج!

٢٥٪من حالات الطلاق في الصين بسبب عنف الازواج.

٩٠٪من نساء الهند يعانين من العنف!. ومثل ذلك في الباكستان.

% ٧٠-٤٠ من النساء في كل من أستراليا وإسرائيل وجنوب إفريقيا وكندا والولايات المتحدة ممن تعرضن للقتل وقتِلن على أيدي أزواجهن أو رفاقهن.

٩٠٪من حالات قتل النساء يرتكبها الازواج بما يشكل عنفاً جسدياً قاسياً!.

واحدة من كل أربع كل نساء في كندا يتعرضن للعنف!.

% ٤٠ من النساء اللاتي يتعرضن للقتل يلقين حتفهن بأيدي الزوج أو الرفيق. و٧٠ % من ضحايا العنف في السويد كن قد عايشن بعض أشكال العنف أو التحرش الجنسي.

وأكثر من ٢٠٠ ألف امرأة في هولندا يتعرضن سنوياً للعنف على أيدي أزواجهن. أما في الهند فإن ٨ من بين كل ١٠ نساء هن ضحايا العنف، وفي كل يوم تلقى ١٤ زوجة حتفها على يد أسرة زوجها في عموم الهند.

كما أن ٥٠ % من الأسر في جورجيا تمر ببعض أشكال العنف المنزلي.

و٦ من بين كل ١٠ نساء في بتسوانا هن ضحايا العنف المنزلي.

وتؤثر عوامل اخرى على زيادة هذا النمط من الاذى على المرأة كنمط التربية والمشكلات الاقتصادية والتوقعات اللامعقولة وغياب الثقافة الزوجية.. واحيانا يتم اللجوء للقسوة كوسيلة ضغط لانهاء حالة اختلاف الرأي وحل الخلافات.. وتزرع هذه القسوة الشعور العميق بالغبن والحيف عند المرأة وتؤدي الى اضعاف لغة الحوار في البيت وسيادة ثقافة القهر، ولا نتوقع من اي فرد يعيش اجواء القهر ان ينتج أو يبدع أو يكون نتاجه(من الاولاد)سويا. ويقل هذا النوع من العنف عند المثقفين والمتدينين والذين يشعرون بمكانة المرأة وحماية الدين لها.

وهذا الاسلوب يُفقد الزوجة - ومن ثم الاسرة- شعورها بالامن والامان ويزيد الشعور بالعداء تجاه الطرف الآخر ويؤدي بالزوجة الى ان تتحول الى مخلوق سلبي ضعيف خائف، وهذه العلاقة لا يمكن ان تكون ناجحة ابداً باعتبار انها تفتقد لمقوماتها الاساسية وتعتمد التجبر والاهانة والبحث عن مبررات لتفعيل العنف وتقنينه مما يجعل اجواء الخوف هي المسيطرة على الاسرة.

وقد ادى استشراء هذه الحالة الى ظهور رد فعل معاكس للزوجات فظهرت بوادر عنف الزوجات ضد الازواج!!خاصة مع تزايد النظرة النسوية المطروحة عالميا من ان الرجل ند للمرأة وليس شريك حياة وانه سبب لمشكلات المرأة ولتردي اوضاعها.. فالإحصائيات الأمنية لدى ولاية أمن

أغادير التي حصلت عليها "المغربية"(العدد: ٨٣٧٤ – الجمعة ٢٣ ديسمبر ٢٠١١ – أن قضايا الضرب والجرح العمدي التي بلغت نحو٧١١ قضية يشملها»حظ الرجال! اذ كشف تقرير تقييمي صدر أخيرا عن "الشبكة المغربية للدفاع عن حقوق الرجل"، وهي منظمة غير حكومية تعنى بالدفاع عن حقوق الرجال "المُعنفين"، أن أكثر من أربعة آلاف رجل تعرضوا للعنف من طرف زوجاهم منذ ٢٠٠٨، أي في غضون أربعة أعوام تقريباً، من ضمنها ٢٠ في المائة من حالات العنف المادي!

وأثبتت دراسة حديثة أن ٣٠ % من الرجال في العالم العربي يعانون من العنف الزوجي ويتوزع هذا العنف الذي يتعرض له الرجال بين العنف الجسدي والمعنوي ويصل العنف الجسدي في الحالات إلى ما يقارب ٢٠% من الحالات، (الاهرام الرقمي ٢٠١١، ٢٦ اغسطس).

وفي دراسة ميدانية مصرية أجريت بالمركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية أكدت أن ٣٠% من الزوجات يضربن أزواجهن وتضمنت العينة ستمائة شخص من مختلف المستويات الاجتماعية في المجتمعات العربية.

والملاحظ ان العنف كان سائداً قبل الاسلام وتلاشى مع ظهور الاسلام وانتشاره، والذي يتأمل الارقام يجدها متقاربة في الشرق والغرب رغم اختلاف الثقافات والاديان والاعراف ورغم ان الغرب حمل لواء المناداة بتحرير المرأة وحقوق المرأة ولكن هذه هي النتائج!..

عن امير المؤمنين علي عليه السلام: بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى

الْعِبَادِ[١].

يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: اي رجل لطم امرأته، امر الله مالكا خازن النيران فيلطمه على حر وجهه سبعين لطمة في نار جهنم[٢].

وعنه ايضا صلى الله عليه وآله وسلم: اما يستحي احدكم ان يضرب امرأته كما يضرب العبد، يضربها اول النهار ثم يضاجعها آخره؟ اما يستحي؟[٣].

٢- اسلوب النبذ والاهمال

يعدّ هذا الاسلوب من اقسى اساليب المعاملة الزوجية وغالبا ما يكون مصدر الاهمال هو الزوج ونادرا ما تكون الزوجة ويمكن تمثيله بانه حالة هجر للآخر غير ان الزوجين مازالا تحت سقف واحد بمعنى انه هجرنفسي عاطفي وربما بدني!!.... فالزوج يهمل الزوجة ويكون اشبه بالحاضر الغائب!! لا حوار ولا ضحك ولا مشاركة أو مشاورة في اي شأن!!.. هنا تغيب الكلمة الطيبة والابتسامة الحلوة وتشعر الزوجة انها وجود ميت!! ربما لا يزيد عن كونها مدبرة لشؤون المنزل ولاعداد الطعام كما لو كان البيت مطعما اوفندقا لا اكثر!.. وهي قد تصبر على ذلك لكن قلبها يبحث عن الحب والاهتمام العاطفي وهو مفقود فالزوج يُشعرها بسلوكه هذا انها لا تحتل حيزا في حياته

---

(١) (نهج البلاغة، الحكم الحكمة ٢١٨).

(٢) (مستدرك الوسائل ج١٤ح١٦٦١٩).

(٣) (السنن الكبرى للنسائي: ج٥ص٣٧١ح٩١٦٦ ومسند احمد: ج٥ ص٤٨١ ح١٦٢٢١).

فهو (لا شريك له!!) وربما يكون الامر عن عمد أو عن انشغال، وهنا يزداد شعور الزوجة بقتامة الحياة فلا وجود لها في حياة زوجها سواء كانت حاضرة أو غائبة فليس هناك من يفرح بوجودها أو يحزن لغيابها وليس هناك من يشاركها همومها أو يساعدها على حل مشكلاتها وبتعبير آخر هي شيء مهمل ملقى على الرف!!. وفي احايين كثيرة تشعر المرأة بالتعاسة الزوجية امام اهتمام الزوج المفرط بالعمل أو متابعة التلفاز أو السياحة الى غير ذلك.. وكل ذلك يؤدي الى جمود الحياة الزوجية وسيطرة الاوهام والوساوس على الزوجة التي تحاول البحث عن سبب ذلك وكيفية العلاج مما يؤدي الى ضعف ثقتها بنفسها وانخفاض شعورها بمقوماتها الانثوية والزوجية مما يقلل من اهتمامها بذاتها، وقد تزداد الحالة سوءاً الى مايسمى بالطلاق العاطفي حيث يكون الزوجان تحت سقف واحد ولكنهما اغرب الغرباء وهو جو غير سليم يزيد من حدة الوساوس والاضطرابات النفسية كما قد يكون عاملا لتصدع الاسرة التي تتحول الى مايعرف بأسرة القوقعة الفارغة فهي اسرة بظاهرها لكنها لا تنبض بالحياة!! هنا تشعر الزوجة بالوحدة وتبدأ بالبحث عن بدائل قد تكون سليمة أو خاطئة.

وفي تقرير لمجلة "بونته" الألمانية توضح الإحصائيات أن تسعًا من كل عشر سيدات يعانين من صمت الأزواج، وتشير الأرقام إلى أن ٧٩% من حالات الانفصال تكون بسبب معاناة المرأة من انعدام المشاعر، وعدم تعبير الزوج عن عواطفه لها، وعدم وجود حوار يربط بينهما.

٣ - اسلوب التدليل المفرط

وهـو الافـراط في تلبيـة حاجـات احـد الطـرفين المعقولـة وغـير المعقولـة وبديهي ان الامر سيكون على حساب الطرف الآخر وعلـى حـساب سـلامته ووجوده، وقد يؤدي الامر الى قيام احد الزوجين بكـل أعبـاء المـنزل والاسـرة والاولاد رغم وجود الطرف الآخر والذي يكون بعيدا عن تحمل المسؤولية أو الاهتمام والمساعدة والمتابعة لشؤون الاسرة، وهنا يغيب التعاون بين الزوجين حيث يتحول احدهما الى اداة منفذة ليس اكثـر ويعـيش علـى الهـامش، وهـذا الاسلوب يؤدي شيئا فشيئاً الى ضمور القوة في الشخصية وظهور الاعتماديـة المطلقة وقد يؤدي الى استفحال الانانية والنرجسية فـلا يـرى الفـرد الا نفـسه ورغباته وذاته!!، وقد تلجأ المرأة لهذا الاسلوب لانه يحررهـا مـن المـسؤولية!! وهي تفرح ان الزوج ينتظر اوامرها وتتبـاهى بـذلك!!. والحمايـة مطلوبـة مـن كـلا الطـرفين ولكـلا الطـرفين ولكنـها يجـب ان تكـون بحـدودها، وفي بعـض الاحايين تلغي الحماية الزائدة كل شعور بالمسؤولية الزوجيـة الامـر الـذي قـد يلغي شخصية الطرف الآخر وكأنه فارق هذا العـالم!! وهـذا الاسـلوب ينبـئ بنتائج خطيرة اذ عادة مايفشل الشخص الذي يكـون تحـت الحمايـة الزائـدة في ادارة شـؤون الاسـرة عنـد غيـاب الطـرف الآخـر - كمـا في حـالات الوفـاة المفاجئة أو المرض - الامر الذي يؤدي الى شلل الاسرة واحيانـا يحـصل تمـرد بشكل مفاجىء مسقطا كـل الاعتبـارات منـذرا بنتـائج سـلبية.. كمـا ان هـذه الصورة المشوهة للحياة الزوجية تؤثر علـى الابنـاء وعلـى حيـاتهم المـستقبلية.

كما يكون الجوالاسري بعيدا عن السلامة اذ ليس فيه اي شعور بالمعية الزوجية وغالبا مايؤدي الى الشعور بالغبن والاحتراق النفسي.

٤- اسلوب المودة والرحمة

وهو الاسلوب الصحيح والمتوازن والسوي في العلاقة الناجحة والطيبة بين الزوجين، وهو الاسلوب الذي طرحه القرآن الكريم لإلغاء كل صور التعامل الخاطئ الذي كان سائدا في الجاهلية ولايجاد مقاييس سليمة لانشاء اسرة متوافقة وموفقة وآمنة.

قال تعالَى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(١)].

أما المودة فأصلها من الود وهو الحب ويكون في جميع مداخل الخير (لسان العرب – ابن منظور) ومن أسمائه تعالى الودود وقيل ان المودة هي اللين والبشاشة والتواضع واظهار الميل والحب اي التعبير عن الحب، وقيل ان الود هو اول الحب. ولم يكتفِ القرآن الكريم بالاشارة الى المودة فالحب وحده لا يكفي بل لابد من وجود الرحمة في العلاقة الزوجية وتعني الرحمة العطف والشفقة والتحمل والبعد عن الانانية.

وما ذكرناه من اساليب غير سوية فإنما يعود منشؤه الى غياب المودة

(١) (الروم ٢١).

والرحمة، ولاينفع وجود احدهما في غياب الآخر فالمودة والحب مما يزيد من قوة الجذب والتعلق ويصون الجانب العاطفي وهو من أسباب استمراره، اما الرحمة فتأتي من الرؤية الانسانية للطرف الآخر بمعنى انه كلما ساد شعور بانسانية الطرف الآخر وباستتباعات هذه الانسانية استوجب الامر ان تفيض الرحمة عليه وان يقدم له العون والمساعدة وبهذا فمن باب الرحمة ان لا يُكلف بما لايطيق ومن باب الحب والمودة مداراة الحبيب. والمودة والرحمة مطلوبتان في السراء والضراء وفي ايام اليسر والعسر كي تسير قافلة الاسرة دون تلكؤ أو انكسار.

يقول صاحب الميزان:

فقوله: (أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها) أي خلق لأجلكم – أو لينفعكم – من جنسكم.. فكل واحد منهما ناقص في نفسه مفتقر إلى الآخر ويحصل من المجموع واحد تام له أن يلد وينسل، ولهذا النقص والافتقار يتحرك الواحد منهما إلى الآخر حتى إذا اتصل به سكن إليه لان كل ناقص مشتاق إلى كماله وكل مفتقر مائل إلى ما يزيل فقره وهذا هو الشبق المودع في كل من هذين القرينين. وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ المودة كأنها الحب الظاهر أثره في مقام العمل فنسبة المودة إلى الحب كنسبة الخضوع الظاهر أثره في مقام العمل إلى الخشوع الذى هو نوع تأثر نفساني عن العظمة والكبرياء. والرحمة نوع تأثر نفساني عن مشاهدة حرمان المحروم عن الكمال وحاجته إلى رفع نقيصته يدعو الراحم إلى انجائه من

الحرمان ورفع نقصه. ومن أجل موارد المودة والرحمة المجتمع المنزلي فان الزوجين يتلازمان بالمودة والمحبة وهما معا وخاصة الزوجة يرحمان الصغار من الاولاد لما يريان ضعفهم وعجزهم عن القيام بواجب العمل لرفع الحوائج الحيوية فيقومان بواجب العمل في حفظهم وحراستهم وتغذيتهم وكسوتهم وايوائهم وتربيتهم ولو لا هذه الرحمة لا نقطع النسل ولم يعش النوع قط(١).

وبهذا تكون المودة هي الترجمة الحقيقية للحب بمعنى اظهار الحب للطرف الآخر، والملاحظ ان القرآن الكريم لم يقل ان الرجل يود فقط أو ان المرأة تود وانما قالها بلحاظ الكل ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وهو بهذا يعلمنا ان اظهار المودة والحب للطرف الآخر امر مطلوب من كلا الزوجين فلابد للمحب ان يعلم الطرف الآخر بأنه يحبه بالكلمة والموقف والتأييد والمداراة والرفق وعدم التكليف فوق الوسع، وفي حديث الكساء صورة جميلة لهذه المحبة والمودة الظاهرة من خلال التعبير ومن خلال لحن الكلام ونمط السلوك.

ومما لا شك فيه ان هذا الاسلوب سيؤدي الى احترام الحياة الزوجية والشعور بقدسيتها لأنها ميثاق غليظ لابد من ايجاده على ارض سمحة سهلة قابلة للانبات وهذا كله سيؤدي الى نتائج طيبة كاحترام الطرف الآخر واحترام اسرته وافكاره مالم تخالف الدين اضافة الى انه عامل لزيادة الثقة بين الزوجين كما يعزز الشعور بالامان لدى الزوجة بالخصوص مما يجعل كلا الزوجين ينطلقان لتحسين احوالهما الحياتية والاسرية، فالمطلوب هو ايجاد

---

(١) (الطباطبائي تفسير الميزان ج١٦ ص١٦٦).

الدوافع الانسانية التي تقوي الوشائج بين الاثنين والبداية تكون من القلب فهو موضع العاطفة والحركة نحو الآخر ولانه يحبه فلابد ان يكون له عونا وسندا حينما يقع تحت طائلة الضعف أو الارهاق بشتى انواعه ولأن الحب هو المحرك الاساس فالفرد لا يترفع عن خدمة المحبوب وعن احتواء ضعفه وتخليصه من ازماته أو مشكلاته، ولأن الحركة تتجه نحو اكمال النقص لدى كل طرف حيث ان الزواج هو احد عوامل التكامل كما تشير الى ذلك الدراسات النفسية فلابد ان تكون هناك حركة نحو الكمال الذي يكون باتجاه واحد فهو حركة واعية نحو الله ولهذا كانت رؤية الزهراء عليها السلام: (انه نعم العون على طاعة الله) فالتكامل يكون مع الوحي الالهي بل مع مااراده الله تعالى للانسان من خير وصلاح.

وبهذا يكون الزواج حركة تكاملية نحو الله تتطلب كنس كل ما لا يليق بالرحمة من الضرب والعنف والقسوة أو تضييع الحقوق ولابد ان تحمل في طياتها الرحمة والشفقة والايثار والتفاني والاحترام والسعي لاضفاء اجواء السكينة على الاسرة بكل اعضائها بما في ذلك المخلوقات الجديدة التي ولدت عبر هذا الميثاق الغليظ. واذا كان الزواج احد عوامل نضج الشخصية وتكاملها فلابد ان تتهيأ له الدعائم والارضية الكافية المساعدة على نجاحه ووصوله الى اهدافه السامية في انتشال الانسان من الذاتية والفردية والشعور بالوحدة الى كماله وسعادته وتوفير السكن والرحمة وتقوية الاحساس بوجود الحبيب القريب دائما والمعين في المهمات.

وينعكس هذا الاسلوب في مجمل الحياة الزوجية فهو يبدأ من لغة السلام والتحية والبشاشة والتفاني من اجل اسعاد الطرف المقابل والسعي لجعل البيت الاسري جنة الخلد التي تبث الراحة لمن فيها والابتعاد عن كل ما يمكن ان يُذهب صفاء الحياة الزوجية من العنف والفحش والتحقير واللا مبالاة والاهمال وبخاصة في تلبية الحاجات بكل صورها واشكالها (المادية والمعنوية) وبهذا تستقر الاسرة عند شاطئ الامان والمحبة والدفء العائلي.

وهذا واضح في سيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الذي سئلت زوجته عائشة عن أخلاقه – في المنزل – فأجابت: كان خلقه القرآن.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن لي زوجة إذا دخلت تلقتني وإذا خرجت شيعتني وإذا رأتني مهموماً قالت: ما يهمك؟ إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله هماً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بشرها بالجنة وقل لها: إنك عاملة من عمال الله ولك في كل يوم أجر سبعين شهيداً»[1].

وإذا كانت المرأة تؤدي دور اعادة بناء الشخصية من جديد، ولها القدرة والتأثير الايجابي والمفيد على الرجل، فالاطمئنان والسكينة التى تعطيها المرأة للرجل لا يمكن استبدالها بأي شيء ابدا. يقول «ويل ديورانت»: «إن المرأة التى بإمكانها تبديل الرجل الخيالى والضائع المتحير الى رجل كله ايثار وعلاقة

---

(١) (مكارم الاخلاق، ص٢٠٠).

بالاسرة والاطفال، ان مثل هذه المرأة سبب حفظ النوع وبقائه...»[١].

وأحد أهم الأسباب التي تدفع بالرجل والمرأة إلى الزواج وتحمل مسؤولياته الجسيمة هو السعي لتحقيق حالة من الاستقرار الروحي وايجاد السند الداعم الذي يكون الى جانبه في اشد اللحظات حراجة وضعفا فهو نوع من التخلص من الشعور بالوحدة والغربة.

كتب د. عادل صادق استاذ الطب النفسي عن مواصفات الزوجة الناجحة فيقول:

هي زوجة قادرة على احتواء الزوج بالحنان والاهتمام، فهي بحسها الانثوي تدرك احتياجات الرجل، فهي تعرف بفطرتها وبساطتها ان في الرجل جزءاً كالطفل يحتاج الى ام وبه جزء ناضج واعٍ منطقي يحتاج الى امرأة ناضجة عاشقة وبه جزء ابوي يحتاج فيه ان يؤدي دور الراعي المسؤول والقائد ولذا فهي تعطيه حنان الام وحب المرأة العاشقة وخضوع الابنة المتفهمة. فهي تعرف ان الرجل يتوقع الاهتمام من الزوجة يتوقع التقدير ولذا فهي تعيش احلامه وانتصاراته وامجاده حتى وان كانت هي الشاهدة الوحيدة عليها... تعيش حياته واهتماماته وعمله لحظة بلحظة ولا تفارقه لحظة. فالحب هو حياتها وزوجها هو محور حياتها واسرتها هي مملكتها.

ويشير د. سبوك الى ان اطمئنان الطفل الشخصي والاساسي يحتاج دائما الى تماسك العلاقة بين الوالدين ويحتاج الى انسجام الاثنين في مواجهة

(١) (الذات الفلسفة، ويل دورانت، ص٤٩).

مسؤوليات الحياة.

وحينما نعود الى الزهراء عليها السلام في علاقتها الزوجية مع امير المؤمنين عليه السلام والتي ربما زادت عن عشر سنوات تقريبا فلانجد فيها الا معالم الحب والمودة والرحمة واول المداخل نحو القلوب وهي التحية كما ورد في حديث الكساء:

.. فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب وقال: السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين، فقال: يا فاطمة إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: نعم، هاهو مع ولديك تحت الكساء.

اي صورة اجمل من هذا الكلام؟ ففيه تعظيم واحترام ونداء بأحب الاسماء وتبادل التحية بأجمل منها، فيه التقدير والاشعار بالمودة والرعاية.. وعلى مدى السنين التي عاشتها الزهراء عليها السلام مع زوجها نجد وقوف الاثنين الى جانب بعضهما في الشدة والرخاء والجوع والشبع وفي الفرح والحزن.. كانت الى جنبه في جهاده ودفاعه عن الاسلام وماكانت تنغص حياتها القصيرة مع الحبيب بالشكوى والضجر وبالتافه من الكلام والعمل- والعياذ بالله- بل كانت حياتها كلها تفيض عطاءً وبركة، تجود بخبزها ويجود بخبزه فيتحرك الصغار ليتعلموا كيف يجودون هم ايضا برغيفهم الذي لم يكن لهم غيره ويبيت الجميع على الطوى تلفهم المحبة ويسمو بهم حب الله تعالى..

يقول عليٌّ عليه السلام واصفا الزهراء عليها السلام لرجل من بني سعد بعدما غابت عن حياته:

«ألا احدثك عني وعن فاطمة؟ إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله (صلى الله عليه وآله) إليه، وإنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد[1].

كانت معه في حروبه وانتصاراته وفي امجاده التي سطرها واحدا بعد آخر وكانت تتابع اخباره وتقوم عنه بمهامه في الاسرة - اذا غاب - فـ(تستقي بالقربة) ولاتشتكي ثقل المهام، وأنى يكون ذلك وقد نذرا نفسيهما عليهما السلام للامانة الكبرى التي عجزت عن حملها السموات والارض، وكانت عليها السلام تداري مشاعره وتخفف عنه شدة الحراب المسنونة الى صدره من قبل الكافرين والمنافقين والمسلمين على حد سواء!!، وحملت سيفاً مسلولا في الدفاع عن احقيته في الولاية وماكان من خطبتها ومحاججتها أبي بكر الا لتثبت ان لا راعي للامة خير من علي عليه السلام فهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقادر على مواصلة مسيرة النبوة الى ساحل الامان للامة والنجاة والصيانة للدين. كما ان الزهراء عليها السلام كانت قد شاركت في القرارات الاسرية كاختيار الخادم اوالمساهمة في تأمين المورد الاقتصادي من خلال الغزل أو في القرارات المصيرية الكبرى مثل ما جرى في

---

(١) (البحار ٤٣ص ٨٢).

قضية فدك.

أما هو عليه السلام فقد كانت هي اعز الناس الى قلبه وكان يهب لاعانتها حينما تؤذيها الرحى ويجمع التمرات لها في ايام الجوع، ووقف الى جانبها يقود بغلتها ويدور على بيوت الانصار والمهاجرين معلناً ظلامتها وقالت له معتذرةً في وصيتها حينما احست بمرارة فراقها عن الحبيب الذي ستتركه نهبا للهموم والخطب الجليلة، تقول له:

.. ثم قالت: يا بن عم، ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني. فقال: معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفا من الله، من أن أوبخك بمخالفة، وقد عز علي مفارقتك وفقدك إلا أنه أمر لا بد منه.

وفي الخصال عن الامام الباقر عليه السلام لما ماتت فاطمة قام عليها امير المؤمنين عليه السلام وقال:

اللهم اني راضٍ عن ابنة نبيك اللهم انها قد اوحشت فآنسها، اللهم انها قد هُجرت فصلها، اللهم انها قد ظُلمت فاحكم لها وانت خير الحاكمين[1]. محبة واضحة تصب دمع الفراق في قالب الوداع.

وهي تنادي زوجها يا أمير المؤمنين: يابن العم وفي الرواية:

«- روُحي لِروُحِكَ الْفِداءُ ونَفْسي لِنَفْسِكَ الْوَقاءُ يا اَبَا الْحَسَنِ اِنْ كُنْتَ فى خَيرٍ كُنْتُ مَعَكَ واِنْ كُنْتَ فى شَرٍّ كُنْتُ مَعَكَ.

(١) (الخصال ص٥٨٨ ح١٢).

اما هو عليه السلام فقد قال عنها:

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «والله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمرٍ حتى قبضها الله عزَّ وجلَّ. ولا أغضبتني، ولا عصيت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان[١].

لله درك ياعلي فأي رجل انت؟ لم تغضب زوجتك يوما ولم تكرهها على امرما.. ياللعجب!! وقد وقف عند قبرها باكيا متألما يبوح بوجده ويعلن حزنه ومن عادة الرجال ان تترفع عن بيان حزنها على زوجاتها فلا يعبر عن حزنه بارتداء السواد بل يحضر الجنازة بالقميص الابيض ليعلن للملأ.. ان هي إلا امرأة!! وعلي عليه السلام يقف على القبور مناديا اياها ليطلع الجميع على الحب العظيم الذي كان يملأ جوارحه وجوانحه لبنت المصطفى، وهو يتكلم عن عشقه الخالد اشبه مايكون بفتى استكن الغرام قلبه.. اي رجل انت ياعلي؟.. احتفظ لها بخصوصياتها وخصائصها واحتفظت له بذلك، فلم تنقل الزهراء عليها السلام اي شيء عن حياتها الخاصة معه كما قامت بذلك بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث كشفن الاسرار الخاصة!! ناسيات ان المرأة المسلمة لابد ان تكون حافظة للغيب لا اذاعة بث!!.

وهو عليه السلام لم يعارض وصيتها ولم يهملها بل قام بتنفيذ كل ما أوصت به وهو الذي كان سندا لها في حياتها وعونا لها على حل مشاكلها ومشاكلهما، ويواسيها في تظلمها ويدعمها في دفاعها.. وهذا هو الحب

---

(١) (كشف الغمة | الاربلي ١: ٣٦٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٤).

الحقيقي الخالد الذي ينمو مع الزواج ومع العلاقة الشرعية فيسبغ المحبوب كل صفات الجمال على محبوبته.

ويشير علي عليه السلام الى حبه للزهراء عليها السلام فيقول:

ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّي الهموم والأحزان[١].

لغة العيون

هناك وسائل كثيرة للتواصل الانساني منها التواصل اللفظي عن طريق الكلام والكتابة ومنها التواصل غير الفظي عبر الاستفادة من الايماءات والاشارات وهي التي تعرف بلغة الجسد فهي اللغة غير الناطقة التي تعتمد الاشارات والحركات، وكلها رسائل موجهة للطرف الآخر، وقد يكون لهذه الرسائل غير اللفظية تأثيرٌ اقوى من مثيلتها اللفظية لما لها من تأثير واضح على المتلقي والتي قد تكون اشد تأثيرٌ من الكلام نفسه، وهذه تُسهم في نقل وايضاح وبيان مايقرب من ٩٠% من الرسائل التي تتعلق بالمشاعر والاحاسيس، وتختلف لغة التعبير هذه باختلاف الثقافات، ومن صور لغة الجسد هذه هي حركة العيون ونمط النظرات والتحديق وتحريك اليدين الى غير ذلك.

ويعد النظر احد مفاتيح الجذب والانتباه والتأثير فالنظرة هي اللسان الناطق، فحينما يعجز لسان الفم عن الافصاح عن رأيه والبوح بما يكنه

(١) (كشف الغمة | الاربلي ١: ٣٦٣).

القلب من وجد يأتي لسان البصر ليوصل الرسالة المطلوبة بقوة وعمق، فالنظرة هي مفتاح المودة ومفتاح الشر أيضا!!، ان النظرة الودية الحنونة تُسهم في تقوية العلاقة بين الزوجين وتزيد من مشاعر الاعتزاز والحب تجاه الاخر وفي الحديث:

عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبدالله بن ميمون القداح، عن أبي عبدالله (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال النبيّ (صلى الله عليه وآله): ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الاسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله[١].

والنظرة هي سبب من أسباب الألفة والاتفاق أثناء لقاء المخطوبين لأول مرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما " أي يؤلف ويوفق بينكما.

وتُسهم النظرات الحنونة ونظرات المودة في اعطاء الحياة الزوجية الدفء والشعور بالحب والتواصل العاطفي الذي قد نحتاج الى التعبير عنه والى اظهاره وبخاصة في حالة وجود آخرين (كالأولاد مثلا) فتكون هذه النظرات هي الاقوى تعبيرا والاشد تأثيرا فهي لغة خاصة معروفة بين الاثنين.

وقد أشار القرآن الكريم الى بعض مظاهر لغة الجسد كقوله تعالى:

---

(١) (وسائل الشيعة ج٢٠ ص٤١ ح٢٤٩٧٩).

﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾[(٢)].

إشارة الى البغض والكراهية التي اشتعلت في نفوسهم ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أحسوا بخطر الدعوة الآخذة في الانتشار. يقول العلامة الطباطبائي في ج٢٠ تفسير سورة القلم: حول الآية والمعنى: أنه قارب الذين كفروا أن يصرعوك بأبصارهم لما سمعوا الذكر.

والمراد بإزلاقه بالأبصار وصرعه بها الإصابة بالأعين، وهو نوع من التأثير النفساني لا دليل على نفيه عقلا وربما شوهد من الموارد ما يقبل الانطباق عليه، وقد ورد في الروايات فلا موجب لإنكاره.

وقيل: المعنى أنهم ينظرون إليك إذا سمعوا منك الذكر الذي هو القرآن نظرا مليئا بالعداوة والبغضاء يكادون يقتلونك بحديد نظرهم.

وأشار القرآن إلى أنماط متعددة من لغة العيون فمثلا يقول في لغة الغمز:

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾[(٣)].

وأشار تعالى الى النظرات الخائنة:

---

(١) الفتح/آية ٢٩.

(٢) القلم ٥١.

(٣) (المطففين ٢٩-٣٠).

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[(١)].

وعن نظرات الخوف قال تعالى:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾[(٢)].

وقال ايضا: ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾[(٣)].

وشخوص البصر يوم القيامة قال تعالى:

﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾[(٤)].

وفي قصة يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[(٥)].

فهنا لغة العيون كانت قد طغت على المشهد فمهما أعطت زوجة العزيز من تبريرات حول الامر الذي حصل مع يوسف عليه السلام ماكان ليعطي

---

(١) غافر ١٩.

(٢) سورة محمد ٢٠.

(٣) (التوبة١٢٧).

(٤) (الأنبياء/ ٩٧).

(٥) [يوسف: ٣١].

نفس النتيجة كما هو الذي حصل لما رأت النساء يوسف عليه السلام نفسه بشبابه وهيبته ورجولته وكانت الدهشة من التأثير بحيث فقدن صوابهن وقطعن أيديهن!

ولما كانت لغة العيون هي احدى وسائل الاتصال الانساني التي يمكن من خلالها نقل رسائل خاصة عن طريق إشارات العيون، كان لابد ان تتنوع النظرات وان تكون لها أوصاف وإشكال عدة في اللغة منها نظرة استياء، اشمئزاز، غضب، فرح، دهشة، تقدح شررا، نظرة ماجنة، نظرة تذمر، نظرة حب، نظرة قاتلة، سعيدة، حزينة، ثاقبة الى غير ذلك.. ان نظرات العيون تمتلك من التأثير ما لا تمتلكه الوسائل الاخرى من القوة والبيان ولهذا ذكر الشعراء العيون في شعرهم وقال أحدهم:

فالعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقال الشاعر:

إن العيون لتبدي في نواظرها ... ما في القلوب من البغضاء والإحن

وقال الآخر:

العين تبدي الذي في قلب صاحبها ... من الشناءة أو حب إذا كانا

إن البغيض له عين يصدقها ... لا يستطيع لما في القلب كتمانا

فالعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من صميم القلب تبيانا

يقول الان غييز في كتابه الشهير (لغة الجسد):

ان الاتصال بالعين ينظم الحوار وتعتبر اشارات العين جزءا اساسيا من القدرة على قراءة موقف الشخص الآخر وافكاره، وعندما يلتقي الناس للمرة الاولى يصدرون سلسلة من الاحكام على بعضهم البعض، اعتمادا في المقام الاول على مايرون... كما ان النظرة الطويلة يمكن ان تولد مشاعر حميمة (ص١٨٥).

ويضيف: تظهر الابحاث ان المعلومات التي تصل الى المخ تأتي ٨٣% عن طريق العين و١١% عن طريق الاذن و٦% عن طريق الحواس الاخرى[1].

ومنه جاء الامر الالهي بغض البصر لان النظر اول مفاتيح القلوب نحوالهيام والعشق..

قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[2].

لان النظر بحد ذاته رسالة موجهة فاذا كان فيها تتابع فهو جواب وتأكيد ولهذا جاء في الحديث: النظرة الاولى لك والثانية عليك!!.

قال الامام الصادق عليه السلام: «النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، وكم نظرة أورثت حسرة طويلة»[3].

(١) (نفس المصدر ص١٨٨).

(٢) الآية (النور: ٣٠-٣١).

(٣) (الكافي / الكليني ٥: ٥٥٩).

وقال عليه السلام: «النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة»[(١)].

فالعين تعرض ماهو موجود في النفوس من مشاعر واحاسيس وانفعالات وتصورات بشكل مباشر كما لو كان هناك عرض مكبر على شاشة العين وبذلك فهي لغة تمتلك مصداقية اكبر من الكلام؛ لأنها لغة كاشفة لما في السرائر!

وفي دراسة على الشبكة العنكبوتية حول وسائل الاتصال الصامت مع الآخرين جاء فيها:

تقول عالمة النفس الفرنسية "سوزان بياكسيل: " إن لغة العيون هي الأقوى تعبيرا والأسرع في توصيل الرسالة إلى الإنسان لذلك من المهم جدا أن يتطلع الفرد في عين محدثه ليقنعه بالصدق في حديثه، كما أنه يمكن من خلال النظر في العيون الكشف عن الكذب في عيني الإنسان الذي تتحدث معه".

وأفادت دراسة بريطانية شملت ٤٦٠ شخصاً من الجنسين بالتساوي أن النظرة المباشرة والابتسامة العريضة يساعدان في إقناع الشخص الآخر بأنه "الشريك المناسب"، وفضل المشاركون النظرة المباشرة والوجه المبتسم، وظهر أن تأثير الشعور بالانجذاب من النظرة المباشرة كان واضحاً.

وهناك نظرات كاسحة للألم كانسة للهموم وهناك نظرات مكدرة للبدن جالبة للهموم!!.

---

(١) (من لا يحضره الفقيه / الصدوق ٤: ١٨ / ٤٩٧٠).

ونعود الى الزوجين المعصومين عليهم السلام فنقول: اي امراة هـذه اذا نظر إليها زوجها انجلت عنه الاحزان والاكدار!!؟انها نظـرات تفـيض بالحـب والمودة والحنـان والاجـلال وهـي نظـرات ماسـحة للـهموم والاكـدار متفائلـة بالامل فياضة بالدفـء فهل التفت الازواج المعاصرون الى هـذه اللغـة القديمـة الحديثة؟.

الغضب في الحياة الزوجية

الغضب احد اخطر الامور التي تهدد الحياة الزوجية بل حتى الحياة العادية لما تترتب عليه من مضاعفات سيئة على المدى البعيد والقريب!، وقـد تـؤدي الى تهديد وتمزيق العلاقة الزوجية بالكامل.. وأحيانـا تكـون أسـباب الغـضب تافهـة بيـد ان غيـاب القـدرة في الـضبط والـتحكم في الانفعـالات يـؤدي الى عواقب خطيرة!.

وقد يكون الغضب طبيعيا لأسباب معقولة كما لو تعرض الشخص الى ظلم من الآخرين أو الى التعدي على حقوقه فيهب غاضبا لنفسه وحقه وهـو الغضب المحمود.

وأحيانا تكون أسـباب الغـضب خـارج الحيـاة الزوجيـة كالبطالـة وسـوء ظـروف العمـل وعـدم القـدرة علـى تـدبير الامـور المعيـشية بـسبب الازمـات العالمية، واحيانا يكون السبب نمط الشخصية فالزوج قد يكون سريع الانفعال أو انه نمط متشنج متسلط لا يقبل بلغة الحوار أو الحلول الوسط، كمـا ان نمـط

العلاقات داخل الاسرة لها أثرها في تهييج الغضب فكلما كان هناك الانسجام والمودة والتقدير للطرف الآخر انخفضت حدة الغضب وقلت اضراره، ويُعدّ النقد المستمر من عوامل تأجيج الغضب.

وقد يؤدي الغضب إلى استعمال لغة العنف بأشكاله المتعددة مع الآخرين وبخاصة مع الاضعف وعادة ما تكون الزوجة!

وهو يؤدي أيضا الى أخطار صحية مثل ارتفاع ضغط الدم وتزايد نبضات القلب اضافة الى التغير الهرموني وقد ينتهي بالموت الفجائي بسبب هذه التغيرات.

ويترك الغضب آثاره السيئة على الفرد والاسرة والاولاد بل وحتى المجتمع وقد يؤدي الى انفصال الزوجين وانحراف الابناء وبخاصة اذا استمر النكد الزوجي.

ولهذا دعت الشريعة الى كظم الغيظ وعدّته من الخصال الحميدة وكذلك التحلي بالحلم والصبر والتغافل كي لا يصاب الشخص بالتوتر والانفعال والاحتقان نتيجة امر ما.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الغضب جمرة من النار وان الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام «الغضب مفتاح كل شر»[٢].

---

(١) (سنن أبي داود رقم ٤٧٨٤).

(٢) (أصول الكافي، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح ٣).

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم "الغَضَبُ يُفْسِدُ الإِيمانَ كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ"(١).

كما جاء في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث له: كان أبي يقول: "أَيُّ شَيْءٍ أشَدُّ مِنَ الغَضَبِ؟ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ فَيَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ وَيَقْذِفُ المُحْصَنَةَ"(٢).

وبإسناده، عن ميسر قال: ذُكر الغضب عند أبي جعفر الباقر عليه السلام فقال: "إِنَّ الرَّجلَ لَيَغْضَبُ فَما يرضى أبداً حَتّى يَدْخُلَ النّار فَأَيُّما رَجُلٍ غَضبَ عَلى قَوْمٍ وَهُوَ قائِمٌ فَلْيَجْلِسْ مِنْ فَوْرِه ذلِكَ فَإِنَّهُ سَيَذْهَبُ عَنْهُ رِجْزُ الشَّيْطانِ وَأَيُّما رَجُلٍ غَضِبَ عَلى ذي رَحِمٍ فَلْيَدْنُ مِنْهُ فَلْيَمَسَّه، فَإِنَّ الرَّحِمَ، إذا مُسَّت، سَكَنَتْ"(٣).

يُحكى أن زوجين ظلا يتصارحان حول كل شيء في حياتهما طوال مدة زواجهما التي تعدت الستين، ويسعدان بقضاء كل الوقت في الكلام أو خدمة أحدهما الآخر، ولم تكن بينهما أسرار، ولكن الزوجة العجوز كانت تحتفظ بصندوق فوق أحد الأرفف، وحذرت زوجها مرارا من فتحه أو سؤالها عن محتواه، ولأن الزوج كان يحترم رغبات زوجته فإنه لم يأبه بأمر الصندوق، إلى أن كان يوم أنهك فيه المرض الزوجة وقال الطبيب إن أيامها باتت معدودة، وبدأ الزوج الحزين يتأهب لمرحلة الترمل، ويضع حاجيات زوجته في حقائب

(١) [أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح ١].

(٢) [أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح ٤].

(٣) [أصول الكافي، المجلد الثاني، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح ٢].

ليحتفظ بها كذكريات. ثم وقعت عينه على الصندوق فحمله وتوجه به إلى السرير حيث ترقد زوجته المريضة، التي ما أن رأت الصندوق حتى ابتسمت في حنو وقالت له: لا بأس بإمكانك فتح الصندوق، فوجد بداخله دميتين من القماش وإبر النسج المعروفة بالكروشيه، وتحت كل ذلك مبلغ ٢٥ ألف دولار، فسألها عن تلك الأشياء. فقالت العجوز هامسة: عندما تزوجتك أبلغتني جدتي أن سر الزواج الناجح يكمن في تفادي الجدل والناقر ونقير، ونصحتني بأنه كلما غضبت منك، أكتم غضبي وأقوم بصنع دمية من القماش مستخدمة الإبر. هنا كاد الرجل أن يشرق بدموعه: دميتان فقط؟ يعني لم تغضب مني طوال ستين سنة سوى مرتين؟ ورغم حزنه على كون زوجته في فراش الموت فقد أحس بالسعادة لأنه فهم أنه لم يغضبها سوى مرتين. ثم سألها: حسنا، عرفنا سر الدميتين ولكن ماذا عن الخمسة والعشرين ألف دولار؟ أجابته زوجته: هذا هو المبلغ الذي جمعته من بيع بقية الدمى!!.

فالغضب قد يكون سببا لمزيد من التوتر والخلافات الامر الذي قد يؤدي الى اسقاط هيبة الزوجين امام بعضهما وامام الاولاد ان كانوا حاضرين.

وعليه يمكن تجاوز الغضب بالوضوء وتغيير الحال فلو كان واقفا جلس ولو كان جالسا استرخى واستلقى على السرير، اضافة الى ان تغيير المكان عامل مؤثر في تخفيف الغضب فالخروج من البيت أو الذهاب الى الحدائق له دوره في ذلك.

ولابد من اكتساب مهارات حل المشكلات والتعامل مع الضغوط بشكل

سليم وكثير من النساء يلجأن الى كتابة مشاعرهن وما في صدورهن من ألم كي يتم التفريغ السليم للطاقة السلبية دون اذى للطرف نفسه أو للآخرين. ولهذا قد نحتاج الى بدائل عن الغضب أو امور تجنبنا الغضب كالتسامح والتغافل.

التسامح والتغافل

اي يتسامح الفرد ايا كان مع الآخر على عثراته ولا يقف منه موقف المتربص ويكظم غيظه في الموارد التي تتطلب ذلك، ولا يلجأ الى العنف والانتقام.

ففي الحديث: صلاح حال التعايش على مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل[١].

ولايمكن لامرئ عاقل ان يبقى طول حياته متربصا بأخطاء غيره ناقدا منتقدا.. فهو بهذا الحال يحول الحياة الى جحيم أبدي ويقتل فيه حالة السكينة والمودة، فالزوجان يجب ان يتغافلا عن تقصير الآخر أو تلكئه في تنفيذ المرام ففي الحديث: عن امير المؤمنين: من لم يتغافل ولا يغض عن كثير من الامور تنغصت عيشته[٢].

واذا غابت لغة التسامح والتغافل عن الأخطاء فهنا سيكون العنف حاضرا مما يهدد امن الاسرة والافراد.

عن محمد بن يعقوب، عن أبي علي الاشعري، عن محمد بن عبد

---

(١) (شرح احقاق الحق ص٣٣٩ المرعشي).

(٢) (غرر الحكم ح٩١٤٩).

الجبار، عن صفوان، عن إسحاق بن عمار قال: قلت لابي عبدالله (عليه السلام): ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسنا؟ قال: يشبعها ويكسوها وان جهلت غفر لها، وقال أبو عبدالله (عليه السلام): كانت امرأة عند أبي (عليه السلام) تؤذيه فيغفر لها[١].

وَقَالَ الامام الصادق عليه السلام: مَنِ احْتَمَلَ مِنِ امْرَأَتِهِ ولَوْ كَلِمَةً وَاحِدَةً أَعْتَقَ اللَّهُ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ وأَوْجَبَ لَهُ الْجَنَّةَ وكَتَبَ لَهُ مِائَتَي أَلْفِ حَسَنَةٍ ومَحَا عَنْهُ مِائَتَي أَلْفِ سَيِّئَةٍ ورَفَعَ لَهُ مِائَتَي أَلْفِ دَرَجَةٍ وكَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ عَلَى بَدَنِهِ عِبَادَةَ سَنَةٍ[٢].

والمطلوب ان يقدم له العون المطلوب عند الازمة أو المشكلة، وان يعينه على التخلص من حالة الترصد.

يمكن القول ان الزهراء عليها السلام كانت قد اسهمت في تغيير الواقع الاجتماعي عن طريق تقديم نموذج الاسرة الصالحة التي لا تستند إلى الاسس الضيقة التي اعتمدتها النساء في الاختيار كما اوردنا ذلك في مواقفهن من فاطمة عليها السلام لزواجها من فقير.. فقدمت عليها السلام نموذجاً لاسرة لا تقوم على المقاييس المادية انما تعتمد الايمان والكفاءة، كما انها لا تستند الى اساليب خاطئة في التعامل بين الزوجين بل كانت هناك اصول عليا في التعامل السليم والناجح إضافة الى اهتمامها عليها السلام بالشأن التربوي الذي سنمر عليه مع استعراض مواقف الدعم التي قدمها كلا الزوجين للآخر.

---

(١) (الوسائل ج٢٠ص١٦٩).

(٢) (الكافي ج: ٥ ص: ٥١٣).

الاسس العامة في الحياة الزوجية للزهراء عليها السلام

١.التكريم

كرّم الاسلام المرأة من خلال التشريعات الجديدة التي جاء بها، والتي كانت ثورة على الافكار الجاهلية التي أهانت المرأة وغرست الشعور بالحقارة في نفسها، كما اقرّ الاسلام لها حقوقا ماكانت لها سابقا أو لاحقا بل ان المرأة المعاصرة استنزفت قواها الى حد الاعياء والارهاق حتى استحصلت على جزء منها!!.

ومن علامات اكرام الاسلام للمرأة انه اعلن انسانيتها الكاملة فهي ليست شيئاً ناقصا في الانسانية كما كان متصورا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾(١).

وهي أيضاً تدخل ضمن لائحة التكريم الالهي الذي يشمل الانسانية جمعاء، قال تعالى:

---

(١) [النساء: ١].

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾(١).

وبهذا فالكون كله مسخر لها وله فهي كالرجل خليفة الله في ارضه لها مهام استخلافية واهداف عليا، واقرّ الاسلام ان التفاضل لا يقوم على اساس الجنس- وهو امر غير ارادي- بل على اساس العمل الصالح والعلم والتقوى - وهي امور اكتسابية - فالانسان يكّرم لانه عالم أو متقٍ لا لانه ذكر أو انثى. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٢).

ودعا الإسلام الى إكرام البنات ونبذ كل أشكال الوأد عنهن بل انه حارب مظاهر الكراهة لمولدها، وأعطى المرأة حقها في التعليم والتملك والارث واختيار الزوج وجعل نفقتها واجبة على الزوج وشدد على معاشرتها بالمعروف وعدم اللجوء الى العنف أو الاذى اوالاضرار بها، واهتم الاسلام بالمرأة الام وجعل حقها اكبر من حق الاب نفسه!!. قال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾(٣).

---

(١) [الإسراء: ٧٠].

(٢) [الحجرات: ١٣].

(٣) لقمان ١٤.

وقال أيضاً: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [1].

وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [2].

والزوجة أولى بأكرام الزوج وكذلك الزوج أولى بإكرام الزوجة فهما مصدر الود والسكن والراحة القلبية والنفسية والاسرية.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [3].

قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [4].

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [5].

قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ [6].

وقال ايضاً: ﴿وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [7].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

---

(١) [آل عمران: ١٩٥].

(٢) [النساء: ١٢٤].

(٣) النساء: ١٩.

(٤) (البقرة: ٢٣٦).

(٥) البقرة: ٢٢٨.

(٦) (الطلاق ٦).

(٧) الطلاق: ٦.

دَرَجَةٌ ﴾[1].

وفي الحديث: عنه صلى الله عليه وآله وسلم: من اتخذ زوجة فليكرمها[2].

وفي الحديث: ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله]. (رواه ابن ماجه)

وجعل لها المهر تكريما لها وصيانة لحقوقها كما دعا الرجل الى تعليمها شؤون دينها والاهتمام بها فهي ريحانة وليست قهرمانة وهي ليست خصما للرجل انما هي مكمل له وراع لشؤونه.

وقال عليه الصلاة والسلام: [الدنيا متاعٌ وخيرُ متاعها المرأة الصالحة].

وهذا التكريم يعزز لدى المرأة الشعور بالمحبة وبأن لها شأناً عند زوجها فتسعى لإسعاده على الاقل كي لا تخسر هذا الشأن.

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: كان ابراهيم مكرماً لسارة يعزها ويعرف حقها[3].

وفي رسالة الحقوق عن الإمام السجاد عليه السلام: وأما حق الزوجة فإنك تعلم ان الله عز وجل جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم ان ذلك نعمة من

---

(١) (البقرة/٢٢٨).

(٢) (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤ ص١٢٢ ح٥).

(٣) (تفسير مجمع البيان ج٤ ص٤٥٥ وتفسير الصافي ج٢ ص٤٢٧).

الله (عز وجل) فتكرمها.

ومن مفاتيح تعزيز الشعور بكرامة الطرف الآخر هو النداء بالاسم الحسن وبما يحب ان يُنادى به ففي الحديث قالت فاطمة عليها السلام " لا والذي أكرم ابي بالنبوة واكرمك (ياعلي) ما اصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء اطعمناه مذ يومين الا شيء اوثرك به على نفسي وعلى ابني هذين الحسن والحسين"[١].

وجاء في حديث الكساء (فاقبل عند ذلك ابوالحسن علي بن ابي طالب وقال السلام عليك يا بنت رسول الله فقالت وعليك السلام يا ابا الحسن ويا أمير المؤمنين.

ويذكر السيد دستغيب في كتابه القصص العجيبة: ان رجلا مات فرآه ولده في منامه في عيش كريم فقال له الاب: انا هنا في بحبوحة من نعيم ولكن في كل يوم تأتي عقرب وتلدغني من لساني مما يسبب لي الما ونارا!! فسألت عن ذلك؟ فقالوا لي ان هذه العقرب عقاب لي لما كنت أنادي به امك باسم (سكو) فاطلب لي منها المغفرة، وسكو بمعنى الكلب وكان اسم المرأة هي سكينة!! ولكن يبدو انه استعمل اسم الكلب للدلع!!.

والحوار الطيب بين الاثنين من صور المحبة والتقدير، وحينما يكون الحوار بين الزوجين قائما على الكلام الطيب البعيد عن الهمز واللمز والاهانة والتحقير تزداد العلاقة بين الزوجين سمواً وارتقاءً وتقترب المسافات بين الاثنين

---

(١) (بحار الانوار: ٤٣/ ٥٩).

ويعيش كلا الطرفين الأمن من صاحبه من اي هجوم لاذع قد يكون سببا في تهاوي استقراره النفسي.

وواحدة من اهم مشكلات الازواج في زماننا انهم يبيعون الكلام الطيب للاصدقاء والغرباء ويحرّمونه في العش الزوجي!! ناسين أو متناسين ان اول مكان للكلام العذب والطيب والجميل هو بيت الاسرة، فبه تصفو الاجواء ويستحكم الود والاحترام.

وايضا من علامات الاكرام هو المشاركة الوجدانية ضمن مشاعر الفرح والحزن اذ لايعقل ان يكون حزن طرف ما هو سرور للآخر ومحطة بهجة له!! وهذا يأتي منسجما مع الاخلاق الاسلامية، فالمسلمون كلهم جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى فكيف بالعلاقة الزوجية التي هي أقدس العلاقات واكثرها دواما واثراً، ولهذا نحتاج الى الذكاء العاطفي في كل العلاقات خاصة في العلاقة الزوجية وكان عليٌّ عليه السلام مع الزهراء عليها السلام في كل محطات الفرح والحزن وهي أيضاً كانت الى جواره في كل محطات الحياة بما فيها من فرح أو حزن، ولهذا بقي يذكرها ويذكر ألمها.. فقد قال عليه السلام: إنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد اشارة الى توجعه لحالها وهو الذي أشار عليها بالخادم.

والزهراء عليها السلام انبرت تدافع عنه عليه السلام في اقسى محطات

التاريخ فقالت عليها السلام: (وما الذي نقموا من أبي حسن! نقموا والله نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله، وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله لاعتلقه ولسار إليهم سيراً سجحا لا تكلم حشاشته ولا يتعتع راكبه ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً يطفح ضفتاه ولأصدرهم بطانا قد تحير بهم الرأي غير متحل بطائل إلا بغمر الناهل وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون).

والاكرام لا يعني الذوبان فلكل خصوصيته وتوجهاته ولا تضاد بين مراعاة الخصوصيات والتكريم.

ولا ننسى ان من مظاهر اكرام المرأة هو اكرام اهلها فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرم هالة اخت السيدة خديجة عليها السلام بل كان يكرم صديقاتها ويرسل لهن مما ذبح من قرابين رغم استنكار زوجاته اللائي كن يرين انه مضى على موت خديجة دهرا فما الداعي لهذا الاكرام؟.

ومن مظاهر الاكرام والتكريم هو الاحترام فنحن حينما نشعر بكرامة شخص ما فلابد اولا ان نحترمه بل ونحترم غيابه فلا نغتابه، وكلما شعر الطرف بأنه محط احترام الطرف الآخر تزايد الشعور بحب الطرف الآخر ومودته له مما يعزز الثقة والطمأنينة اليه.

ونحتاج لتقديم نموذج طيب للمودة والرحمة فاحترام الام للأب يشجع

البنت على ان تكون كذلك مع زوجها كذلك رعاية الاب للام يشجع الابن على ان يكون كذلك. ويمكن القول إن اكرام كل طرف للطرف الآخر سيشكل الاصول الاخرى للحياة السعيدة والتي سنقدمها لاحقاً.

ولا ننسى ان الرجل يتأثر بالعرف الموجود والذي يكون احيانا ظالماً للمرأة فيشجع على إهانة الزوجة وتحقيرها!!الامر الذي يجعله يدور في متاهة بين ماتأمر به الشريعة من التكريم والاكرام وبين العرف القاسي الذي يصفه بنعوت شتى إن تمرد عليه!!.

٢. تقسيم العمل والتعاون في أمور المنزل

جاء في الحديث: عن الامام الصادق عليه السلام كان امير المؤمنين يحتطب ويستقي ويكنس وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز[١].

وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه: «تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله في الخدمة، فقضى على فاطمة عليها السلام بخدمتها ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه، قال عليه السلام: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما دخلني من السرور إلا الله بإكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحمل أرقاب الرجال»[٢].

يقول العلامة المجلسي في شرح ذلك: «تحمل رقاب الرجال أي تحمل أمور تحملها رقابهم من حمل القرب والحطب، ويحتمل أن يكون كناية عن

---

(١) (الكافي ج٥ ص٨٦ ح١، الامالي للطوسي: ص٦٦١ ح١٣٦٩).

(٢) (الحر العاملي/وسائل الشيعة/ج ٢٠/ص. ١٧٢).

التبرز من بين الرجال...»[1].

وعن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام قال: «دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمةُ جالسةٌ عند القِدْر وأنا أُنقّي العدس، قال: يا أبا الحسن، قلت: لبّيك يا رسول الله، قال: إسمَعْ منّي - وما أقولُ إلاّ مِن أمر ربّي -، ما مِن رجلٍ يُعين امرأتَه في بيتها إلاّ كان له بكلّ شعرةٍ على بدنه عبادة سنة: صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله تعالى من الثواب مِثل ما أعطاه الصابرين: داودَ النبيّ ويعقوبَ وعيسى عليهم السلام.

يا عليّ، مَن كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنَفْ كتب اللهُ تعالى اسمَه في ديوان الشهداء، وكتب الله له بكلّ يومٍ وليلةٍ ثواب ألف شهيد، وكتب له بكلِّ قَدَمٍ ثوابَ حجّةٍ وعُمرة، وأعطاه الله تعالى بكلّ عَرَقٍ في جسدِه مدينةً في الجنّة.

يا عليّ، ساعةٌ في خدمة العيال خيرٌ من عبادةِ ألفِ سنة وألفِ حجّةٍ وألف عمرة، وخيرٌ مِن عِتق ألفِ رقبة وألفِ غزوة، وألف مريضٍ عاده، وألفِ جمعة وألف جنازة، وألفِ جائعٍ يُشبعهم وألفِ عارٍ يكسوهم، وألفِ فَرَسٍ يُوجّهُها في سبيل الله، وخيرٌ مِن الف دينارٍ يتصدّق بها على المساكين...

يا عليّ، مَن لم يأنف مِن خدمة العيال دخل الجنّة بغير حساب.

يا عليّ، خدمةُ العيال كفّارة للكبائر، وتُطفئ غضبَ الربّ، ومهورُ الحور العِين، وتزيد في الحسنات والدرجات.

---

(١) (بحار الانوار ج٤٣ ص٨١).

يا عليّ، لا يخدم العيالَ إلاّ صدّيق أو شهيد، أو رجلٌ يريد الله به خيرَ الدنيا والآخرة»[١].

عن أبي عبد الله عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أيما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئا من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً، نظر الله عز وجل إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه[٢].

مع العلم ان الشريعة أعطت للمرأة حق المطالبة بالأجر لقاء عملها في المنزل بل تعطي لها أجرة إرضاعها لأبنائها، قال تعالى:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾[٣].

ولقد تم تقسيم العمل مع بداية الحياة الزوجية فلا تحميل ولاضغط لطرف على آخر وكان عليٌّ لا يستنكف أن يساعد زوجته وكان صلى الله عليه وآله وسلم قبله فعائشة سئلت عن فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته، قالت: ((كان يكون في مهنة أهله.. يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته) (صحيح مسلم).

وعن أبي طالب المكي[٤]: كان علي عليه السلام يحمل التمر والمالح بيده ويقول:

(١) (المجلسي، بحار الأنوار ١٣٢: ١٠١ / ح ١).

(٢) (امالي الصدوق ص٣٣٦، البحار ج١٠٣ص١٠٦).

(٣) البقرة: ٢٣٣.

(٤) (قوت القلوب في معاملة المحبوب ج٢ ص٢٣٣).

لا يـــنقص الكامـــل مـــن كمالـــه ... مـــا جـــر مـــن نفـــع إلى عيالـــه

وقد روى العياشي عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إن فاطمة ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقـم البيت، وضمن لها علـي مـا كـان خلـف البـاب مـن نقـل الحطـب وأن يجـيء بالطعام»[1].

ويسهم تقسيم العمل بين الزوجين في تحديد مسؤوليات وواجبـات كـل طرف فيعرف كل فرد بأنّ له عملاً كما أن لغيره عملاً وانه مـسؤول عـن أداء هذه الاعمال بالشكل الأحسن اذ لا أحد يقوم بمهامه، فلابد ان يكون تقسيم الاعمال متناسبا بين الاثنين كي يعرف كل طرف التزاماته وحـدوده، كمـا ان مساعدة الزوجين لبعضهما هـو تعـبير عـن المحبـة وعـن الـوعي بقيمـة ومكانـة الطرف الآخر، وحاليا هناك مطالبـات بتخـصيص مرتـب خـاص يمثـل أجـرة لعمل المرأة داخل بيتها، مع العلم ان الاسلام قرلها ذلك مسبقا ان هي طالبت به، هذا وتتنوع اتجاهات الازواج في العمـل البـيتي فهنـاك طـرف يلقـي بـأمور البيت كلها على المرأة ابتداءً من رعاية الاولاد إلى إصلاح العطب في الأجهزة الكهربائية والتسوق وغيره الامر الذي يثقل على الزوجة ويجعل حياتها موزعة ضمن هذه الدائرة كما انه يحول صورة البيت لدى الزوج الى مجرد مقهـى أو فندق للمبيت وتناول الطعام ليس اكثر!!، وهذا لا يتـرك اثـره علـى الطـرف الآخـر فحـسب بـل علـى الاسـرة كلـها، وأحيانـا توكـل الامـور كلـها الى

(١) (تفسير العياشي ج١ ص٣٠٣ ح٦٨٠/٤٢).

وسطائهم وهم الخدم فهم يقومون بتربية الأطفال والتسوق وإعداد الطعام الى غير ذلك!! ولا ادري هنا ماهو دور المرأة واي اعتزاز لها ببيتها وماهو دور الزوج والاب في المكان الذي يبيت فيه واسمه بيته!!مع هذه المجموعة التي تشكل اسرته؟!!..

رؤية في العمل المنزلي

يشكل العمل المنزلي ثلث الدخل القومي في بلدان كبيرة مثل امريكا وربما تقترب النسبة من هذا الرقم في بلدان الشرق الاوسط، وفي دراسة ان الخسارة الناتجة من خروج المرأة للعمل واستئجار الخادمات يساوي الزيادة النقدية التي تحققها المرأة نتيجة التحاقها بقطاع العمل المنظم!. وهناك جدل معاصر حول العمل المنزلي مع تعدد الاتجاهات:

١ - فالاتجاه التقليدي يرى ان عمل المرأة هو امر متعارف عليه في عموم المجتمعات ولا يوجد من هو افضل من المرأة في القيام بهذا العمل.

٢ - اتجاه الحركات النسائية الذي يرى في هذا العمل ظلما وانتقاصا للمرأة لأنه عمل بلا اجر.

٣ - الاتجاه الوسط يرى ان العمل المنزلي وان كان عُرفا تقوم به المرأة ولكن لا بأس بمساعدة الرجل زوجته وتقسيم بالعمل بينهما.

وحتى في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان العمل المنزلي يُنظر اليه على أنّه محطة تصغير لا حسبان له!! ويتضح ذلك من قول اسماء بنت

يزيد الانصارية (إنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم وأنكم معاشر الرجال فضلتم بالجُمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أفنشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟ قالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي (صلى الله عليه – وآله – وسلم) إليها وقال: افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حُسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله).

.. اذ انها كباقي النساء كن يرين الكرامة والفضل فقط في حمل السيوف والقتال ولا يرين لأنفسهن قدراً! فجاء رد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شافياً فهو من باب اشاد بحرصها على تحصيل المقامات العليا وعلى التنافس مع الرجل في بناء الآخرة ومن ثم عرفها بأن الاسلام يولي عنايته للاسرة التي هي مصنع الاجيال ولهذا فعمل المرأة داخل البيت له من الاجر ماقد يساوي ماتقوم به الرجال وانها لكرامة لو كان هناك من يعقل!.

وقد أشارت سارا ديلامونت في كتابها (علم اجتماع المرأة) الى أن عمل المرأة ينقسم الى ثلاثة انواع: العمل المنزلي وهذا العمل ينجز بدون أجر والعمل التطوعي وهو ينجز بدون أجر أو بأجر بسيط ثم العمل المأجور

والذي يهمنا في هذا المجال هو العمل المنزلي.

فالعمل المنزلي هو شيء لصيق بكل النساء سواء كن كباراً أو صغاراً، متزوجات أو غير متزوجات فقراء أو أغنياء منجبات أو غير منجبات عاملات أو غير عاملات حتى بين الزوجين اللذين يريدا أن يكسرا التقسيم التقليدي للعمل فان مسؤولية العمل المنزلي تكون في جانب المرأة اكثر من الرجل وأيضاً داخل جماعات الكوميون (تلك الجماعات الراديكالية الرافضة لحياة الاسرة التقليدية) فإن المرأة تتحمل عبء استمرار المنزل..

رأي علماء النفس والاجتماع

يتفق كثير من علماء النفس والاجتماع مع فقهاء المسلمين على ان الاعمال المنزلية في مقدمة اهتمامات الزوجة والعمل خارج البيت في مقدمة اهتمامات الرجل. ويذهب بارسونز وهو من اشهر العلماء في علم الاجتماع الوظيفي في امريكا إلى أن لكل من الرجل والمرأة مهامه في الاسرة تناسب طبيعته البيولوجية والنفسية والاجتماعية فالزوج يقوم بالاعمال التي تمثل الاسرة خارج البيت وفي كسب الرزق والانفاق وهي اعمال ترتبط بالأدوار الوسيلية في الاسرة اما الزوجة فتقوم بالاعمال المنزلية وتربية الاطفال وتوفير الراحة والأمن لزوجها واولادها وهي اعمال ترتبط بالأدوار التعبيرية في الاسرة.

يرى بارسونز ان العائلات المستقرة التي تدعم اطفالها هي المفتاح للتنشئة

الاجتماعية الناجحة وهي العائلات التي يقسم فيها العمل بين الجنسين بطريقة واضحة بحيث تؤدي الاناث ادواراً تعبيرية يوفرن فيها العناية والامن للاطفال ويقدمن لهم الدعم العاطفي. اما الرجال من ناحية اخرى فإن عليهم ان يؤدّوا ادوارا مساعدة، اي يزودوا العائلة بمصدر الرزق والمعيشة. ونظرا للضغوط المفروضة على دور الرجل العامل، فإن النزعة التعبيرية والعاطفية لدى المرأة ستكون بمثابة عنصر استقرار وراحة واطمئنان للرجل، وسيكون من شأن هذا التقسيم التكاملي للعمل القائم على اساس التمايز البيولوجي بين الجنسين ان يؤمن التضامن للعائلة[(١)].

ويقول د. كمال مرسي في كتابه العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الاسلام ص١٦٦ :

ولا يعني تقسيم العمل عدم المساواة بين الرجل والمرأة قدر ما يعنى التكامل بين أدوارهما ومساواتهما في الحقوق والواجبات والمكانة الاجتماعية. فالزوجان يعاملان على قدم المساواة في المجتمع وتحصل الزوجة على المكانة الاجتماعية لزوجها ومن ثم فإن عملها في المنزل لا ينقص من قدرها ولكن يجعلها زوجة صالحة في رعاية اطفالها وزوجها. (يرى اصحاب النظرية الفوارق الطبيعية ان تقسيم العمل بين الزوجين يقوم على اساس بيولوجي، فالنساء والرجال يقومون بالمهمات التي يصلحون لها بيولوجيا. ومن هنا فإن

---

(١) (انتوني غدنزعلم الاجتماع ترجمة د. فايز الصياغ مؤسسة ترجمان عمان الاردن ط١ عام ٢٠٠٥ ص١٩٢).

العالِم الانثرولوجي جورج ميردوك يعتقد ان من الافضل والاكثر نفعا من الناحية العملية ان تركز النساء على العمل البيتي وعلى المسؤوليات العائلية، بينما يتولى الرجال العمل خارج المنزل، وخَلَصَ ميردوك بعد دراسة مقارنة لنحو مئتي مجتمع الى ان تقسيم العمل بين الجنسين موجود في جميع الثقافات وهو لا يعد ذلك نتيجة للبرمجة البيولوجية بقدر مايراه نتيجة منطقية لتنظيم المجتمع(١).

رأي دعاة تحرير المرأة

افترض دعاة تحرير المرأة في العصر الحديث وجود صراع مستمر بين الجنسين يأخذ شكل استغلال جنس للجنس الآخر بحيث يكون احد الجنسين مستفيداً والثاني ضحية مما يدفع الاخير الى مقاومة الاول ومصارعته (يقوم هذا الفرض على أساس التعارض بين مصالح الرجال والنساء والعداوة والصراع بين الجنسين ولا يوجد في الواقع ما يؤيد هذا الفرض؛ لأن الله خلق الذكر والأنثى وجعل النساء شقائق الرجال فالمرأة ابنة واخت وأم وزوجة الرجل والرجل ابن واخ وزوج المرأة.

وذهبوا إلى ان الرجال يستغلون النساء ويستعبدونهن في أعمال المنزل وتربية الاطفال ودعوا إلى تحريرهن من هذه العبودية وعدّوا مسؤوليات ربة البيت وتربية الاطفال من الاعمال الزائفة التي تقوم بها المرأة بدون أجر وهي اعمال لا تناسب طبيعة المرأة وتنقص من مكانتها الاجتماعية مقارنة بالرجل،

---

(١) (انتوني غدنزعلم الاجتماع ترجمة د. فايز الصياغ ص١٩١)

فالمرأة من وجهة نظر هذا الفريق ند للرجل ومنافسة له في جميع الاعمال بعد ان اختفى التقسيم التقليدي للعمل بين الرجال والنساء ودخل الرجل مهناً كانت حكرا على النساء ودخلت النساء مهناً كانت حكراً على الرجال وظهر الصراع والتنافس بين الجنسين في جميع الميادين.

وتقوم نظرة " دعاة تحرير المرأة " إلى الأعمال المنزلية وتربية الاطفال على أساس النظرية الماركسية في الأسرة والتي شرحها فردريك انجلز ودعا الى هدم نظام الزواج والأسرة بوصفهما أنظمة رأسمالية تدعم سيطرة الرجل على المرأة وتجعل الزوج سيدا والزوجة خادمة له بدون أجر ولن تتحقق المساواة بين الجنسين إلا بتخلص المرأة من دورها التقليدي كربة بيت ومربّية للأطفال وتابعة للرجل فهي لم تخلق لهذه الأدوار[1].

أما المرأة المعاصرة نفسها فهي أمام مفترق طرق اهمها:

١ـ صنف يشعر بالحقارة لانها (مجرد ربة بيت) وتستحي من التعريف بمهنتها.

٢ـ صنف يرى ان هذا امر طبيعي وهي مهمة المرأة في كل عصر وزمان وهي مهمة لا تزول عن عاتق المرأة لكنها قد تخفف أو قد تكون على العكس.

٣ـ صنف يشعر بالغبن لعدم مشاركة الزوج لزوجته ومساعدتها.

٤ـ صنف يرى ان العمل المنزلي غبن للمرأة من حيث انها مسؤولة عنه

---

(١) (د. كمال مرسي العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الاسلام – ص ١٦٧).

والرجل محرر منه.

على هذا فالنساء ايضا منقسمات امام العمل فهناك:

١ـ صنف يستعين بالخدم ليس فقط لادارة شؤون المنزل بل حتى لتربية الاطفال! الامر الذي افرز مشكلات جديدة اهمها ضعف شعور الاطفال بالانتماء للدين والوطن والاسرة مع ضعف اللغة وتبني ثقافة الخدم مما اولد جيلا لا يملك هوية واضحة.

٢ ـ صنف يرى ان البيت مملكة المرأة المقدسة فلا يجوز حتى للخدم عبور بوابته.

٣ ـ صنف يرى ان المرأة حقا مسؤولة عن امور المنزل ولكن لا بأس من الاستعانة بخادم على الاقل للتنظيف فهؤلاء يقرّون ان تربية الاولاد مهمة المرأة الاولى.

أما المرأة العاملة فهي اذا كانت لا تستطيع ترك العمل لحاجتها اليه بسبب الوضع الاقتصادي ـ وهذه نسبة محدودة ـ للاسرة فهي تحتاج الى دعم من الزوج أو امها أو شقيقتها أو اي شخص آخر، اما باقي النساء فهي انما تطالب بالعمل خارج البيت لتعلن مساواتها مع الرجل ولتعزيز الشعور عندها بتحقيق الذات ولتحقيق الاستقلال الاقتصادي الذي يحررها من اعباء كثيرة!!.. لكنها لا تستطيع التخلص من اعباء المنزل ابداً فالمرأة ـ شاءت ام أبت ـ هي المسؤول الاول عما في داخل البيت، ولهذا تبدو المرأة العاملة تحت طائلة ضغوط كثيرة.

تقول الشهيدة بنت الهدى رحمها الله:

وتقسيم العمل نظرية أثبتت جدارتها في جميع البلدان في كل المجالات الاقتصادية، والتنموية، وكل شؤون الحياة الاخرى... فنحن إذا أجبرنا العامل الميكانيكي مثلاً على أن يكون فناناً وإذا أجبرنا الفنان على أن يكون ميكانيكياً نحكم على مواهب كل من الطرفين بالعدم في الوقت الذي نحصل فيه على أبرع عامل ميكانيكي أو على أروع فنان لو تركنا كلاً منهما يسير وراء هوايته وطبيعته الفكرية[1].

وهناك الكثير من الدراسات التي توعز أسباب ذلك الى ماتتمتع به المرأة من ميزات منها نمط الذكاء الافقي الذي يساعدها على اداء عدة اعمال في وقت واحد في حين ان نمط الذكاء عند الرجل هوعمودي يستوجب اداء عمل بعد آخر، ثم ان المرأة تتمتع بقدرة على التحمل والتصبر اكثر من الرجال وتحمل الم الولادة يكسبها قدرة اكثر، ورغم انه موجع الا انها تُعيد الكرة في ولادة اخرى!!، ثم ان المرأة تتمتع بميزات عاطفية كالذكاء العاطفي والقدرة على فهم المشاعر وتوجيه العواطف واشباع الحاجات النفسية للاطفال بشكل لا يمكن ان يعوضه اي رجل آخر!! وهناك امور اخرى لا مجال لذكرها.

وقد اظهرت دراسة جديدة نشرتها صحيفة ديلي اكسبرس ان الام البريطانية تستحق راتبا سنويا مقداره ٣٧ الف جنيه استرليني اي ما يعادل نحو

(١) (المرأة مع النبي في حياته وشريعته/الشهيدة بنت الهدى ص٨٢).

٦٠ الف دولار امريكي مقابل ٧١ ساعة في الاسبوع من العمل المنزلي.

وقالت الدراسة ان الام النموذجية تقضي ١٠ ساعات باليوم على الواجبات المنزلية مثل التنظيف بعد الاطفال ووضعهم بالسرير والمساعدة بالواجبات المنزلية، واضافت ان هذه الساعات تجعل العمل الاسبوعي للام اطول من عمل الطبيب المبتدئ.

وفي اسرائيل كانت هناك موجة حادة من نقاشات حول اعطاء المرأة مرتبا شهرياً لما تقوم به من دور عظيم في تربية (ابناء شعب الله المختار).. و في ايران يُقدم للمرأة (اجرة المثل) عند الطلاق والموت حيث يحسب ما قامت به من خدمة في بيت زوجها فيما لو كان هناك شخص آخر يقوم بهذا العمل ويحسب مع المدة الزمنية التي قضتها مع زوجها.

وحينما نأتي الى كل هذه الصور نجد انها لا تخلو من اكثر من مفارقة فمن جهة نجد ان المرأة تشعر بالحقارة اذا بقيت في البيت وبخاصة اذا سألتها النساء ما هي وظيفتك؟ واين مكان عملك؟ وهي تبحث عن العمل ذي الاجر – وان كان اقل من الاستحقاق – خارج المنزل ولو على حساب بيتها، وهذا ليس كل المشكلة بل هي تكمن في ان المرأة المعاصرة باتت تكره الادوار الانثوية كادوار الامومة ورعاية الاولاد والزوج الى غير ذلك وتعدّ هذه الادوار والمهام انتقاصات لها!! في حين صارت تتقبل وظائف خارج البيت مهما كانت وضيعة وتافهة!! والضحية الاولى هنا هي المرأة نفسها!! إذ إنها تتمرد على ذاتها الانثوية نتيجة الصراع الذي تعيشه داخليا، الامر الذي أدى

الى زيادة الازمات والامراض النفسية وارتفاع نسبة الطلاق وأخطرها الطلاق العاطفي حيث تعود الزوجة المرهقة من عملها الى البيت باحثة عن قسط من الراحة فلا تجد لزوجها متسعا من الوقت والتفرغ النفسي فضلاً عن الاولاد، ونفس الشيء يقال عن الزوج الذي يبحث عن حريته ازاء انشغال الزوجة مما أضعف العلاقات داخل الاسرة.

يقول د. الكندري:

إن المرأة... اليوم تظهر، وهي حائرة وسط تناقضات من القيم والمعتقدات. فإذا كرست المرأة المتزوجة حياتها لزوجها ولحياتهما العائلية، فإنها تدعى بأنها مجرد ربة بيت، وحتى اذا كانت راضية عن هذا الدور الذي تقوم به فإنها ربما ستشعر بالذنب، لأنها لا تستطيع عمل اكثر من ذلك في حياتها وروتين العمل المنزلي يجعلان ربة البيت غير راضية عن عملها.

ان المرأة العاملة، ربما تصبح محبطة من جراء الضغط الناتج من كونها مسؤولة عن الاعمال المادية وكذلك مسؤولة عن كل شؤون البيت في بعض الاحيان.

وربما وجب على الزوجة العاملة ان تكون امرأة (خارقة) يطلب منها القيام بالمهام كافة مثل عمل الامومة والزوجية في الوقت نفسه، وغالبا ما يبقى لديها من الوقت والطاقة القليل لتلبي حاجاتها الخاصة[1].

وفي الدراسات الحديثة وجد ان انتاج المرأة ونشاطها اقل من الرجل!!

(١) (د. الكندري، احمد محمد مبارك، علم النفس الاسري ص٩٢).

رغم ان لهما نفس ساعات العمل وفي نفس المكان حيث ان المرأة تبقى متعلقة قلبيا بالبيت بعد ان غاب الجسد في العمل عكس الرجل الذي يغيب عقلا وجسدا بل وحتى عاطفة في عمله!!.

وحينما نعود الى الزهراء عليها السلام نجد انها رضيت بتقسيم العمل بينها وبين زوجها بل انها فرحت بذلك التقسيم -كما رأينا ذلك في الحديث الذي ذكرناه سابقا- إذ ان تقسيم العمل بين الاثنين كان قد خفف عنها مهام خارج المنزل، وهي مهام اوكلت الى امير المؤمنين عليه السلام ولم تكن الزهراء عليها السلام وهي ابنة القائد والحاكم وهي زوجة الوصي ترى اي غضاضة في ان تقوم بمهامها في المنزل ورعاية شؤون زوجها واولادها ولم نجد موردا واحدا يشير الى تذمرها من هذه المهام رغم ان ظروف الحياة انذاك كانت ظروفا صعبة وعسيرة ولم تكن وسائل الحياة مكيفة اما الان فبالضغط على الزر تغسل الملابس وتجفف ويُعد الطعام ويأتي الماء الى البيوت.

وكان علياً عليه السلام يساعد زوجته ولا يتكبر عن ذلك ويقوم بأداء بعض المهام المنزلية وهو سيد الاوصياء.

(إن مسألة الخدمة - أن يخدم احدنا الآخر في دائرة مسؤوليته ليست مسألة تتصل بالكرامة لتعد المرأة ان العمل في البيت احتقار لشخصيتها أو يعتبر الرجل من مشاركتها في العمل احتقاراً له ايضاً وانما هي مسألة تتصل بالانسانية وقيمة الانسان في هذه الدنيا ان يخدم الانسان ويخدمه الإنسان الآخر وليس هناك إنسان خادم بالمطلق وليس هناك انسان سيد بالمطلق كل

إنسان منا سيد في دائرة وخادم في دائرة أخرى).

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "جهاد المرأة حسن التبعل"[(١)].

ودخل النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام وهي تطحن مع علي عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله لأيكما اعقب، فقال علي عليه السلام لفاطمة فإنها قد أعيت، فقامت فاطمة عليها السلام، فطحن النبي صلى الله عليه وآله مع علي لفاطمة[(٢)].

لم يتأفف بطل الحروب من تقديم العون لزوجه كما لم يتأفف القائد والحاكم والنبي من ذلك، ولم تشعر الزهراء عليها السلام بأن البيت كان سجنا أو ان اشتراك علي في حروبه كان ثقلا ومنقصة لها وهي سيدة نساء العالمين بل كانت ترى البيت محطة للتكامل ولصناعة الانسان وهي افضل الصناعات، ورغم انها كانت كفؤ علي عليه السلام لكنها كانت ترى ان مكانها بيتها وهو محطة خدمة الدين والعطاء، ولكنها لم تهمل مشاركتها في الحياة الاجتماعية والسياسية كما سيمر بنا لاحقا بل كانت حاضرة في كل مكان يحتاج الى تواجدها وحضورها المقدس.

الى هذا يشير آية الله مظاهري بالقول:

ان افضل العبادات في الإسلام هي الخدمة المتقابلة بين الرجل وامرأته وكلكم تعلمون أن الشهادة في سبيل الله هي اعظم الفضائل لكن الروايات

---

(١) [وسائل الشيعة، ج: ١٥، باب: ٤، ص: ٢٣، ح: ٢، من أبواب جهاد العدو].

(٢) (البحار ج٤٣ ص٥٠ ح٤٧).

المتواترة تؤكد على أن خدمة المرأة لزوجها في البيت تعد بمصاف شهادة الشهيد، وكذا الأمر بالنسبة للرجل الذي يكد خارج الدار من أجل توفير العيش الشريف لعياله:

"الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله"[(١)].

إن أسمى الخدمات وارقاها هي تلك التي يمكن أن يقدمها المرء لعياله في بيته، وتلك التي يمكن أن تقدمها المرأة لزوجها وأبنائها في ذلك البيت المبارك[(٢)].

وفي الدراسات المعاصرة وجد ان من عوامل استمرار الحياة الزوجية هو اعانة الزوجين بعضهما لبعض، إذ إن اعانة الزوج لزوجته يمثل رسالة مفتوحة الى الزوجة تعبر عن الحب وعن الاحترام والرعاية اضافة الى تقدير المسؤولية، وهذه الحالة لها ردود فعل كبرى في صيانة البيت الاسري وعدم هدمه بالطلاق.

وفي الحديث: ان الرجل اذا سقى امرأته من الماء أُجر[(٣)].

ولو قلنا جدلا ان الزهراء عليها السلام عاشت حياة الملوك والاباطرة فلم تتخشن يدها من عمل البيت ولم يستولِ عليها التعب فتنام على الرحى افتُرى سنأخذ منها صورة الكمال الانساني الذي تجلى في صورة امرأة؟ ام سنقول ان حياتها حياة الملوك هي لها فحسب والامر بعيد عنا فكرا وتطبيقا واقتداءً؟..

---

(١) (بحار الانوار / ج ١٠٣، ص١٣).

(٢) (مظاهري. الاخلاق البيتية ص٩٢).

(٣) (المعجم الكبير ج١٨ص٢٥٩).

ان تقسيم الادوار بين الزوجين يُسهم في تكامل كلا الزوجين واذا كانت ثقافات الشعوب تجعل الادوار المنزلية من مهام النساء فهذا يعني ان اهمال هذه الادوار أو تضييعها سيلحق ضررا بالمرأة والاسرة والمجتمع.

يقول الشيخ الشعراوي:

((إن دور المرأة في البيت أشرف من دور الرجل خارجه؛ لأنه يتعامل مع الأجناس الدنيا في الوجود، فإنه إما مزارع يتعامل مع تربية المواشي والحيوانات وإما صانع يتعامل مع المادة الصماء، ولكن المرأة تتعامل مع أشرف شيء في الوجود وهو الانسان، والمرأة التي لا تريد أن تقتنع بهذه المهمة امرأة فاشلة)). وبما أن خطابه يتوجه به إلى المرأة المتعلمة والعاملة فهو يرى ((أن المنزل وتدبيره يحتاج منها أن تكون مثقفة ثقافة الطبيب وثقافة الاقتصادي وثقافة المعلم)).

٣ - اخلاق المودة والرحمة

وهي العمود الفقري لكل علاقة وليس فقط للعلاقة الزوجية وان كانت هي اهم العلائق، ولكي نستقرئ وجود المودة والرحمة فلابد ان تكون هناك سلوكيات تُعرف بها والتي تشمل كل الاخلاق الفاضلة والابتعاد عن الرذائل وعن الخلق السيء، فاذا كان الحديث عن زوجين معصومين فإننا نعني كل الاخلاق والملكات الفاضلة بما لاتسعه هذه الصفحات القلائل ولكن لا بأس من استعراض اهمها:

أ - الخلق الحسن لكليهما

وهما عليهما السلام قدوة للكل في حسن الخلق بل انهما الاخلاق الكاملة صُبت في شكل بشري، وقد فاضت الاحاديث والروايات الواصفة لهما، وفي وصيتها عليها السلام اشارة الى مجمل الاخلاق الحسنة التي كانت عندها عليها السلام وكان من ادبها العالي واخلاقها النبيلة ان قالت ام سلمة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله وفوض امر ابنته اليّ وكانت والله آدب مني واعرف بالاشياء وكيف لا تكون كذلك وهي سلالة الانبياء(١).

وعن عائشة بنت طلحة، عن عائشة قالت: ما رأيتُ أحداً كان أشبَهَ كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله، وكانت إذا دخَلَت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبّلها، وأجلَسَها في مجلسه»(٢).

قال الإمام علي عليه السلام عن فاطمة عليها السلام: "فو الله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عَصَت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان(٣).

وفي الحديث: أن حدّ حسن الخلق أن تلين جانبك وتطيب كلامك وتلقى أخاك ببشر حسن(٤).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "ان أحبكم إلي واقربكم مني مجلساً

---

(١) (دلائل الامامة: ٨١/٢١).

(٢) (المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوريّ الشافعي ١٥٤: ٣).

(٣) (المجلسي، بحار الأنوار ج٤٣، ص١٣٤).

(٤) (بحار الأنوار: ج٧١، ص٣٨٩).

يوم القيامة أحسنكم خلقاً".

وقيل له صلى الله عليه وآله وسلم: أي المؤمنين أفضلهم ايماناً؟ قال: "أحسنهم خلقاً"..

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن محارم الله وحلم يكف به السيئة، وخلق يعيش به في الناس".

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ما يوضع في ميزان امرىء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق"[1].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار[2].

وعن عنبسة العابد قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «ما يقدم المؤمن على الله عزّ وجلّ بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه»[3].

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام): أن اكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً[4].

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وبَينَ

(١) (الكافي: ج٢، ص٩٩ – وسائل الشيعة: ج٨، ص٥٠٥).

(٢) (الكافي: ج١٢ ص١٠٠ باب حسن الخلق ح٨).

(٣) (بحار الأنوار: ج٦٨ ص٣٧٥ ب١٢ ح٤).

(٤) (الكافي: ج٢، ص٩٩ – الأمالي: ج١، ص١٣٩ – وسائل الشيعة: ج٨، ص٥٠٣).

زَوْجَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ قَدْ مَلَّكَهُ نَاصِيَتَهَا وجَعَلَهُ الْقَيمَ عَلَيهَا[١].

كان الزوجان قمة عليا في الاخلاق الحسنة والفضائل ولعل هذا يفسر لنا كيف استمرت حياتهما الزوجية الى عشر سنوات لكن لم تحصل فيها اي مشاجرة أو خصومة.

ب - ادب السلام والتحية

وفي حديث الكساء:

فاقبل عند ذلك ابوالحسن علي بن ابي طالب وقال السلام عليك يا بنت رسول الله، فقالت وعليك السلام يا اباالحسن ويا اميرالمؤمنين.

وهي عليها السلام تنادي زوجها بأمير المؤمنين، يابن العم، وفي الرواية «روحي لروحك الفداء ونفسي لنفسك الوقاء»[٢].

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأنس... اذا دخلت بيتك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك[٣].

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان خياركم اولو النهى، قيل: يا رسول الله من اولو النهى؟ قال: هم اولو الاخلاق الحسنة، والاحلام الرزينة، وصلة الارحام، والبررة بالامهات والآباء، والمتعاهدون للجيران واليتامى ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلون والناس نيام

(١) (وسائل الشيعة ج ٢٠ ص ١٧٠).
(٢) (الحائري المازندراني، شجرة طوبى ١٣٧٤: ج١، ص١٩٦).
(٣) (المعجم الاوسط: ج٥ص٣٢٨ح٥٤٥).

غافلون[١].

عن ابن محبوب، عن مالك بن عطية، عن أبي حمزة الثمالي، عن علي ابن الحسين (عليهما السلام) قال: من أخلاق المؤمن الانفاق على قدر الاقتار، والتوسع على قدر التوسع، وإنصاف الناس، وابتداؤه اياهم بالسلام عليهم[٢].

ج - ادب الحوار

وقد أشرنا اليه آنفا ولكنه ركن مهم فلا بأس من التذكير ففي الحديث عن الامام السجاد عليه السلام: القول الحسن يثري المال وينمي الرزق وينسيء في الاجل، ويحبب الى الاهل ويدخل الجنة[٣].

وماذا كان كلام هذين المعصومين عليهما السلام؟ وعن اي شيء يدور؟ أو ليس هو حديث القرآن وما نزل من آيات وكيف استقبلها المسلمون وما يفكر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من شؤون الدولة ونشر الدين.. حديث يفيض نورا وطهارة ويترفع عن احاديث الناس في امور الدنيا والتي تكون في غالب الاحيان مثقلة بالسيئات.. نعم هذا هو حديث الزهراء عليها السلام مع زوجها عليه السلام وهي القائلة: (ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عرفتك" فقال لها: "أنت أبر وأتقى وأعرف بالله من

---

(١) (الوسائل ج١٥ ص١٩٢).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) (امالي الصدوق ص١٢ الخصال ج١ص٣١٧).

أن أوبّخك في شيء من ذلك).

وجاء عن الإمام علي عليه السلام: وأحسنوا لهن المقال لعلهن يحسن الفعال[1].

الحديث الطيب مفتاح العلاقة الطيبة وله اثره الكبير في التقريب بين الافراد واهم مشكلة معاصرة بين الازواج الآن هو صمت الازواج ففي دراسة عربية نشرت في صحيفة الوطن أن سبعاً من كل عشر أسر من عينة الدراسة تعاني من صمت الأزواج.

كما ان ٧٩% من حالات الانفصال تكون بسبب معاناة المرأة من انعدام المشاعر، وعدم تعبير الزوج عن عواطفه لها، وعدم وجود حوار يربط بينهما.

ويعلل الكثيرون الظاهرة بأنها بسبب الانشغال بالتقنيات الحديثة كالانترنت والهاتف النقال والتي الغت – الى حد ما – الحوار الاسري مضافاً الى عوامل كثيرة.

ومع الكلام الطيب والحوار الجميل تأتي عوامل البشاشة والابتسامة والانصات الحسن للطرف الآخر واظهار الاهتمام بالكلام لتكون مكملات الحديث.

ففي الحديث عن أمير المؤمنين: وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن

(١) (آمالي الصدوق ص ١٧٢).

القول، ولا تقطع عن احد حديثاً[١].

وأيضاً قال عليه السلام: من أحسن الاستماع تعجل الانتفاع[٢].

وفي الحديث عن الإمام الصادق: خير نسائكم.. الطفهن بأزواجهن وأرحمهن بأولادهن[٣].

واذا كان للصمت مساوئه فإن من مساوئ الكلام هي اللجاجة والعتاب المستمر والانتقاد الدائم والاستخفاف بالآخر لذا فالأفضل تجنبها.

فعلي عليه السلام يقول: اللجاج مثار الحروب[٤].

وايضاً يقول عليه السلام: اللجاج ينتج الحروب ويوغر القلوب[٥].

د - التواضع

وهو: احترام الناس حسب أقدارهم، وعدم الترفع عليهم.

قال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إن أحبكم إليّ، وأقربكم مني يومَ القيامة مجلساً، أحسنكم خُلُقاً، وأشدكم تواضعاً، وإن أبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون وهم المستكبرون».

---

(١) (الاختصاص ج١ ص٢٣٣ البحار ج١ص٢٢٢).

(٢) (شرح غرر الحكم ج٥ ص٤٧٥).

(٣) (الكافي ج٥ص٣٢٦).

(٤) (شرح غرر الحكم ج١ص١١٠).

(٥) (شرح غرر الحكم ج٢ ص٣٣).

(٦) الشعراء: ٢١٥.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إن أحبّكم إليّ، وأقربكم مني يوم القيامة مجلساً، أحسنكم خلقاً، وأشدكم تواضعاً، وإن أبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون، وهم المستكبرون»(١).

وقد نقلنا مرارا طاعتها لزوجها وإقرارها بإمامته وهي لا تقل عنه شرفا وسموا.

حدثتني أسماء بنت عميس، قالت: كنت عند فاطمة جدتك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي عنقها قلادة من ذهب كان علي‌بن‌ابي‌طالب عليه السلام اشتراها لها من في له؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا يغرنك‌الناس ان يقولوا «بنت محمد» وعليك لباس الجبابرة! فقطعتهاوباعتها واشترت بها رقبة فاعتقتها فسر رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك(٢).

إن الضائقة المادية كانت عاصفة ليس بالبيت النبوي بل بالامة كلها، وكثيرا ما مرت الايام واهل البيت عليهم السلام يبيتون على الطوى والجوع يكوي القلوب، ورغم ان علياً عليه السلام كان الوصي وكان اميراً للمؤمنين الا انه لم يك يتورع عن العمل لدى يهودي أو الاستقراض منه لتأمين حاجة الاسرة وهو دليل على التواضع والحب للاسرة. وكذلك الزهراء عليها السلام لم تك تستنكف ان تغزل بالمغزل لإعانة أسرتها، والزهراء عليها السلام ليس لها

---

(١) البحار مج ١٥ ج ٢ ص ٢٠٩.

(٢) (بحارالانوار، ج٤٣، ص٢٦)

كفؤ سوى علي عليه السلام ومع ذلك تتقبل قيمومته ورأيه وولايته، وهذه قمة التواضع. ومن علامة تواضع كليهما هو خدمة أحدهما للآخر كما مر بنا.

ان قول النبي عليه وآله الصلاة والسلام، ((لو كنت آمراً بشراً أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، لعظم حقه عليها)) يستند اليه البعض على انه دلالة على فوقية الرجل التي تجعله الآمر الناهي وعلى أحقيته في استعباد المرأة واذلالها والذي يتعارض مع ما تكلمنا به عن إكرام الزوجة، وبهذا فإن تكبرالزوج له اعتباره الشرعي!!، في حين ان الحق بعيد عن هذا التصور فإن المسألة هنا تكمن في الطاعة التي لا تعني اي استعباد أو الغاء لشخصية المرأة أو استقلاليتها الفكرية والاقتصادية، ونجد ان التوصيات الدينية تحث على العفو واللين والرفق لا على الغلظة والشدة التي هي علامات المتكبر بل تجعل للرجل الأجر العظيم لو عبر عن تواضعه بأن يسقي زوجته شربة ماء!!.

ولا يمكن ان يسود التفاهم اذا كان هناك طرف متكبر على الآخر، مما يؤدي الى ايجاد نوع من الحاكمية والتسلط، ولا ننسى ان التكبر يمنع من الاستماع لرأي الطرف الآخر أو القبول به، بل يمنع من القبول بإنسانية الطرف الآخر فيحمله مالا يطيق، ولا يضعه في موضعه اللائق به.

وفي الحديث عن علي عليه السلام: ثمرة التواضع المحبة، ثمرة الكبر المسبة[١].

---

(١) (غرر الحكم الآمدي ج١ص٣٢١).

هـ - الرفق والمداراة

ففي الرواية: دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة وهي تطحن مع علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأيكما أعقب؟ فقال علي: لفاطمة فإنها قد أعيت. فقامت فاطمة، فطحن النبي مع علي لفاطمة[(١)].

قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق[(٢)].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: .... فَأَشْفِقُوا عَلَيهِنَّ وطَيِبُوا قُلُوبَهُنَّ حَتَّى يقِفْنَ مَعَكُمْ وَلا تَكْرَهُوا النِّسَاءَ ولا تَسْخَطُوا بِهِنَّ وَلا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاّ بِرِضَاهُنَّ وإِذْنِهِنَّ الْخَبَرَ[(٣)].

وعَن أَنَسِ بنِ مالِكٍ عَنِ النَّبِي أَنَّهُ كانَ إذا قامَ مِنَ اللَّيلِ يَقتَرِئُ، زَمزَمَ قِراءَتَهُ إلاّ أَنَّهُ يُفهِمُنا الآيَةَ بَعدَ الآيَةِ، قُلتُ: يا رَسولَ اللّه، ألا تَرفَعُ صَوتَكَ بِالقرآن؟ قالَ: أكرَهُ أن اُوذِيَ بِهِ رَفيقي وأهلَ بَيتي[(٤)].

و - الهدية

عن أسماء بنت عميس كنت عند فاطمة اذ دخل عليها رسول الله صلى

(١) (البحار ج٤٣ ص٥٠ ح٤٧).
(٢) (مسند احمد بن حنبل ج٦ص٧١).
(٣) (مستدرك الوسائل ج ١٤، ص٢٥٣).
(٤) (كنز العمّال: ج٢ ص٣١٩ ح٤١٢٣).

الله عليه وآله وسلم وفي عنقها قلادة من ذهب كان اشتراها لها علي بن ابي طالب من فيء[١].

ان الهدية من علامات المحبة والمودة فعلي عليه السلام يقدم هدية للزهراء عليها السلام والهدية مهما كانت بسيطة اوصغيرة اوثمينة فهي دليل على تذكر الحبيب لمحبوبه في وقت غيابه وهي من عوامل ادخال السرور والفرح وهي بيان واظهار للمحبة.

وفي الحديث عن الامام الصادق: اذا سافر احدكم فقدِم من سفره فليأت اهله بما تيسر ولو بحجر[٢].

ز- عدم التكليف فوق الوسع

فهي عليها السلام لم تكلف علياً عليه السلام مالا طاقة له به ابدا، وكانت عليها السلام تعرف ما يقدر عليه، والتكليف فوق الوسع أمر خاطئ لكلا الجنسين؛ إذ ليس صحيحا ان يحمّل الزوج زوجته مالا تطيق فيلقي عليها بكل المسؤوليات الصعبة بما في ذلك المهام الثقيلة في الاسرة وبذلك يقتل إحساسها بوجوده معها ويضاعف إحساسها بالغربة!!، والعكس ايضاً غير صحيح فما اكثر مطالب النساء التي لم تستطع الرجال تلبيتها فأدت بهم الى الحرام والى الجريمة والسجن!!.

ان التكليف فوق الوسع يؤدي الى زيادة الضغوط التي قد لا يستطيع

---

(١) (عيون اخبار الرضا ج٢ ص٤٤ ح١٦١).

(٢) (وسائل الشيعة ج٨ ص٣٣٧ البحار ج١٢ ص١١).

الشخص نفسه تحملها والله تعالى يقول:

﴿ لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاّ وُسْعَهَا ﴾[1].

والوسع هو حالة نفسية وجسدية ومعنوية ومادية والتكليف فوق الوسع يزيد المطالبات والتوقعات والانتظارات وتحول الانسان الى آلة منفذة ليس اكثر، مما يجعل العلاقة بين الاثنين قائمة على مقدار ما يحققه وينفذه الطرف الآخر من متطلبات الشريك!! وهذا اعلان عن فشل الحياة الزوجية حيث تنمو في القلوب جذوى المنى بالخلاص من هذا الطرف الذي لا يعرف الرحمة ولا يفكر الا بما استحكمت به انانيته المفرطة، وهذه كلها ترسم للاولاد صوراً سيئة عن الحياة الزوجية وعن الزواج نفسه، وتحول الزواج الى شركة وحسابات ومحاسبات ليس اكثر!

في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الا وايما امرأة لم ترفق بزوجها وحمّلته مالم يقدر عليه ومالايطيق لم يقبل الله منها حسنة وتلقى الله وهو غضبان[2].

قال الامام علي عليه السلام: فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها من بعد ذلك حتى قبضها الله إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً[3].

وفي الرواية أن الزهراء عليها السلام قالت لعلي: يا أبا الحسن، إني

---

(١) البقرة٢٨٦.

(٢) (امالي الصدوق ص٣٥٠، من لا يحضره الفقيه ج٤ص١٦).

(٣) (كشف الغمة | الاربلي ١: ٣٦٣. وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٤).

لأستحي من اِلهي ان تكلف نفسك {اكلفك} مالا تقدر عليه[١].

وفي وصية فاطمة: ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عرفتك" فقال لها: "أنت أبر وأتقى وأعرف بالله من أن أوبّخك في شيء من ذلك".

وعاشت الزهراء مع علي (عليه السلام) سنوات عديدة لم تطلب منه خلال هذه المدّة الطويلة شيئاً وذلك بتأديب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك فإنها كانت تعين على النفقة بغزل الصوف[٢].

على اننا يجب ان لا يغيب عن بالنا أن الامام عليه السلام كان يهم بتحسين الحال وبأن يخفف عن حال زوجته ولكن الظروف لم تسعفه وهو الذي أشار إليها بطلب الخادم وهو الذي كان يتقدم لإعانتها حينما يستطيع ذلك.

٤ - الصبر والتحمل

الصبر لغة: حبس النفس عن الجزع وحبس النفس عن شيء يريده المرء، وقيل الصبرعلى طاعة الله، والصبر على الدخول في معاصيه وقيل الثبات[٣].

وفي الاصطلاح: (حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما

(١) (البحار ج٣٧ ص١٠٣ ح٤١ ومناقب ابن شهراشوب ج٢ ص٧٦-٧٧).

(٢) (تفسير البرهان ٤: ٤١٢).

(٣) (ابن منظور لسان العرب، ج ٥، ص ٢٦٧).

يقتضيان حبسه[(١)].

قال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[(٢)].

وقال ايضا: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[(٣)].

والصبر يقوي الارادة الانسانية التي تساعد صاحبها على الثبوت والتحمل في المواقف الحرجة والصعبة. والصبر يعلم الانسان المثابرة على العمل بما يحقق اهدافه، واذا تعلم الانسان الصبر قوي على مواجهة الاحداث الجسام وتخطي الصعوبات وتحمل اذى الناس وكلامهم.

وقد عاشت المدينة المنورة ابان نشوء الدولة الاسلامية حالة من الضغط الاقتصادي الذي جعل الفقر هو الصورة الغالبة للمجتمع والمتسمة به اكثر شرائحه، وكان هناك فقراء الصفة الذين لم يكن لهم مأوى سوى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يبيتون فيه ويعيشون على ماتجود به الايدي عليهم. في هذا الجو الضاغط عاشت الزهراء عليها السلام في حياة صعبة ظاهرها الفقر وباطنها القناعة ومستقرها الرضا.. وفي هذه الظروف الصعبة انجبت عليها السلام اولادها الاربعة واحدا تلو آخر وهي بهذه البنية الضعيفة كما اشارت الى ذلك بعض الروايات، على انها عليها السلام عُرف عنها الصبر والاهتمام برعاية الاسرة والبيت من كل مايعكر صفوه.

(١) (الأصفهاني، ص ٢٧٣).

(٢) (الشورى: ٤٣).

(٣) (هود: ١١).

وفي مسند فاطمة للتويسركاني ص٦ –٧ يقول:

لّما كان أمير المؤمنين (عليه السلام) من السبّاقين في ميادين الجهاد وكان الجهاد آنذاك يستغرق أياماً متطاولة فإنّ مسؤولية إدارة شؤون العائلة كانت تلقى على عاتق الزهراء (عليها السلام) تلقائياً فكانت تستقي بالقربة إلى جانب مهام الدار المتعبة ممّا سبب لها الاعياء وحمل علياً (عليه السلام) على أن يطلب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) خادمةً تعين الزهراء في الحياة[1].

وينقل لنا المؤرخون كيف انها كانت تطحن الرحى بيد وترضع الطفل بيد وقلبها مع الله ولسانها لا يفتر عن الذكر ابداً.. ففي الرواية:

جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: (رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها الصلاة والسلام وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا بنتاه، تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة». فقالت: «يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه». فأنزل الله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾.

وأنّ عليّاً أمير المؤمنين (عليه السلام) رقّ لحالها وامتدح صنعها، وقال لرجل من بني سعد: «ألا اُحدّثك عنّي وعن فاطمة؟ إنّها كانت عندي وكانت من أحبّ أهله (صلى الله عليه وآله) إليه، وإنّها استقت بالقربة حتى

(١) (بحار الانوار ٨٢: ٤٣).

أثّر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد فقلت لها: لو أتيت أباكِ فسألتِهِ خادماً يكفيكِ ضرّ ما أنتِ فيه من هذا العمل، فأتت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فوجدت عنده حدّاثاً فاستحت فانصرفت.

وهذا المقطع يبين لنا حالة الفقر التي عاشها المسلمون آنذاك:

عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد السفر سلم على من أراد التسليم عليه من أهله ثم يكون آخر من يسلم عليه فاطمة (عليها السلام) فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها.

فسافر مرة وقد أصاب علي (عليه السلام) شيئا من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة فخرج فأخذت سوارين من فضة وعلقت على بابها سترا، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد فتوجه نحو بيت فاطمة كما كان يصنع، فقامت فرحة إلى أبيها صبابة وشوقا إليه فنظر فإذا في يدها سواران من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا بي قبلها.

فدعت ابنيها فنزعت الستر من بابها وخلعت السوارين من يديها، ثم دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر ثم قالت لهما: انطلقا إلى أبي فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غيرهذا فشأنك به، فجاءاه فأبلغاه

ذلك عن أمهما فقبلهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتزمهما وأقعد كل واحد منهما على فخذه، ثم أمر بذينك السوارين فكسرا فجعلها قطعا ثم دعا أهل الصفة [وهم] قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال، فقسمه بينهم قطعا، ثم جعل يدعوالرجل منهم العاري الذي لايستتر بشيء وكان ذلك الستر طويلا ليس له عرض فجعل يؤزر الرجل فإذا التقيا عليه قطعه حتى قسمه بينهم ازرا ثم أمر النساء لا يرفعن رؤوسهن من الركوع والسجود حتى يرفع الرجال رؤوسهم، وذلك أنهم كانوا من صغر إزارهم إذا ركعوا وسجدوا بدت عورتهم من خلفهم ثم جرت به السنة أن لا يرفع النساء رؤوسهن من الركوع والسجود حتى يرفع الرجال.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله فاطمة ليكسوها الله بهذا السترمن كسوة الجنة، وليحلينها بهذين السوارين من حلية الجنة.

وقد كانت زوجة الوصي وابنة القائد فلا يمكن بأي حال ان تكون بعيدة عن هذا الواقع المرير، فالقائد الناجح هو من يشارك الرعية فقرهم وغناهم ويعيش معهم افراحهم واحزانهم وهل يمكن لمثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الرحيم بالمؤمنين ان يرضى لابنته ان تضع سترا يكفي ليكون ازارا لعدد من المسلمين؟!!والملاحظ ان الفقر الذي عاشته لم يمنعها من العطاء أو الصدقة بل كانت تجود بما عندها ولو على حساب نفسها وقوتها وقوت صغارها، وهذه صورة عظمى للانسانية التي تعيش وجود الانسان وتدرك احتياجاته.

وفي الرواية:

... فقالت عليها السلام: لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي شيء، وما كان شيء أطعمناه مذ يومين إلا شيء أؤثرك به على نفسي وعلى ابني هذين الحسن والحسين[1].

وكانت أحداث فدك ساخنة وقد اشتعلت بعد رحيل الرسول مباشرة ولنا ان نتصور حالها في هذه المحنة فهي تدافع عن علي وعن الإمامة وتدور على بيوت الانصار وتذكّرهم بما جرى يوم الغدير، ثم كانت أحداث الدار والهجوم على بيت فاطمة وإسقاطها جنينها محسناً ثم ندبها لما جرى كل يوم في بيت الاحزان، اياما صعبات عظيمات الخطب ولهذا أخبرها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنّها أكثر نساء المسلمين معاناة ورزية حيث روي عن عائشة: أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام: «إنّ جبرئيل أخبرني أنّه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم رزية منك، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبراً»[2].

نزول سورة الإنسان

عن ابن عباس:

أن الحسن والحسين: مرضا، فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) [البحار، ج٤٣، ص٥٩].

(٢) (الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٣، ح١٤٢٤٥، وكذلك اورده العسقلاني في فتح الباري، ٨: ١١١).

وسلم في ناس معه. فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك. فنذر: علي وفاطمة وفضة جارية لهما، إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا، وما معهم شيء.

فاستقرض علي: من شمعون الخيبري اليهودي، ثلاثة أصوع من شعير.

فطحنت فاطمة: صاعا، واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا. فوقف عليهم سائل وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة. فآثروه: وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياما. فلما أمسوا: ووضعوا الطعام بين أيديهم.

وقف عليهم يتيم: فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين، وأقبلوا إلى رسول الله.

فلما أبصرهم: وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال:

ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم، فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها، قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها، فساءه ذلك.

فنزل جبريل عليه السلام وقال: خذها يا محمد، هنأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة[١].

---

(١) (الميزان في تفسير القرآن ج٢٠ ص ١٣٣). (تفسير فرات الكوفي: ص٥١٩ ح٦٧٦).

والذي نشير اليه هنا أن الكل قد باتوا على الطوى وكان الجوع قد ترك رسمه عليهم فكانوا متساوين حتى فيما حوت أو خوت بطونهم، وهذا دلالة على انها كانت حياة حقيقية في السراء والضراء، وقد رأينا كثيراً من الحالات حيث يشبع فيها الاب - واحيانا الام - ويترك افراد اسرته يتضورون جوعا!.

وقد نزلت سورة (هل اتى) اكراماً لهذه الاسرة الكريمة التي تصدق أعضاؤها بكل ماعندهم حتى باتوا مخمصي البطون، فنزلت السورة لتخلد هذا الايثار وتشكر هذا العطاء العظيم ولتُظهر مراتب اهل البيت عليهم السلام العليا وتصور مشاعرهم الانسانية بكل بهاء وجلال لما قاموا به من مداراة ومراعاة لمشاعر أولئك الذين طرقوا بابهم وهم يتلوون من الجوع، فجاءت السورة ذاكرة لأنعم الجنة ومباهجها المتعددة لكنها لا تقدم اشارة واحدة الى الحور العين اكراما للزهراء عليها السلام!!. انها مداراة الهية للمرأة وان كانت سيدة نساء العالمين!!. فياليت الناس يعلمون.

وقد مرت على امتنا ظروف صعبة في الحرب والحصار فكان الناس لاينالون طيب المطعم ولا جميل الملبس وحتى العروس كانت تهدى الى بيت زوجها بابسط المتاع بسبب تردي الوضع الاقتصادي، وكثير من النساء جعلن المهور في اقل صورة لتيسير الزواج وربما وصلن الى فهم وتفهم اكثر لسيرة الزهراء عليها السلام من خلال المعاناة التي مررنَ بها.

ولا بأس من إشارة اخيرة إلى أن التحمل مطلوب في كل أبعاد الحياة الزوجية وليس فقط على الصعيد الاقتصادي بل يحتاجه كلا الزوجين في

الصبر على ماقد يصدر من اخطاء أو هفوات من الطرف الآخر وعدم التشنج ازاء تباين الآراء أو حصول الاختلافات والخلافات وهوبهذا يمثل نوعا من المرونة في التعامل ازاء الامور التي لا تنسجم مع الرغبات.

٥ - الرضا

يُعدُّ الرضا مفتاح السعادة والديمومة والاستقرار النفسي والاسري، وهوعامل مهم في ابعاد اجواء التوتر وتحقيق المودة والسكينة، واذا كان عدم الرضا اي السخط هو المهيمن على الاجواء الاسرية فإن هذا مؤشر على أفول السكينة وغياب الراحة واشتعال البيت في اكثر الاحايين – ان لم يكن دائما– بأجواء التوتر والنقد مما يفسح المجال لظهور الازمات، فإن السخط يدفع للتمرد والى بذل المحاولات للتخلص من الشريك بأي وسيلة ولو بتكدير الحياة بالشكوى المستمرة والعتاب الدائم!!. والرضا مدخل نحو مراعاة الشريك وعدم تكليفه مالا طاقة له به، كما انه يشجع على مراعاة حقوق الشريك الذي استحكمه الرضا عن كل ماهو موجود في الحياة المشتركة فقد نجد أحدهم يقضي العمر مع زوجة مريضة تحتاج الى رعاية وعناية مستمرة ولكن لا يدفعه ذلك الى السخط بل هو صابر على مافيه ويجره صبره على الرضا عن كل مايتبع ذلك من متاعب وظروف غير ملائمة واحيانا نجد العكس اذ تتوفر كل متطلبات الحياة ولكن الرضا هجر البيت منذ زمن!!.

وقد عاشت الزهراء عليها السلام حياة صعبة للغاية – على ماقدمته لنا الروايات الحاكية عن الفقر والجوع والجود – لكنها ماكانت شاكية أو

ساخطة!! بل كانت راضية قانعة ومن أسمائها الراضية المرضية، وقد سميت (الراضية) اي الراضية بما قسم الله لها، فكانت الزهراء (عليها السلام) راضية بما قدّر الله لها من امور حياتها بما قرأناه في تاريخها من قساوة الحياة، وبما أعطاها الله ايضا من المراتب العليا في الدنيا والآخرة، وفيما أعطاها ايضاً من القرب والمنزلة والطهارة.

وسميت أيضا بالمرضية اي مرضية عند الله بأعمالها وأقوالها فأصبحت النتيجة ان الزهراء عليها السلام عاشت الرضا عن كل ماقدره الله من فقدان الام في الطفولة وما عاشته مع ابيها من ظروف قاسية وحياة قاسية فكانت النتيجة ان الله يرضى لرضاها!.

ان الرضا تعبير عن عمق ايمان الفرد ومعرفته ووعيه وهو مقام عظيم لا يصل اليه كل فرد، وقد ورد في دعاء كميل «وتجعلني بقسمك راضياً قانعاً» أي إن الإنسان المؤمن يطلب من الله تعالى أن يوصله إلى مقام الرضا منه جل وعلا في كل ما يقسمه له سواء من خير أو غير ذلك.

عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: «الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره، لم يقض الله عز وجل له فيما أحب أو كره إلا ما هو خير له»(١).

وجاء في حديث آخر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل(٢).

---

(١) (اصول الكافي: ٢ | ٦٦).

(٢) (اصول الكافي: ٢ | ٦٦).

يقول الشيخ المسعودي في كتابه الاسرار الفاطمية:

.. وبمراجعة بعض الروايات في المقام يظهر ان هناك حالة ترابط بين اسم الصديقة لفاطمة سلام الله عليها وبين اسمها الراضية، فهناك حالة تلازم كما يظهر من الحديث الذي سوف أنقله إليك بين حالة الرضا بقضاء الله تعالى وبين الصدّيق الذي يكون عند الله بهذا المقام، فلقد روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «قال الله عز وجل: عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي أكتبه، أكتبه يا محمد من الصدّيقين عندي»[1].

وتمام هذا الحديث منطبق على سيرتها الذاتية عليها السلام فهي كانت راضية بقضاء الله تعالى وصابرة على ما جرى عليها من الظلم والهوان، وكانت شاكرة لله تعالى فالشكر يدل على الرضا، وبملاحظة أسماء الزهراء عليها السلام نجد أن من أسمائها الصديقة وأن من الأسماء الأخرى لها هو الراضية، إذن الرضا يؤدي بالعبد إلى درجة الصديقين، والزهراء من خلال استقراء حياتها وسيرتها الذاتية نجد أنها كانت راضية بكل ما قدر الله لها، فهي إذن صديقة وهذا من أفضل البراهين على أنها كانت صديقة سلام الله عليها.

أما من خلال الأحاديث والأقوال الواردة في المقام فهي كثيرة والتي من خلالها بينت أن فاطمة سلام الله عليها كانت الراضية، وكما قلنا إن سيرتها الذاتية طافحة بالأحداث الكثيرة التي أثبت أنها كانت راضية بما قدر الله لها.

---

(١) (اصول الكافي: ٢ | ٦٨).

والاحتمال الآخر أنها سلام الله عليها كانت مرضية، من جهة ما أعطاها الله تبارك وتعالى من المقامات النورانية التي بها فضلها على غيرها وكذلك، ومن خلال ما أعطاها تبارك وتعالى من الذرية الكثيرة حيث جعل منها الائمة الهادين، وكذلك هي مرضية سلام الله عليها من جهة أن لها مقام الشفاعة الكبرى وكما ورد في أحاديث مجيئها يوم القيامة وكيفية شفاعتها لشيعتها ومحبيها، وهذا ما بحثناه في الفصل الخاص الذي بيناه فيه مقاماتها سلام الله عليها، وأياً كان تفسير معنى المرضية سواء كان الاحتمال الأولى أو الثاني، فغن فاطمة سلام الله عليها قد حازت وفازت بهذه المنزلة الرفيعة والدرجة الراقية فهي راضية مرضية أعمالها عند الله عز وجل ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ الفجر.

وعندما يكون الرضا من العبد لا قيود له، يكون في المقابل الرضا من الله عز وجل لا حدود له، وهذا ما يجده المرء في الروايات الكثيرة التي تتحدث عن إكرام الله عز وجل للزهراء عليها السلام في الدنيا والآخرة، فصارت لأجل هذا وبحق: الراضية المرضية[1].

ان الشخصية السوية تتقبل الواقع الذي تعيشه وبخاصة عندما ترى عدم امتلاك القدرة على تغييره، في حين ان الشخصية التي تعيش اضطرابا أو مرضا أو خللاو بالاحرى نمط الشخصية غير السوية فإنها تعيش حالة عدم الرضا

---

(١) (الاسرار الفاطمية ص ٤١١- ٤١٣ بتصرف).

والسخط الذي تعلن عنه أحيانا وتحاول تغطيته احيانا اخرى - حسب الظروف- وغالبا ما تلجأالى الحيل النفسية كالتبرير والعدوان والتمرد ومحاولة التعويض وتقديم الاعتذار للتخلص من الواقع - كما تصوره لصاحبها -، وقد تصاب بحالة من التأزم النفسي والاكتئاب أو المرض النفسي والعقد النفسية كعقدة الحقارة والشعور بالاحباط وعدم القدرة على التأقلم وقد تختم حياتها بالانتحار - والعياذ بالله - الذي نسمع عنه كثيرا لدى اناس ساخطين على ماهم عليه من حال رغم ان حال بعضهم افضل بكثير من حال غيرهم!!.

وفي الدراسات النفسية وجد ان الفلاحين مثلا تكون معدل اصابتهم بالامراض النفسية كالاكتئاب اقل بكثير من غيرهم من سكان المدن في البلد الواحد وعُزي الامر الى تمتعهم بنسبة عالية من الرضا عن حالهم وشكرهم لنعم الخالق عليهم، في حين ان سكان المدن تزداد إصابتهم بالامراض النفسية ويعُزى الامر الى عدم الرضا وارتفاع معدلات السخط والتذمر فالمدنية الحديثة زادت من متطلبات الافراد تحت شعار العصرنة والحداثة مع غلبة القيم المادية الاستهلاكية وغياب وافول القيم الروحية والاخلاقية فالانسان بما يملك من ارصدة في البنوك واثاث فاخر وسيارة على آخر طراز وليس بما لديه من عقل وفطنة وقيم واخلاق وهوبهذا في لهاث شديد لا يقف عند حد مما سبب في اطراد نسبة التوتر والقلق.

وفي الحديث عن الامام علي عليه السلام: من رضيَ بالقضاء طاب

عيشه[١].

وايضاً قال: إن أهنأ الناس عيشاً من كان بما قسم الله له راضياً[٢].

لابد إذاً من تقييم الامور بشكل واقعي وبخاصة في الحياة الزوجية وعدم تحويل البيت الاسري الى سباق للماديات والكماليات، وكلما كان الحب والمودة والرحمة بين الزوجين عالياً كلما زادت نسبة التحمل والرضا، وما اكثر ماسمعنا عن نساء تتهاوى حياتهن الزوجية مع اول هبة من رياح الفقر الخائبة أو سوء الفهم أو تباين الآراء وهذه مؤشرات على عدم وجود الحب اصلا والا فالبناء المعنوي لاتهدمه الماديات.

واذا غاب الرضا تحول الجو الاسري اما الى جو الانتقاد أو جو الشكوى الذي أشرنا اليه سابقا وهي اجواء مريضة وغير سليمة.

كما ان العلاقة الطيبة بين الزوجين ووحدة الاهداف والطموحات ووضع الآخرة أمام البصر والبصيرة يخفف كثيراً من المعاناة ويجعل الامور تتبدل الى رضا وقناعة بما هو كائن، ولقدكانت الآخرة نصب عيني الزهراء عليها السلام وكان الرسول يذكرها بها (يافاطمة تجرعي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة) وما كان حب الآخرة من اجل حريرها وديباجها بل كان من اجل الفوز برضا الله وتحقيق المقامات النورانية والقرب منه تعالى كما يقول عليٌّ عليه السلام في وصف المتقين (كبر الخالق في أعينهم فصغر مادونه في أعينهم).

---

(١) (غرر الحكم ح٨٠١١).

(٢) (غرر الحكم ح٣٣٩٧).

روي عن جابر الانصاري أنّه رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وعليها كساء من أجلة الابل، وهي تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا بنتاه، تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه، فأنزل الله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

ومن علامات السعادة النظر الى من فوقه في الدين والى من تحته في الدنيا، وهذا مما يزيد من ملكة الرضا عن الحال عند الانسان، لكن الواقع المعاصر يحكي غير ذلك فهناك تطلع وبحسرة الى من فوقه في الدنيا مع اهمال لمن فوقه في الدين وبهذا يزداد الحسد والغيرة والتحسر على الدنيا وبين كلا الجنسين ولكل الشرائح بما فيها العلماء واصحاب المنطق حينما لا تستطيع الدنيا أن تحملهم في سفنها.

وفي الرواية: مر عيسى بن مريم برجل اعمى وابرص مضروب الجنبين بالفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه فقال له عيسى عليه السلام: ياهذا وأي شيء في البلاء مصروفٌ عنك؟فقال له: ياروح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ماجعل في قلبي من معرفته!

فقال عيسى عليه السلام: صدقت.

وقال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكنَّ عين السخط تبدي المساويا

ان السخط في الحياة الزوجية يميت الحب ويقتل الرحمة والمودة ويدفع نحو الخراب بل ان السخط وعدم الرضا من عوامل فرار الناس عن هذه الشخصية الشكّاءة فما عند الناس من هموم يدفعها للبحث عمن يقلصها لا من يضاعفها!!.

عن الامام الصادق عليه السلام: «ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله. عزو جل»[١].

أيضاً قال عليه السلام:

«ان الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحه في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»[٢].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: لما رأيت ما أصاب فاطمة الزهراء من العناء في خدمة البيت وقد جاء سبي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت لها: هلا أتيت أباك تسأليه خادما يكفيك مشقة خدمة البيت؟ فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا عنده جماعة، فانصرفت، وعلم أبوها أنها جاءت لأمر أهمها، فغدا إلى دارها صباحا، وسألها عليهما السلام (عما) جاءت له، فاستحت أن تذكر له، فقلت له: أنت تعلم ما تلاقيه فاطمة من القيام بشؤون البيت من الاستقاء والطحن والكنس. وقد أثر ذلك عليها، فقلت لها: لو سألت أباك يخدمك من يكفيك مشقة ما أنت فيه من

(١) (اصول الكافي، ج ٢، ص ٤٩ (كتاب الايمان والكفر، باب الرضا بالقضاء).
(٢) (اصول الكافي، ج ٢، ص ٥٧).

العمل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فقال رسول اللّه: «يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم، ومن الدنيا بما فيها: تكبرين اللّه بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين اللّه ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين اللّه ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تختمين ذلك بـ(لا إله إلا اللّه)، وذلك خير لك من الذي أردتِ ومن الدنيا وما فيها، فلزمت صلوات اللّه عليها هذا التسبيح بعد كل صلاة، ونُسب إليها»[1]. فرغم الضرر الذي كان يلحق بها عليها السلام نتيجة الأعباء الكثيرة إلا أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما لم يستجب- مباشرة- للطلب واجل الخادم فإنها عليها السلام لم تسخط ولم تشكُ بل زادها الحال رضاً على رضا!.

٦ - فن احتواء المشاكل

تعرف المشكلة: بأنها حاجة لم تشبع، أو جود عقبة أمام إشباع بعض الحاجات مما يزيد من حدة الصراع، وقد يكون سبب المشكلات ضغوطات خارجية قاسية واحيانا يكون السبب عدم القدرة على التكيف مع المتغيرات والاحداث والاشخاص ربما لنقص المهارات اللازمة أو نمط الشخصية كسبب ذاتي. والمشاكل متنوعة فهناك مشاكل نفسية وسياسية واقتصادية وتربوية واسرية الى آخره.

وهناك من المشكلات ما نملك له حلولاً سريعة وبعضها تتأخر حلولها، وهناك مالا نستطيع حله لأسباب ضاغطة كولادة طفل مصاب بمرض غير

(١) بحار الأنوار ٣٣٦ ٨٥

قابل للعلاج، فلابد من الصبر فلعل الحل يأتي مع الايام مع التطور الطبي مثلا أو مع التكيف السليم، كما يمكن تجميد المشكلة عند حدود معينة كي لا تتسع ابعادها وآثارها حتى نصل الى الحل الانسب.

وقد مرت على الزهراء وعلي عليها السلام ظروفٌ كثيرة صعبة وساخنة للغاية ولكن رغم ذلك كانت المشكلة تُزاح بالعلاقة الطيبة بين الاثنين ومشاركة أحدهما الآخر في تفهم المشكلة وايجاد السبل لحلها، ولعل اقسى هذه المشاكل كانت مشكلة فدك وغصب حق زوجها في الخلافة ونجد في هذا المقطع الزمني الحساس اكثر صور التعاون والمساندة والمصابرة بين الاثنين، وقد كانت مشكلة الخادم موجودة وأشار عليٌّ على زوجته باستشارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي أوصاهما بالتسبيح ليكون كرامة وتخفيفاً (ولو مؤقتا) حتى جاء السبي الذي كانت فيه فضة التي وهبها لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتكون جارية للزهراء عليها السلام والتي بقيت معها الى آخر حياتها عليها السلام.

اما في مشكلة فدك فقد تدارس الزوجان ما يمكن القيام به وما يتطلبه الامر من حركة سريعة فائضة من الزهراء عليها السلام مع مراعاة حال الامة وصيانتها من التمزق والحرب بالنسبة لامير المؤمنين عليه السلام، والمشاركة كانت واضحة بين الاثنين في القيام بدورين مختلفين لكنهما مطلوبان وفي آن واحد وظرف عصيب.

ان الزوجين اللذين يكون بينهما حوار طيب ووعي لأدوارهما

ومسؤولياتهما وفهم أيضا للمشكلة من أبعادها المختلفة مع ادراك لمتطلبات الزمان والمكان يكونان اكثر قدرة على الصمود امام المشكلات التي تعترض مسار حياتهما، وبداية الحل يكون من تشخيص المشكلة وتحديدها ودراسة ظروفها وابعادها، وربما يحتاج الامر الى الاستعانة بالغير وربما يكون الصبر هو المطلوب. وفي العلاقات الناجحة تتكاثف الاسرة كلها لحل المشكلة والصمود امام الازمة.

بيد اننا لا ننسى ان الزهراء عليها السلام بما تمتعت به من صبر وقناعة وتحمل وتقدير للامور قد استطاعت ان تعبر هذه الازمات، ففي مشكلة الخادم كانت توصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باللجوء الى الدعاء والتسبيح ولولا ان القيم الدينية كانت هي الاعلى بين كل القيم عند الزهراء عليها السلام لما تم قبول الامر بل ربما لو كانت هناك امرأة اخرى لما طاقت الصبر بل بدأت بالبحث عن حلول اخرى وسريعة ولو على حساب بعض المبادئ!! على هذا فرصيد التحمل الذي كان عند الزهراء عليها السلام مع الصبر الجميل خفف عنها كثيراً من الامور.

ولا ننسى موقف الزوج الذي يهتم بالرعاية والمداراة ويهبّ لمساعدتها كلما استطاع ذلك وكلها مظاهر لحبه لها ورحمته بها، والزوجة في ذلك كأي زوجة محبة تجد دعم الزوج لها بمثابة القوة النفسية التي تصبّرها امام المشكلة والازمة.. ، كان عليٌّ عليه السلام يساعدها وكذلك الرسول بل وحتى الصحابة وهذا خفف كثيراً من وطأة المشكلات، والعكس صحيح ايضا فما

تقدمه الزوجة من حنان ومساندة ولو بالكلام الطيب له اثره في اعانة الزوج على اجتياز ازماته. ونرى انفسنا كثيراً ماتنتعثر امام المشاكل التي تعترض سبيلنا وربما يعود السبب الى تباعد وجهات النظر وعدم وجود الطرف المساعد والمضحي والمحب بإخلاص، الامر الذي يجعل من توافه المشكلات جبالاً رواسي!!.

فالمشكلات كواشف لما في الصدور من حب ولما في النفوس من تحمل ولما في القلوب من ايمان بالله يذيب جليد الدواهي والخطوب ولكنها ايضا تفضح الحب الزائف عند اهمال السند والدعم!.

٧ - رعاية حقوق الآخر

الحقوق هى المزايا التي نصت عليها الشريعة لكلا الجنسين وماهو مثبت في القرآن الكريم وفي كتب الفقه، والحق بالنسبة لطرف يشكل واجبا لطرف آخر، ومن خلال التناسق بين الحقوق والواجبات يتشكل المجتمع السليم، ومصادر الحقوق في الاسلام هو الله تعالى فالتكاليف هي حقوق الله تعالى اما مصادر الحقوق في الغرب فهي العوامل المادية التي تطرحها النظريات المتعددة والمختلفة ضمن اطر متفاوتة، ولهذا لا تتسم بالثبات أو الدوام وهي متأثرة بالمتغيرات العالمية والاجتماعية، والمرأة تبعا لهذا العامل المادي مكلفة بتوفير امورها المادية سواء كانت بنتاً أو زوجة أو اماً!!، وهذا ما ساعد على تركيز الانانية والفردية وادى الى استشراء العنف للحصول على امتيازات مالية اكثر!!.

اما في الاسلام فحقوق الزوجة هي مسؤوليات الزوج ومسؤوليات الزوجة هي حقوق الزوج، فلابد من احترام الحقوق ورعايتها لكلا الطرفين، فما الفائدة من وجود طرف يطالب بحقوقه ولكنه في نفس الوقت ينسى ويتناسى حقوق الطرف الآخر، وبديهي ان العلاقات -بكل أشكالها- اذا ماروعي فيها الجانب الحقوقي فإن ذلك يؤدي الى زيادة الاحترام والرضا والشعور بالامن والعكس صحيح ايضأ فكلما شعر الفرد بأن هناك بخساً لحقوقه فإنه لا يشعر بالرضا عن حياته ويسعى لتغيير واقعه بدءاً من المطالبة بإقرار حقوقه الى تأمينها. والحقوق الزوجية في الاسلام واحدة وثابتة لم ولن تتغير على مدى الازمان واهمالها أو عدم رعايتها يمثل ذنبا واثما.

وفي مستدرك الوسائل - في حَديثِ الحَولاءِ -: ... قالَت: فَما لِلنِّساءِ عَلَى الرِّجالِ؟ قالَ رَسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: أخبَرَني أخي جَبرَئيلُ - ولَم يَزَل يُوصيني بِالنِّساءِ حَتّى ظَنَنتُ ألاّ يَحِلَّ لِزَوجِها أن يَقولَ لَها: اُفٍّ - يا مُحَمَّدُ، اِتَّقُوا اللّهَ عَزَّ وجَلَّ فِي النِّساءِ، فَإِنَّهُنَّ عَوانٌ بَينَ أيديكُم، أخَذتُموهُنَّ عَلى أماناتِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ مَا استَحلَلتُم مِن فُروجِهِنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ وكِتابِهِ مِن فَريضَةٍ وسُنَّةٍ وشَريعَةِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله صلى الله عليه وآله، فَإِنَّ لَهُنَّ عَلَيكُم حَقّا واجِبا لِمَا استَحلَلتُم مِن أجسامِهِنَّ، وبِما واصَلتُم مِن أبدانِهِنَّ، ويَحمِلنَ أولادَكُم في أحشائِهِنَّ، حَتّى أخَذَهُنَّ الطَّلقُ مِن ذلِكَ، فَأَشفِقوا عَلَيهِنَّ، وطَيِّبوا قُلوبَهُنَّ حَتّى يَقِفنَ مَعَكُم، ولا تَكرَهُوا النِّساءَ ولا تَسخَطوا

بِهِنَّ، ولا تَأخُذوا مِمّا آتَيتُموهُنَّ شَيئا إلاّ بِرِضاهُنَّ وإذنِهِنَّ[١].

وجاء في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام:

واما حق رعيتك بالنكاح:

فأن تعلم ان الله جعلها سكنا ومستراحا وانسا وواقية، وكذلك كل واحد منكما يجب ان يحمد الله على صاحبه ويعلم ان ذلك نعمة منه عليه، ووجب ان يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، وان كان حقك عليها اغلظ وطاعتك بها الزم فيما احببت وكرهت ما لم تكن معصية - فان لها حق الرحمة والمؤانسة، ولا قوة الا بالله.

ويقول الإمام عليه السلام -: أمّا حَقُّ الزَّوجَةِ فَأَن تَعلَمَ أنَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَها لَكَ سَكَنا واُنسا، فَتَعلَمَ أنَّ ذلِكَ نِعمَةٌ مِنَ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ عَلَيكَ، فَتُكرِمَها وتَرفُقَ بِها، وإن كانَ حَقُّكَ عَليها أوجَبَ، فَإِنَّ لَها عَلَيكَ أن تَرحَمَها لِأَنَّها أسيرُك، وتُطعِمَها وتَكسُوَها، وإذا جَهِلَت عَفَوتَ عَنها..

وعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال (عليه السلام): «يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها».

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «كانت امرأة عند أبي (عليه السلام) تؤذيه فيغفر لها»[٢].

---

(١) (مستدرك الوسائل: ج ١٤ ص ٢٥٢ ح ١٦٦٢٧).

(٢) (وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٩ ب٨٨ ح٢٥٣٣٠).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أتى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة ثلاثون امرأة كلهن تشكو زوجها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما إن أولئك ليسوا من خياركم»(١).

وروي أن امرأة معاذ قالت: يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أن لا يضرب وجهها ولا يقبحها وأن يطعمها مما يأكل ويلبسها مما يلبس ولايهجرها».

والانانية اكبر سارق للحقوق فاذا كان احد الطرفين مصاباً بالنرجسية فهو لا يفكر الا في تحصيل حقوقه - بل واكثر - على حساب الآخر!!.. ، ولايبالي بشريكه، فالمهم انه يحصل على كل شيء دون اي اهتمام أو رعاية لحقوق الغير عنده، ولهذا تبدو الشخصية النرجسية شخصية صعبة التعايش لانانيتها المفرطة.

وحينما ننتقل الى حياة الزوجين المعصومين عليهما السلام نرى ان امير المؤمنين عليه السلام لم يهمل اي حق من حقوق زوجته عليها السلام الفكرية أو الاجتماعية أو الاقتصادية وكذلك السياسية، فلم يرهقها بالمطالب الذاتية، ولم يقم بحجز الزهراء عليها السلام عن المجتمع ولم يحرمها من المشاركة السياسية والاجتماعية والثقافية بل جعلها في دائرة الحياة كما ان الزهراء عليها السلام لم تهمل حقوقه بل قامت بمراعاته ومراعاة الاولاد بل كل الاسرة.

قال صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة حجة الوداع:

---

(١) (مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٢٤٨ ب٦٣ ح١٦٦١١).

أَلا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ، إِلاّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً، أَلا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّاً، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ[1].

وحينما تعيش الزوجة مع من يراعي حقوقها ولايبخسها شيئا تشعر بالرضا عن حياتها فتندفع للتفاني، أما حينما يكون العكس فأقل ما يحدث هو الامراض والاضطرابات النفسية والتمرد على الحال وتراكم الشعور بالغبن والاحباط مما يدفع الى السخط عن الحياة الزوجية.. والشيء المهم في الاسلام ان الحقوق ربانية بمعنى ان اي حرمان لطرف من حقوقه هو تعرض لغضب الله تعالى وحسابه وعذابه وهو بمثابة تطاول على الشريعة، ولهذا فالذي يحرم زوجته من المقدار المعقول من النفقة أو من التعلم- وبخاصة تعلم امور دينها- فهو انما يزيد أو زاره ويجعل نفسه في بوابة المساءلة الالهية وهو يحمل آثام ذلك، ونفس الشيء يكون للزوجة فرعايتها حقوق زوجها يسهم في زيادة الشعور بالتقدير من الآخر وفي تحصيل الرضا الالهي وزيادة المودة والمحبة.. كما ان إعطاء كل ذي حق حقه من علامات الشخصية الناجحة والسليمة والمتوازنة اما بخس الحقوق فهو اشارة الى الانماط غير السليمة من الشخصية.

(١) (الخصال: ص٤٨٧ ح٦٣).

وقد ركزت الحركات النسوية المعاصرة على المطالبة بحقوق المرأة بشكل منفرد منفصل عن الاسرة وهي لم تعرفّها بواجباتها داخل الاسرة بل نظرت الى الزواج على انه غل للمرأة وقيد يقيد حريتها ويحدّ من انسانيتها (راجع ستيوارت مل، استرقاق النساء)؛ إذ عد مل ان الزواج هو الشكل الوحيد الذي بقي من نظام العبودية والرق الذي كان سائدا في الدورات التاريخية الماضية!!، وقد أسهمت التيارات النسوية في تكريس مبدأ الحرية المطلقة للمرأة التي انتُزعت من كل اواصرها وعلاقاتها الاسرية والزوجية فأصبحت كائنا مجردا يمتلك الحرية المطلقة في الجسد والحمل، فإذا ارادت الحمل حملت واذا لم ترغب فلا احد يجبرها على ذلك حتى زوجها!! مما ترك ضبابية في هدفية الزواج فهل هو مجرد اشباع للشهوة لا اكثر؟، كما انها ركزت على فردية المرأة وجعلتها كياناً منفرداً ليس له ارتباط بالاسرة أو المجتمع فهي تحقق ذاتها خارج نطاق الاسرة والدين والمجتمع حسب ماتريده هي!، وهذه الفردية قطعت كل عوامل الارتباط مع الاسرة والمجتمع فليس هناك تعاون بل تصارع للاستحواذ على المصالح المادية الامر الذي يلغي كل القيم الانسانية كقيم الايثار والتضحية والمساندة الاجتماعية ويحول المجتمع الى ارض خصبة لنمو الانانية وحب السيطرة و.. (إنّ الفرديّة تفكك لحمة الاجتماع البشري، وتؤسس للصراع مع الآخر في معركة الحقوق والمساواة، والتهميش والتفعيل، وغير ذلك)!!.

في حين ان مدار الحياة الاسلامية قائم على الشراكة والتعاون، وهو

ينطلق من مفهوم الحقوق والواجبات مما يجعل الحياة قائمة على الاخذ والعطاء يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ) وبهذا فالمرأة شريك في الحياة والاستخلاف وشريكة في الهدف والمصير وهي وان كانت لها شخصية مستقلة عن الرجل لكنها تسير معه نحو التكامل سواء الفردي أو الاجتماعي. وهذا هو الذي يفسر لنا دور المرأة المسلمة في صدر الاسلام في صناعة الحضارة الاسلامية، فقد هاجرت مع الرجل وقاتلت وبايعت وتعلمت امور دينها ولم تكن انوثتها عامل اعاقة أو طغيان بل العكس هو الصحيح.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله سائل كل راع عما استرعاه، أحُفِظَ ام ضيّع؟ حتى يسأل الرجل عن اهل بيته[١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ملعون ملعون من ضيّع من يعول[٢].

وعن محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، وعن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد وغيرهما، بأسانيد مختلفة، في احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام): على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء، وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه قد غم أهله وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): عليّ بعاصم بن زياد، فجيء به، فلما رآه عبس في وجهه، فقال له: أما استحييت

---

(١) (السنن الكبرى ج٥ ص٣٧٤).

(٢) (الكافي ج٤ ص١٢ح٩).

من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها؟ أنت أهون على الله من ذلك، أو ليس الله يقول: ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾[1].

أوليس يقول: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ – إلى قوله – يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[2] فبالله، لا بتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[3].

فقال عاصم: يا أمير المؤمنين، فعلام اقتصرت في مطعمك على الجشوبة وفي ملبسك على الخشونة؟ فقال: ويحك، إن الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيغ بالفقير فقره.

فألقى عاصم العباء ولبس الملاء[4].

عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أبي داود المسترق، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن ثلاث نسوة أتين رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت إحداهن: إن زوجي لا يأكل اللحم، وقالت الأخرى: إن زوجي لا يشم الطيب وقالت الأخرى: إن زوجي لا يقرب النساء، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجر رداه حتى صعد

---

(١) (الرحمن: ١٠-١١).

(٢) (الرحمن: ١٩-٢٢)

(٣) (الضحى: ١١).

(٤) (راوه الطبرسي، مجمع البيان ٥: ٨٨)، نحوه (نهج البلاغة ٢: ٢٠٤).

المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام من أصحابي لا يأكلون اللحم، ولا يشمون الطيب، ولا يأتون النساء؟ أما إني آكل اللحم، وأشم الطيب وآتي النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني[١].

تقول الزهراء عليها السلام في وصيتها: ولا خالفتك منذ عرفتك... فحق الزوج هو الطاعة وهذا اشارة الى طاعتها.

وفي قضية فدك يقول علي عليه السلام: خذي ميراثك.. اي يكون لها سندا في تحصيل حقوقها المادية.

وهي تتقبل رأي الزوج في مسألة الخادم حينما طلب منها ان تذهب الى ابيها ولم تجادله تقول مثلا لماذا انت لم توفر الخادم أو ان هذا الشان يعنيك انت لانك زوجي فلماذا ابي؟!.

وقد استعرضنا صور المداراة واهتمام علي عليه السلام بتوفير القوت الى غير ذلك.

وتتعالى في الاوساط الاسلامية دعاوى لسحب القوامة عن الرجل العاطل عن العمل والذي كان سبب بطالته اما عدم توفر فرص العمل الشريف والمناسب له واما وجود عوائق صحية أو جسدية تحول بينه وبين العمل والانتاج وتأتي هذه الدعاوى لمساهمة المرأة في الانفاق على الاسرة من خلال عملها.. وأقول لماذا هذه المطالبة بانتزاع الثوابت لمجرد ان المرأة خطت خطوة اضطرارية غير ثابتة أو مستمرة امام الرجل!!، بل هي خطوة متطوعة

(١) (الفروع ٢: ٥٧).

إذ إن انفاق المرأة على اسرتها غير واجب، ونفس الصورة نجدها في ارتفاع معدلات الطلاق بعد اكمال البنات لدراستهن فالرجل مستنزف من اجل توفير العيش الكريم الامر الذي قد يحجبه عن اكمال الدراسة اما المرأة فباتت تستفيد من تزايد فرص التعلم عبر الانترنت أو غير ذلك لإكمال دراستها والحصول على الشهادة الاكاديمية وبمجرد ان تحصل عليها تنادي بالطلاق لانها متقدمة على زوجها بالكفاءة التعليمة ولو كان على حساب اسرتها واولادها!!. ولم نسمع اشارة واحدة للزهراء تطالب بأن تكون (اميرة للمؤمنين أو المؤمنات) رغم استحقاقها هذا اللقب والامر يأتي من وعي دورها ومكانتها كامراة في ظل الشريعة وان كانت هي ليست اقل شأنا من علي عليهما السلام. بل ان الامر يسمو على ذلك فرغم ان الزهراء عليها السلام لم يكن لها كفؤ الا علي عليه السلام لكنها لم تقف امامه بل كانت الى جواره فهي تراه الوصي والامام اي امام الكل وامامها هي ايضا- وان كان هو مثلها معصوما- فلنعد قراءة هذه الجملة:

قالت فاطمة عليها السلام " رضيت بالله رباً، وبك يا ابتي نبياً وبابن عمي بعلاً ووليا[1]". ان هذه الكلمات لهي مؤشر على الاحترام والاكرام وعلى قبول قوامة الامام عليه السلام.

٨- الامن الاسري

هل يمكن ان تنجح العلاقات الاسرية اذا كانت قائمة على التهديد

(١) (احقاق الحق ٥/١١٧).

والوعيد والتلويح الدائم بالعصا الغليظة حتى وان كانت عصا نفسية أو معنوية؟ واذا لم تكن الاجواء آمنة فهل هناك معنى للتفاهم أو الاكرام أو باقي اسس الحياة الزوجية الناجحة؟ بل هل يمكن ان تكون هذه العلاقة الزوجية ناجحة؟.

ان الأمن الأسري هو أهم دعامة لاستقرار الاوضاع داخل الاسرة ومن ثم تهيئة الظروف المناسبة التي تساعد الاسرة على القيام بواجباتها المختلفة. وقد كان ومازال الأمن الاسري يُعد واحدا من اهم متطلبات الاسرة وبخاصة بعد ارتفاع مؤشرات العنف بكل أشكاله ضد المرأة والرجل والطفل والمسن على حد سواء.

ويشكل الامن الاسري مدخلا نحو الاستقرار والامن النفسي والمعنوي والذي هو اساس التقارب بين الزوجين وبين باقي أعضاء الاسرة، فشعور الزوجة بالأمن والأمان يشجعها على بذل كل مالديها من جهد وقدرة من أجل إسعاد أسرتها؟. وتساعد الأجواء الآمنة على خفض التوتر داخل الاسرة وامتصاص التشنجات والصراعات التي قد تظهر في الاسرة والتي يكون عدم فهم الافراد لادوارهم احد عوامل ايجادها.

وصراع الادوار بين الزوجين دلالة على عدم التوافق الزوجي بينهما وله اسبابه المستمدة من عدم التوافقات الاخرى واحيانا يكون الصراع موجودا ولكن هناك قدرة تكيف عالية ازاء الامور التي توجد التوتر، ولا ننسى ان قوة العلاقة العاطفية والانسجام والتوافق الزوجي بين افراد الاسرة

يخفف الصراع ويساعد على اصلاح الامور بسرعة عالية.

ويشكل التهديد بالطلاق أو الهجر والطرد احد اهم عوامل زعزعة الراحة النفسية وهو ايضا من العوامل التي تقتل عند المرأة الشعور بالثقة بزوجها أو بالمستقبل، كما يقتل عندها كل رغبة في الابداع أو تحقيق الذات، وللأسف فإن أساليب التهديد والتلويح بالعصا بات هو الاكثر رواجا في عصرنا!!، وهو يتمدد في مساحات واسعة تطال منام الاطفال وتجعلهم اسرى المخاوف والهواجس.

ويعد الزوج المصدر الرئيسي للأمان بما يقدمه لأسرته وزوجته من حب وحنان ورعاية واهتمام، فإذا شعرت الزوجة بحب الزوج واهتمامه بها شعرت بالأمن والطمأنينة والذي ينعكس ايجابيا على كل اعضاء الاسرة فتقبل الزوجة على رعاية بيتها وزوجها وعلى الاهتمام بأولادها بما يُسهم في انجاح عملية التنشئة الاجتماعية، كما ان القوامة ليست استبداداً أو تسلطاً بقدر ماهي ادارة ومسؤولية، وهي ليست الغاءً للطرف الآخر بقدر ماهي اعلان للنتائج النهائية بعد مشاورات ودراية بالامور.

ومن المعروف أن إشاعة اجواء المودة والرحمة يسهم في تقوية الامن الأسري كما ان الكلمة الطيبة والسلام والتحية ومساعدة الطرف الآخر وإشعاره بقيمته ومكانته في البيت كلها تؤثر ايجابياً في هذا الجانب، اضافة الى أن نمط شخصية الأزواج والظروف المحيطة بالأسرة (الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية)كلها مؤثرة على الامن داخل الاسرة.

ويعد التضييق أحد مخلات الامن الاسري ويشمل كل انواع التضييق المالي والاجتماعي والمنع من زيارة الاهل أو الخروج من البيت الى غير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾[1].

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: كفى بالمرء اِثماً أن يضيع من يعول[2].

عنه صلى الله عليه وآله وسلم: من أضر بامرأة حتى تفتدي منه نفسها، لم يرض الله تعالى له بعقوبة دون النار، لأن الله تعالى يغضب للمرأة كما يغضب لليتيم[3].

وعن أمير المؤمنين في وصيته لابنه الحسن: لا يكن أهلك أشقى الخلق بك[4].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خير الرجال من امتي الذين لا يتطاولون على أهليهم ويحنون ﴿عليهم﴾ ولا يظلمونهم[5].

ومن علامات الامان ان يبث كل من الزوجين همومه ويعلن اهدافه امام الآخر ويطلعه على أسراره ولا يحاول اخفاء شيء عنه، ويلعب الدعاء للطرف الآخر والدفاع عنه في المواقف الحرجة والدفاع عن سمعته وأهدافه

---

(١) الطلاق ٦.

(٢) (من لا يحضره الفقيه ج٣ص١٦٨).

(٣) (البحار ج٧٦ص٣٦٥ح٣٠).

(٤) (نهج البلاغة كتاب ٣١).

(٥) (مكارم الاخلاق ج١ ص٤٦٨ح١٥٩٧).

وطموحاته دورا رئيسيا في تعزيز الشعور بالامان فهو حتما عارف بهذه الطموحات والاهداف ومؤمن بها.

وهناك قاعدة اساسية في علم الاجتماع الاسري تؤكد ان احداثا معينة خارج نطاق الجماعة قد تؤدي الى تماسكها مثل نشوء حرب أو فيضان فالاحداث الخارجية الضاغطة تشكل ازمة بالنسبة للاسرة أو الجماعة الا أنها تؤدي الى تضامن أعضائها حتى يتمكنوا من ان يتغلبوا عليها لذا تعد هذه الاحداث الخارجية الضاغطة عاملا مهما في توحيد اعضاء الاسرة وجعلها اكثر تماسكا وهوما يؤدي الى التكامل الاسري والذي (هو مفهوم دينامي يعني حالة مستمرة من التآزر والتفاعل والحيوية يقود الافراد الى تحقيق الاهداف المنشودة وهو يعزز الولاء للاسرة وصيانة أهدافها والتمسك بمعاييرها) وقد استنفرت الاسرة الفاطمية العلوية كل اعضائها في احداث فدك وهب الجميع كما لو كانوا يدا واحدة للدفاع عن الحق، فالزهراء عليها السلام تتصدى للموقف والامام علي عليه السلام يقود بغلتها مرورا على ديار الانصار والحسنان عليهما السلام مع أمهما في بيت الاحزان والسيدة زينب عليها السلام مع الزهراء في المسجد النبوي، وهذا دليل على قوة الاسرة نفسها في حين ان الاسر قد تتصدع في الازمات التي تحاصرها مما ينذر بانهيارها!!.

إن البيت الفاطمي العلوي كان مهداً للامن والامان ولجميع من فيه ولم تكن هناك تهديدات ابدا، وانى يكون ذلك وقد كان الحب الالهي هو المعين الذي ينهل منه الجميع في كل حركة وكل فكرة وكل شاردة وواردة، والزهراء

عليها السلام ماتمردت على قوامة امير المؤمنين عليه السلام وهو الوحيد الكفؤ لها ولهذا لم تظهر صراعات الدور أو استتباعاته بما يوجد التوتر أو الضيق أو غياب الاستقرار، ووجود الامن الاسري هو الذي يفسر لنا اقبال الزهراء عليها السلام على بيتها وزوجها وتحملها عوامل الضيق الاقتصادي الذي عاشته الاسرة.

٩- الآخرة.. الهدف المنشود لكليهما

كانت الدنيا مزرعة للآخرة لكلا الزوجين عليهما السلام، فرضا الله تعالى وعبادته وتحصيل الآخرة كانت هي الأهداف الكبرى التي عاشا لها عليهما السلام والتي أذابت كل التعلقات الدنيوية من القلب والفكر وكانت الشاغل لهما والموجه لسلوكهما.. فهذه الشفاه التي مافترت عن ذكر الله وتلاوة كتابه لتفتح جسرا موصلا الى الآخرة من خلال التعبد والدعاء ومساعدة الغير الى غير ذلك.. وهذا هو أحد الأسباب التي تؤدي الى التحمل والرضا والصبر والقناعة وحسن الخلق وغيره، فلم يكن البيت في عين الزهراء عليها السلام سجنا أو محطة تضييق بل كان محطة انطلاق لخدمة المجتمع ولتدعيم الآخرة من خلال التعبد والاعمال الصالحة كتعليم النساء والانفاق، ولهذا كانت محورية طاعة الله هي الحاكمة والموجهة والفاعلة ونجد ذلك واضحا في حياة كلا الزوجين المعصومين فقد جعلا علاقتهما وحياتهما الزوجية مسارا لتحصيل الرضوان الالهي ولإعطاء نموذج الأسرة الصالحة والاسرة المتعبدة والمؤمنة.

ولهذا كانت الزهراء عليها السلام تفهم عليا عليه السلام فهما واعيا

عميقا لا كما يفهمه بقية الناس فهي عرفت مشاعره وأهدافه ووسائله للوصول الى المحبوب الازلي ففي الرواية: (كنا جلوسا في مجلسٍ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتذاكرنا أعمال أهل بدر، وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم!.. ألا أخبركم بأقلّ القوم مالاً وأكثرهم ورعاً، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة؟.. قالوا: مَن؟.. قال: علي بن أبي طالب (عليه السلام).. فو الله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرضٌ عنه بوجهه، ثم انتُدب له رجلٌ من الأنصار فقال له: يا عويمر!.. لقد تكلّمت بكلمةٍ ما وافقك عليها أحدٌ منذ أتيت بها، فقال أبو الدرداء: يا قوم!.. إني قائلٌ ما رأيت، وليقل كلّ قومٍ منكم ما رأوا.. شهدتُ علي بن أبي طالب بشويحطات النجار، وقد اعتزل من مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبَعُد عليّ مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوتٍ حزينٍ ونغمة شجيّ، وهو يقول: "إلهي!.. كم من موبقةٍ حملتَ عني مقابلتها بنعمتك، وكم من جريرةٍ تكرّمتَ عن كشفها بكرمك.. إلهي!.. إن طال في عصيانك عمري، وعَظُم في الصّحف ذنبي، فما أنا أؤمّل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك".. فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعينه، فاستترتُ له وأخملتُ الحركة، فركع ركعاتٍ في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما به الله ناجى أن قال: "إلهي!.. أفكّر في عفوك، فتهون عليّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظُم عليّ بليتي"، ثم قال:

"آه!.. إن أنا قرأتُ في الصحف سيئةً أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذٍ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء"، ثم قال: "آه!.. من نارٍ تنضج الأكباد والكلى، آه!.. من نارٍ نزّاعةٍ للشوى، آه!.. من غمرةٍ من ملهبات لظى"، قال: ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حسّاً ولا حركةً، فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر.. قال أبو الدرداء: فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحرّكته فلم يتحرّك، وزويته فلم ينزو، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله علي بن أبي طالب.. قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة (عليها السلام): يا أبا الدرداء!.. ما كان من شأنه ومن قضيته؟.. فأخبرها الخبر، فقالت: هي والله يا أبا الدرداء!.. الغشية التي تأخذه من خشية الله، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق ونظر إليّ وأنا أبكي، فقال: ممَّ بكاؤك يا أبا الدرداء؟!.. فقلت: مما أراه تنزله بنفسك، فقال: يا أبا الدرداء!.. فكيف ولو رأيتني ودُعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكةٌ غلاظ، وزبانيةٌ فظاظ، فوقفتُ بين يدي الملك الجبّار، قد أسلمني الأحباء، ورحمني أهل الدنيا، لكنتَ أشدّ رحمة لي بين يدي مَن لا تخفى عليه خافية.. فقال أبو الدرداء: فو الله ما رأيت ذلك لأحدٍ من أصحاب رسول الله(١).

وهذا الموقف يشير الى معرفة الزهراء عليها السلام بخصوصيات زوجها

(١) (البحار ٤١: ١١- ١٢).

الامر الذي غاب عن البقية من المسلمين وهو يكشف عن العلاقة الوطيدة بين الاثنين، ولا ننسى انه كلما زاد التعرف على الآخر بكل خصوصياته وأموره ترتفع نسبة التوافق الزوجي بين الاثنين مما يدعم حالة السعادة الزوجية.

ورد عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: "ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تورَّمت قدماها".

ومن شدَّة احتياطها في عبادتها كانت تضع من يراقب لها أوضاع الشمس ليُعْلِمَها بالأوقات التي يستحب فيها الدعاء كالوقت الذي يسبق غروب الشمس يوم الجمعة، وكانت تروي عن أبيها النبي صلى الله عليه وآله انه قال: " إن في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلا أعطاه " فسألته الزهراء عليها السلام: يا رسول الله أي ساعة هي؟ فقال صلى الله عليه وآله: " إذا تدلى نصف عين الشمس للغروب ".

وقد وصف الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عبادة ابنته فاطمة عليها السلام: "وأما ابنتي فاطمة، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة منِّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربِّها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: (يا ملائكتي، انظروا إلى أَمَتِي فاطمة سيدة إمائي، قائمة

بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار) "(١).

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً ويقيناً إلى مشاشها، ففرغت لطاعة الله"(٢).

والآية الكريمة: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾(٣).

نزلت في علي وفاطمة ليلة زواجهما. وفي صبيحة اليوم التالي سأل صلى الله عليه وآله وسلم عليا: "كيف وجدت أهلك، قال نعم العون على طاعة الله"(٤).

والآية ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾(٥) نزلت في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام(٦).

ومن أسمائها: الزكيَّة والزاكية، لاهتمامها بتزكية النفس الموصلة إلى الفلاح كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾. أما علي فكان امام الموحدين.

---

(١) (بحار الأنوار ١٧٢: ٤٣).

(٢) (دلائل الإمامة|الطبري: ١٣٩|٤٧. والمناقب | ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٧. بحارالأنوار: ٤٣: ٢٩).

(٣) (السجدة: ١٦).

(٤) (المناقب لابن شهر آشوب. ٣: ٣٥٦).

(٥) (الذاريات: ١٧)

(٦) (شواهد التنزيل: ٢: ٢٦٨. عوالم العلوم: فاطمة الزهراء عليها السلام في المستدرك: ٨٥).

البيت الالهي

لقد كان بيت الزهراء عليها السلام متميزاً في كل شيء وأهم مافيه أنه كان بيتا إلهيا يتعالى فيه صوت القرآن والدعاء ويفوح في أجوائه نسيم العبادة وهو مهبط الملائكة ومحل حضورها لتطالع وجوهاً ماخلق الله ارضا مدحية ولا سماءً مبنية الا لأجلهم، وكان البيت قريبا وملاصقا للمسجد فحينما يؤذن بلال تسمع الزهراء عليها السلام صوته وهي في بيتها فتأنس بهذا الصوت وتهب للصلاة والدعاء.

وهو بيت تغيب فيه كل مظاهر الاثم والذنب - والعياذ بالله - وربما ماكان هناك بيت على الاطلاق على مر العصور يحوي هذه الثلة من المعصومين المطهرين الذين أبعد الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وهذا البيت تبدو أحاديثه رسالية ايمانية ليس فيه الا حديث القرآن ومانزل منه من آياته المحكمات وحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غزواته وحروبه وجهاده ضد أعدائه.

لقد كان بيت الزهراء عليها السلام يفيض نوراً بذكر الله وطاعته وكان خير سكن وبخاصة لعلي عليه السلام الذي كان يخوض غمار الحروب ويقف الى جوار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مهمة الدعوة بل كان هذا البيت سكناً وأمناً وطمأنينة حتى لأبيها صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان أول عهده بفاطمة وآخر عهده بها إذا خرج أو دخل المدينة.

هذا البيت الذي كان أطهر البيوت وأصفاها يفيض بالرحمة والمحبة

والطمأنينة فكان بحق سكنا آمنا (بحيث استطاع عليٌ عليه السلام أن يجد فيه الراحة والسعادة والانطلاقة والانفتاح، لأن الدعاة الكبار يحتاجون عندما يعيشون مع المرأة المسلمة كزوجة، أن يتنفسوا في بيوتهم الإسلام ليعيشوا دوماً في أجواء الروحانية والرسالية، وقد وجد أمير المؤمنين ذلك كله في بيت فاطمة عليها السلام، بحيث كان يدخل البيت فيرى الإسلام يحيط به من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فصار يتنفس الإسلام في البيت مع ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان يتنفس الإسلام في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من ثم فكل ما ذكرناه سابقا مهد الى خلق أسرة متماسكة متوازنة تعيش أهدافها السامية بعيدا عن المشاحنات والخلافات وتمثل التوافق الاسري في أحلى وأسمى أشكاله وهذا التوافق استند إلى ارضية صلدة مما فتح للزهراء عليها السلام أدوارا اجتماعية وساسية كبرى.

الزهراء عليها السلام في رياض الامومة

الأم هي الاصل في الشيء ومنه ام القرى وهي مكة وتسمى الام ايضا[1].

والأم: هي أصل الشيء، وهى الوالدة اي التي تلد، والامومة لها أهمية دينية ونفسية وتربوية واجتماعية، وتحظى الام بمنزلة سامية في الشريعة الاسلامية قال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

وكررّ هذه الوصية فقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾[3].

(١) (المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية – ٢٠٠٠).

(٢) لقمان: ١٤-١٥

(٣) (الأحقاف: ١٥)

ولقد كرم الله الأمومة في تكريم سعي هاجر لما تركها إبراهيم الخليل عليه السلام من خلال السعي بين الصفا والمروة.

وكان الإنسان البدائي يرى في الامومة خلقا جديدا ولهذا قدس المرأة وقام بعبادة الالهة الانثى كأفروديت وعشتار، وبعدها اكتشف دور الرجل في الخلق الجديد فظهرت عبادة الالهة الذكور.

وقد عرّف القرآن بعدد من الامهات فمريم عليها السلام جعل لها الله تبارك وتعالى سورة كاملة باسمها وحكى القرآن فيها قصتها منذ أن حملت بها أمها ونذرتها لله سبحانه إلى أن حملت بعيسى عليه السلام ثم قصتها مع قومها...

قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾(١).

وقال ايضا: ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾(٢).

وذكر القرآن أم موسى وحكى قصتها مع ولدها في زمن فرعون وعرّف بمعاناة الام وحبها لولدها وايثارها كل شيء من اجله.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ... وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ

---

(١) المؤمنون: ٥٠.

(٢) المائدة: ٧٥.

الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وقد اختلف في تفسير الامومة ويرى بعضهم[٢] الى ان الامومة تمثل احد انواع الدوافع الفطرية الثابتة عند الانسان والحيوانات العليا وان للأمومة جذوراً بيولوجية (جينية وهرومونية كافراز البرولاكتين).

ويراها البعض تظهر منذ الطفولة (ويفسرونه في لعب البنات الصغيرات بالدمى والعرائس ولكن الحركة النسوية fem تُرجع هذه الحالة الى تربية المجتمع وتنكر اصولها البيولوجية!، وهو ما اوقع النساء بين رغبة ذاتية في الامومة وبين انتقاص الغير لهذه المهمة السامية)، والعجيب انه في مؤتمر بكين تم مناقشة موضوع الامومة وعلقت بعض الحاضرات ان الامومة خرافة ولا يوجد هناك غريزة بهذا الاسم بل ان ثقافة المجتمع هي التي صنعته!!، في حين تُقسم حياة المرأة في الكتب الدراسية التخصصية الى ثلاث مراحل: الاولى ماقبل الانجاب ثم مرحلة الانجاب ثم مابعد الانجاب!! وبهذا يُعد الانجاب اساسيا في حياتها.

ان الامومة هي اعمق واصدق صور الحب لما فيها من تضحية وايثار ومتابعة رغم العناء.

ويرى د. الكسيس كاريل: ان الحمل يكمل جسم المرأة:

ويقول د. يوسف مراد في كتابه سيكولوجية الجنس: إن أنوثة المرأة لا تكتمل الا بالامومة.

---

(١) القصص: ٧-١٠.

(٢) (د. احمد عزت راجح في كتابه اصول علم النفس ص ٧٧)

ويضيف: ويمكننا أن نقول بكل اطمئنان إن هدف المرأة الأعلى هو أن تصبح أُمّا وان تُسهم بلحمها ودمها وبكل جوارحها في هذه الوظيفة السامية وظيفة خلق الحياة.

إن حياة المرأة مركزة تركيزا عميقا حول هذه الوظيفة ونزعتها الى الامومة متأصلة في دوافعها اللاشعورية.. فالمرأة تجد في غريزة الامومة المركز أو المحور الذي سيوجه جميع دوافعها وينظمها بصورة متسقة منسجمة.. فإذا كانت الامومة هي مركز نشاط المرأة فإن هذا المركز لا يتعارض في صميمه مع اي نشاط آخر من شأنه أن تكمله الطبيعة البشرية في نواحيها العاطفية والروحية بل على العكس من ذلك فإن ألوان النشاط الثقافي والاجتماعي تستمد من هذا المركز قوتها الدافعة وطاقتها الابداعية.. فوظيفة الامومة هي التي تعيّن للمرأة المراحل التي تجتازها في نموها الجسمي والوجداني والاجتماعي، هي كالقطب الذي يجذب إليه مختلف القوى والطاقات التي يتضمنها المجال الحيوي وبقدر خضوع هذه القوى والطاقات أو بعبارة اخرى دوافع السلوك المختلفة لهذه الجاذبية تقترب عمليات النمو والتكيف من تحقيق تكامل الشخصية(١).

كما أن الحمل والامومة يسهم في تأصيل الهوية الانثوية لدى المرأة مما يشعرها أنها ومن خلال هذا الوليد قد أصبحت امرأة كاملة، علاوة على أن الحمل يغير منظومة الجسم بالكامل ويسهم في تمرين البدن والروح على تحمل

(١) (د. يوسف مراد سيكولوجية الجنس ص ١٤٠ -١٤٢ بتصرف).

الصعاب والخروج من دائرة الانا، مما يدعم آليات التوازن النفسي. وينظر البعض الى ان الحمل يمثل رباطاً بيولوجيّاً قويّاً بين الزوجين وكلما كانت العلاقة بينهما طيبة كان الفرح بالحمل اكثر.

والعجيب ان كل سيدات نساء العالمين عشن الامومة بشكلها المباشر واللا مباشر!، إذ إن الامومة تقسم الى نوعين:

الامومة الكاملة: وهي التي تكون فيها الامومة بكل أبعادها البيولوجية (اي تحمل وتلد) والنفسية والتربوية اي تربي الطفل بعد الولادة، وهي الامومة المباشرة وكانت الزهراء عليها السلام وخديجة عليها السلام ومريم بنت عمران عليها السلام ضمن هذا النمط.

اما النوع الثاني فهي الامومة الناقصة أو النفسية وهنا يغيب المفهوم البيولوجي للام فهي لا تلد ولاتعيش الم الحمل والوضع وهي تعيش أمومة نفسية وتربوية فقد تكون مربية فقط كمهنة وهو المصطلح الذي يسمى في عصرنا بالام البديلة وقد تعيش تجاوباً نفسيّاً قويّاً وعاطفيّاً كما هي الحال في آسية زوجة فرعون.

وكان عالم الاجتماع النفسي باولبي يعتقد انه يمكن استبدال الام الغائبة بأم بديلة لكنه كان يصر على أن تكون هذه المرأة أنثى مما يوحي بأن دور الامومة هو مهمة مخصصة للنساء فحسب(١).

قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: الجنة تحت أقدام الأُمهات.

---

(١) (غيدنز علم الاجتماع ص١٩٢).

وعن الامام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

وأمّا حقّ اُمك أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبالِ أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحّي وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد لتكون لها، وانك لا تطيق شكرها إلاّ بعون الله وتوفيقه».

وروى هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال:

جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله مَن أبرُّ؟

قال: أُمك قال: ثم مَنْ؟ قال: أُمك. قال: ثم مَن؟ قال: أُمك. قال: ثم مَنْ؟ قال: أبوك»[١].

وعن فاطمة الزهراء عليها السلام في حديث لها عن الأم: الزم رجلها فإن الجنة تحت أقدامها[٢].

على هذا فالامومة مرحلة تكاملية للمرأة وتكميلية لهويتها وهي مرحلة النضج والخروج من الانا، كما انها مرحلة التقدير الاجتماعي التي يمنحه اياها المجتمع الذي يولي عناية خاصة للامهات باعتبار ان:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الاعراق

(١) (وسائل الشيعة ١٥: ٢٠٧، حديث ١).

(٢) (مسند فاطمة، لجلال الدين السيوطي، ص١١٦).

والام من خلال الحمل والولادة تعيد اكتشاف الذات والتمحور حول الوليد الذي يعزز عندها الشعور بحاجته إليها وحبه لها الامر الذي لا يمكن ان يقدر بشيء.

وقد كان لاحتقار الادوار الانثوية وبخاصة دور الامومة اثره في انخفاض معدل النمو السكاني في الغرب الى ما تحت الصفر احيانا! مما بات يلوح بالانقراض السكاني للسكان الاصليين في البلاد!، ثم ان هذا الاحتقار قد شوه دور الجنس كغزيزة سامية هدفها حفظ النوع وبقاء الانسانية الى أداة للمتعة فحسب، كما شوه صورة الزواج بأنه مجرد تصريف شهوات وليس لايجاد السكن الاسري ولاعداد الجيل الصالح، وبديهي ان كل هذه الامور كانت وراء الانقسام الكبير الذي حصل في الحركة النسوية مما دعا الكثير من قياداتها الى العودة الى الادوار الانثوية خاصة دور الامومة والى احترام الام والطفل.

يقول ويل ديورانت في كتابه الشهير قصة الحضارة: «... عندما يكون الاعلام عن حرية المرأة فعلى المطبلين لذلك أن يعلموا ان الرجل لا ينقصه ولا يعوزه شيء، بل المهم هو كون المرأة متكاملة... فلو عجزت الطبيعة عن رعاية الاسرة والطفل وحفظهما فما ذلك إلا لأن المرأة قد تناست الطبيعة مدة من الزمان، ولكن لا يدوم الخروج على الطبيعة ابدا».

وفي حديث الحولاء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حولاء ما من امرأة تكسي زوجها إلاّ كساها الله يوم القيمة سبعين خلعة من الجنّة، كلّ خلعة منها مثل شقايق النّعمان والرّيحان ويعطى يوم القيمة أربعون جارية

تخدمها الحورالعين يا حولاء والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً ورسولاً ومبشّراً ونذيراً ما من إمرأة تحمل من زوجها ولداً إلا كانت في ظلّ الله عزّوجلّ حتّى يصيبها طلق يكون بها بكل طلقة عتق رقبة مؤمنة، فإذا وضعت حملها وأخذت في رضاعه فما يمصّ الولد مصّة من لبن أمّه الاّ كان بين يديها نوراً ساطعاً يوم القيامة يعجب من رآها من الأولين والآخرين وكتبت صائمة، وإن كانت غيرمفطرة كتب لها صيام الدهر كله وقيامه، فإذا فطمت ولدها قال الحقّ جلّ ذكره: يا أيتها المرأة قد غفرت لك ما تقدّم من الذّنوب فاستأنفي العمل(١).

وفي الرواية.. فقالت أم سلمة: يا رسول الله صلى الله عليه وآله ذهب الرّجال بكلّ خير فأيّ شيء للنساء..؟ فقال عليه السلام: بلى إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله فإذا وضعت كان لها من الأجر ما لايدري أحد ما هو لعظمه .فإذا أرضعت كان لها بكلّ مصّة كعدل عتق محرّر من ولد إسماعيل. فإذا فرغت من رضاعه ضرب ملك كريم على جنبها وقال: استأنفي العمل فقد غفرلك(٢).

ولادة الامام الحسن بن علي عليهما السلام

ولد الامام الحسن عليه السلام في الخامس عشر من شهر رمضان في المدينة المنورة، أطل عليه السلام على دنيا الزهراء عليها السلام فنقلها الى رحاب الامومة الواعية.. وبمولده فُتح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) (مستدرك الوسائل: ج٢ ب٤٧ ص٦٢٣ ح١).

(٢) (الوسائل: ج١٥ ص١٧٤ - ١٧٥ ح١).

عالم الاحفاد الجميل فكانت الذرية الطيبة التي آنست النبي وابنته وتركت مفاخرها في عالم الرسالة الخاتمة بل والانسانية جمعاء، وكانت هذه الولادة بشرى خير باستمرار النسل المبارك على وجه الارض وبأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس أبترا كما تصور البعض بل هو الخالد المخلد.. وولادته عليه السلام كانت نافذة جديدة لمتابعة الافكار التربوية في الاسلام وما نسفه من الافكار الخاطئة التي كانت موجودة في الجاهلية ويمكن استقراء اهم المستجدات في الشأن التربوي من خلال عدة زوايا منها:

١- الاهتمام بالالوان (ثقافة اللون)

فقد روي عن جابر أنّه قال: لّما حملت فاطمة بالحسن فولدت، وقد كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم أن يلفوه في خرقة بيضاء، فلفوه في صفراء، فجيء به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأخذه وقبّله، وأدخل لسانه في فيه، فجعل الحسن عليه السلام يمصّه، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألم أتقدم إليكم أن لا تلفّوه في خرقة صفراء، فدعا صلى الله عليه وآله وسلم بخرقة بيضاء فلفّه فيها ورمى بالصفراء فلمّا ولد الحسين جاء إليهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ففعل به كما فعل بالحسن عليه السلام[(١)].

وعن الحسن بن محمد الطوسيّ في الأمالي، عن أبيه، عن الحفّار، عن إسماعيل بن عليّ الدعبليّ، عن عليّ بن أخي دعبل، عن الرّضا، عن آبائه

(١) (بحارالانوارج ٤٣ ص ٢٤٠).

عليهم السّلام، عن أسماء بنت عميس، قالت: لّما ولدت فاطمة الحسن جاء النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هاتي ابني، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها وقال: ألم أعهد إليكم ألاّ تلفّوا المولود في خرقة صفراء ودعا بخرقة بيضاء فلفّه فيها[1].

إن الألوان لها مواصفات خاصة واستفادات محددة بتعبير آخر هي كالعقاقير يجب أن تؤخذ بوصفات معينة، كما انها تعرّف بنمط الشخصية ولها تأثيرات موجبة وسالبة على الافراد، ولهذا تهتم الدراسات المعاصرة بثقافة اللون حيث تعتمد الالوان المناسبة لغرف الاطفال أو الدراسة أو المستشفيات والمحال التجارية والثياب حسب الحاجات المختلفة الى غير ذلك.

واللون الاصفر من الالوان الموجبة التي تمتاز بالشعاع المنشط والمثير فهو يرهق العين؛ لأنه لون التحذير والتنبيه ومنه كان الكارت الاصفر في الالعاب، وهومنشط للجهاز العصبي، ولأن الطفل الوليد بحاجة اكثر الى النوم والراحة يفضل الابتعاد عن كل المنبهات بما في ذلك اللون الاصفر. كما ان اللون الاصفر يشعر بالدفء ولعل ذلك يرجع إلى اقترانه بلون الشمس ولون النار، وهو يوحي بالضوء أكثر من غيره من الألوان، ولهذا نجد ان المستشفيات عموما لا تجعل للون الاصفر حضورا في الاسرّة أو الثياب. كما تتميز الغالبية العظمى من الحيوانات السامة عن بقية الحيوانات الأخرى باللون الأصفرالذي يدخل في تركيبها بشكل كبير وملفت للنظر، حيث يتوزع هذا

---

(١) (الوسائل: ج١٥ ص١٤٢ ح١٥).

اللون ويحزم جسمها مثل الشريط التحذيري تماماً وهي بهذا الامتياز الذي يمنحه لها اللون الصفر تكون قادرة على بث الرعب والخوف في نفوس الحيوانات التي تهاجمها.

وعادة مايكون هناك تشاؤم إذا كان وجه الانسان أصفر فهو علامة على المرض وربما جاء الرمز من سقوط الاوراق الخريفية الصفراء من الشجرة دلالة على موتها ولهذا فكل شيء غير صحي يوصف بالاصفر!فالحسد والحقد والغيرة كلها تأتي مع الوصف الاصفر ونقول في لغاتنا الدارجة (وجهه اصفر)دلالة على لؤمه!! وذكر بعضهم ان وصف البقرة في قصة أصحاب موسى بأن لونها أصفر فاقع يعود الى علاقة اللون الاصفر بالذهب وكان فيما بعد أن صاحبها باعها بملء جلدها ذهباّ!!.

وقد طلب جماعة من السكان في احدى المدن من صاحب إحدى البنايات الشاهقة أن يطلي بنايته بغير اللون الأصفر؛ لأن هذا اللون يزعجهم ويجلب إليهم المرض، فلم يبال الرجل بالشكوى، ولم يعر المتذمرين أدنى اهتمام فلم يكن منهم إلا أن رفعوا عريضة إلى المجلس البلدي يبسطون فيها القضية ويطالبون بإزالة اللون الأصفر، فنقص عدد الذين يصابون بالتقيؤ بمعدل خمسين في المائة!!.

ويستعمل اللون الاصفر لمعالجة حالات الوهن العصبي، ويصلح للاستعمال في غرفة معتمة، الا انه لايمكن استعماله في الطائرات، لأنه يسبب الغثيان والتقيؤ لذلك تم استبعاده في الطائرات!! ومنه ايضا الاشارة الصفراء

في أنظمة المرور التي تعني الانتباه للتغيير، واللون الأصفر ينشط الدماغ ويقوي العقل.. وارتداء الملابس الصفراء من شأنه تحفيز الإبداع وتصفية الذهن وبخاصة أثناء الإصابة بالتوتر النفسي.

اما اللون الأبيض فهو لون نقي ويرتبط بالإضاءة والجودة والنقاء.. وهو أكثر الألوان راحة للنفس. وهو لون يجلب الراحة والسلام وله دلالات ومفاهيم عديدة.. وله صلة بالمستشفيات.. ومن خصائص اللون الأبيض قدرته على خفض قوة تأثير أي لون إلى جانبه. وهو نافع في علاج حالات الاصفرار عند الاطفال حديثي الولادة. ونرى ان ثياب العروس بيضاء وكذلك الاكفان وثياب الحجيج والمصلين دلالة على الطهر والنقاء وربما استدل على ذلك لقدرة اللون الابيض على كشف الملوثات وربما يعود الامر الى ارتباطه بالنور والاشراق، قال تعالى:

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1].

وفي تعابيرنا الدارجة (قلبه أبيض) دلالة على صفاء السريرة.

على هذا فاللون الاصفر غير مناسب للاطفال حديثي الولادة؛ لانه يضاعف حالات التقيؤ ويقلل مدة النوم.

---

(١) (آل عمران: ١٠٨).

٢- قراءة الأذان

عن محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السّكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ولد له مولود فليؤذّن في أذنه اليمنى بأذان الصّلاة، وليقم في أذنه اليسرى فإنها عصمة من الشيطان الرّجيم[١].

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله أذّن في اذن الحسين عليه السلام بالصّلاة يوم ولد[٢].

وفي الحديث:.. وأذن في أذنه (الحسن) اليمنى، وأقام في اليسرى، وحلق رأسه، وتصدق بوزن شعره ورقاً (أي فضة)[٣].

ان اول كلام يدخل اذن الوليد هو الأذان كما أن آخر كلام يدخل اذن المحتضر والميت هو الأذان وما كان ذلك الا لما لهذا التلقين من اثر مهم على الانسان نفسه، فالأذان يهزم الشيطان ويرسخ الصورة الاولية عن عقائد الاسلام ويفتح المجاري السمعية. فكأن الأذان في اذن الوليد وسيلة لتقديم دعوة الاسلام الى الاولاد قبل أن يبدأ الشيطان بالنزغ.

يعلق السيد العاملي فيقول رحمه الله:

---

(١) (الوسائل: ج١٥ ص١٣٦ ح١).

(٢) (البحار: ج١٠٤ ص١١٢ ح٢١).

(٣) (بحار الأنوار ج١٠١ ص١١١، مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٨٩).

إن السنن التي أجراها رسول الله "صلى الله عليه وآله" حين ولد الإمام الحسن "عليه السلام" قد حملت معها أروع الدلالات، ولا سيما لجهة إعلام الناس كلهم: أن عليهم أن لا يعتبروا المولود، ولو في ساعاته الأولى بمثابة الجماد الخالي من أي شعور أو إدراك. بل هو يتأثر بالأصوات، وبالكلام الذي يسمعه، ويتفاعل بمعانيه، بالنحو وبالمستوى المناسب لحاله وقت ولادته..

كما أن للحالات التي تحيط به، وللأفعال التي تمارس بالقرب منه آثارها عليه سلباً أو إيجاباً، بحسب اختلاف طبيعة تلك الممارسات، ووفق ما تكون عليه تلك الحالات.

وللطفل علاقات بذلك كله.. تتناسب مع عالمه الذي يعيش فيه، والقدرات المتوفرة لديه، والحالات التي هو عليها وذلك كله يوضح لنا أن الأذان في الأذن اليمنى والإقامة بالأذن اليسرى للمولود لم يكن عبثاً، ولا كان مجرد مراسم تجرى لنيل بركة الألفاظ وثوابها، بل هي أعمال لها آثار حقيقية، على روح وعقل، ونفس وشخصية المولود.. وإن لم نستطع تحديد هذه الآثار، بسبب محدودية المعارف التي نملكها، وعجز الوسائل المتوفرة لدينا..[1]

فالأذان تنفير للشيطان الذي يكون قد تأهب لولادة الوليد لكي ينفث فيه من وساوسه وهمزاته فيأتيه صوت الأذان رادعا طاردا له.

وفي الحديث.. ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي (ياعلي اذا ولد لك غلام أو جارية فأذن في أذنه اليمنى وأقم في اليسرى فإنه لا يضره

---

(١) (العاملي، في كتابه الصحيح من سيرة الامام علي ج٣ ص٨٥).

الشيطان ابدا)[١].

ويذكر ان احد الصابئة نشأ مُحبا للاسلام ومن ثم أعلن إسلامه مما أثـار تعجب المقربين والاصدقاء ولما سألوا عن سبب حبه للاسلام قالت امه انه لما ولد جاء جارهم لزيارته وكان مسلما وعالما وقرأ الأذان في اذنه!!.

٣- الاسم الحسن

كان اهل الجاهلية يسمون أولادهم بالأسماء القاسية أو التي فيها علامات القوة أو التشبه بالسباع لبعث الاحساس بالقوة والغلبة، في حين كانوا يسمون عبيدهم بالاسماء الهادئة والمريحة والباعثة على الراحة؛ وذلك لأنهم كانوا اهـل حرب وغارات، فأما أسماء أولادهم فكانت حرب وصخر وحنظلة وكليـب، واما اسماء عبيدهم فكان رباح وميسرة وغير ذلك فجاء الاسـلام ليؤكـد علـى اهميةالتسمية بل جعلها حق الطفل على ابيه..

في الحديث: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسـلم وسـأله عـن حق ولده فقال صلى الله عليه وآله وسلم: تحسن اسمه وادبـه وضـعه موضـعا حسنا[٢].

وعـن محمّـد بـن يعقـوب، عـن أبي علـيّ الأشـعري، عـن محمـد بـن عبـدالجبّار، عـن صـفوان، عـن أبي بـصير، عـن أبي عبـدالله عليـه الـسلام في المولود، قال: يسمّى في اليوم السابع ويعقّ عنه ويحلق رأسـه ويتـصدّق بـوزن

(١) ابن شعبة الحراني تحف العقول ص١٤.

(٢) (الكليني، الكافي ج٦ ص١٨).

شعره فضّة، ويبعث الى القابلة بالرّجل مع الورك ويطعم منه ويتصدّق[1].

وفي الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام اول ما يبر الرجل ولده ان يسميه بالاسم الحسن فليحسن احدكم اسم ولده[2].

ولما ولد الحسن عليه السلام سماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الاسم ففي الروايات: .. ان فاطمة لما ولدت الحسن جاءت به الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالت ما احسنه يارسول الله؟ فسماه حسن. ولما ولدت الحسين قالت هذا احسن من هذا فسماه حسينا[3].

عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن علي بن الحسين عليهم السلام عن أسماء بنت عميس قالت: قبلت جدتك فاطمة عليها السلام بالحسن والحسين عليهما السلام فلما ولد الحسن عليه السلام جاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هاتي ابني فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبي صلى الله عليه وآله وقال: ياأسماء ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء، فلففته في خرقة بيضاء ودفعته إليه فأذن في اذنه اليمنى وأقام في اليسرى ثم قال لعلي عليه السلام: بأي شيء سميت ابني؟ قال: ما كنت أسبقك باسمه يارسول الله.. فقال النبي صلى الله عليه وآله: ولا أسبق أنا باسمه ربي.

ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد العلي الاعلى يقرئك

---

(١) (الوسائل: ج١٥ ص١٤٩ ح١).

(٢) نفس المصدر.

(٣) (دلائل الامامة: ٦٠).

السلام ويقول: علي منك بمنزلة هارون من موسى ولا نبي بعدك سم ابنك هذا باسم ابن هارون قال النبي صلى الله عليه وآله: وما اسم ابن هارون؟ قال: شبر، قال النبي صلى الله عليه وآله لساني عربي قال جبرئيل عليه السلام: سمه الحسن.

قالت أسماء: فسماه الحسن فلما كان يوم سابعه عق النبي صلى الله عليه وآله عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذا ودينارا وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلى رأسه بالخلوق (نوع من الطيب) ثم قال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية.

قالت أسماء: فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام وجاءني النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هلمي ابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء فأذن في اذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ووضعه في حجره فبكى، فقالت أسماء: قلت: فداك أبي وامي مم بكاؤك؟ قال: على ابني هذا قلت: إنه ولد الساعة يارسول الله صلى الله عليه وآله فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي.

ثم قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا فإنها قريبة عهد بولادته ثم قال لعلي عليه السلام: أي شيء سميت ابني؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه يارسول الله فقال النبي صلى الله عليه وآله ولا أسبق باسمه ربي عزوجل.

ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يامحمد العلي الاعلى يقرئك السلام، ويقول لك: على منك كهارون من موسى، سم ابنك هذا باسم ابن

هارون قال النبي صلى الله عليه وآله وما اسم ابن هارون؟ قال: شبير قال النبي صلى الله عليه وآله: لساني عربي قال جبرئيل: سمه الحسين فسماه الحسين[١].

يقول المؤرّخون: «لم تكن العرب في جاهليتها تعرف هذين الاسمين حتّى تُسمِّي أبناءهم بهما، وإنّما سمّاهما النبي (صلى الله عليه وآله) بهما بوحي من السماء.

والاسم الحسن يعزز الشعور بالثقة عند صاحبه ويزيد من شعوره بالكرامة في حين ان الاسم الوضيع أو الاسماء المرتبطة بشخصيات يمقتها التاريخ تعزز الشعور بالوضاعة والحقارة.

٤- الشكر على سلامة الولد والدعاء له

عن البراء بن عازب قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاملاً الحسين بن علي على عاتقه وهو يقول: اللهم اني أحبه فأحبه[٢].

كانَ عَليُّ بْنُ الْحُسَيْنِ - عَلَيْهِ السَّلامُ - اِذا بُشِّرَ بِوَلَدٍ لَمْ يَسْأَلْ أَذَكَرٌ هُوَ اَمْ اُنْثَى بَلْ يَقُولُ أَسَوِيٌّ فَاِذا كانَ سَوِيّاً) قالَ: الْحَمْدُ لِلّه الَّذي لَمْ يَخْلُقهُ مُشَوَّهاً[٣].

وعن ابن عباس قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يُعوّذ الحسن

(١) (بحار الأنوار، ج٤٣، ص: ٢٣٧).

(٢) (ابن الصباغ المالكي، الفصول المهمة في معرفة احوال الأئمة، منشورات الاعلمي / ص١٧١).

(٣) «مكارم الاخلاق، ص ١١٩».

والحسين عليهما السلام فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، ثم يقول: هكذا كان يعوذ إبراهيم بنيه إسماعيل وإسحاق[١].

وقال ابن شهر آشوب: جاء في اكثر التفاسير انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعوّذهما بالمعوذتين ولهذا سمّيت المعوذتين[٢].

وقد نهى النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم عن الدعاء على الأولاد والأموال والأنفس، خشية أن يوافق ساعة إجابة، فقال صلى الله عليه - وآله - وسلم: (لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ)[٣].

ويقول تعالى على لسان نبيه ابراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[٤].

أما عباد الرحمن فيقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاما﴾[٥].

وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام في هذا الخصوص: «أيّما رَجلٍ دعا على ولده أورثه الفقر[٦].

(١) (ينابيع المودة ج٢ ص٤٤، ذخائر العقبى ص١٣٣، ١٣٤، تذكرة الخواص ص١٧٧).

(٢) (المناقب ٣: ٣٨٤، عنه في البحار ٤٣: ٢٨٢، ح ٤٩).

(٣) رواه مسلم (٣٠١٤).

(٤) (إبراهيم: ٣٥).

(٥) (الفرقان: ٧٤).

(٦) (بحار الأنوار ١٠٤: ٩٩).

وقد سُئل الزمخشري عن سبب قطع رجله فقال: أمسكت عصفوراً في صباي وربطته فى رجله، وأفلت من يدي ودخل فى جحر بين حجرين فجذبته فانقطعت رجله. فتألمت أمي وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت رجله. فلما رحلت إلى بخارى لطلب العلم سقطت من الدابة فانكسرت رجلي وقطعت، وكان يمشي برجل من خشب.

وفيما يروى عن الفضيل بن عياض انه كان يأمل في ان يكون ولده واسمه (علي) صالحا تقيا ولكن الامر صعب عليه فكان يدعو له فقال:

اللهم إني اجتهدت أن أؤدب عليا فلم اقدر على تأديبه فأدبه لي.

فاصبح الولد اماما في العلم والزهد وقال عنه البعض انه كان افضل من ابيه في ورعه وتقواه.

٥- العقيقة

.. قالت أسماء: فسماه الحسن فلما كان يوم سابعه عق النبي صلى الله عليه وآله عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذا ودينارا وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلى رأسه بالخلوق (نوع من الطيب) ثم قال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية.

ثم قال لعلي عليه السلام: أي شيء سميت ابني؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه يارسول الله فقال النبي صلى الله عليه وآله ولا أسبق باسمه ربي عزوجل.

ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يامحمد العلي الأعلى يقرئك السلام، ويقول لك: علي منك كهارون من موسى، سم ابنك هذا باسم ابن هارون قال النبي صلى الله عليه وآله وما اسم ابن هارون؟ قال: شبير قال النبي صلى الله عليه وآله: لساني عربي قال جبرئيل: سمه الحسين فسماه الحسين.. فلما كان يوم سابعه عق عنه النبي صلى الله عليه وآله بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذا ودينارا ثم حلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلى رأسه بالخلوق، فقال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية.

وكان اهل الجاهلية يعقون عن أولادهم ولكن يقومون بمسح وجه الطفل بدم الذبيحة فنهى الاسلام عن ذلك[١].

وفي الحديث عن الامام الصادق عليه السلام عق النبي عن نفسه بعد ما جاءته النبوة وعق عن الحسن والحسين عليهما السلام كبشين[٢].

وفي العقيقة فوائد كثيرة منها اعلان الفرح والسرور بقدومه وهي كناية عن الكرم والجود، ولأنها توزع على الملأ بطرائق شتى فهي اعلان صريح عن نسبه بأنه ولد لفلان هذا مولود، كما أنها تسهم في دفع الآفات والمصائب عنه بعيدا.

عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن الحسن، عن عمرو ابن سعيد، عن مصدق بن صدقة، عن عمار بن موسى الساباطي، عن أبي

---

(١) (بحار الأنوار ج٤٣، ص: ٢٣٧).

(٢) (الحر العاملي وسائل الشيعة ج١٥ ص١٤٥).

عبد الله عليه السلام قال: كل مولود مرهن بعقيقته[١].

وعنه عن أبي علي الاشعري عن محمد بن عبدالجبار عن صفوان عن عبدالله بن بكير قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فجاء رسول عمه عبد الله بن علي فقال له: يقول لك عمك انا طلبنا العقيقة فلم نجدها فما ترى نتصدق بثمنها؟ قال: لا إن الله تعالى يحب الإطعام وإراقة الدماء[٢].

٦- مداراة النفساء

في الحديث... فقالت أسماء: قلت: فداك أبي وامي مم بكاؤك؟ قال: على ابني هذا!. قلت: إنه ولد الساعة يارسول الله صلى الله عليه وآله فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي.

ثم قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا فإنها قريبة عهد بولادته[٣].

ان ولادة الطفل تمثل واحدة من محطات السعادة الاساسية للوالدين وربما أجملها، كما وتعدّ مرحلة النفاس مرحلة حساسة من خلال سلسلة التغيرات النفسية والجسدية والهرمونية التي تحصل للام إضافة الى التغيرات الأسرية في دخول مولود جديد الى هذه الاسرة، وكثير من النساء يصبن باكتئاب مابعد الولادة من خلال هذه التغيرات من ناحية وبسبب التخوف من أن تكون المرأة إما غير ناجحة أو الخوف من صعوبات التربية، ولحساسية هذه المرحلة فالنفساء

(١) (الكافي، الشيخ الكليني، ج ٦، الصفحة ٢٥).

(٢) (الطوسي التهذيب ج٧ ص ٤٣٧).

(٣) (التويسركاني مسند فاطمة ص٢٥٣ نقلا عن الوسائل).

بحاجة الى رعاية الغير ومساندهم لها من اجل اجتياز هذه المرحلة، ولذلك فالانباء غير السارة والصدمات والاحداث غير المتوقعة قد تضاعف من حدة مشاعر الاحباط ومن حالة الاكتئاب، وقد ينعكس الحال على إرضاعها لوليدها وبخاصة في الساعات الاولى وقد بدأ الطفل الوليد للتو يلقم ثدي امه؛ إذ إنه عن طريق الرضاعة تنتقل الانفعالات النفسية الى الرضع مما يكون له اثر سيئ عليهم. كما تحتاج النفساء الى الراحة والنوم بعد مشقة الولادة فالقلق والتعب يثبط افراز الحليب.. وأحد أهم أركان الرعاية السليمة والصحية تكون بعدم نقل الاخبار غير السارة أو التعريف بالامور المحزنة ومن هنا جاءت توصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يخبروا الزهراء عليها السلام عما سيجري على ولدها ولكنها أُعلمت بالامر بعد ذلك اي بعد تخطي هذه المرحلة.

عن محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عدة من أصحابه، عن علي بن أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليكن أول ما تأكله النفساء الرطب فان الله قال لمريم: " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " قيل:

يا رسول الله فإن لم تكن أيام الرطب قال: سبع تمرات من تمر المدينة، فإن لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم، فإن الله عز وجل يقول:

وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني لا تأكل نفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاما إلا كان حليما " حكيما – خ ل " وإن كانت جارية كانت

حليمة[١].

بيد أن الحال بالنسبة لمريم عليها السلام أنه أمرها بهز النخلة وهو امر شاق على المرأة العادية فكيف بامرأة مشرفة على الولادة؟! اذ كان الامر تسلية خاطر ومحاولة لإشغال الذهن بما يُنسي المخاوف حيث ستبدأ حرب قاسية مع القوم وسيهاجمها الجميع بعد ولادة عيسى عليه السلام من غير أب.

الأصول التربوية عند الزهراء عليها السلام

بيت الزهراء عليها السلام هو أول مدرسة إسلامية لتنشئة الجيل الصالح وقد كانت هناك عدة اسس تربوية وقواعد اعتمدتها عليها السلام في تنشئة الجيل الصالح ومن أهم هذه الأسس:

١ - **التكريم**: وقد مررنا على التكريم كأحد أسس نجاح العلاقة الزوجية، وقد أشار القرآن الكريم الى تكريم الانسان لأنه إنسان حيث قال:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[٢].

وأشار القرآن الى خلقة الإنسان في أحسن تقويم قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ (الحج ١٨).

(١) (وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٥، الصفحة ١٣٤).

(٢) [الإسراء: ٧٠].

(٣) (التين ٤).

وقد اهتم الاسلام كثيرا بتعزيز الشعور بالكرامة عند الصغار حتى وان كانوا اجنة فالجنين (بعد ولوج الروح فيه) يرث ويُصلى عليه اذا مات ويدفن حسب الشريعة الاسلامية! كما ويوصي الاسلام باحترام الصبيان والاطفال ورعايتهم، ومن البديهي ان الطفل اذا ماشعر انه انسان مكرم محترم فانه يعتز بنفسه واسرته ودينه ويكون ذلك سبباً لخلاصه من عقد كثيرة اهمها عقدة الحقارة، مع اننا نجد بعض الامهات والآباء يتبعون احياناً أساليب خاطئة تزرع عندهم هذه العقدة – بدل ان تخلصهم منها – كنعت الطفل بأسماء الحيوانات أو تعمد اهانته امام الغير أو تحقيره أو تذكيره بأمور سابقة خاطئة قام بارتكابها ناسين انه مازال طفلا ليس اكثر!! وهذه الامورتحبط عنده الشعور بالكرامة فيحاول التعويض عنها مستقبلا اما بالانقياد للعصابات والمنحرفين الذين يعطون معنًى مشوها للكرامة أو بتحويله الى انسان ضعيف ذليل خانع غير قادر على اتخاذ رأي أو قرار.

ولهذا نجد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكرم الزهراء عليها السلام سواء اكان هناك اناس حاضرون ام لا، ففي الروايات (وكانت الزهراء اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام اليها فقبلها فاجلسها في مجلسه[1] لم يكتف بأن يقبلها بل يجلسها في مجلسه!!.

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: اكرموا اولادكم وأحسنوا ادبهم، يُغفر لكم[2].

---

(١) (البحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٨٥)

(٢) (مكارم الاخلاق: ج١ ص٤٧٨ ح١٦٥١، البحار ج١٠٤ ص٩٥ ح٤٤).

قال الحموينيّ مسنِداً خبرَه إلى ابن عبّاس أنّه قال: لّما وُلد الحسين بن عليّ أوحى الله عزّوجلّ إلى «مالك» خازن النار أن أخمِدِ النيران على أهلها؛ لكرامة مولود وُلد لمحمّدٍ في دار الدنيا(١).

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلّي يوماً في فئة والحسن صغير بالقرب منه، فكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اذا سجد جاء الحسين فركب ظهره ثم حرّك رجليه، وقال: حل حل، فاذا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرفع رأسه أخذه فوضعه الى جانبه، فاذا سجد عاد على ظهره وقال: حل حل، فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من صلاته. فقال يهوديّ: يا محمد إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: امّا لوكنتم تؤمنون بالله ورسوله، لرحمتم الصبيان. قال: فإنّي أؤمن بالله ورسوله. فأسلم لما رأى كرمه صلى الله عليه وآله وسلم مع عظم قدره(٢).

وروي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مرّ على بيت فاطمة عليها السلام فسمع الحسين يبكي، فقال: ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني(٣).

وعن أبي هريرة: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرّة وهذا مرّة حتى انتهى الينا فقال له رجل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) (فرائد السمطين الحمويني١٥٢: ٢).
(٢) (بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٩٦).
(٣) (بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٩٥).

وسلم انّك لتحبّهما؟ فقال: من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني[١].

وكلما شعر الطفل أنه انسان مكرم وأنه ذو مكانة محترمة كلما سعى للحفاظ على هذه المكانة واحترامها كي لا يفقد قيمته لدى الآخرين ولهذا نجد التوصيات الاسلامية تقوم على امور عديدة منها:

اظهار الحب للاولاد والسلام عليهم والتصابي معهم ففي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

خمس لا أدعهن حتى الممات.. والتسليم على الصبيان ليكون سنة من بعدي[٢]. وفي ترقيص الزهراء عليها السلام لولدها تطالبه بأن يشبه أباه فهنا يشعر الطفل بالكرامة والفخر بأن له أباً كهذا موضع افتخار الكل.. فالزهراء عليها السلام كانت تلاعب الحسن عليه السلام وتقول:

أشبه أباك يا حسن   واخلع عن الحق الرسن
واعبد إلهاً ذا منن   ولا توالِ ذا الإحن

وقالت للحسين عليه السلام:

أنت شبيه بأبي   لست شبيهاً بعلي[٣]

ولقد نشأ أولاد الزهراء عليها السلام جميعهم على العز والكرامة

---

(١) (بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٨١).
(٢) (وسائل الشيعة ج: ١٢ ص: ٦٢ رقم ١٥٦٥١)
(٣) (عوالم العلوم ١٦: ٥٨)

ورفض الظلم وكانوا كلهم ابطالا اسوداً في ساحات الوغى سواءٌ الذكور ام الاناث فمانقوله عن بطولة الامام الحسين عليه السلام واباءه هو نفس مانقوله عن شجاعة السيدة زينب عليها السلام وإبائها.

وفي رواية التوريث تقول الزهراء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذان ابناك فورثهما شيئاً قال صلى الله عليه وآله وسلم اما الحسن فله هيبتي وسؤددي واما الحسين فله جرأتي وجودي(١).

تُرى الا يكفي لأي طفل ان يشعر بالسعادة والكرامة حينما يُعلم انه يرث من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شمائله، بل ان الرسول يورثه شيئا؟!.

وعن سلمان الفارسي المحمدي قال: كان الحسين عليه السلام على فخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقبله ويقول: انت سيد ابن السادة ابو السادة، انت الامام ابو الائمة، انت الحجة ابن الحجة ابو الحجج التسعة من صلبك وتاسعهم قائمهم(٢).

ونجد في سيرهم التربوية ما يشير الى احترام الصغار وتكريمهم فعن الامام الحسن عليه السلام انه دعا بنيه وبني اخيه فقال: انكم صغار قوم ويوشك ان تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن - لا - يستطع منكم ان يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته(٣).

(١) (الهيثمي مجمع الزوائد ١٨٥: ٩).

(٢) (البحار ج٤٣ ص٢٩٥).

(٣) (كنز العمّال المتقي الهندي، ٥/ ٣٣٩، البحار، ٢/ ١٥٢ ح ٣٧).

وعن المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «الحسن والحسين ابناي من أحبّهما أحبّني، ومن أحبّني أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار».

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة له اذ اقبل الحسين عليه السلام نحوه متعثراً فسارع النبي يقطع خطبته ليلتقط ابنه (الحسين) القادم نحوه ويرفعه معه على منبره(١) كلّ ذلك ليدلّ على منزلته ودوره الخطير في مستقبل الأُمّة.

وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يدخل في صلاته حتى إذا سجد جاء الحسين عليه السلام فركب ظهره وكان يطيل السجدة فيسأله بعض أصحابه: انك يا رسول الله سجدت سجدة بين ظهراني صلاتك أطلتها حتى ظننا انه قد حدث أمر أو انه يوحى إليك فيقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط)(٢).

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين سيدا شباب

---

(١) [مسند أحمد ٥ / ٣٥٤، وصحيح الترمذي ٥ / ٦١٦ ح٣٧٧٤.]

(٢) (صحيح الترمذي/ ج٢/ ص٣٠٧).

اهل الجنة وابوهما خير منهما[١].

وروي عن أبي بكر قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم علي المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرّة وإليه مرّة، وقال: انّ ابني هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين[٢].

وكان امير المؤمنين يقول للحسن والحسين عليه السلام: انتما امامان بعقبي، وسيدا شباب اهل الجنة، والمعصومان، حفظكما الله ولعنة الله على من عاداكما[٣].

ومن البديهي ان كلمات التقدير والاحترام والنعت بالصفات الجيدة تضاعف ثقة الطفل بنفسه وتعزز الشعور عنده بكرامته فيراعي سلوكه كي يحتفظ بنعوتات التقدير وكلما ازداد اعتزاز الطفل بذاته وهويته كلما شعر بالكرامة اكثر، ويمكن الاستفادة من اساليب بيان النعم الكثيرة للانسان ليعرف مقدار كرامته عند الله تعالى الذي خلقه بأحسن تقويم وسخر له مافي الكون جميعا مع قصور الانسان عن تقديم الشكر اللائق بالله تعالى، اضافة الى اسلوب التغافل عن الاخطاء غير المؤثرة فالملامة الزائدة والتذكير بالخطأ يقلل من الشعور بالكرامة والعزة.

عن محمد بن علي عليهما السلام أنه قال: أذنب رجلٌ ذنبا في حياة رسول الله فتغيب حتى وجد الحسن والحسين في طريق خال فأخذهما

(١) (البحار ج٤٣ ص٢٨١).
(٢) (البحار ج ٤٣ ص ٣٠٥).
(٣) (المصدر نفسه ص٢٦٥).

فاحتملهما على عاتقيه وأتى بهما النبي فقال: يا رسول الله اني مستجير بالله وبهما، فضحك رسول الله حتى رد يده إلى فمه ثم قال للرجل: اذهب وأنت طليق، وقال للحسن والحسين: قد شفعتكما فيه اي فتيان، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾(١).

١ - العدل

الاسرة هي المحيط الاول لبسط العدالة الداخلية ولغرسها في وعي وذاكرة الطفل، ومن هنا كانت دعوة الاسلام الى التعامل بمساواة مع الاولاد وعدم اظهار التفاضل بينهم لاي سبب كان، وهذا ما نجده في اقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام. ان العدالة بين الاولاد تعزز الشعورعندهم بأن لهم جميعا مكانة عند الآباء والامهات وبهذا لا يشعرون بفوقية احد من الاخوة على الآخر فيتعمق الاحساس بالمساواة، وحينما تغيب العدالة فإن الاولاد يشعرون بالغبن وبالظلم.. وأن الآباء غير العادلين يؤسسون لهذه التصورات عند الابناء منذ الطفولة وقد يمهد هذا التمييز بين الاولاد الى طغيان الطرف المفضل والذي يحاول الاستفادة من موقعه الخاص من والديه لتحصيل امتيازات معينة الامر الذي يُشعر باقي الاخوة والاخوات بالانكسار ويقوي عقدة الحقارة عندهم مما يشجعهم على البحث عن اطراف اخرى – خارج محيط الاسرة – يجدون عندها العدل

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، الصفحة ١٦٨.

والمحبة والاحترام (ولو بشكل صوري) وهذه بداية الضياع والانحراف – والعياذ بالله–.

في الحديث: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى رجل له ابنان فقبل أحدهما وترك الآخر فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهلاّ ساويت بينهما[١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: اعدلوا بين أبنائكم كما تحبون ان يعدلوا بينكم في البر واللطف[٢].

و ايضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ساووا بين اولادكم في العطية، فَلو كُنْتُ مُفضِّلاً أحَداً لَفَضَّلْتُ النِّسَاء.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ اللهَ تَعالى يُحِبُّ أن تَعدِلوا بَينَ أولادِكُم حَتَّى في القُبَلِ.

يقول عالم النفس الامريكي جاك بريد: ان من اكبر الاخطاء التي يرتكبها الوالدان هو مقارنة الاطفال مع بعضهم فالطفل اذا شعر بتفوق اخيه يشعر بالهزيمة المُرة ومن ثم يختزن احزانه وآلامه في عقله الباطن وهذه الاحزان تتحول الى شعور بالنقص فيحقد على أشقائه وعلى المجتمع ويميل للعزلة احيانا والبكاء احيانا اخرى وهذه الظاهرة تسمى بالانفجار النفسي[٣].

قال الامام العسكري عليه السلام:.. ثم تناول رسول الله صلى الله

---

(١) (الطبرسي / مكارم الاخلاق / ص ٣٢١).

(٢) (الكاشاني، المحجة البيضاء، ج ٢، ص ٤٦).

(٣) (د. محمد رفعت، قاموس الطفل الطبي).

عليه وآله وسلم الحسن بيمينه والحسين بشماله، فوضع هذا على كاهله الأيمن وهذا على كاهله الأيسر، ثم وضعهما على الأرض، فمشى بعضهما إلى بعض يتجاذبان، ثم اصطرعا، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: للحسن ايها أبا محمد، فيقوي الحسن، فيكاد يغلب الحسين، ثم يقوي الحسين فيقاومه.

فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله أتشجع الكبير على الصغير؟

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة اما ان جبرئيل وميكائيل كلما قلت للحسن: أيها أبا محمد، قالا للحسين، "أيها أبا عبدالله"، فلذلك قاما وتساويا.

أما إن الحسن والحسين لما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيها أبا محمد، ويقول جبرئيل، أيها أبا عبدالله، لو رام كل واحد منهما حمل الأرض بما عليها من جبالها وبحارها وتلالها وسائر ما على ظهرها لكان أخف عليهما، من شعرة على أبدانهما، وإنما تقاوما لأن كل واحد منهما نظير الآخر.

هذان قرتا عيني، وثمرتا فؤادي، هذان سندا ظهري، هذان سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين، وأبوهما خير منهما، وجدهما رسول الله خيرهم أجمعين[1].

وقال علي عليه السلام زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) (البحار / ج ٣٩ / ص ١٠).

وبات عندنا فاستسقى الحسن عليه السلام فتناول الحسين عليه السلام قربة لنا فجعل يعصرها في القدح ثم جاء يسقيه فناول الحسن فتناول الحسين ليشرب فمنعه وبدأ بالحسن فقالت فاطمة: يارسول الله كأنه أحبهما إليك؟ قال: انه استسقى أول مرة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اني وهذين وهذا الراقد يعني علياً يوم القيامة في مكان واحد[1].

إن المفاضلة بين الاولاد تؤدي الى استعار نار الحقد والبغض بين الاولاد مع بعضهم وربما يزداد الحال سوءاً فيتجه البغض نحو الآباء أنفسهم.

وإحدى آليات تحقيق العدالة في الاسرة هو التكليف حسب الوسع فقد سمحت الشريعة للاطفال باللعب في السبع السنوات الاولى لكنها ألزمت عليهم العبادات فيما بعد فلا تكليف دون السابعة ولا مسؤوليات شاقة.. وينبغي للآباء ان لا يحملوا سيفا بتارا على أولادهم لمجرد انهم أخطأوا اذ لابد من معرفة سبب الخطأ وعدم ظلم الاولاد بعقوبات قاسية قد تدمر حياتهم الآتية.

٢ - مبدأ التدرج

كان الحسنان عليهما السلام امامين وهما سيدا شباب اهل الجنة لكنهما عاشا طفولة حلوة فهما يلعبان مع بعضهما ومع أمهما وأبيهما وجدهما، وهما يأتيان المسجد حتى في وقت الصلاة فيقبلان الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وربما يجبرانه على اطالة السجود حينما يركبان ظهره المقدس! وهما طفلان معصومان فليس هناك ضغط من هذه الناحية بل نجد رعاية مبدأ

(١) (المعجم الكبير ج٣ ص٤٠ ح٢٦٢٢، البحار ج٣٧ ص٨٦ ح٥٤).

التدرج في اختصاص السنوات الاولى باللعب.

وهذا غير ماعاشته الزهراء عليها السلام من ضيق وحرمان بسبب قساوة الظروف التي مرت بها في مكة.

في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: يُرخى الصبي سبعا ويؤدب سبعا[١].

وعن الامام الصادق عليه السلام: احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين ثم أدبه وايضاً يقول الامام الصادق عليه السلام: احمل صبيك حتى يأتي على ست سنين، ثم أدبه في الكتاب ست سنين، ثم ضمه إليك سبع سنين فأدبه بأدبك، فإن قبل وصلح وإلا فخل عنه (البحار: ٧٤، ٧، ١)... ان مراحل التربية في الاسلام هي ثلاث:

مرحلة السبع الاولى وهي مرحلة اللعب

يعرف الدكتور الزهران اللعب بأنه نشاط سار وممتع، وهو مخرج وعلاج لمواقف الاحباط في الحياة كما لو ضربت الام طفلها فهو يعبر عن ألمه من خلال ضربه للعبته، كما أن أغلب العاب الاطفال موضوعاتها متاعب الاطفال وهدفها التخفيف من القلق الناتج من هذه المتاعب اضافة الى كون اللعب احد الانشطة الدفاعية التعويضية وهو احد الاساليب التي يعبر فيها الطفل عن نفسه ويفهم بها العالم من حوله[٢] وقد عدّت الشريعة ان السنوات

---

(١) (الطبرسي مكارم الاخلاق ص٢٣٤).

(٢) (د. حامد زهران الصحة النفسية والعلاج النفسي ص٣٣٧)

الاولى من عمر الطفل هي سنوات اللعب فقد جاء في الحديث:

قال صلى الله عليه وآله وسلم: الولد سيّد سبع سنين[١]...

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (دع ابنك يلعب سبع سنين..)[٢].

وقال الامام الصادق عليه السلام في تربية الابن: اتركه سبعا وادبه سبعا وصاحبه سبعا.

حيث يعد اللعب محطة تنمية واستكشاف لمواهب الطفولة واكتشاف وتعرف على المحيط، واللعب مع الطفل يعلّم الطفل الآداب الاجتماعية للعلاقات المستقبلية إضافة الى انه يعرّفه بحقوق الآخرين وينمي عنده روح المساعدة والتعاون، وهو من افضل الوسائل لتصريف فائض الطاقة بشكل ايجابي ممتع ومفيد.

ونجد أن الزهراء عليها السلام اهتمت بهذا الجانب فمن باب تقوم هي بترقيص ولديها مع استعمال الالفاظ الجميلة، كما كانت تسمح لهما باللعب فيما بينهما ومع جدهما فقد جاء في الروايات:

وعن جابر قال: دخلت علي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والحسن والحسين عليهما السلام على ظهره وهو يجثو لهما ويقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما[٣].

---

(١) (بحار الانوار: ج ١٠١ باب فضل الأولاد).

(٢) (المصدر السابق).

(٣) (البحار ج ٤٣ ص ٢٨٥).

وعن يعلي العامري، أنّه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى طعام دعي اليه، فاذا بحسين يلعب مع الصبيان، فاستقبل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمام القوم، ثمّ بسط يديه فوثب الصبيّ هنا مرّة وهنا مرّة، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضاحكه حتى أخذه، فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى تحت قفاه ووضع فاه علي فيه وقبّله، ثمّ قال: حسين منّي وأنا منه، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط[١].

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلعب الحسين والحسن عليهما السلام كما روي عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخذ بيديه جميعاً بكتفي الحسن والحسين، وقدماهما على قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: ترقّ عين بقّة. قال: فرقا الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال له: افتح فاك ثمّ قبّله، ثمّ قال: اللهمّ أحبّه فإنّي أحبّه[٢].

وعن أبي هريرة أيضاً قال: اصطرع الحسن والحسين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايهاً حسن، فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقول: إيهاً حسن، وهو أكبر الغلامين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقول به: ايهاً حسن، ويقول جبرئيل:

---

(١) (بحار ج ٤٣ ص ٢٧١).

(٢) (بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٨٦).

ايهاً حسين[١].

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه قال: انّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا يلعبان عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى مضي عامّة الليل، ثمّ قال لهما: انصرفا الى أمّكما، فبرقت برقة في السماء فما زالت تضيء لهما حتى دخلا على فاطمة عليها السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ينظر الى البرقة، فقال: الحمد لله الذي أكرمنا أهل البيت[٢].

حيث يرخى الطفل كما ورد في حديث امير المؤمنين عليه السلام اي تترك له الحرية في اللعب فلا تعطى للاولاد تكاليف بل يكفي التعريف بها، ونجد ان الزهراء عليها السلام ترسل اولادها الى المسجد فكانا يتلاعبان مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان الرسول يتصابى لهما كما مر بنا في اطالته الركوع والسجود فهذه هي الطفولة.. وكان بإمكان الزهراء ان تحول دون ذلك فما هو عمل الصغيرين في المسجد وسط المصلين؟ لكن المسجد في العهد النبوي كان اضافة الى كونه مكانا للصلاة والاجتماع كان ايضا مكانا للاستجمام فمنه واليه تقام المسابقات الرياضية حيث يروح المسلمون عن أنفسهم من خلال الجمع الحاضر فهو احد اهم اماكن الترويح.. ثم ان الصغيرين يلتقيان بجدهما في المسجد وعادة تذوب الطفولة في رياض كبار السن بالنسبة لهم ففي الرواية:

اِنَّ النَبِيَّ كانَ يُصَلّي يوماً فى رِفِئَةٍ وَالحُسَينُ صغيرٌ بالقُرب مِنهُ فَكانَ النَبيُ

(١) (بحار ج ٤٣ ص ٢٦٥).

(٢) (بحار ج ٤٣ ص ٢٦٦).

اذا سَجَدَ جاءَ الحُسَين فَرَكَبَ ظَهرَهُ ثُمَّ حَرَّكَ رِجلَيه وقالَ: حَل حَل، فَلم يزَل يفعَلُ ذلِكَ حَتّى فَرَغَ النَّبي مِن صَلاتِه، فَقالَ يهوُدِيٌّ: يا محمّد، اِنَكُّم لَتَفعَلوُنَ بالصِبّيانِ شَيئاً ما نَفعَلُهُ نَحنُ، فقالَ النبيُّ: اَمّا لوكنتم تؤمنون بالله ورَسُولِهِ لَرَحمتُم الصِبّيانَ قال: فَاِنّي اَؤمَنَ باللِه وبِرَسُولِهِ فَاَسَلَمَ لَمّا رأى كَرَمَهُ مَعَ عِظَمِ قَدرِهِ[1].

وأفضل الأساليب التربوية المتبعة في هذه المرحلة هو اسلوب التلقين والاهتمام والتعريف بظواهر الامور كالحجاب والدعاء والصدقة وظاهر الصلاة كي يتعلم الاولاد.

والتلقين في هذه المرحلة مهم والتكرار مفيد ايضاً؛ إذ إنّه يساعد على تثبيت الصورة في الذاكرة، وكثيراً مانرى كباراً في السن يذكرون كيف أن آباءهم كانوا قد اصطحبوهم الى العتبات المقدسة حينما كانوا صغاراً وعلموهم بهوية صاحب المرقد وفضائله مما كان له أثر كبير في استقرار الهوية والعقيدة.

المرحلة الثانية: السبع الثانية

حيث يعلّم الطفل في هذه المرحلة الحلال والحرام وكيفية الصلاة والعبادة وقراءة القرآن، وهي اولى سنوات الانسلاخ التدريجي من الطفولة الى الرشد وهو مانسميه بالمراهقة، وربما من هذا الباب جاء في وصية الزهراء عليها السلام الى أمير المؤمنين بأن تكون هناك ليلة خاصة للاولاد وليلة

(١) (بحار الانوار- مجلد ٤٣)

لزوجه كي يتابع امر اولاده الذين تجاوزوا مرحلة الطفولة. وهوتذكير وتأديب لنا اولا.

ونرى أن الزهراء عليها السلام كانت ترسل الحسنين الى المسجد وحينما يعودان تسألهما اخبار المسجد وما نزل من آيات، وهذه هي التربية الدينية للاولاد التي تعتمد مبدأ تقوية العلاقة مع المسجد والقرآن والمربي الذي هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

كما أن الزهراء عليها السلام كانت تدعو للجار قبل الدار ويكون الدعاء بالصوت المسموع كي يسمع الاولاد هذه الكلمات فيسألون ويتساءلون وهو دليل على الانتباه والفطنة وهي بداية التعلم.

٣- مرحلة الرشد

وهي مرحلة اكتمال القوى البنائية والمعرفية مع القدرة على ادارة الامور الاقتصادية من خلال العمل مثلا، وكذلك الامور الاجتماعية من خلال الزواج مثلا وهي سن التكليف لكلا الجنسين وهي مرحلة العمل والانخراط في المجتمع.

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾[1].

(١) الكهف: (٨٢).

وتلعب خبرة الوالدين دوراً مهما في التعلم واكتساب الفضائل وفي كل المراحل العمرية، وقد حرصت الزهراء عليها السلام على الاستفادة من كل الوسائل لتثبيت الفكرة رغم انهم كانوا ائمة سلام الله عليهم وكانت العصمة رداءهم ولكنها دروس للتعلم، فإنها عليها السلام كانت تصطحب ولديها الى بيت الاحزان رغم انها محطات حزن!! ولكن هذا الاصطحاب ساعد على اذكاء مظلوميتها في النفوس وفي التعريف بنفسها من خلال اولادها، والتعريف بواقع الامة بالنسبة لاولادها كي يأخذوا الادوار المطلوبة مستقبلاً، وهي عليها السلام قد اصطحبت ابنتها زينب عليها السلام الى المسجد لّما القت خطبتها لتكون السيدة زينب عليها السلام احد رواة الخطبة فيما بعد ولتتعلم زينب ادوارها القادمة.

٤- مبدأ الاعتدال

بمعنى انها كانت تربية وسطا ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ لا افراط فيها أو تفريط كما انها تربية متوازنة تعطي للدنيا ماتحتاج اليه وتبني الآخرة كما وجدنا في الروايات التي تتحدث عن عبادة الزهراء عليها السلام التعليمية للابناء.

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾(١).

ويقول ايضا: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

(١) الاسراء: (١١٠).

الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾[١].

وتأتي هذه التربية المتوازنة من الوعي والفهم الصحيح للدين حيث يقول أمير المؤمنين: لا ترى الجاهل الا مفرطا أو مُفرِطا[٢].

ويقول ايضا: خير الاعمال اعتدال الرجاء والخوف[٣].

ويقول ايضا: فكل تقصير مضر وكل افراط له مفسدة[٤].

ونحن نحتاج الى مبدأ الاعتدال والوسطية في كل جوانب حياتنا.. يقول امير المؤمنين: " أَلا إِنَّ الْفَقِيهَ كُلَّ الْفَقِيهِ الَّذِي لا يُقَنِّطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلا يُؤَمِّنُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلا يُرَخِّصُ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلا يَدَعُ القرآن رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، لا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لا عِلْمَ فِيهَا، وَلا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لا فَهْمَ فِيهِ، وَلا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لا تَدَبُّرَ فِيهَا "[٥].

والاعتدال عامل مهم في التوجيه السليم وتحصيل الراحة النفسية.

عن يعلي بن مرة، قال: إنهم خرجوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى طعام دعوا له، فإذا حسين يلعب في السكة، قال فتقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمام القوم، وبسط يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه. فقبله وقال: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً،

---

(١) (٢٩) الاسراء

(٢) (نهج البلاغة حكمة ٧٠)

(٣) (غرر الحكم ج١ ص٣٥٥).

(٤) (نهج البلاغة حكمة ١٠٨).

(٥) (حلية الأولياء لأبي نعيم رقم الحديث: ٢٣٤).

حسين سبط من الأسباط[1].

ورب قائل يقول إن الحسنين عليهما السلام ولدا رسول الله وريحانتاه وهذا امر قد يتطلب الحماية الزائدة أو التدليل!!لكن العكس هو ما نراه فنجد انهما يشاركان في المصيبة والجوع والفقر وغيره (كما مر بنا في نزول سورة الدهر) كما انها لم تكن تربية تفريطية فيها المنع من حضور الاماكن التي يرتادها عامة الناس كالسوق أو (السكة) اي ليست تربية قائمة على العزل الاجتماعي حيث يساعد هذا الحضور على تنمية القدرات والمهارات الاجتماعية والتعرف على الناس خاصة وانهما أماما الامة مستقبلا.. ولو نقرأ توصيات الرؤساء الى الابناء بعدم الاختلاط بـ(الطبقة الفقيرة) أو عدم دخول شوارع البؤساء لفهمنا لماذا يتعرض أبناؤهم مستقبلا حينما يلجون الحياة الاجتماعية الى ازمات وهزات قد لا يستطيعون تحملها فيلجأون الى الانتحار!! ان التربية الاسلامية التي تقول للانسان انت انسان اولا فكن ذاتك ولا تمل يمينا اوشمالا كي تحافظ على ذاتك.

ونجد مراعاة الزهراء عليها السلام واهل البيت لمتطلبات المراحل التربوية فهناك لعب في مرحلة اللعب كما في الرواية:

- وعن أبي هريرة قال: كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العشاء الآخرة، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما من خلفه أخذاً رفيقاً، ويضعهما على ظهره، فإذا عاد عادا حتى

---

(١) خصائص النسائي (ص: ٣٧)

قضى صلاته أقعدهما على فخذيه، قال: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله أردهما؟ فبرقت برقة فقال لهما: الحقا بأمكما. قال: فمكث ضوؤها حتى دخلا على أمهما[1].

وهناك اهتمام بمتطلبات المراحل الاخرى كما في حديث التوريث وحديث المحبة بل اننا نجد ان التربية الزهراوية لتبدو اكثر واقعية فهي عليها السلام تأخذهما الى جدهما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في لحظاته الاخيرة لحظات الموت والوداع والاحتضار والفراق.. ورب قائل يقول انهما معصومان وهذا صحيح ولكنها دروس لنتعلمها نحن.

وإذا أردنا ان نحصر جلّ المشكلات المعاصرة في التربية فهي تعود اما الى التفريط أو الافراط فنرى هناك غلواً في جانب أو قصوراً في جانب، وكمثال نرى اهمال الدين على حساب الدنيا أو تضييق الدين في دائرة محدودة هي دائرة العبادات أو تكفير الآخرين لوجود اتجاه واحد من التعامل مع اهمال لقداسة الانسان المسلم وحرمته.

وقد نهى الاسلام عن التطرف والغلو والذي يمثل ابتعادا عن الوسطية..

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾[2].

---

(١) (الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب المناقب، باب فيما اشترك فيه الحسن والحسين من الفضل، ج٩ ص ١٨١ ح١٥٠٧٦).

(٢) المائدة(٧٧).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ﴾[1].

٥- رعاية ظواهر الاوضاع وبواطنها

مما لاشك فيه أن للامور ظواهر وبواطن فالحجاب صورة ظاهرية ولكن لها انعكاسات معنوية، في حين أن الرياء صورة باطنية ولكن له انعكاسات باطنية وظاهرية.. ومن هذا المنطلق اهتمت الشريعة بظواهر الامور من قبيل تهيئة البيئة الصالحة ومن قبيل الصلاة والحجاب والحج ولكن هذه الامور الظاهرية لها انعكاسات باطنية وتأثيرات معنوية وهي تسهم في تربية الفرد وتهذيب شخصيته..

وقد أشار القرآن الى هذا الترابط فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[2]. وقال ايضا: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾.

ويقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) ﴾[3].

---

(١) النساء(١٧١).

(٢) المائدة(٨٣).

(٣) المدثر ١ – ٥.

وهـذا الاهتمـام بظـواهر الامـور وبواطنـها نجـده واضـحا في التربيـة الزهراوية.. فرعاية الظاهر من قبيل الارسال للمسجد واصطحابهم الى بيت الاحـزان وزيـارة شـهداء احـد والتوصـية بـالنعش (الـذي هـو رعايـة اكثـر للحجاب عند الموت) فهـي حـالات تـؤثر علـى البـاطن وتحيـي فيـه الامـور المعنوية وتثبت الخوف من الله والشعور بمعيته الدائمة، فهمـا صـغيران ولكـن مجرد وجودهما في المسجد لـه آثـار معنويـة كـبيرة اضـافة الى الآثـار الظاهريـة، ونفس الشيء يقال عن رعاية الباطن وتأثيره على الظـاهر العـام والـذي نجـده من خلال الاهتمـام بمتابعـة نـزول الآيـات القرآنيـة والـدعاء والـصلاة حيـث تتعمـد ان يكـون الـصوت مـسموعا (لتحريـك البـاطن مـن خـلال الـصورة الظاهرية). كذلك زهدها عليها السلام ولباسـها المتواضـع مـع ايثارهـا رغـم فقرها (والـذي ينبـع مـن الـذات الطـاهرة) ودعائهـا للجـار دليـل علـى ذاتهـا السليمة في حبها للآخرين والـدعاء لهـم وهـي دروس اوصـلتها الى اولادهـا، فهذا الحسين عليه السلام بكى يوم العاشر لمـا راى اعـداءه وهـم كثـرة كـاثرة سيدخلون النار بسببه!.. وهذه هي الرحمة المتأصلة في النفوس والـتي تـنعكس ألماً حتى لمرأى الاعداء وهو يتهافتون على نيل الدنيا من خـلال اسـتباحة دمـه المقدس!

وفي لحظـات وداع رسـول الله نـرى حـضور الزهـراء عليهـا الـسلام مـع ولديها مطالبة بالارث المعنوي وهو درس بليغ فالمواريث لا تكون ظاهريـة أو مادية فقط!

ويمكن تعميق هذا الاسلوب من خلال بيان فلسفة الحياة والموت والبعث والتي هي من اكثر الامور التي يسأل عنها الاولاد والتأكيد على اهمية النية في العمل، وبيان ان الدنيا مرحلة عابرة فهذه امور تسهم في تنمية الباطن وتوجيهه نحو الغايات الربانية.

ومن خلال الاهتمام بظواهر الامور تلعب البيئة والمحيط دورا فاعلا ورئيسيا في التربية، ومن هنا ندرك معاناة المسلمين الذين يعيشون في بيئات غير متناسبة مع الفكر الديني فمشاهد الطفولة صور مؤثرة على البناء الذاتي كما ان المحيط يشوّه كثيرا من المفاهيم مما يوجد صعوبة واضحة في الارشاد الديني في اوساط معاندة ولهذا اهتم الاسلام بأمر اصلاح البيئة والمحيط كي يكون متناسبا مع المتطلبات الدينية الى الحد الذي يدعو فيه الانسان المسلم الى الهجرة الى اوساط اكثر سماحة وحرية في ممارسة الشعائر الدينية..

٦- استثمار المحيط

وقد أشرنا بعض الشيء الى تأثير البيئة والمحيط من خلال المظاهر الظاهرة المؤثرة على البواطن وبالعكس، ولعل العصر النبوي الاول يمثل العصر الذهبي للتربية بما توفرت من بيئة خاصة صالحة للتربية، فقد كان مناخ المدينة مناخا اسلاميا مميزا وقد زاده شرفا وسموا وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام ووجود المسجد النبوي الذي تتابعت فيه نزول الآيات الشريفة، ولا ننسى ان بيت الزهراء عليها السلام كان ملاصقا للمسجد مما يتيح للحسنين الحضور فيه بسهولة دون عناء فكل وقت الحسنين

كان اما في البيت مع سيدة نساء العالمين عليها السلام ومع امير المؤمنين عليه السلام أو في المسجد ومع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يعطي لهما اهمية خاصة مع كونه قدوة حسنة لجميع المسلمين.

اضافة الى الاستفادة من آلية الزمان والمكان في انتخاب بيت الاحزان مثلا.

كذلك في قضية المسكين واليتيم والأسير حيث كان من الممكن إعفاء الحسنين من الصوم المرهق للاطفال الصغار ولكن سُمح لهما بالصيام وبقوا ثلاثة ايام لم ينالوا شيئا من الطعام واكتفوا بالماء!! وهذا توجيه نحو الاستفادة من الظروف المستجدة للتدريب على مهارات معينة.

٧- الزهد

كان بالامكان ان نجعل هذا المفهوم ضمن القيم الدينية وضمن قيم المظهر الخارجي لكني أدرجته هنا لما له من تأثير على الاولاد انفسهم بل على كل نظام الاسرة الاقتصادي والثقافي والتربوي والاجتماعي وغيره. وتلعب الام دورا كبيرا في توجيه الابناء نحو الطريقة السليمة في التعامل مع الدنيا فهي اما ان تحول أبناءها إلى أسارى اوعبيد للدنيا وذلك حينما تصبح الدنيا هدفهم الوحيد في الحياة فيقاتلون ويتقاتلون من اجل تحصيل الرصيد الاكبر منها!!، أو تجعلهم يعيشون الفهم الواعي للتعامل الصحيح مع الدنيا والذي يقضي بتحويلها الى مزرعة للآخرة مع تحصيل النصيب المعقول منها، وهذا

يتوقف على الفهم الصحيح لمعنى الزهد، فالزهد ضد الرغبة وضد الحرص على الدنيا والزهادة في الاشياء كلها[1] فالزهد هو انعتاق النفس من التعلق المسرف بالدنيا، وفي الحديث: (حب الدنيا رأس كلّ خطيئة).

وأيضاً: (من تعلّق قلبه بالدنيا تعلّق قلبه بثلاثِ خصال: همّ لا يفنى، وأملٍ لا يُدرك، ورجاء لا يُنال)[2].

ويتصور البعض ان الزهد هو ترك الدنيا والاعراض عن مافيها والانصراف عنها والسكن في الكهوف والمغارات وعدم الاستفادة من التقنيات المعاصرة وهذا الفهم الخاطئ موجود في عصرنا الحالي وقد أسهم في زيادة المسافة بين الشباب والدين!! وهو اقرب الى الرهبنة منه الى الاسلام الصحيح يقول تعالى:

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[3].

وقد حارب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا التصور الخاطئ كما نرى في موقفه من عثمان بن مظعون، حين جاءت امرأة عثمان تشكو حالها عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت: يا رسول الله! إنّ عثمان

(١) (لسان العرب مجلد ٣ ط١٩٩٧)

(٢) (أصول الكافي ج ٢ ص ٣٢٠).

(٣) (الحديد / ٢٧).

يصوم النهار، ويقوم اللّيل، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مغضبا، حتّى جاء إلى عثمان فوجده يصلّي، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له:

«يا عثمان! لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفية السهلة السمحاء، أصوم واُصلّي، وألمس أهلي، فمَن أحبّ فطرتي فليستن بسنّتي، ومن سنّتي النّكاح»[1].

فالزهد الايجابي هوالتحرك في دائرة الحياة وممارسة نشاطاتها المختلفة مع تحرير القلب والعقل من عبودية الدنيا والشهوات والاستغراق فيها فهو عامل تجميع للقوى الايمانية من خلال توجيهها نحو غاية واحدة.. فالزاهد يرى النكاح سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي من رغب عنها فليس منه، وهو يرى انجاب الاولاد وظيفة دينية واجتماعية تثقل الارض بلا اله الا الله (وإن الزاهد والراهب كليهما يتركان الدنيا، إلا أن الزاهد يترك الدنيا بترك الانهماك بالتنعم والتمتع والكماليات، ويحذر من أن يحسبها منتهى آماله وأكمل مناه، أما الراهب فإنه يترك الدنيا بترك العمل فيها وتحمل مسؤولياتها.

يقول الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام): «ألا وإنّ الزُّهد في آية من كتاب الله: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ... ﴾[2].

ويقول علي عليه السلام:

---

(١) (الفروع من الكافي / الكليني / ج ٥ / ص ٤٩٤).

(٢) (الحديد / ٢٣)» (الأُصول من الكافي / الكليني / ج ٢ / ص ١٢٨ / ط ٣).

"إنما الدنيا منتهى بصر الأعمى لا يبصر مما وراءها شيئاً والبصير ينفذها بصره ويعلم أن الدار وراءها فالبصير منها شاخص والأعمى إليها شاخص والبصير منها متزوّد والأعمى لها متزود"[(١)].

ويقول عليه السلام:

"واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدنيا"[(٢)].

من كتاب ابن تغلب، عن ابن الوليد، عن يونس بن يعقوب، عن عطية أخي أبي العرام قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنا لنحب الدنيا ولا نؤتاها وهو خير لنا وما اوتي عبد منها شيئا إلا كان أنقص لحظه في الآخرة[(٣)].

وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته الكرام عليهم السلام يعيشون الحياة الدنيا بأبعادها المختلفة ولم يكونوا منعزلين عنها، فهم يتزوجون ويسهرون الليل تعبّدا ويسارعون الى الخيرات، وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قائدا وحاكما لكن الهدف الاسمى كان الآخرة.

وهكذا كانت الزهراء عليها السلام في حياتها كلها فقد عاشت اروع مصاديق الزهد الايجابي الفاعل والمتحرك الذي يسهم في بناء الحياة وفي حماية

---

(١) (قصار الحكم ٣٦٧).

(٢) (نهج البلاغة خطبة٨ص٣١٩).

(٣) (البحار ج٦٩ ص٦٦).

العقيدة والدعوة اليها بعد ان فرغ قلبها من كل هم الاّ من همّ الآخرة.

عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد السفر سلم على من أراد التسليم عليه من أهله ثم يكون آخر من يسلم عليه فاطمة (عليها السلام) فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها.

فسافر مرة وقد أصاب علي (عليه السلام) شيئا من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة فخرج فأخذت سوارين من فضة وعلقت على بابها سترا، فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخل المسجد فتوجه نحو بيت فاطمة كما كان يصنع، فقامت فرحة إلى أبيها صبابة وشوقا إليه فنظر فإذا في يدها سواران من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا بي قبلها.

فدعت ابنيها فنزعت الستر من بابها وخلعت السوارين من يديها، ثم دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر ثم قالت لهما: انطلقا إلى أبي فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غيرهذا فشأنك به، فجاءاه فأبلغاه ذلك عن أمهما فقبلهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتزمهما وأقعد كل واحد منهما على فخذه، ثم أمر بذينك السوارين فكسرا فجعلهما قطعا ثم دعا أهل الصفة [وهم] قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال، فقسمه بينهم قطعا، ثم جعل يدعوالرجل منهم العاري الذي لايستتر بشيء وكان ذلك الستر طويلا ليس له عرض فجعل يؤزر الرجل فإذا التقيا

عليه قطعه حتى قسمه بينهم أزرا ثم أمر النساء لا يرفعن رؤوسهن من الركوع والسجود حتى يرفع الرجال رؤوسهم، وذلك أنهم كانوا من صغر إزارهم إذا ركعوا وسجدوا بدت عورتهم من خلفهم ثم جرت به السنة أن لا يرفع النساء رؤوسهن من الركوع والسجود حتى يرفع الرجال.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله فاطمة ليكسونها الله بهذا السترمن كسوة الجنة، وليحلينها بهذين السوارين من حلية الجنة.

من الواضح أن ثمن السوارين والقرطين الفضيين والعقد الفضي كان زهيداً، والأزهد ثمناً منها ذلك الستار الذي يعلقه الإنسان على باب الغرفة، غير أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يعد فاطمة (عليها السلام) ارفع شأنا من هذه التعلقات الدنيوية، وهو صلى الله عليه وآله وسلم يريد ان يدون رسالة خالدة ان قيمة الانسان بخصاله وفضائله الانسانية، بل ماكان الرسول ليريد لابنته أن تعيش تعلقات الحياة الدنيا كما عاشها الآخرون، وهي رسالة ايضا لتدريب القادة والاسر الحاكمة على اهمية مواساة الطبقة الفقيرة من المجتمع وبخاصة مجتمع صدر الاسلام حيث ان الدعوة مازالت ناشئة وفتية وتحت الرصد من قبل الجميع، وهوحثٌ على اكتساب قيم التعاون والمساندة الاجتماعية فهي مطلوبة في كل عصر وزمان.

وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: قلت: يا رسول الله انحل ابني الحسن والحسين، فقال صلى الله عليه وآله: أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فإن له جرأتي وجودي.

هذه المطالبة أمام الصغار تؤكد لهم ان هناك أموراً كثيرة قد لا تعوض بثمن ولا يمكن تحصيلها بسهولة، وهذا التذكير يرسخ في اذهان الاولاد القيم الدينية والاخلاقية وتجعلهم يتعاملون مع الحياة من خلال وعي سليم حملوه في أعماقهم من خلال النماذج التي ثبتت هذه الصور في وجدانهم، لذا يجب تعويد الابناء على مبادئ الزهد فلا نعطيهم كل مايطلبون مما قد لايكونون بحاجة اليه اصلا بل نعودهم على مبدأ تأجيل الحاجات ولنذكرهم بالفقراء والمعوزين ونشجعهم على الانفاق السليم في مساعدة الفقراء، وان نعودهم على الاهتمام بالفضائل الكبرى كالعلم والايمان وتحصيل التقوى والموالاة كي لا تستغرقهم الحياة الدنيا ولا يستنفدوا حياتهم في صورة الثياب والملابس وسنمر بتفصيل اكثر في هذا الجانب عند حديثنا عن قيم المظهر الخارجي.

٨- المحبة

يتغذى الاولاد من الحب والحنان كما يتغذون من الحليب واللبن!، فالغذاء العاطفي هو الاساس في نمو الجهاز العاطفي للطفل وفي تحقيق النضج المعقول للشخصية، ويعد الاشباع العاطفي من اهم الحاجات النفسية للطفل فهو بحاجة الى المحبة من قبل الغير وبخاصة من قبل الوالدين بوصفهما المحطة الاولى التي يفتح الطفل عينه عليها، وفي الحديث قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: اَحِبُّوا الصِّبْيانَ وارْحَمُوهُمْ واِذا وَعَدْتُمُوهُمْ فَفُوا لَهُمْ فَاِنَّهُمْ لايَرَوْنَ اِلّا اَنَّكُمْ تَرْزُقُونَهُمْ[١].

(١) «وسائل الشيعة، ج ٥، ص ١٢٦»

وقال الامام الصادق عليه السلام: انَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لَيَرْحَمُ الرَّجُلُ لِشِدَّةِ حُبِّه لِوَلَدِه[١].

وقال الامام الصادق عليه السلام: اَكثِرُوا مِنْ قُبْلَةِ اَوْلادِكُمْ فَاِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ قُبْلَةٍ دَرَجَةً[٢].

وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يهتم كثيرا بهذا الجانب ففي الرواية.. قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله - الحَسَنَ والْحُسَيْنَ - عَلَيْهِما السَّلامُ - فَقالَ الاقْرَعُ بْنُ حابِسٍ: اِنَّ لي عَشْرَةً مِنَ الاَوْلادِ ما قَبَّلْتُ واحِداً مِنْهُمْ. فَقالَ صلى الله عليه وآله وسلم: ما عَلَيَّ اَنْ نَزَعَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِنْكَ[٣].

وعن أبي هريرة، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا. فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما؟ فقال: نعم من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني[٤].

وقد اتبع نفس الاسلوب مع ابنته الزهراء عليها السلام ففي الروايات دخلت عائشة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقبل فاطمة فقالت له اتحبها يا رسول الله؟ قال: اما والله لو علمت حبي لها لا زددت لها حبا[٥].

---

(١) «مكارم الاخلاق، ص ١١٣».

(٢) «بحار الانوار، ج١٠١، ص٩٢».

(٣) «مكارم الاخلاق، ص ١١٣» (بحار الانوار ج ٤٣ ص٢٨٢).

(٤) ذخائر العقبى ص١٢٣، ١٢٤، مسند أحمد (٥/٣٦٩).

(٥) (المجلسي، بحار الانوار ٤٣، ص ٥).

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سباقا في هذا الجانب فقد كان يقبل الحسن والحسين بمرأى من اصحابه كي يعلمهم هـذا الادب. وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كـان يـصلي يوماً في فئة والحسين صغير بالقرب منه فكـان الـنبي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم إذا سـجد جـاء الحسين فركب ظهره ثم حرك رجليه، وقال: حل حل، فإذا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه، فإذا سجد عاد على ظهره وقال: حل حل، فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ الـنبي صـلى الله عليـه وآله وسلم من صلاته، فقال يهودي: يا محمد! إنكم لتفعلون بالصبيان شـيئا ما نفعله نحن. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله: لرحمتم الصبيان. قال: فـإني أؤمـن بـالله ورسـوله. فأسـلم لما رأى كرمه صلى الله عليه وآله وسلم مع عظم قدره(١).

وروي أن النبي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم كـان يقـول لفاطمـة عليهـا السلام: ادعـي لي ابـني، فيـشمهما- كمـا يـشم الـوردة العطـرة - ويـضمهما إليه(٢).

وعن أبي هريرة قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمص لعاب الحسن والحسين كما يمص التمرة(٣).

وهـذا الـسلوك التربـوي يـسهم في التعريـف بالمحبـة الـتي يكنـها الآبـاء

---

(١) (بحارالانوار ج ٤٣ ص٢٩٦).

(٢) (بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٩٩).

(٣) (بحار الانوار ج ٤٣ ص ٢٨٤).

والامهات للابناء ففي جانب اظهار المحبة هناك نمطان من الامهات:

١ـ الام الثلجية: الباردة المشاعر والتي يستوي في وجهها الحب والبغض والحزن والفرح فهي كأم تحب اولادها حتماً لكنها عاجزة عن اظهار هذا الحب لهما لانها لم تتعلم (فن اظهارالمشاعر) وكيفية التعبير عن العواطف، وهذا النمط من الامهات يصيب الاولاد بالاحباط حيث يتسرب اليهم الشعور بان لا احد يحبهم! ممايولد عندهم رؤية سيئة للحياة وللوالدين ويترك اثرا سيئا في تعاملهم المستقبلي مع الآخرين.

٢ـ الام الربيعية التي تبدي مشاعر الود لأبنائها فهي تقبلهم وتحتضنهم وتعبر عن محبتها بالكلام واللعب معهم وتقيم علاقة طيبة مع الصغير منذ ولادته(بل قبل ذلك من خلال فرحها بالحمل) وهو الوقت الذي لا يفهم فيه الطفل لغة الكلمات لكنه يفهم لغة المشاعر.

ولما كانت السنوات الاولى اساسية في بناء شخصية الطفل فهي اذاً سنوات الحب والتقبيل والمداعبة.

وكانت الزهراء عليها السلام ترقص ولديها وتقول:

أشبه أباك يا حسن　　　واخلع عن الحق الرسن

واعبد إلهاً ذا منن　　　ولا توال ذا الإحن[1]

فالملاحظ هنا انها قامت بترقيصهما مع الكلمات الحلوة المشجعة لهما على التأسي والاقتداء وهما يسمعان ما تقول مما يضاعف الشعور بالقيمة

(١) (مناقب ابن شهرآشوب ٣: ٣٨٩، أعيان الشيعة ١: ٥٦٣).

والتكريم وبحرص الام على مستقبل الاولاد وهي بيان ومؤشرات على حبها العظيم لهما. ويشير القرآن الكريم الى رابطة المحبة بالتعبير اللفظي في موارد عدة منها:

في وصية لقمان: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مبين ﴾[2].

بل نجد أن نوحاً عليه السلام في اللحظات الاخيرة ينادي ابنه بهذا الكلام فحينما يغيب تأثير الكلام فربما تتحرك العواطف ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾[3] رغم انه كان في الاتجاه المضاد لابيه النبي وكان بعيدا عن رسالته ودعوته بل كان مع أعدائه مما يعني بعد المسافة بين الاثنين، انها مشاعر الابوة الحانية التي تحاول انقاذ فلذة الكبد من عذاب اكيد.

ويحاول الآباء والامهات في عصرنا غض الطرف عن اظهارمشاعر الحب للأبناء معللين ذلك بما يعيشون تحت وطأته من ضغوط حياتية صعبة وقاسية ولكن هذا ليس مبرراً اذ ان الحاجة الى الحب يجب ان تُشبع عند الاولاد، والوالدان مسؤولان عن تأمين القوت النفسي والمعنوي والعاطفي إضافة الى القوت الغذائي. ويرى علماء التربية المعاصرون ان سبب ارتفاع نسبة العنف

---

(١) (سورة لقمان اية ١٢).

(٢) (يوسف آية ٥).

(٣) (هود: ٤٢).

بأنواعه المختلفة في المجتمعات الحديثة يعود بالدرجة الاولى إلى عدم تلبية الحاجات العاطفية للاولاد وعدم توفر الاشباع العاطفي الكافي لهم نتيجة لغياب الام عن دورها التربوي وايعاز هذه المهمة الى دور الحضانة والام البديلة التي لن تكون اُما بديلة ابدا..

وفي الحديث عن الامام الصادق عليه السلام:

قال موسى عليه السلام: يارب اي الاعمال افضل عندك؟ قال حب الاطفال فإني فطرتهم على توحيدي فان أمتهم ادخلتهم جنتي برحمتي[١].

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: قبّلوا اولادكم فان لكم بكل قبلة درجة في الجنة ما بين كل درجة خمس مئة عام[٢].

ان التعبير عن الحب للاولاد يُسهم في تنمية الثقة بالنفس عندهم والاحساس بقوة الشخصية ويكون سببا لنجاحها في مستقبل الحياة، كما ان اظهار الحب للاولاد وهم صغار يعلمهم كيف يطلقوا هذا الحب لأبنائهم حينما يصبحو كباراً.

ومن هنا جاءت التوصيات الدينية برعاية الايتام وإظهار الحب لهم لتعويض ما فقدوه من حب الوالدين، يقول اميرالمؤمنين عليه السلام في وصيته:

الله الله في الايتام فلا تغبوا امواهم ولا يضيعوا بحضرتكم[٣].

---

(١) (المصدر نفسه ص ٢٤٩).

(٢) (المصدر نفسه ص٢٣١).

(٣) (نهج البلاغة رسالة ٤٧).

وفي دراسة أن الفرد إلى أن يصل إلى عمرالمراهقة يكون قد سمع مالا يقل عن ستة عشر ألف كلمة سيئة ولكنه لا يسمع إلابضع مئات كلمة حسنة!. فللأسف تزيد عندنا الاشارات والكلمات السلبية التي لا تعبر عن عاطفة الحب (ان لم تدمرها) في حين تنقص القدرة على استعمال الكلمات الحانية مع الاولاد والمقربين.

ومن الملاحظ ان رعاية الزهراء عليها السلام كانت واضحة لأبنائها:

١ - فهي معهم دائما وأبداً ولم تكل امرهم الى خادم أو خادمة رغم ان ظروف الحياة آنذاك كانت صعبة وعصيبة فهي تطحن بالرحى والطفل على صدرها ولم تتركه أو تهمله وكانا معها حتى في اللحظات الحرجة حينما كان الرسول يحتضر أو في بيت الاحزان، بل انها حتى لما جاءتها الخادمة أو كلت إليها مساعدتها في أمور المنزل كالطحن وتنظيف البيت اما الامر التربوي فقد بقي ساحتها الخاصة.

وفي الاصابة عن ابن حجر في فوائده وابن بشكوال في كتاب المستغيثين، بالاسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخدم فاطمة ابنته جارية اسمها فضّة النوبية، وكانت تشاطرها الخدمة... فقالت لها فاطمة عليها السلام: أتعجنين أو تخبزين؟» فقالت: بل أعجن يا سيدتي وأحتطب..»[1].

وقد مر بنا ترقيصها لأولادها كنوع من الاظهار والتعبير عن مشاعر الحب،

---

(١) (الاصابة | ابن حجر ٤: ٣٨٧)

وفي الرواية: عن «أنس بن مالك» أنه قال: إن بلالا بطأ عن صلاة الصبح فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حبسك فقال: مررت بفاطمة وهي تطحن والصبي يبكي فقلت لها إن شئت كفيتك الرحا وكفيتني الصبي وإن شئت كفيتك الصبيَّ وكفيتني الرحا فقالت أنا أرفق بابني منك. فذاك حبسني. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فرحمتها يرحمك الله»(١).

وفي نهج البلاغة يقول أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام:

وجدتك بعضي بل وجدتك كلّي، حتّى كأنَّ شيئاً لو أصابك أصابني، وحتّى كأنَّ الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني عن أمر نفسي، فكتبت إليك كتابي هذا، مُستظهراً به إن أنا بقيت لك أو فنيت..

٣-واننا نجد أنها تفكر بمن سيهتم بأولادها مستقبلاً وبكل عقلانية اذ لابد من الزواج واذا كان الامر هكذا فلتكن الزوجة الجديدة ممن يعطف على اولادها ففي وصيتها:

يابن عم، أوصيك ان تتزوج بعدي بابنة أختي امامة، فإنها تكون لولدي مثلي.. وايضا تقول:

.. فاجعل لها يوماً وليلة واجعل لاولادي يوماً وليلة، يا أبا الحسن لا تصح في وجوههم فيصبحا يتيمين غريبين(٢).

---

(١) (مسند أحمد، ج٣، ص١٥٠).

(٢) (البحار: ٤٣ | ١٧٨).

٩- الذكروالتذكر

تقول الامهات اننا نُنبّـه الاولاد الى امـور ولكـن الابنـاء يهملـون هـذه التوصيات وتنسى الامهات ان الاولاد بحاجة الى تكرار الممارسـة كـي تـستقر الصورة في اذهانهم وعقولهم فنحن نرى مثلا ان الزهراء عليهـا الـسلام تكـرر الدعاء في كل ليلة وبصوت مسموع كي يتلقى الاولاد الرسالة المطلوبة بأهميـة الدعاء للجـار قبـل الـدار، وهـي تحـرص علـى هـذا التكـرار، واذا سـلمنا ان الفاصلة بين مشاورتها لأبيها في امر الخادم فأرشدها الى تسبيح الزهراء وبين ان حصلت على الخادمة فهنـاك علـى الاقـل سـنوات بـين الامـرين فمعنى هـذا استمرار أداء الزهراء عليها السلام لهذا التسبيح كي يقوم به أولادها فيما بعـد وهو ماحصل وما سنمر عليه مفصلا في بحث التسبيح.

فإذاً الذكر المتواصل امـام الاولاد هـو المرشـد لهـم في الـتعلم والتعلـيم، ومن هذا الباب كان ارسال اولادها المستمر الى المسجد، فلم يكن هناك نزول يومي للآيات ولكن هذا الحضور كان مستمراً! فهـو يعمـق بـصيرتهم بالحقـائق الايمانية.

ومـن الـذكر والتـذكر تـأتي المواظبـة علـى الاعمـال التعبديـة والحياتيـة فاسـتمرار الـدعاء ولّـد عنـد الامـام الحسن عليـه الـسلام الـسؤال، وكـذلك مواظبتـها عليهـا الـسلام علـى زيـارة قبـور الـشهداء ومتابعـة نـزول الآيـات القرآنية، كل هذه الامور كانت منبهات ومذكرات بالعقيدة، فالطفل لا يتعلم من مرة واحدة انما التكرار امـر ضـروري؛ لأنـه يتحـول الى نـوع مـن الـتلقين

المستمر الذي يؤدي الى ترسيخ النموذج أو الصورة.

ومن الاساليب المتبعة في التذكر والتذكير هو اسلوب استعراض النعم التي يملكها الانسان والشكر عليها واسلوب الموعظة الحسنة وهو اسلوب مستمر مع الاولاد، كذلك اسلوب استنباط العبر من المواقف والامكان والاحداث.

١٠- الحكمة والتفكر(التعقل)

اهتم الاسلام بالامور العقلية كثيراً ونجد أن التربية العقلية تقوم على عدة مناهج كالتفكر والتدبر والتأمل إضافة الى عمليات استنباط الاحكام والاستقراء والتحليل، وكلها نجد لها مصاديقها واضحة في الفكر الاسلامي.

قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١].

وقال أيضا: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾[٢].

وفي الحديث: من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل[٣].

وعلى سبيل المثال اهتمت الشريعة بمسألة التفكر والتفكير والذي يعد من أساسيات التربية العقلية التي تقوم على تنمية الفكر وتقوية العمليات العقلية كالاستدلال والتحليل والاستقراء وغيره.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤].

---

(١) (البقرة٢٤٢).

(٢) العنكبوت(٤٣).

(٣) (غرر الحكم ج١ ص١٥٣).

(٤) (سورة النحل: الآية ١١).

وقال أيضاً: .. ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(١).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: أفضل العبادة إدمان الفكر في الله وفي قدرته(٢).

والإمام الرضا عليه السلام يقول: ليست العبادة بكثرة الصلوات والصوم، إنما العبادة التفكُّر في أمر الله.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه: كان أكثر عبادة أبي ذر رحمه الله التفكّر والاعتبار(٣).

وكان عليه السلام يقول: تفكّر ساعة خير من عبادة سنة، إنما يتذكّر أولو الألباب(٤).

ونجد حرص الزهراء عليها السلام على تعليم أولادها من خلال إرسالهم للمسجد ومن ثم اعادة الدرس اليومي الذي اخذاه من المسجد مع الام، وهذه الاعادة تثبت الفكرة في العقل والذهن وتشجع الصغير على الاستمرار في متابعة الامور الفكرية في المسجد، ونجد انها عليها السلام في تكرارها لأداء العبادات امام الابناء تحاول جذب العقل الى الانتباه والتأمل ومن ثم محاولة تحليل الفكرة من خلال السؤال مثلا: لماذا لم تدع الام لنفسها؟...

---

(١) [سورة آل عمران: الآية ١٩١].

(٢) [أصول الكافي/ باب التفكّر].

(٣) [بحار الأنوار، المجلد رقم١٥، ص١٩٥].

(٤) [بحار الأنوار، ج١٥، ص١٩٥].

بل ان الزهراء عليها السلام كانت تحيي التربية السياسية عند أولادها من خلال اصطحابهم معها الى اماكن الثورة سواء خطبتها في المسجد أو في بيت الاحزان، وهذه تنمية للعقل السياسي لدى الاولاد اضافة الى توصياتها لامير المؤمنين عليه السلام بأن يفرغ نفسه لولديه ليلة كي يواصل تعليمهما وتنمية مواهبهما. ومن اهم وسائل التربية العقلية والفكرية هو اسلوب الحوار الذي كان بين الامام الحسن والزهراء عليهما السلام اي المناقشة والسؤال والجواب.. ومن الاساليب الجديدة المتبعة حاليا للتربية العقلية هو اسلوب الوسائل الايضاحية التي تستخدمها المدارس وافضل نموذج على ذلك هو بيت الاحزان نفسه!! (كما سيمر بنا)، وايضا هناك اسلوب القدوة وهو ما سنمر عليه آنفا.

والتربية العقلية تسهم في منح العقل مساحة اكبر لتوجيه العواطف وبلورة الاتجاهات ونضج الشخصية وتهذيب السلوك ولهذا نجد السيدة زينب عليها السلام تمتاز بقدرة عالية على الضبط العاطفي الامر الذي أبهر الاعداء قبل الاصدقاء. كما ان الاهتمام بتنمية الذكاء والاستعدادات العقلية يسهم في زيادة القدرة على التعلم المفيد وعلى امتلاك مهارات افضل في تعليم الآخرين واللجوء الى الاساليب المعقولة لحل المشكلات.

وروي عن أبي بكر قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرّة وإليه مرّة، وقال: انّ ابني هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين[1].

---

(١) (البحار ج ٤٣ ص ٣٠٥).

١١- المتابعة

تكاد تكون المتابعة لأمور الآخرين أمراً مطلوباً في كل الدوائر التي فيها رعاية وعناية للغير، قال تعالى عن النبي سليمان عليه السلام:

﴿ وتَفَقَّدَ الطَّيرَفَقالَ ما لِي لا أرَى الهُدهُد أمْ كانَ مِنَ الغائِبِينَ * لأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أو لأذبَحَنَّهُ أو ليَأتِيَني بِسُلطانٍ مُبِين ﴾(١).

فكيف الحال بمن توكل إليه مهمة تربية الانسان وإعداد الجيل الصالح اذ تبدو الحاجة اكبر الى هذا الامر، فالمتابعة امر مطلوب لفهم الطفل نفسه ورغباته ونزعاته وما يفكر فيه وما يريد القيام به، وما يمكنه القيام به وماقام به فعلا، ولكن لاتعني المتابعة أو المراقبة التجسس على الاولاد بالشكل الذي قد يسبب لهم الالم لتصورهم غياب ثقة الآباء بهم وانما المعنى هنا ان لا تكون الام في غفلة عن اولادها وامورهم ومواقفهم المختلفة فهو امر مطلوب، كما ان هذه المتابعة تعزز الشعور عند الابناء أن الآباء مهتمون بهم لحبهم لهم وانهم حريصون على شؤونهم، وكثيرا مانرى الاجيال المعاصرة تشتكي من اهمال الاباء! فنسمع منهم مثلا ان (ابي لا يعرف في اي مرحلة دراسية انا أو لا يدري اين هي مدرستي) ولكن قلوبهم تتمنى ان يبدي الآباء والامهات – على الاقل امامهم– اهتماما بهذه الشؤون.

ومن البديهي ان متابعة الاولاد في الشؤون المختلفة يعرّف الآباء والامهات ايضاً بما يجب القيام به من التوجيه والتأديب والتهذيب، فالمطلوب

---

(١) (النمل/ ٢٠-٢١).

هو اظهار الاهتمام والمتابعة على اداء الابناء للعبادات والواجبات المدرسية بل حتى شؤون النظافة والملبس واختيار الاصدقاء ومراعاة الاداب الاجتماعية، وقد حرص القرآن على تعزيز هذه الروابط من خلال دعوته الآباء والامهات الى الاهتمام البالغ بكل افراد الاسرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1].

وهذه الوقاية لابد وان تكون معها متابعة للاولاد بشكل مستمر ونحن نجد أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقي يتابع شؤون ابنته الزهراء عليها السلام حتى بعد زواجها وانتقالها الى بيت آخر.

جاء في (اعيان الشيعة): روى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابي ثعلبة الخشني قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا رجع من غزاة أو سفر أتى الى المسجد فصلى فيه ركعتين ثم ثنّى بفاطمة، ثم يأتي أزواجه. (وبسنده) عن ابن عمر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة واذا قدم من سفر كان اول الناس به عهداً فاطمة. واستطرد صاحب الاعيان قائلاً: وقد اعتاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان يمرَّ عند خروجه على بيت فاطمة وهي من احب اهله اليه، فمر ذات يوم عليها ورجع من الباب دون ان يدخل واستمر هاجراً فاطمة ثلاثة ايام، فاستقدمت عمار بن ياسر وهو من اكرم صحابته لديه، قالت له ان يستنبئ من ابيها عن سبب هذا الهجران. ولما سأله عمار قال له الرسول

(١) التحريم ٦.

الكريم – وانظر لما قال –: رأيت في معصم فاطمة اسورة من الفضة واهل الصُفة يتضورون جوعاً، فجاء عمار وأخبرها الخبر فقالت له: خذ الاسورة وبعها واشتر بثمنها خبزاً لأهل الصفة، ولما فعل ما امرته به عاد فأخبر اباها بما كان فرجع لعادته معها[١].

وفي رواية عن أبي هريرة: انّ النبيّ أتي بتمر من تمر الصدقة، فجعل يقسمه، فلما فرغ حمل الصبيّ وقام، فاذا الحسن في فيه تمرة يلوكها، ففطن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأدخل اصبعه في في الصبيّ فانتزع التمرة ثمّ قذفها، وقال: انّا آل محمد لا نأكل الصدقة[٢].

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه قال: انّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا يلعبان عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتى مضى عامّة الليل، ثمّ قال لهما: انصرفا الى أمّكما، فبرقت برقة في السماء فما زالت تضيء لهما حتى دخلا على فاطمة عليها السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ينظر الى البرقة، فقال: الحمد لله الذي أكرمنا أهل البيت[٣].

روي ان السيدة زينب عليها السلام كانت شديدة المحبة للامام الحسين عليه السلام منذ الصغر فحكت فاطمة ذلك الى رسول الله فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم واخبر بمصابهما واشتراكهما في ذلك[٤] ولولا ان السيدة

---

(١) (اعيان الشيعة / السيد محسن الامين العاملي / ج ٢ / ص ٤٣٠).

(٢) (ينابيع المودة ص ٤٦ وبحار الانوار ج ٤٣ ص ٣٠٥).

(٣) (البحار ج ٤٣ ص ٢٦٦).

(٤) (الحائري المازندراني شجرة طوبى ج٢ ص٣٩٢).

الزهراء عليها السلام لم تكن متابعة لشؤون أولادها لما عرفت بهذه الحالة.

روى الحمويني عن عبدالله بن عباس، قال: كنّا ذات يوم مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبَلَتْ فاطمة عليها السّلام تبكي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: فداكِ أبوكِ، ما يُبكيكِ؟

قالت عليها السّلام: إنّ الحسن والحسين (عليهما السّلام) خَرَجا، فما أدري أين باتا، فقال صلى الله عليه وآله: لا تبكي يا بُنيّة، فإنّ الذي خلقهما ألطَفُ بهما منيّ ومنكِ. ثمّ رفع النبيّ صلى الله عليه وآله يديه فقال: اللهمّ إن كانا أخذا بَرّاً أو بحراً فاحفظهما وسلّمهما. فهبط جبرئيل عليه السّلام فقال: يا محمّد، لا تغتمّ ولا تهتمّ، وهما فاضلان في الدنيا والآخرة وأبوهما خيرٌ منهما، هما في حظيرة بني النجّار نائمَين، وقد وكّل اللهُ بهما مَلَكاً يحفظهما[1].

عن عون بن محمد عن أمه أم جعفر عن جدتها أسماء بنت عميس عن فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زارها يوما فقال: أين ابناي يعني حسنا وحسينا قالت أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق فقال علي أذهب بهما فإني أتخوف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء فذهب إلى فلان اليهودي فتوجه إليه النبي صلى الله عليه وآله فوجدهما يلعبان في شربة بين أيديهما فضل من تمر فقال يا علي ألا تقلب.. قبل أن يشتد عليهما الحر فقال علي أصبحنا وليس في بيتنا شيء فلو جلست يا نبي الله حتى اجمع لفاطمة تمرات فجلس النبي صلى الله عليه وآله حتى اجتمع لفاطمة شيء من تمر

(١) (فرائد السمطين الحمويني٢: ٩١-٩٢)

فجعله في صرته ثم أقبل فحمل النبي صلى الله عليه وآله أحدهما وعلي الآخر حتى أقلبهما[١].

وقد جاء في الروايات عن علي بن ابي عمران قال: خرج ابن للحسن ابن علي عليهما السلام في الرحبة وعليه قميص خز وطوق من ذهب فدعاه الامام فشقه عليه واخذ الطوق منه فجعله قطعا قطعا[٢].

وعن سلمة بياع القلانس قال كنت عند أبي جعفر عليه السلام اذ دخل عليه ابو عبد الله عليه السلام فقال ابو جعفر يا بني ألا تطهر قميصك؟ فظننا ان ثوبه أصابه شيء فرجع فقال انه هكذا فقلنا جعلنا فداك ما لقميصه؟ فقال كان قمصه طويلا فأمرته ان يقصره.. ان الله عز وجل يقول وثيابك فطهر[٣].

وهذه امور تلمسها في وصاياهم منها وصية الامام الحسين عليه السلام لاحد ابنائه حيث يقول: يابني لا تؤاخ احدا حتى تعرف موارده ومصادره فاذا استنبطت الخبرة ورضيت العشرة فآخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة[٤].

وفي الروايات أن الزهراء عليها السلام لما شعرت باقتراب الاجل أرسلت ابنتيها زينب وام كلثوم الى بيوت بعض الهاشميات بينما كان الحسنان خارج المنزل[٥].

---

(١) (المعجم الكبير للطبراني: ٢٢/٤٢٢).

(٢) (النوري، مستدرك الوسائل، ج٣ ص ٣٠٩ ش٣٦٤٦).

(٣) (الحويزي تفسير الثقلين ح٥ ص٤٥٤).

(٤) (تحف العقول ص٢٣٦).

(٥) (فاطمة من المهد الى اللحد ص٦١٦).

ان متابعة الاولاد لها دور كبير في تنبيه الابناء الى مواقع الخطأ بما يصونهم عن الانحراف ويبقيهم عند جادة الصراط.

١٢- التصبر على تحمل المصاعب

لا تخلو الحياة من مصاعب ومكاره، ولا يعيش الانسان كل الظروف الحسنة التي يتمناها فكثيرا ما تكون هناك ظروف غير ملائمة وصعبة وضاغطة عليه، وربما عاش البعض في ظروف تكون فيها نسبة المصاعب اقل من غيرهم وربما هناك آخرون تكون جل حياتهم مع المصاعب!! فهم ولدوا مع الفقر والحرمان والظروف السياسية المتأزمة والاوضاع الصحية المتردية وتدني المستوى الثقافي الذي قد لايساعد على منحهم اوضاعا افضل واحسن في المستقبل وتركت هذه الصعوبات أثرها في حياتهم وافكارهم ونمط معيشتهم.

ورغم تنوع المصاعب والضغوطات فإنها تولّد تنوعا في أساليب التعامل معها، فالبعض قد يجتازها بصمت متكيفا معها، في حين يحاول آخرون التمرد عليها ومحاولة تغييرها أو اصلاحها، وآخرون قد ينكفئون في مسار حياتهم نحو الأسوأ!! خاصة حينما يكون الفارق بين الطموحات والصعوبات عالياً جداً.. واحيانا يتأقلم الفرد ويكتسب آليات التوافق والتكيف الذكي ويذلل الامور بالاتجاه الاحسن واحيانا يكون العكس.

ويكون للايمان بالله دوره في التعامل مع هذه الصعوبات، فرغم ان الحصارعلى المسلمين في الشِعب كان قاسيا وطويل الامد وقد امتدت آثاره الى

خارج مكة نفسها الا ان المسلمين خرجوا فرحين بانتصارهم وبانكسار قريش وذلة جبروتها المصطنع، وقد كان تأثير الايمان بالله قويا على النفوس وبخاصة في مرحلة انتهاء الحصار. فالمصاعب لها دور كبير في التربية والبناء وزيادة المناعة الداخلية والقدرة على تخطي العوائق التي تحول دون تحقيق الاهداف. والى هذه الحالة يلفت القرآن الكريم النظر الى اجواء الابتلاء التي يُراد منها امتحان البشر وكشف سرائرهم وتقوية القدرة عندهم على التحمل.

يقول تعالى:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ البقرة.

فالابتلاء والتمحيص والغربلة والافتتان كلها عوامل يُراد منها تربية الشخصية القوية في الدين والثابتة في الشدائد.

والى هذا يشير امير المؤمنين عليه السلام:

في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال...[1]

ان عدم تعرض الطفل الى المصاعب في حياته يجعله غير قادر على التكيف مع الاحداث التي تعترض حياته فيما بعد والتي قد لا يمتلك القابلية على التخلص منها أو تغيير مسارها، وقد تؤدي الى تحوله الى شخصية

(١) (نهج البلاغة قصار الحكم حكمة ١٧).

نرجسية تطوف حول ذاتها لكنها غير مستعدة للتضحية أو البذل أو تجاوز المعضلات مما يؤدي الى صعوبة في الاندماج مع الآخرين في المجتمع اوعلى العكس قد تؤدي الى تحوله الى شخصية ضعيفة غير قادرة على التكيف مع ادنى المتغيرات. وتساعد المصاعب والابتلاءات على تقوية ملكة الصبر والتحمل وتعزيز القناعة اضافة الى تربية الشخصية على الاستعداد للطوارئ الحرجة والازمات التي قد تتعرض لها.

يقول اميرالمؤمنين عليه السلام:

ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره اخراجا للتكبر من قلوبهم واسكانا للتذلل في نفوسهم وليجعل ذلك ابوابا فُتُحا الى فضله واسبابا ذُللا لعفوه[1].

وفي الحديث: ان الله تبارك وتعالى اذا احب عبداً غثه بالبلاء غثا[2].

اننا نرى في حياتنا اليومية اناسا يتهاوون امام اقل مشكلة تعترض حياتهم ويعللوا الحال (باننا لم نتعود المشكلات) وربما يلجأون الى ازهاق حياتهم وانهائها لتعرضهم لمشكلة قد تكون عادية جدا عند غيرهم!! في حين نرى آخرين يعيشون أحرج الظروف ويمرون بأشد الازمات (وزلزلوا) ولكنهم يبقوا صابرين متوسلين الى الله تعالى في انهاء الازمة وحل المشكلة وبذلك يزداد تعلقهم بالله وتقوى عندهم المحصلة الدفاعية ضد الازمات مما يكسبهم

---

(١) (نهج البلاغة خطبة ١٩٢).

(٢) (الكليني / الكافي ج ٢ ص ٢٥٣).

متانة في الشخصية وقوة وتماسكا في البناء الذاتي الداخلي حتى لو تهاوى البناء الخارجي وبانت عليه علائم المرض والضعف والهوان.

وحينما نمر على نزول سورة (هل اتى) فالملاحظ ان الزهراء عليها السلام كان بإمكانها ان لا تقدم طعام اولادها لليتيم والمسكين والاسير ولكنها سمحت للاولاد بالمشاركة في اغاثة اليتيم والمسكين والاسير.. فرب قائل يقول: ان القرصين اللذين قدمهما الوالدان كانا كافيين لاشباع شخص واحد فلِم الكل يعطي ويجود حتى الصغار؟والجواب انها عملية اعداد تربوي للمستقبل لتعليم الصغار كيف يفكرون في الآخرين ويعيشون فقرهم وجوعهم ويتعلمون الايثار والتضحية وهكذا كانوا وصاروا.. ان حياة العظماء عموما مليئة بالصعاب ويعتمد علماء التربية **مبدأ تأجيل الحاجات** بمعنى عدم منح الطفل كل مايريده لتدريبه على الحرمان والنقصان وعلى تحمل الضغوط، فليس من الصحيح تلبية كل رغبات الابناء وما يريدونه؛ لأن في ذلك تعويداً لهم على التراخي والضعف، كما ان الحماية الزائدة للاطفال تدمرهم وتقتل عندهم الشعور الانساني بالآخرين وتجعلهم نماذج لشخصيات ضعيفة هزيلة لا تعيش افقا اكثر من الحصول على مطاليبها والسعي وراء رغباتها ولو بالاساليب الخاطئة، كما تجعلهم غير قادرين على التأقلم مع الاوضاع غير المرغوبة أو الصعوبات التي تمر بهم فيما بعد وبخاصة حينما يدخلون المدرسة ويصطدمون مع الآخرين المختلفين عنهم في الرغبات والاتجاهات والاخلاق، مما قد يولّد عندهم ازمات نفسية تترك آثارا سلبية

على تعاملهم مع الحياة والناس. والصحيح ان تتوقف الاسرة عن تلبية بعض الامور التي يريدها الاولاد والتي يمكن تأجيلها. ولنا في سورة (هل اتى) خير وسيلة للتربية فليجودوا برغيف كي يتعودوا التحمل والتصبر..

وكانت فاطمة عليها السلام لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة (ليلة القدر) وتداويهم بقلة الطعام، وتتأهب لها من النهار وتقول: محروم من حرم خيرها[1].

فالمطلوب ان لايناموا أو ان يُمنعوا من بعض اللذات والاطايب كي يتحملوا القول الثقيل.

روى الراوندي عليه الرحمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يوماً جالساً وحوله علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال لهم: كيف بكم إذا كنتم صرعى، وقبوركم شتى؟ فقال الحسن (عليه السلام): أنموت موتاً أو نُقتل قتلا؟ فقال: يا بني، بل تقتل بالسم ظلماً ويقتل أخوك ظمأ، ويُقتل أبوك ظلماً، وتُشرَّد ذراريكم في الأرض. فقال الحسين (عليه السلام): ومن يقتلنا؟ قال: شرار الناس. قال: فهل يزورنا أحد؟ قال: نعم، طائفة من أمتي يريدون بزيارتكم برّي وصلتي، فإذا كان يوم القيامة جئتهم وأخلصهم من أهواله[2].

وهذا اعداد مستقبلي فلقد مرت على الحسنين ظروفٌ وأوضاعٌ قاسية،

---

(١) [بحار الأنوار، ج٩٧، ص١٠].

(٢) (الإرشاد، المفيد: ٢/ ١٣١).

فكم من ليلة باتوا جياعا.. وماحصل بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من احداث سلبتهم الراحة وحرمتهم من كثير من الامور.. لكنهم تعودوا الصبر والتصبر.

١٣- التخطيط للمستقبل

تختلف رؤى الناس في التعامل مع المستقبل وغالبا ما يكونون على أربعة أصناف:

الصنف الاول: لا يبالي بغده ولا بمستقبل اولاده!! فالمستقبل عنده لغة غائبة لا من باب الاتكال على الله ابدا بل من باب اللاابالية...

وهناك من يخاف المستقبل!! فتراه يبخل على نفسه خوفا من الفقر في المستقبل!!..

وهناك من يستوي عنده الماضي والحاضر والمستقبل فلا يفكر لا بغد ولا باليوم..

وهناك من يعيش اللحظة الراهنة لكنه يفكر في المستقبل ويخطط له...

وحينما نمر على سيرة الزهراء عليها السلام نجدها عليها السلام تعيش هذا الهم الكبير حتى في آخر لحظات حياتها وفي الرواية:

أتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما شيئاً، فقال: امّا الحسن فانّ له هيبتي

وسؤددي، وامّا الحسين فانّ له شجاعتي وجودي[1]. واننا نجد انها تفكر بمن سيهتم باولادها مستقبلاً وبكل عقلانية فتقول في وصيتها:

اوصيك أولا أن تتزوج بعدي بابنة [اختي] أمامة فإنها تكون لولدي مثلي[2].. وفي رواية:

فقالت:

يا أبا الحسن ولا تصح في وجههما، فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنّهما بالأمس فقدا جدّهما واليوم يفقدان امّهما، فالويل لامّة تقتلهما وتبغضهما.

وهي تحفظ احاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي يخبر فيها عن مقتل الحسين بكربلاء وينقل ارباب المنابر وصيتها لابنتها زينب عليها السلام حينما ترى الحسين وحيدا فريدا في كربلاء.

فلا ننسى ان الهدف الرئيسي من التربية هو الاعداد للمستقبل والتخطيط له ولهذا فالصواب ان يكون هناك اهتمام للوقت الراهن مع التخطيط للمستقبل وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله من أعان ولده على بره. قلت: كيف يعينه على بره؟! قال: يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به ". فكما نعامل اولادنا الآن سيعاملوننا في المستقبل ان خيرا فخير وان شرا فشر.

---

(١) (البحار ج٤٣ ص٢٦٣).

(٢) (البحار ج٤٣ ص١٩٢).

١٤- تقديم النموذج أو القدوة الحسنة

يعدّ الوالدان هما القدوة الحسنة الاولى للاولاد، وتمتاز هذه القدوة بمزايا اولها انها قدوة تلقائية يبتعد فيها الوالدان عن التصنع والتكلف فعادة ما يكونون احراراً في ممارساتهم في البيت الاسري، اضافة الى ذلك فهي قدوة شبه دائمة حيث يكون الطفل كثير الالتصاق بالوالدين في سنواته الاولى وكثير التأثر بهما ثم هي قدوة فكرية عاطفية تحمل اواصر الحب للاولاد وتحاول التعبير عن هذا الحب والمودة لهم مع التوجيه السليم وبهذا تكون قدوة فاعلة قد تمتد تأثيراتها طوال الحياة. وتنبع فكرة القدوة من وجود غريزة المحاكاة والتقليد عند الانسان وبخاصة في مرحلة الطفولة حيث ينظر الصغار الى الكبار على انهم الحق كله والعصمة كلها فكل ما يصدر منهم صحيح ولهذا يتسابقون نحو الاقتداء، وكان امير المؤمنين يقول واصفا اقتداءه بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه عَلَما، ويأمرني بالاقتداء به[1].

وعموم القدوات تساعد على التعلم السريع وايصال الفكرة وتوضيحها وتصحيح الاخطاء فيها ولهذا فالقدوة الصالحة من عوامل الرقي والكمال، والعكس صحيح يقول الشاعر:

إذا كان ربّ البيت بالدفّ ناقراً   فشيمةُ أهل البيتِ كلّهم الرقصُ

(١) (نهج البلاغة، الشريف الرضي، ج ٢، الخطبة ١٩٢، ص ١٥٧).

وقد اشار القرآن الى اسلوب القدوة قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[(١)].

وقال أيضاً: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[(٢)].

وتسعى كل نظرية تربوية الى تقديم النموذج الذي يجسد افكارها واطروحتها وبذلك توجه الانظار الى هذا النموذج وقد كان رسول الله واهل بيته -ومازالوا- هم القدوة الحسنة لهذه الامة على مر الدهور قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٣)].

عن الحسين بن علي، عن أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: "رأيت أمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعةً ساجدةً حتّى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم، وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت يا بنيّ: الجار ثمّ الدار"[(٤)].

وكما مر بنا فإن الزهراء عليها السلام كانت تراعي ان يرى الابناء امهما وهي تؤدي التكاليف الشرعية وتقرأ الدعاء بصوت مسموع.

ولم تكتف الزهراء عليها السلام بذلك بل كانت هناك السيرة العملية

---

(١) الممتحنة الآية ٤.

(٢) الانعام الآية ٩٠.

(٣) الأحزاب: ٢١.

(٤) (علل الشرائع الشيخ الصدوق: ج١ ص١٨٢).

للزهراء عليها السلام من خلال الاحسان الى الفقراء (نزول هل اتى)... فالمعروف ان الوالدين احسنا الى الفقير ثم سمحا للاولاد ايضاً في المشاركة في الاحسان والعطاء.

ويمكن الاشارة ايضا الى صلابة مواقفها عليها السلام السياسية ومشاركة اولادها لها في كل حركة وكل خطوة بما رسم لهم صورة الجهاد السامي الذي قاموا به فيما بعد. ومن هنا نجد ان القدوة الحسنة هي نمط التربية الصامتة التي اعتمدتها الزهراء عليها السلام.

التربية الزهراوية تربية متكاملة

مما لاشك فيه ان الانسان الكامل يرشد نحو التكامل ونحو تقديم الانسان الكامل ايضا، ولما نمر على تربية الزهراء عليها السلام لاولادها نرى انها جمعت كل اقسام التربية فالتربية الفكرية واضحة من خلال ارسال الاولاد للمسجد كي يتعلموا ومن خلال مناقشة الآيات معهم فيما بعد، والتربية الاجتماعية واضحة من خلال تعليم الآداب الاجتماعية والحث على احترام حقوق الآخرين اضافة الى ادوات التربية من خلال الحوار والسلام والانصات والتزاور والاستئذان وغير ذلك، والتربية البدنية واضحة من خلال ماامتلكه الاولاد من حرية لعب سواء داخل البيت ام خارجه ومن خلال حرية التنقل والحركة والعناية بالبدن، والتربية النفسية نجدها في اكثر من زاوية فمن جهة تسمح للحسنين بحضور ساعات الاحتضار الاخيرة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكنها ترسلهما مع ابيهما عليه السلام لما علمت بدنو

اجلها!! لما لفقد الام من اثر عميق على الاولاد وبخاصة بعد الاحداث المؤلمة التي عاشتها من قبيل الهجوم على الدار واسقاط جنينها، اماالتربية السياسية فقد كان اولادها معها في فتح مكة وفي بيت الاحزان وكذلك اصطحبت زينب عليها السلام الى المسجد لما قالت خطبتها وكذلك فى الرواية:

... فلما أن كان الليل حمل علي عليه السلام فاطمة عليها السلام على حمار وأخذ بيدي الحسن والحسين عليهما السلام، فلم يدع أحدا من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتاه في منزله فذكرهم حقه ودعاهم إلى نصرته».

بل وحتى التربية الترويحية من خلال اللعب أو مشاركة المسلمين مسابقاتهم وافراحهم في المسجد النبوي ومن خلال اللعب مع الاولاد اضافة الى التربية الاخلاقية التي زرعت فيهم كل الكمالات الاخلاقية وكذلك التربية الاقتصادية التي اعتمدت مبدأ التعاون والانفاق السليم الى غير ذلك... بل اننا نجد التنوع في الاساليب التربوية فتارة تأتي التربية بالحب كاسلوب وتارة من خلال الملاحظة كما في احداث فدك وتارة بالعبرة كما في بيت الاحزان ومرة بالقدوة واخرى بالحوار والى غير ذلك وسأمر فقط على التربية الدينية عندها اختصارا للمطلب.

التربية الدينية عند السيدة الزهراء عليها السلام

تعدّ التربية الدينية هي الحجر الاساس لبناء شخصية الفرد، فسلوك

الانسان هو نتاج لما يعتقد فيه ويفكر فيه، وقد اهتمت الشريعة اهتماما كبيرا بهذا الجانب ووضعت سبل العناية والتقويم للانسان حتى قبل ولادته لتحقيق غاية التربية الاسلامية الا وهو بناء الانسان الصالح.. الصالح في افكاره والصالح في عقائده والصالح في اعماله.

وقد حثت الشريعة الآباء على تبني الحوار الهادف مع الاولاد ففي الحديث: عن ابي عبد الله عليه السلام: بادروا اولادكم بالحديث قبل ان يسبقكم اليه المرجئة[١] قال المجلسي في المرأة عند شرح هذا الحديث: «أي علموهم في شرخ شبابهم بل في أوائل إدراكهم وبلوغهم التمييز من الحديث ما يهتدون به الى معرفة الأئمة (عليهم السلام) والتشيع قبل أن يغويهم المخالفون ويدخلوهم في ضلالتهم، فيعسر بعد ذلك صرفهم عن ذلك. والمرجئة في مقابلة الشيعة من الإرجاء بمعنى التأخير، لتأخيرهم عليّاً عليه السلام عن مرتبته.

وفي قول امير المؤمنين عليه السلام: صيّر الدين جُنة حياتك، والتقوى عدة وفاتك[٢].

وعنه ايضاً: من رُزق الدين فقد رُزق خير الدنيا والآخرة[٣].

وفي الكافي عن ابي بصير عن الامام الصادق عليه السلام في قول الله ﴿يايها الذين امنوقوانفسكم﴾ قال: كيف نقي أهلنا؟قال: تأمروهم

(١) (الكافي، ج٦ ص٤٧، ح٥)

(٢) (غرر الحكم ح٤٥٩٤).

(٣) (غرر الحكم ح٨٥٢٣).

وتنهونهم[١].

وعن الامام الصادق عليه السلام لما نزلت هذه الآية جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: انا عجزت عن نفسي، كُلفتُ اهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك[٢].

ان الاهتمام بالتربية الدينية يساعد على إعطاء الهوية الواضحة للافراد والتي تميزهم عن غيرهم كما يمنح الاولاد القدرة على التحمل والثبات امام الشدائد والضغوطات التي يمرون بها، وتسهم ايضاً في تقوية حصانة الفرد ضد التيارات المنحرفة – وما اكثرها في زماننا – اضافة الى الانعكاسات الطيبة والتأثيرات الايجابية للطقوس الدينية وانواع العبادات والرياضات الروحية على الانسان والتي تعمل على زرع الفضائل وتوجيه الافراد للعمل بها، كما تساعد التربية الدينية الواعية على تعزيز الشعور بمعية الله لدى الانسان بالشكل الذي يسهم في صقل الشخصية وإبعادها عن الذنوب والرذائل وبذلك تحاول انتزاع الانسان من مجرد التفكير المؤقت بالحياة الفانية الى التفكير الدائم بما أعدّ الله من نعيم لعباده الصالحين في جنات الخلد.. مضافاً الى ان التربية الدينية لها الدور الكبير في تحديد المسار الفكري للاولاد ويرسم له الصراط الواضح الذي يخلصهم من التوتر والقلق اللذين يتعرضون لهما من

(١) (الكافي، ج٥ص٦٢).
(٢) (الكافي، ج٥ ص٦٢ح١).

خلال تزاحم الرؤى المختلفة وضبابية الافكار الوافدة.

ويرى علماء التربية ان الدين من أعظم العوامل المؤثرة في التربية والتهذيب. ولهذا نجد مثلا في وصية لقمان أن بداية التربية تكون مع الدين حيث يقول:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

ويقول الإمام علي لولده الإمام الحسن (عليهما السلام): (إِنَّمَا قَلْبُ الحَدَث كالأرْضِ الخَالِيَة، ما أُلقِيَ فِيهَا مِنْ شَيءٍ قَبلَتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بالأدَبِ قَبلَ أن يَقسُو قَلبُكَ، ويَشْتَغلَ لُبُّكَ).

ومن وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن (عليهما السلام): (اِبتدأتُك بِتَعليمِ كِتَاب اللهِ عزَّ وَجَلَّ وتأويلِه، وشَرائعِ الإسلامِ وأحْكَامِه، وحَلالِهِ وحَرامِه، لا أجَاوزُ ذَلكَ بِكَ إلى غَيره).

وتبدأ التربية الدينية حتى قبل الولادة من خلال اختيار الوالدين المؤمنين بالله والقائمين على شؤون دينهم ولهذا نهى الاسلام عن الزواج من المشركة أو زواج المسلمة من غير المسلم لما لهذا التفاوت من اثر في تخريب العقيدة الدينية للاولاد. وتبدأ ابجديات التربية الدينية من خلال التعريف بالله الخالق الواحد الدائم المثيب المعاقب وتعريف النبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة عليهم السلام ومن ثم التعريف بتكاليف الدين في الصوم والصلاة وتلاوة

(١) (١٣ لقمان).

القرآن والحجاب الى غير ذلك.

ويتم البناء الديني من خلال أمرين أساسين:

١ - الحوار الطيب بين الطرفين حيث يتم فيه الاجابة وبشكل مناسب عن التساؤلات التي يطرحها الاولاد فهم غالبا مايسألون عن الله تعالى واين هو؟وكيف خلقنا؟ ومتى المعاد؟ والى غير ذلك، فلابد من تقديم اجوبة مناسبة للاولاد فهم اذا مافقدوا الاجابة ذهبوا الى الغير يسألونه ولا ندري أ كان هذا (الغير) مؤمناً ام لا؟!.

٢- تعريفهم وتعويدهم على الفروض الدينية والعبادات كالوضوء والصلاة والصوم من خلال عدة آليات كالاصطحاب الى المساجد، واداء الفروض أمامهم الى غير ذلك.

ففي حديث الامام الصادق عليه السلام: احمل صبيك حتى يأتي على ست سنين، ثم ادبه في الكتاب ست سنين، ثم ضمه اليك سبع سنين فأدبه بأدبك، فإن قبل وصلح وإلا فخل عنه[1].

والاهتمام بتعليم الاولاد التلاوة الصحيحة للقرآن يسهم في توثيق العلاقة مع كتاب الله وايضاً ينمي الفصاحة والبلاغة وتوسيع آفاق التفكير في الآيات والانفس والتدبر والتأمل مما ينشط المهارات والقدرات العقلية.

ويفترض في المربي ان يتحلى بسعة الصدر والالمام بالعقيدة بشكل يمكنه من تقديم الاجابة السليمة لما يطرحه الاولاد من اسئلة مع الابتعاد عن الشدة

(١) (البحار، ج ٧٤ ص ٧ ح ١).

والقسوة واعتماد آليات معاصرة لايصال الفهم السليم للدين الى الاولاد.

وكان الحسنان عليهما السلام امامين ان قاما وان قعدا ومع ذلك فاننا نجد في حياهما اشارات تربوية ايمانية جيدة تنفعنا في تعاملنا مع أبنائنا ولعل اهمها هو ارسال الاولاد الى المسجد، والذي كان حضورا واعيا متميزا إذ إن الحسنين كانا ينقلان لامهما الزهراء عليها السلام مادار من احداث في المسجد وما نزل من آيات بل ربما يسبقان أباهما في التعريف بهذه الامور.

ففي الروايات: أن الحسن بن علي عليهما السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي امه فيلقي اليها ما حفظه وكلما دخل علي عليه السلام وجد عندها علما بالتنزيل فيسألها عن ذلك؟

فقالت: من ولدك الحسن.

فتخفى في الدار يوما وقد دخل الحسن وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيه إليها فارتج عليه، فعجبت امه من ذلك فقال عليه السلام: لا تعجبي يا أماه فإن كبيرا يسمعني فاستماعه قد أوقفني فخرج علي عليه السلام فقبله.

وفي رواية قال: يا اماه قلّ بياني وكلَّ لساني لعل سيداً يرعاني[١].

لقد كانت حياة الاسرة الفاطمية حلقة موصولة بين البيت الملاصق للمسجد والمسجد نفسه وهو امر تحتاجه الاجيال المعاصرة التي فتحت عيونها لترى المساجد خالية من روادها، اللهم الا من الشيب المنتظرين لملك الموت

(١) (البحار ج٤٣ص٣٣٨ح١١).

الذي يتمنونه في المسجد كنوع من الشعور بالرضا بحسن العاقبة!!.

ان اصطحاب الاولاد الى المساجد يسهم في تقوية الحس الديني ويربيهم على حب النظام من خلال تنظيم الاعمال في المساجد وينمي لدى الاولاد ملكة الاستماع الجيد والاصغاء الحسن وهو من علامات الشخصية الناجحة، كما انه يخلص الاولاد من الشعور بالخجل والملل والاكتئاب؛ لانه يفتح آفاق المشاركة الاجتماعية ويجعلهم في متابعة لامور الاسلام من خلال المواقيت المختلفة، وكذلك يوجّه الآخرين الى احترام الاولاد الحاضرين في المساجد وتشجيعهم والاهتمام بهم واخراج المسجد عن طابع الجمود عن طريق اقامة الفعاليات المناسبة للاولاد فيه.

وكانت هناك متابعة لتعليم الاولاد امور الدين سواء في البيت أو خارجه، فعن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في الصلاة والى جانبه الحسين بن علي عليه السلام فكبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحر الحسين التكبير، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبر ويعالج الحسين التكبير ولم يحر حتى اكمل سبع تكبيرات، فأحار الحسين التكبير في السابعة[1].

وكان الحسنان يستيقظان آناء الليل ليروا انشغال امهما بالصلاة وكانت عليها السلام تتعمد إسماعهما الدعاء كي يتعلما ادب الدعاء.

وكانت فاطمة عليها السلام لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة

---

(١) (البحار ج٤٣ ص٣١٨).

(ليلة القدر) وتداويهم بقلة الطعام، وتتأهب لها من النهار وتقول: محروم من حرم خيرها[1].

تأملات تربوية من حديث الكساء

نص الحديث:

عن فاطمة الزهراء عليها سلام الله (بنت رسول الله صلى الله عليه وآله) أنها قالت: دخل عليَّ أبي رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الأيام فقال: السلام عليك يا فاطمة، فقلت: وعليك السلام يا أبتاه، فقال: إني لأجد في بدني ضعفاً، فقلت له: أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف، فقال: يا فاطمة ايتيني بالكساء اليماني وغطيني به، فأتيته وغطيته به وصرت أنظر إليه فإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه وكماله. فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسن قد أقبل فقال: السلام عليك يا أماه، فقلت: وعليك السلام يا قرة عيني وثمرة فؤادي، فقال لي: يا أماه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله، فقلت: نعم يا ولدي إن جدك تحت الكساء، فأقبل الحسن نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جداه يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل معك؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي وصاحب حوضي قد أذنت لك، فدخل معه تحت الكساء. فما كانت إلا ساعة فإذا بولدي الحسين قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه، فقلت: وعليك السلام يا قرة عيني وثمرة فؤادي فقال لي: يا أماه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول

(١) [بحار الأنوار، ج٩٧، ص١٠].

الله صلى الله عليه وآله، فقلت: نعم يا بني إن جدك وأخاك تحت الكساء، فدنا الحسين عليه السلام نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جداه، السلام عليك يا من اختاره الله أتأذن لي أن أكون معكما تحت هذا الكساء؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي ويا شافع أمتي قد أذنت لك، فدخل معهما تحت الكساء. فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب وقال: السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول الله، فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين، فقال: يا فاطمة إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول الله، فقلت: نعم، هاهو مع ولديك تحت الكساء، فأقبل علي نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال له: وعليك السلام يا أخي وخليفتي وصاحب لوائي في المحشر، نعم لقد أذنت لك، فدخل علي تحت الكساء. ثم أتيت نحو الكساء وقلت: السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال لي: وعليك السلام يا بنتي ويا بضعتي قد أذنت لك، فدخلت معهم، فلما اكتملنا واجتمعنا جميعاً تحت الكساء فأخذ أبي رسول الله بطرفي الكساء وأومى بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحب لمن أحبهم، وإنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم، وأذهب عنهم الرجس

وطهرهم تطهيراً. فقال عز وجل: يا ملائكتي ويا سكان سماواتي إني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمرا منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يدور ولا فُلْكاً تسري ولا بحراً يجري إلا لمحبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء. فقال الأمين جبرائيل يا رب: ومن تحت الكساء؟ فقال الله عز وجل: هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها، فقال جبرائيل: يا رب، أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً؟ فقال الله عز وجل: قد أذنت لك، فهبط الأمين جبرائيل وقال لأبي: السلام عليك يا رسول الله، العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك: وعزتي وجلالي: إني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يسري إلا لأجلكم ومحبتكم، وقد أذن لي أن أدخل معكم، فهل تأذن لي أنت يا رسول الله؟ فقال أبي: وعليك السلام يا أمين وحي الله، نعم قد أذنت لك، فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء، فقال جبرائيل لأبي: إن الله قد أوحى إليكم يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فقال علي: يا رسول الله أخبرني ما لجلوسنا تحت هذا الكساء من الفضل عند الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجياً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلا ونزلت عليهم الرحمة، وحفت بهم الملائكة، واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا. فقال علي: إذا والله فزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة. فقال أبي: يا علي والذي بعثني بالحق نبياً

واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هـذا في محفـل مـن محافـل أهـل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم إلا وفرج الله همه، ولا مغمـوم إلا وكشف الله غمه، ولا طالب حاجة إلا وقـضى الله حاجتـه، فقـال علـي: إذا والله فزنـا وسـعدنا وكـذلك شـيعتنا فـازوا وسـعدوا في الـدنيا والآخـرة بـرب الكعبة.

اضاءات

١- ادب السلام

بين الرسول الاب وابنته (الـسلام عليـك يـا فاطمـة، فقالـت: وعليـك السلام يا أبتاه)ثم الحسن عليه السلام قد أقبل فقال: السلام عليـك يـا أمـاه، فقالت: وعليك السلام يا قرة عيني وثمرة فؤادي.

فأقبل الحسن عليه السلام نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جـداه يـا رسـول الله أتـأذن لي أن أدخـل معـك؟ فقـال: وعليـك الـسلام يـا ولـدي وصاحب حوضي.

الامـام الحـسين عليـه الـسلام قـال: الـسلام عليـك يـا أمـاه، فقالـت: وعليك السلام يا قرة عيني وثمرة فؤادي.

فدنا الحسين عليه السلام نحو الكساء وقـال: الـسلام عليـك يـا جـداه، السلام عليك يا من اختاره الله أتأذن لي أن أكون معكما تحـت هـذا الكـساء؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي ويا شافع أمتي.

فأقبل أبو الحسن علي بن أبي طالب وقال: السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين.

فأقبل علي نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال له: وعليك السلام يا أخي وخليفتي وصاحب لوائي في المحشر.

ثم قالت فاطمة: السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال لي: وعليك السلام يا بنتي ويا بضعتي قد أذنت لك.

٢- النداء باحب الاسماء

قرة عيني وثمرة فؤادي... ولدي وصاحب حوضي.... يا جداه، السلام عليك يا من اختاره الله... ولدي ويا شافع أمتي.... يا فاطمة يا بنت رسول الله.... يا أخي وخليفتي وصاحب لوائي في المحشر... يا بنتي ويا بضعتي.. ونجد لغة المدح والثناء سارية مع الجميع.

٣- رعاية الاب وبره ومساعدته رغم ان له ازواجا كُثراً!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إني لأجد في بدني ضعفاً، فقلت له: أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف، فقال: يا فاطمة ايتيني بالكساء اليماني وغطيني به، فأتيته وغطيته به وصرت أنظر إليه.... رغم ان ام سلمة كانت حاضرة!!.

٤- مراعاة حقوق الآخرين

حيث ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء متلحف به ورغم ذلك لا يدخل احد تحت الكساء كائنا من كان الا بالاستئذان!!.

يا جداه يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل معك؟.

يا جداه، السلام عليك يا من اختاره الله أتأذن لي أن أكون معكما تحت هذا الكساء؟.

فأقبل علي نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟.

وقالت فاطمة: السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء؟.

ولما استاذنت ام سلمة لم يؤذن لها رغم انها في خير! وهذا أدب آخر من السيدة ام سلمة لشخص الرسول ولآل بيته عليهم السلام وهي لم تعترض أو تجادل أبدا!!.

٤- الدعاء بخير لافراد الاسرة وبيان منزلتهم

.. فأخذ أبي رسول الله بطرفي الكساء وأومى بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي، لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحب لمن أحبهم، وإنهم مني وأنا منهم، فاجعل

صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وهذا الدعاء بالخير قد يكون له ما يشبهه في دعاء إبراهيم عليه السلام لما بنى البيت الحرام قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾[1].

والملاحظ ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دعا لاهل بيته بالخير فهو لم يسأل الله ان يعطيهم دنيا فانية أو ملكا عظيما وانما طلب الطهارة المعنوية وابعاد الرجس بمعنى آخر طلب منه تعالى ان يسلك بهم سبل المكارم وهوتوجيه للامة بأن لا تقتصر على طلب الدنيا بل تضع الكمالات الذاتية امامها، وهو ايضا تعليم للآخرين على دور الاسرة في اجابة الدعاء فقد جمعهم الاب والرسول ثم دعا وقد كان الامام زين العابدين يجمع من في البيت صغارا وكبارا ويدعو.

٥- توقير الكبار

كما نلاحظه في قول الحسنين ونداء الرسول بيا جداه وهذا مؤشر ايضا على محبتهما له صلى الله عليه وآله وسلم.

٦- الاخلاق العالية

يبدو ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان متوعكاً وربما مريضا

(١) سورة ابراهيم ٣٥-٤٠.

لكن هذه الحالة لم تغيّر الخلق العالي الذي كان له فهو يتعامل مع الجميع بأخلاق سامية ويأذن لهم ان يشاركوه الكساء. ومن المعروف ان الذي يشعر بتوعك لا يرحب باقتراب الصغار منه فضلا عن الكبار لكن هنا يبدو الفارق كبيراً.

على هذا يمثل حديث الكساء صورة واقعية عن نمط العلاقة بين افراد الاسرة النبوية العلوية وهو يعطي صورة عملية للاخلاق التي تبدأ من خلال سلوكيات البيت الواحد وما نستفيده من آية التطهير هو توجيه الفكر الى اهمية الطهارة والتطهر الذاتي والمعنوي فمن المعلوم ان الناس يفكرون ويسعون لتحصيل الطهارة الخارجية في الثياب والبدن وهو امر جميل ومستحب ومطلوب ايضا ولكنهم يهملون الطهارة الباطنية والدعاء هنا لفت الانظار الى هذا الأمر؛ إذ إنه لا يكتفي بالاشارة اليه بل يدعو الله ان يرزقه لكل الاسرة فلابد اذا من السعي لاكتساب الطهارة من خلال المجاهدة وترك المعاصي ومراقبة النفس.

الدور الاجتماعي للزهراء عليها السلام في الحياة العامة

كانت الزهراء عليها السلام مشغولة بشؤون البيت والاطفال والرحى الى غير ذلك لكنها لم تكن بمعزل عن الحياة الاجتماعية بل كانت حاضرة حتى في اشد المواقف حراجة وصعوبة كساحات القتال والمعارك والمغازي التي قادها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت عليها السلام تتابع مايجري على ارض الواقع وتؤدي أدوارها الاخرى واهمها:

١- التكافل الاجتماعي (سنتحدث عنه في الدور الاقتصادي)

- روى الحلبي عنه عليه السلام "أن فاطمة عليها السلام جعلت صدقاتها لبني هاشم وبني المطلب"[(١)].

وبهذا أسهمت الزهراء عليها السلام في تحسين الوضع الاقتصادي لجمع من الناس الفقراء.

... مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٢، ص ٣٨ح١٦٣٩).

ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر عليّ وفاطمة وفضّة (وهي جارية لهما) إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض عليّ (عليه السلام) من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة (عليها السلام) صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلاّ الماء وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلمّا أصبحوا أخذ عليّ (رضي الله عنه) بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلمّا أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع قال: ما أشدّ مايسوؤني ما أرى بكم! وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل ثم قال: خذها يا محمّد هنّأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة.. سورة الدهر أو الإنسان أو هل أتى[١].

- عن أبي هريرة وثوبان أنّها عليها السلام نزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها - أي سواريها - ونزعت ستر بيتها، فبعثت به إلى أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: «اجعل هذا في سبيل الله» فلمّا أتاه قال صلى الله

(١) (راجع الكشّاف للزمخشري والثعلبي في تفسيره الكبير وأُسد الغابة: ٥ / ٥٣٠ والتفسير الكبير للفخر الرازي).

عليه وآله وسلم: «قد فعلت فداها أبوها - ثلاث مرات - ما لآل محمد وللدنيا، فإنّهم خلقوا للآخرة، وخلقت الدنيا لغيرهم» وفي رواية أحمد: «فإنّ هؤلاء أهل بيتي، ولا أُحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا»[١].

- وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذينك السوارين فكسّرا فجعلهما قطعاً، ثمّ دعا أهل الصُّفّة - وهم قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال - فقسّمه بينهم قطعاً، ثم جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستتر بشيء، وكان ذلك الستر طويلاً، ليس له عرض، فجعل يؤزّر الرجل، فإذا التقيا عليه قطعه حتى قسّمه بينهم أُزراً... ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله فاطمة، ليكسونّها الله بهذا الستر من كسوة الجنة، وليحلّينها بهذين السوارين من حلية الجنة»[٢].

- وفي صحيفة الإمام الرضا عليه السلام عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: «حدثتني أسماء بنت عميس، قالت: كنت عند فاطمة جدتك، إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي عنقها قلادة من ذهب، كان علي بن أبي طالب عليه السلام اشتراها لها من فيءٍ له، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا يغرّنك الناس أن يقولوا: بنت محمد، وعليك لباس الجبابرة؛ فقطعتها وباعتها، واشترت بها رقبة فاعتقتها، فسُرّ رسول الله بذلك».

---

(١) (المناقب / ابن شهر آشوب ٣: ٣٤٣. ومسند أحمد ٥: ٢٧٥. وأمالي الصدوق: ٣٠٥).

(٢) (مكارم الأخلاق / الطبرسي: ٩٤ وبحار الأنوار ٤٣: ٨٢ / ٦).

٢- المشاركة الاجتماعية

المشاركة الاجتماعية ظاهرة اجتماعية تحدث نتيجة تفاعل الفرد وتعامله مع أفراد مجتمعه، ويقصد بها مشاركة الفرد مع الآخرين في أعمالٍ تساعد على تحقيق الهدف الاجتماعي حين يكون مؤهلاً اجتماعياً لذلك، وهي تنبع من المسؤولية الاجتماعية التي تتطلب من الفرد ان يكون متابعا لشؤون مجتمعه.

وتسهم المشاركة في تنمية المجتمع وفي تطور الوعي الاجتماعي لدى الافراد وتعزيز الشعور عندهم بمسؤولياتهم الاجتماعية المتعددة، وتُظهر المشاركة قدر الفرد وقدرته على القيام بواجباته وتحمّل مسؤولياته بضمير حي وروحية صافية، وإرادة ثابتة كما ان مشاركة المرأة في قضايا المجتمع الكبرى وإسهامها في حل مشكلاته يسهم في تعبئة وتوجيه وتحريك الطاقات الكامنة في الاتجاه السليم بعيدا عن التهميش والاقصاء والادوار السلبية واللافعّالة، ولعل واحدة من أسوأ انتكاسات المرأة المسلمة المعاصرة هو تأرجحها بين الغياب أو التغيب عن الساحة الاجتماعية أو تمركزها في دائرة الادوار الهامشية والسلبية الضيقة رغم ان التغيير الاجتماعي المعاصر هو تغيير قوي وسريع وهو كاسح نحو العولمة وتمييع الثقافات الامر الذي يتطلب مشاركة اكثر للمرأة في الحياة الاجتماعية. وغياب المرأة عن التغيير الاجتماعي يؤدي الى تعطيل نصف طاقات المجتمع كما يؤدي الى حب الكسل والانانية والاثرة وغياب القيم الاجتماعية النبيلة كالايثار والتعاون وغيره.

ويعد القادة هم جوهر هذه العملية واهم عناصرها ومنهم يتعلم الناس وبهم يقتدون.. وقد تكون هذه المشاركة افقية فقط اي ان حركة الفرد تكون ضمن اناس متماثلين ومتقاربين معه في الصفات أو المكانة الاجتماعية كحركة كبار الدولة ضمن دائرة اعضاء الدولة فقط من وزراء وبرلمانيين ومدراء وهي حركة محدودة، وهناك مشاركة عمودية تطال فئات المجتمع المختلفة واكثر ما يقوم بها المصلحون والعلماء، ومن هذه الصورة كانت المشاركة الاجتماعية للزهراء عليها السلام هي مشاركة عمودية فهي عليها السلام لم تتحرك في اطار من هم اقرب اليها في النسب السياسي أو الاجتماعي أو الديني بل شملت حركتها الفقراء والجهال من النساء ومركز الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها. ولم تكن الزهراء عليها السلام غائبة أو مغيبة عن الساحة الاجتماعية بل كانت حاضرة وفي اصعب المحطات واخطر المعابر، وكانت لها إسهامات واضحة في اماكن الحرب للتضميد والاسعاف وفي عموم محاور الخدمة الاجتماعية. ومنها:

- أخرج البخاري ومسلم في الصحيح عن عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه، أنّه سمع سهل بن سعد يُسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد، فقال: جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسرت رباعيته وهشمت بيضته على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يسكب عليها بالمجَنّ، فلمّا رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلاّ كثرة، أخذت

قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم[١].

- وقال الواقدي في حديثه عن معركة أُحد: خرجت فاطمة عليها السلام في نساء، وقد رأت الذي بوجهه صلى الله عليه وآله وسلم فاعتنقته، وجعلت تمسح الدم عن وجهه.

- وفي وقعة أُحد كانت قد جاءت مع أربع عشرة امرأة يحملن الطعام والشراب على ظهورهن، ويسقين الجرحى ويداوينهم[٢].

وعندما أُصيب سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، كانت الزهراء عليها السلام من المبادرات إلى مصرعه مع صفية بنت عبدالمطلب، وكانت تبكي وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي لبكائها[٣].

- عن علي بن الحسين عن عبد الرحمن بن أبي نجران، وسندي بن محمد، ومحمد بن الوليد جميعا عن عاصم بن حميد عن يزيد بن خليفة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الله أتصلي النساء على الجنازة؟ قال: فقال: أبو عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان فيما هدر دم المغيرة بن أبي العاص، وحدث حديثا طويلا، وان زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله توفيت وإن فاطمة

---

(١) (صحيح مسلم ٣: ١٤١٦ / ١٠١ كتاب الجهاد والسير - باب غزوة أُحد. وصحيح البخاري ٥: ٢٢٦ / ١١٣ كتاب المغازي - باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الجراح يوم أُحد. ومغازي الواقدي ١: ٢٥٠ عالم الكتب - بيروت).

(٢) (مغازي الواقدي ١: ٢٤٩).

(٣) (مغازي الواقدي ١: ٢٩٠).

عليها السلام خرجت في نسائها فصلت على أختها[١].

- عن الامام الصادق عليه السلام: إنّ فاطمة عليها السلام كانت تأتي قبور الشهداء في كل غداة سبت، فتأتي قبر حمزة وتترحم عليه وتستغفر له[٢].

وفي مغازي الواقدي: كانت الزهراء عليها السلام تأتي قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة، فتبكي عندهم وتدعو[٣]، واتخذت من تربة حمزة مسبحة على عدد التكبيرات تديرها بيدها فتكبّر وتسبّح بها، وعملت بعدها التسابيح فاستعملها الناس[٤].

وهذا يعني انها عليها السلام لم تكن بعيدة عن اوضاع الساحة بل كانت متواجدة في المفاصل الخطرة.

٣- المساندة الاجتماعية

وهي من مصادر الدعم الاجتماعي للافراد وبخاصة حينما يتعرضون لضغوط قاسية فيكون الى جانبهم اناس يرتاحون لهم ويطمئنون اليهم ويشعرون ان هذه الرعاية انما هي خدمة لهم ولانسانيتهم لا من اجل مطلب مادي، والمساندة الاجتماعية تعني وجود اشخاص يمكن للفرد ان يثق بهم ويعتمد عليهم وبخاصة في وقت الازمات والضغوط ويمكنهم ان يقدموا له

---

(١) (الاستبصار - الشيخ الطوسي - ج ١ - ص ٤٨٥ - ٤٨٦ ح١٨٨٠ - ١).

(٢) تهذيب الأحكام ١: ٤٦٥ / ١٦٨).

(٣) (مغازي الواقدي ١: ٣١٣)

(٤) (بحار الأنوار ١٠١: ١٣٣ / ٦٤).

العون والمساعدة بكل أشكالها النفسية والمادية، وهذه المساندة تمنحهم الشعور بالامن والقدرة على التعامل السليم مع الضغوط وتخفض مستوى المعاناة نتيجة الاحداث الضاغطة مما يكون له الاثر الكبير في حماية الصحة النفسية للافراد، كما وتساعد على تخفيض حدة الاحباطات الناجمة عن الضغوط التي يتعرضون لها وبذلك فهي تلعب دورا مهما في التوافق الايجابي وزيادة القدرة على التكيف مع الاحداث، وبذلك لا يصاب الفرد بالاضطرابات النفسية كالاكتئاب، كما ان وجود هذا الدعم يعمق عنده الشعور بالرضا بالقضاء والقدر اضافة الى انها تسهم في تقوية العلاقات الاجتماعية. وفي الرواية:

- ولّما استشهد جعفر بن أبي طالب في مؤتة أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تتخذ لاَسماء بنت عميس طعاماً ثلاثة أيام، فجرت بذلك السُنّة، وأمرها أن تقيم عندها ثلاثة أيام هي ونساؤها لتسليها عن المصيبة ثم اصبحت تلك سنة عامة[١].

ولم تكن هناك اي رعاية للمرأة الارملة في الجاهلية بل كان ترملها بداية معاناة لها وبداية ظلم الآخرين عليها فموقف الزهراء عليها السلام كان سُنة جديدة مازالت فاعلة حتى يومنا الحالي.

- وكانت الزهراء عليها السلام تتفقد جيرانها وتعود مرضاهم[٢].

---

(١) (علي موسى الكعبي سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ص٨١ نقلا عن المحاسن للبرقي).

(٢) (اعلموا اني فاطمة، ج ٤، ص٥٣٤).

- وروي عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة العصر، فلمّا انفتل جلس في قبلته والناس حوله، فبينا هم كذلك إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلّل وأخلق، ولا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستحثّه الخبر، فقال الشيخ: يا نبيّ الله، أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فأرشني، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أجد لك شيئاً، ولكنّ الدالّ على الخير كفاعله، إنطلق إلى منزل من يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة». (وكان بيتها ملاصقاً لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه) وقال: يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة.

فانطلق الأعرابي مع بلال، فلمّا وقف على باب فاطمة؛ نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند ربّ العالمين، فقالت فاطمة: «عليك السلام، فمن أنت يا هذا؟» قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك السيد البشير من شقّة، وأنا يا بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم عاري الجسد جائع الكبد فواسيني يرحمكِ الله.

وكان لفاطمة وعليّ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك من شأنهما، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن

والحسين، فقالت: «خذ أيّها الطارق، فعسى الله أن يختار لك ما هو خير فيه»، قال الأعرابي: يا بنت محمد، شكوت اليك الجوع فناولتني جلد كبش ما أصنع به مع ما أجد من السغب؟

قال: فعمدت لّما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها ونبذته الى الأعرابي وقالت: «خذ وبعه، فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه».

فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنبيّ جالس في أصحابه فقال: يا رسول الله، أعطتني فاطمة هذا العقد، فقالت: «بعه». قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «كيف لا يعوّضك به ما هو خير منه؟! وقد أعطتك فاطمة (عليها السلام) بنت محمد سيّدة بنات آدم. فقام عمار بن ياسر (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، أتأذن لي بشراء هذا العقد؟ قال: «اشتره يا عمار، فلو اشترك فيه الثقلان ما عذّبهم الله بالنار»، فقال عمار: بكم العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم وبردة يمانية أستر بها عورتي واُصلي بها لربّي ودينار يبلغني أهلي..

وكان عمار قد باع سهمه الذي نفله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خيبر ولم يبق معه شيئاً، فقال: لك عشرون ديناراً ومئتا درهم هجرية وبردة يمانية وراحلتي تبلغك أهلك، وشبعك من خبز البرّ واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال يا رجل! وانطلق به عمّار فوفاه

فأضمن له، وعاد الأعرابي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أشبعت واكتسيت؟» قال الأعرابي: نعم، واستغنيت بأبي أنت وأُمي قال: «فأجز فاطمة بصنيعها» فقال الأعرابي: اللهمّ إنّك إله ما استحدثناك ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا على كلّ الجهات، اللهمّ أعطِ فاطمة ما لا عين رأت ولا اُذن سمعت.

فأمّن النبي على دعائه وأقبل على أصحابه، فقال: «إنّ الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك، أنا أبوها ولا أحد من العالمين مثلي، وعليّ بعلها ولولا عليّ؛ لما كان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما سيدا شباب أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة.

وكان بإزائه مقداد وعمار وسلمان. فقال: «وأزيدكم؟»، قالوا: نعم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أتاني الروح - يعني جبرئيل - أنّها إذا هي قُبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها: من ربّك؟ فتقول: الله ربّي، فيقولان فمن نبيّك؟ فتقول: أبي، فمن وليّكِ؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبري ألا وأزيدكم من فضلها؟ إنّ الله قد وكّل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها في حياتها وعند قبرها وعند موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وبنيها، فمن زارني بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنّما زارني، ومن زار علي بن أبي طالب فكأنّما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنّما زار عليّاً، ومن زار ذريّتهما فكأنّما زارهما.

فعمد عمار إلى العقد فطيّبه بالمسك، ولفّه في بردة يمانية، وكان له عبد اسمه (سهم) ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر، فدفع العقد إلى المملوك وقال له: خذ هذا العقد وادفعه لرسول الله وأنت له، فأخذ المملوك العقد فأتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره بقول عمار، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «انطلق الى فاطمة فادفع اليها العقد وأنت لها»، فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذت فاطمة (عليها السلام) العقد وأعتقت المملوك فضحك الغلام، فقالت: «ما يضحكك يا غلام؟»، قال: أضحكني عظم بركة هذا العقد، أشبع جائعاً وكسى عرياناً وأغنى فقيراً وأعتق عبداً ورجع إلى ربّه[1].

٤- توظيف المسائل الاجتماعية لخدمة قضية الامامة

فنجد أن الزهراء عليها السلام تقوم بتوظيف الاحداث من اجل القضايا المصيرية ففي ساعاتها الاخيرة قام البعض بعيادتها عيادة فردية وجماعية في ايام مرضها فقد زارتها عائشة بنت طلحة فقالت فاطمة "عليها السلام" في جواب عائشة بنت طلحة: «أتسأليني عن هنة حلق بها الطائر، وحفي بها السائر، رفعت إلى السماء أثرا، ورزئت في الأرض خبراً. إن قحيف تيم، وأُحيول عدي جاريا أبا الحسن في السباق، حتى إذا تفريا في الخناق، فأسر له الشنئان، وطوياه الإعلان، فلما خبا نور الدين، وقبض النبي الأمين، نطقا بفورهما، ونفثا بسورهما، وأدالا فدكا، فيالها كم من ملك ملك أنها عطية

(١) بحار الأنوار: ٤٣ / ٥٦ – ٥٨.

الرب الأعلى للنجي الأوفى، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي، وإنها لبعلم الله وشهادة أمينة، فإن انتزعا مني البلغة ومنعاني اللمظة، فأحتسبها يوم الحشر، وليجدن آكلها ساعرة حميم في لظى جحيم[١].

وقالت فاطمة "عليها السلام" في جواب أم سلمة – رضي الله عنها – إذ قالت لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟: «أصبحت بين كمد وكرب: فقد النبي وظلم الوصي، هتك والله حجابه من أصبحت إمامته مقتضبة على غير ما شرع الله في التنزيل وسنها النبي صلى الله عليه وآله في التأويل ولكنها أحقاد بدرية، وترات أحدية، كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لامكان الوشاة، فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق، فيقطع وتر الإيمان من قسي صدورها، ولبئس – على ما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين – أحرزوا عائد لهم غرور الدنيا بعد انتصار ممن فتك بآبائهم في مواطن الكرب ومنازل الشهادات»[٢].

وكذلك زارتها نساء الانصار ولما سألنها عن حالها وجهت الامر نحو القضية الاساسية الا وهي غصب الولاية عن امير المؤمنين.

فعن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قال: لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله عليها السلام اجتمع عندها

---

(١) (أمالي الطوسي، ج١ص٢٠٧).

(٢) (بحار الأنوار: ٤٣/١٥٦ – ١٥٧، نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب: ٢/٢٠٥).

نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت، من علتك؟.

فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأي، و﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين، ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الوحي الأمين والطبين بأمر الدنيا والدين ﴿أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

وما نقموا من أبي حسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عز وجل، والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاعتلقه، ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه، ولا وردهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطانا، قد تخير لهم الري غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب وإن تعجب وقد أعجبك الحادث، إلى أي سناد استندوا؟ وبأية عروة تمسكوا؟ استبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم

يحسنون صنعا ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾، ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

أما لعمر إلهك لقد لقحت فنظرة ريثما تنتجوا، ثم احتلبوا طلاع القعب دما عبيطا وزعافا ممقرا، هنالك يخسر المبطلون.... الى نهاية الخطبة، وقد نقلت النساء خطبة الزهراء هذه الى رجالهن مما اثار كلاما بينهم حول نكثهم البيعة.

والعجيب انها في كل اللقاءات لم تركزعلى فدك وانما كان كل الحديث عن مظلومية امير المؤمنين عليه السلام.



الدور السياسي

يعرف الدور السياسي بانه مايقوم به المرء في الشأن السياسي وما يمارسه من حقوقه السياسية وما يؤديه ضمن هذا الجانب، اضافة الى المشاركة في التصويت والانتخاب والترشح والدفاع عن البلد والمبادئ وتحصيل الحقوق والمطالبة بالحرية والعدالة والمساواة الى غير ذلك مع حريته في التعبير عن الرأي وحق الحياة وغير ذلك من حقوق المواطنة وواجباتها.

وكان الاسلام ومنذ ظهوره يمثل حركة سياسية دينية تقوم على تطهير الارض من الزعامات الوثنية السائدة وبناء المجتمع المسلم فمن خلال ترشيد عقيدة التوحيد يتم اقصاء كل الضلالات والزعامات الضالة، ويعدّ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومتابعة اوضاع الامة السياسية واجباً دينياً يقع على عاتق المرأة والرجل دون تمييز انطلاقا من الدور الاستخلافي لهما، كما ويعدّ الطاغوت اكبر منكر يتوجب على الامة ازالته.

وقد كانت فكرة مشركي قريش وسادتها عن الدعوة الاسلامية انها حركة سياسية تهدد وجودهم ولهذا انبروا بكل وسيلة من اجل محاربتها

والقضاء عليها لِما شعروا به من تهديد خطير وكبير على مصالحهم ومكانتهم سواء السياسية أو الدينية.. كما ان الصراع بين المسلمين والمشركين لم يكن مجرد صراع ديني فحسب بل كان يمثل انقلابا كاملا على الاوضاع العامة وبداية لتطهير المجتمع من الاوثان عبر نسف الضلالات والزعامات الحاكمة، لذا كان الاسلام – بجبهتيه المؤيدة والمعارضة – هو مدار الحركة السياسية والدينية والاجتماعية بل وحتى الثقافية وكانت حالة الاضطهاد التي تعرض لها المسلمون تشكل واحدة من اقسى انواع الاضطهاد الديني والسياسي عبر التاريخ.

ان دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاسلام كانت دعوة دينية تهدف الى تخليص الناس من الشرك وتوجيههم نحو التوحيد وكانت دعوة سياسية ايضا لكون الزعامة الدينية مرتبطة بالزعامة السياسية وهذا ما حصل لما اسس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دولته الاسلامية العظمى وعاصمتها المدينة، فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتمتع بالصلاحيات الثلاث التشريعية والتنفيذية والسياسية بما في ذلك الحكم والقضاء وغير ذلك، وقد كان الخطاب الاسلامي عاما لكلا الجنسين في ممارسات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة المشركين والمنافقين وتأسيس دولة الاسلام والدفاع عنها وحمايتها وارسال الوفود الى الملوك والبعثات الى الامصار وهذه كلها ممارسات سياسية عرفها المجتمع آنذاك وكانت سببا لقيام الدولة الجديدة وانتشار رقعتها.

ولم تكن المرأة المسلمة بمعزل عن الاوضاع فقد عانى الرجل والمرأة على حد سواء من أقسى أنواع الاضطهاد السياسي وكان لهذا الاضطهاد الديني والسياسي مظاهره المتعددة ولعل أخطرها كان حصار المسلمين في شعب ابي طالب، إضافة الى القتل والتعذيب فحِراب قريش تقلبت على اجساد الرجال والنساء معا فكانت سمية أول شهيدة في الاسلام، والمرأة كانت – اسوة بأخيها الرجل– تتابع مايجري من احداث سواء ابان الدعوة السرية أو العلنية وشاركت في عموم الادوار السياسية التي حصلت آنذاك من قبيل البيعة والهجرة والمشاركة في الحروب والغزوات وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[(١)].

وانطلاقا من ذلك تكون المشاركة السياسية للمرأة جزءاً من الواجب الديني الملقى عليها وهذه الرؤية تعاكس تماما الرؤية النسوية التي تدعو الى تفعيل المشاركة السياسية للمرأة المعاصرة بعيدا عن الفكر الديني من اجل تحقيق ذاتها أو تأكيد وجودها لا اكثر!!.

ان المشاركة في العمل السياسي– إضافة الى كونها طاعة ربانية– فإنها تمنح المرأة الوعي السياسي بأحوال الامة بشكل عام مما يجعلها تراقب عن كثب اهمية اصلاح الاوضاع السائدة وتفعيل القوانين التي تصب في خدمة

---

(١) التوبة ٧١.

الفرد والمجتمع وبخاصة قضايا المرأة نفسها فهي أعرف بمواطن الخلل من غيرها وادرى بما تحتاج اليه النساء عموما، ولا ننسى ان هذا الاهتمام يساعد على تقوية الشعور بالانتماء العام للامة وللرسالة، كما يمنح المرأة فرصة لتنمية الشخصية وتحقيق الذات ويعزز شعورها بالمسؤولية إزاء مجتمعها ودينها، وقد تابعنا عن كثب مشاركة النساء في كثير من بلدان العلم لإزالة المنكر الاكبر الا وهو الطاغوت ومازال الحِراك مستمرا لتطهير الارض منهم حتى ظهور دولة العدل الكاملة. وقد افرز اهتمام النساء المسلمات بالشأن السياسي ظهور كوادر سياسية رائدة أسهمت من خلال موقعها في التعريف بالحقوق السياسية التي منحها الاسلام للمرأة قبل اكثر من ثلاثة عشر قرناً قرن والتي ناضلت النساء كثيراً في كل أرجاء المعمورة من اجل تحصيل بعضها!.

واهم اشكال المشاركة النسوية السياسية في عصر الاسلام هي:

١ - الدعم المالي والذي تمثل فيما قدمته السيدة خديجة عليها السلام لنصرة الدين ولتحرير الارقاء والمستضعفين.

٢ - النصرة السياسية من خلال دعم الحروب والمغازي التي قادها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. سواء بحضور النساء كمحاربات مثل نسيبة أو كممرضات مثل رفيدة أو من خلال دعم المقاتلين عموما وتشجيعهم.

٣- ومن أشكال النصرة السياسية كانت بيعة النساء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والبيعة تعني إعطاء اليد عند إقرار المعاملة وهي تعني الطاعة

للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي أشبه ما تكون بالتصويت لانتخاب الحاكم، وقد مارسته المرأة المسلمة من خلال البيعة التي هي التسليم لحاكمية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأول مشاركة سياسية للمرأة كانت في بيعة العقبة حيث شاركت امرأتان هما، نسيبة بنت كعب أم عمارة، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

٤ـ اللجوء السياسي والذي تمثل في الهجرة اولا الى الحبشة وثانيا الى المدينة.. فقد هاجر المسلمون الى الحبشة وكانت النساء مهاجرات مع ازواجهن الذين هاجروا، وقد ولد عبد الله بن جعفر بن ابي طالب في الحبشة، وكانت الاقامة في الحبشة قد استمرت ثلاث سنوات تحمل الجميع فيها الغربة وقساوة الحياة وعانوا من صعوبة الاوضاع العامة. اما الهجرة الى المدينة فقد تمت على مراحل فبعض النساء هاجرن بمفردهن تاركات الاهل والوطن من اجل الدين الحنيف، وكانت وثيقة التعاقد مع قريش تنص على ان لا يتم ارجاع النساء المهاجرات الى قريش مما شجع على بقائهن في المدينة ناصرات للدعوة المحمدية.

---

(١) سورة الممتحنة (١٢).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

(١) (١٠) سورة الممتحنة.

المشاركة السياسية للزهراء عليها السلام
في حياة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم

وذلك من خلال عدة أمور:

١ - مشاركة المسلمين في مواجهة انواع الضغوط التي تعرضوا لها كالمقاطعة الاقتصادية السياسية في شعب ابي طالب والهجرة وتحمل شتى صنوف الاذى من قريش وقد عرّفنا سابقا بالظروف التي رافقت ولادتها ثم وفاة امها الى غير ذلك من أشكال الاضطهاد السياسي من قبل قريش.

٢ - الدفاع عن النبوة

قبل وبعد الهجرة، والنبوة هي الزعامة الدينية والسياسية والتشريعية والقضائية والتنفيذية.

أ - في المجتمع المكي

لا يخفى على احد العلاقة الحميمة بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وابنته منذ نعومة اظفارها، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان

محور حياتها، فهي تتابع شؤونه وتتألم لألمه وتدافع عنه بما أوتيت من قوة وقدرة، وقد أشرنا الى ذلك في الدور الاجتماعي ولا بأس من ذكر بعض مواقفها عليها السلام:

- دخل صلى الله عليه وآله وسلم مرة إلى البيت وقد حثا الكافرون التراب على رأسه الشريف، فتستقبله الزهراء وتغسل التراب عن رأسه وهي باكية، فيقول لها الرسول: لا تبكي فإن الله ناصر أبيك. وعندما رمى أبو لهب رسول الله بروث البقر اندفعت فاطمة لتذب عن أبيها الرسول، وتسمع أبا لهب من الكلام ما يتوقف خلاله من السخرية برسول الله.

وعن ابن مسعود قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيّكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنبي ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلمّا قضى النبي صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم)[1].

---

(١) الطبري/ذخائر العقبى/ص ٤٧، البداية والنهاية لابن كثير/ج ٦/ص ٢٦٢، وج ٣/ص ٤٤ و١٣٥.

ب- في المجتمع المدني

اي بعد الهجرة، وأهم المواقف:

١ -عن أبي حازم عن أبيه أنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد فقال: جرح وجه رسول الله وكسرت رباعيّته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجنّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدّم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا، فألصقته بالجرح فاستمسك الدّم[١].

٢- وجاء في ذخائر العقبى: " روي عن علي في حفر الخندق عن رسول الله أن فاطمة جاءت إليه بكسرة من خبز فرفعتها إليه فقال: ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من قرص اختبزته لابنيّ جئتك منه بهذه الكسرة. فقال: يا بنية أما إنها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث.

٣- وخرجت مع أبيها وبعلها يوم فتح مكة، وقد ضُرِبَ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خِباء بالبطحاء، وجلس فيه يغتسل وكانت فاطمة عليها السلام تستره، وقيل: أمرها فسكبت له غسلاً فاغتسل[٢].

لقد كانت مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى آخر لحظات عمره

---

(١) (صحيح البخاري ج١ كتاب الوضوء باب غسل المرأة أباها الدم عن وجهه، وج ٤ كتاب فضل الجهاد باب لبس البيضة، وصحيح مسلم ج٥ باب غزوة أحد).

(٢) (مغازي الذهبي: ٥٥٥).

فهي تتفقد امره وتبادر لإعانته ولو كان في ساحة الوغى.

٤- الهجرة مع الفواطم ضمن آخر القوافل المهاجرة من مكة الى المدينة.

٥- المشاركة في المباهلة والتي كانت مؤتمراً لنصرة الرسالة والدفاع عن العقيدة وحضورها عليها السلام المباهلة كما ورد في الروايات دليل على اهمية حضورومشاركة المرأة في العمل السياسي.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

المباهلة لغةً: هي الملاعنة[2]، أي أن يطلب كلا المتباهلين نزول اللعنة من الله على الفريق الكاذب وهذه الآية تبين مقام أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه المشاركة اشارة الى أفضليتها عليها السلام على كل نساء عصرها ومنهنّ زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بلا استثناء. والناظر يرى ان النبوة والامامة قد اجتمعتا في وقت مبكر ضمن هذا الحضور العظيم مع ما ينعكس عليه الموقف من مخاطر كبرى.

قال العلامة الطباطبائي رحمه الله:

إنها عليها السلام هي المصداق الفرد لنسائنا، وإن علياً عليه السلام هو

---

(١) (٦١) سورة آل عمران.

(٢) (الصحاح للجوهري: ج ٤، ص ١٦٤، مادة «جهل»).

المصداق الوحيد لأنفسنا وانهما مصداق أبنائنا، وكان المراد بالأبناء والنساء والأنفس في الآية هو الأهل فهم أهل بيت رسول الله وخاصته كما ورد في بعض الروايات بعد ذكر إتيانه صلى الله عليه وآله وسلم بهم انه قال: «اللهم هؤلاء أهل. بيتي، فان معنى الجملة إني لم أجد من أدعوه غير هؤلاء»[1].

---

(١) (تفسير الميزان: ج ٣، ص ٢٣٨).

الدور السياسي للزهراء عليها السلام
بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

كانت مرحلة مابعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرحلة مضطربة وساخنة بل لعلها الاسخن فيما حصل من احداث في تاريخ الاسلام الاول، اذ تدافع الطامعون للسلطة على الاستباق للجلوس على كرسي الحكم!! ناكثين البيعة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تاركين الوصي عليه السلام مشغولا بتكفين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتغسيله وتجهيزه مع القلة القليلة من المسلمين.. انها لحظات الم حقيقية ماكان احد ليصدقها لولا ان التاريخ نطق بها!! وهي دلالة كبرى على ماكان في النفوس خافيا من مطامع وأماني ومن حقد دفين على صاحب الرسالة نفسه فنراه مسجى على الارض ينتظر وصيه ان يقوم بتغسيله والامة في شغل شاغل عنه!! وبدل ان تهب الامة لوداع النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقامة مجالس العزاء التي تليق بشأنه وتخفيف الخطب عن ابنته ومواساتها بدأ صراع محموم على الرئاسة وبدأت جبهة قاسية مع بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومن هنا

بدأ انحراف الامة عن جادة الصواب!.

وكان بامكان امير المؤمنين عليه السلام ان يعلن المعارضة المسلحة التي لن تخدم الاسلام بل انها لتنذر بفتنة كبرى قد تترك آثاراً سيئة للغاية وعلى مدى الدهر مما جعل امير المؤمنين عليه السلام يسكت عن حقه وفي العين قذى وفي القلب شجى!.. وهنا يظهر موقف الزهراء عليها السلام العظيم في اول حملة دفاعية عن الامامة في الاسلام بل حملة دفاعية عن الاسلام نفسه لحمايته وصيانته من التحريف والتشويه، وما جاء بعدها كان تكملة لهذا المسار الذي بدأته واستمر ويستمر هذا الدور الخطير حتى ظهور الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فدك

فدك: قرية في الحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وهي أرض يهودية في مطلع تاريخها المأثور(١).

وكان يسكنها طائفة من اليهود، ولم يزالوا على ذلك حتى السنة السابعة حيث قذف الله بالرعب في قلوب أهليها فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصف من فدك وروي أنه صالحهم عليها كلها.

ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، قال تعالى:

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ

(١) (معجم البلدان / ياقوت الحموي ٤: ٢٣٨ – ٢٣٩).

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

ثم قدمها لابنته الزهراء[٢]، وبقيت عندها حتى توفي أبوها صلى الله عليه وآله وسلم فانتزعها ابو بكر[٣].

وقد أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في سنة سبع للهجرة صلحا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا بنتي ان الله قد أفاء على أبيك بفدك واختصه بها، فهي له خاصة دون المسلمين افعل بها ما أشاء وانه قد كان لامك خديجة على ابيك مهر وان أباك قد جعلها لك وانحلتكها لك ولولدك بعدك[٤].

فجمع الناس الى منزلها وأخبرهم أن هذا المال لفاطمة. ففرقه فيهم وكان كل سنة كذلك وتأخذ منه قوتها[٥]....

جاء في الدر المنثور «للسيوطي» عن البزاز وأبي يعلى وابن حاتم وابن مردويه عن سعيد الخدري أنه قال:

«لما نزلت الآية «وآت ذا القربى حقه» دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء عليها السلام وأعطاها فدكاً».

---

(١) الحشر ٦.

(٢) (فتوح البلدان: ٤٤)

(٣) (الصواعق المحرقة: ٣٨).

(٤) (بحارالانوار: ج ٢٩، ص ١١٦. الخرائج: ص ٢٥).

(٥) (بحارالانوار: ج ٢٩، ص ١١٨. المناقب: ج ١، ص١٤٢).

على هذا فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدكا في حياته وبأمر من الله تعالى الى ابنته فاطمة عليها السلام:

- عن فضيل، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: لما نزلت هذه الآية: وآت ذا القربى حقه، دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وأعطاها فدكاً[١].

وفي المجمع في قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ وروى أبو سعيد الخدري وغيره أنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطى فاطمة عليها السلام فدكا وسلمه إليها وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام[٢].

وذكر الشيخ المجلسي عن كشف المحجة أن وارد فدك كان أربعة وعشرين ألف دينار في كل سنة، وفي رواية أخرى سبعين ألف دينار ولعل هذا الاختلاف في واردها حسب اختلافهم بالسنين.

فهي تمثل ثروة كبيرة وسندا قويا للبيت الهاشمي الامر الذي جعل الخلفاء يخشون ان تقع في يد الهاشميين فتكون سببا لقوتهم ودعمهم على كسب ود الناس أو اعانة المعارضة.

و يستفاد من الروايات التأريخية أن فدكاً كانت بيد الزهراء عليها السلام وأنها كانت تتصرف فيها، ويستدل على أن فدكاً كانت بيد آل الرسول من

(١) (أبو يعلى الموصلي - مسند أبي يعلى ١٠٣٧).

(٢) (تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١٦ - الصفحة ١٨٩).

تصريح الإمام علي (عليه السلام) في كتابه الذي أرسله إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قومٍ وسخت عليها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم اللّه...»[١]

ولما ولي ابو بكر الخلافة اخرج عامل الزهراء عليها السلام من فدك[٢].

واذاً كانت فدك هبة الرسول للزهراء عليها السلام أو بالاحرى هبة الله تعالى للزهراء عليها السلام، فقد بقيت عندها طيلة حياة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم فلما انتقل الى الرفيق الاعلى بأيام انتزعها أبو بكر فتصدت الزهراء عليها السلام للدفاع عن حقها فالاحداث كلها دارت في العشرة الأيام الاولى من الرحيل!، فلما استولى عليها أبو بكر كانت الزهراء بين أمرين إما أن تسكت عن حقها وإما أن تدافع عنه وتطالب به، فإن سكتت تعلم الناس السكوت عن الحق والاخطر ان السكوت يساعد على اغلاق عيون الامة عن الانحراف لما فيه الاخطر والاخطر، فلابد إذاً من مطالبة وسؤال ومقاضاة وهذا ماحصل، كما ان المطالبة بفدك كانت جسر العبور إلى المطالبة بحق امير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، فلابد من تحريك الحق في ضمير الأمة، وبهذا بدأت السجالات فلم تكتف الزهراء عليها السلام بالمطالبة بفدك بل بكل ما اُخذ من آل البيت عليهم السلام ظُلما ولاسيما الخلافة..

---

(١) [نهج البلاغة: الكتاب رقم ٤٥].

(٢) (اصول الكافي، كتاب الحجة، ج١ص٥٤٣ رقم ٥ باب الفي والانفال).

.. وقد أرسلت الى أبي بكر بضعة الرسول فاطمة الزهراء عليها السلام تسأله أن يدفع اليها ما بقى من خمس خيبر فأبى أن يدفع إليها شيئا[1].

كان لابد إذاً من حركة أو اعتراض على الاقل لبيان الحق وتعريف الناس بالانحراف الذي بدأ يقضم الدولة الاسلامية الفتية ولم يكن من الصحيح حدوث مواجهة مسلحة لان الامر قد يؤدي الى حرب ممتدة تقضم كل انجازات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكل جهوده التي بذلها طيلة ثلاثة وعشرين عاما من الجهاد المستمر بل من الممكن ان تبيد الاسلام وتجعله في خبر كان!!فاذاً لابد من المواجهة السلمية التي لايوجد من يقودها سوى الزهراء عليها السلام!!.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو:

لماذا تطالب المرأة الزاهدة بأرض ذات ثقل اقتصادي عظيم قد تقدر بسبعين الف دينار أو اقل على اختلاف المصادر؟ فهل هي الرغبة الدنيوية والاستئثار بالمال ام ان هناك اهدافاً اخرى؟

اننا لو تأملنا حياة الزهراء عليها السلام بعد حصولها على فدك لما وجدنا تغييراً في حياتها، فالزهد واضح في حياة اهل البيت عليهم السلام كلهم، فهم ما اخذوا من الدنيا شيئا، فهم قوم اُجلت طيباتهم الى الآخرة وهذا ما رأيناه من سيرة هذه المرأة العظيمة التي تعجب سلمان من ثيابها متذكرا لباس الملوك والجبابرة!! ثم انها عليها السلام في حياة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وعندما

---

(١) (صحيح البخاري ٣ / ٣٦، صحيح مسلم ٢ / ٧٢).

اعطاها فدكا كانت – كما تؤكد الروايات – تنفق هذا الريع على فقراء المسلمين ولم تدخر منه شيئا لزينة اولثوب اوغيره بل بقيت الزهراء عليها السلام المتواضعة الزاهدة تردد ما كان علي يقول: يا دنيا غري غيري... فما قبل فدك وما بعدها لم يكن سوى شيء واحد وهو ان الزهراء عليها السلام قبل فدك لم تك تملك شيئا وكانت زاهدة في الدنيا على بساطة لباسها وثيابها وعيشها وبعد فدك ملكت الكنز الكبير لكنها ايضا بقيت الزاهدة المتواضعة في ملبسها وعيشها!! فالمسألة هي ان هناك فرقاً بين ان تكون زاهدا وبين ان تكون مظلوما مغصوب الحق!، ان المسألة في فدك ان هناك حقاً مغتصباً وهناك ظلم لال البيت عليهم السلام بسلبهم حقوقهم الكثيرة ومنها حقهم في هذه الارض التي اعطيت للزهراء عليها السلام بامر الهي، هذا من جانب ومن جانب اخر ارادت الزهراء عليها السلام ان تجعل من مطالبتها بارض فدك مدخلا لبيان انحراف الحاكم عن جادة الصراط ولبيان عدم التزامهم بجملة من الاوامر الالهية ومن ضمنها مسالة الامامة فتصدت الزهراء عليها السلام لكي تسحب الشرعية من الحكومة الحاضرة وجعلت فدكاً جسرا للمطالبة ومنبرا اعلاميا لبيان ضلال الخليفة وانحرافه عن الحق!

روى الحلبي عنه عليه السلام " أن فاطمة عليها السلام جعلت صدقاتها لبني هاشم وبني المطلب "[١].

كانت عائدات فدك للفقراء والمستضعفين وكانت مطالبة الزهراء عليها

(١) (من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص٣٨ ح١٦٣٩).

السلام بهذا الحق هو مطالبة بحق الفقراء والمستضعفين الذين لا يقدرون ولن يمكنهم المطالبة بها!! ولما ضاعت فدك وحرموا من عطائها وخيراتها فقد استشعروا الحرمان وبهذا بقوا يتذكرون عطاء الزهراء عليها السلام طوال الدهر ويكنون لها الولاء والمحبة.

يقول السيد الحكيم رحمه الله:

لقد كانت هناك مقاصد كثيرة جعلت الزهراء تطالب بحقها في فدك وان كانت المطالبة قد لا تؤتي بشيء، منها؛ تنبيه الامة الى سلسلة الانحرافات الجديدة عن جادة الدين ومنها اماطة اللثام عن الوجه الحقيقي للخلافة التي لم ينص عليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها تعليم الناس الاساليب الصحيحة في المطالبة بالحقوق اضافة الى انها استطاعت ان تسحب الشرعية عن الحكومة الجديدة وفي نفس الوقت ثبتت شرعية اهل البيت عليهم السلام في ارض فدك[1].

واقول: ان الامة كانت قد تعودت - خلال حكم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - على قيادة المعصوم عليه السلام الذي ماكان ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى، ورغم ان المسلمين في احايين كثيرة كانوا يتمردون على بعض التشريعات أو الاوامر الالهية فتنزل آيات الوحي لتعاتبهم امام احتجاجاتهم على تقسيم الفيء مثلا أو امور اخرى، وقد تصور المسلمون وبخاصة الذين دخلوا في الاسلام بعد فتح مكة ان الامور ستستمر على هذه

---

(١) (فاطمة الزهراء عليها السلام الموقع)

الحال فكل من يجلس على دفة الحكم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو انسان معصوم لا يخطئ أبدا!!، ولو أنهم اجرَوا الامور على ماعاهدوا عليه الرسول في يوم الغدير من بيعتهم مع الوصي من بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذي هو أمير المؤمنين عليه السلام لكان الحق واضحا ولكن حينما يزاح الامام المعصوم عليه السلام عن حقه في ولاية الامة فان هذا يعني استقبال الاخطاء والتأويلات والانحرافات والحكم بما لم ينزل الله.. بمعنى آخر كان يجب ان تفهم الامة ان مسيرة الانحراف قد بدأت تنخر في جسد الامة وان عليهم ان يفهموا ما ألحقه الحكام من ظلم بأهل البيت عليهم السلام ومن مروق عن الثوابت الدينية من خلال هذه السجالات الاولية.

إن موقف الزهراء عليها السلام كان حركة تغييرية واضحة المعالم استخدمت فيها عليها السلام الاساليب الحضارية في المطالبة بالحقوق اما الطرف الآخر فلجا الى أساليب متدنية من قبل التكذيب والاهانة والهجوم على الدار الى غير ذلك مما مهد لصراع تاريخي طويل الامد مازالت آثاره واضحة حتى الوقت الحالي.

يقول علي عليه السلام:

فرأيت ان الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثو عهد بالاسلام والدين يمخض مخض الوطب يفسده ادنى وهن ويعكسه اقل خلف[1].

---

(١) (عبدالحميد بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ج ١، ص ٣٠٨).

وقد أشاروا عليه بارجاع فدك حينما تولى الخلافة فقال عليه السلام:

«لما آلت الخلافة إلى عليّ بن أبي طالب كُلِّم في رد فدك فقال: إنّي لأستحي أن أرُدَّ شيئاً منع منه أبوبكر وأمضاه عمر»[1].

آليات الحركة السياسية عند الزهراء عليها السلام

لقد اتخذت الزهراء عليها السلام من قضية فدك مدخلا للمطالبة بحق زوجها في الخلافة وبيان مدى انحراف القيادة الجديدة عن خط الرسالة، وكانت اول المدافعين عن الامامة لا من باب ان الامام عليّاً هو زوجها.. ابدا.. بل من باب الحرص على الامة والتوجيه الى اهمية اطاعة امر الله ورسوله في تثبيت الوصي الحق بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد امتنع الامام عليه السلام عن البيعة وبقي في بيته استنكاراً على ما سارت عليه الامور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبهذا اعلن شجبه لما حصل في السقيفة، ولكنه عليه السلام حقنا لدماء المسلمين وخشية الدخول في ممارسات مسلحة قد تأكل الاخضر واليابس حرص الامام – وكذلك الزهراء– على ان تكون المعارضة سلمية من خلال مظاهر شتى اهمها:

١- الاستجواب السياسي

فقد أرسلت الزهراء عليها السلام الى ابي بكر تستعلمه عن سبب طرد

---

(١) (كتاب سليم بن قيس" ص٣٥٣).

وكيلها من فدك...

وعن أبي الطفيل قال: (أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم أهله؟ قال: بل أهله..).[1].

واننا نلاحظ هذا الاستجواب نفسه يحصل امام المسلمين في المسجد النبوي بعد أن أتمت الزهراء عليها السلام خطبتها في المسجد، ومهما كانت النتائج فإن مجرد استجواب أبي بكر وبتلك الصورة وبخاصة امام الناس جميعا ومن قبل الصديقة بنت المصطفى لهو اهانة كبرى ومؤشر على عدم وجود الاهلية التامة عنده للرد السليم والمنطقي مما أبان ضعفه في المسائل الدينية كما سنرى.

٢- الشورى السياسية

فقد أشار إليها امير المؤمنين عليه السلام أن تذهب الى الخليفة وتطالبه بميراثها، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال عليٌّ لفاطمة (عليهما السلام): «إنطلقي فاطلبي ميراثك من أبيك رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) فجاءت إلى أبي بكر وقالت: لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)؟ وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) بأمر اللّه تعالى؟» فقال: إن شاء اللّه إنك لا تقولين إلا حقاً ولكن هاتي على ذلك شهوداً، فجاءت اُم أيمن وقالت له: لا أشهد - يا أبابكر- حتى أحتج عليك بما قاله رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)، اُنشدك باللّه

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ١٦: ٢١٨ - ٢١٩.

ألست تعلم ان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) قال: «اُم أيمن امرأة من أهل الجنة»؟ فقال: بلى، قالت: فأشهد أن اللّه- عز وجل- أوصى إلى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) (فآت ذا القربى حقّه) فجعل فدكاً لها طعمة بأمر اللّه، وجاء علي (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك.

وروي أن الإمام علياً عليه السلام جاء إلى أبي بكر وهو في المسجد فقال: «يا أبابكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم وقد ملكته في حياة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال أبوبكر: هذا فيء المسلمين، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم جعله لها، وإلّا فلا حق لها فيه، فقال أميرالمؤمنين (عليه السلام): «يا أبابكر أتحكم فينا بخلاف حكم اللّه في المسلمين؟» قال: لا، قال (عليه السلام): «فإن كان في يد المسلمين شي ء يملكونه، ثم ادّعيت أنا فيه، من تسأل البينة؟» قال: إيّاك أسأل البينة، قال (عليه السلام): «فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يدها وقد ملكته في حياة رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) وبعده، ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادّعوا شهوداً كما سألتني على ما ادعيت عليهم؟»... فسكت أبوبكر.

فقال عمر: يا علي، دعنا من كلامك، فإنا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلا فهو فيء المسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه.

فقال الإمام علي عليه السلام: «يا أبابكر تقرأ كتاب اللّه؟» قال: نعم، قال عليه السلام: «أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟» قال: بل فيكم، قال عليه السلام: «فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بفاحشة ما كنت تصنع بها؟»، قال: كنت اُقيم عليها الحد كما اُقيم على نساء العالمين!، قال علي عليه السلام: «كنت إذن عند اللّه من الكافرين»، قال: ولِمَ؟ قال عليه السلام: «لأنّك رددت شهادة اللّه بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم اللّه وحكم رسوله أن جعل لها فدكاً وزعمت أنّها فيء للمسلمين، وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر» فدمدم الناس، وأنكر بعضهم بعضاً، وقالوا: صدق واللّه عليّ[(١)].

٣- الخطاب السياسي

الخطاب السياسي هو سيل الجمل والكلمات الموجّه عن قصد إلى المتلقي بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب عن طريق الشرح والتحليل والإثارة ويتضمن هذا المضمون أفكارًا سياسيةً، ويهدف السياسي من خطابه إلى تغيير النفوس والعقول والأفكار والواقع مما يجعله في حالة لها صفات وسمات وهيأة معينة. ويتسم الخطاب السياسي بالشدة والتحدي والقدرة القوية في الاقناع والتأثير، ولأنه يخاطب جمهورا من الناس فإن مساحة التأثير اقوى من غيره كالخطاب الاجتماعي أو التربوي، ولهذا تحرص الحكومات ان

---

(١) [الاحتجاج للطبرسي: ١/ ٢٣٤، وكشف الغمة: ١/ ٤٧٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٧٤].

تكون ذات خطاب واحد بمعنى عدم فسح المجال لمن هم في غير دفة الحكم بأن يلقوا خطاباتهم بحرية صيانة لكراسيهم، ومن هنا جاء في الحديث ان افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، فكلمة الحق هذه هي خطاب معارض يفضح السلطة.

ولم يك يتصور الخليفة ان يكون خطاب الزهراء عليها السلام في المسجد حاملا لشيء من تلك المواصفات ولو علم ذلك ما أباح لها الكلام!! بل ربما انه تصور ان تكون للزهراء عليها السلام كلمة سريعة عاجلة فيها الندب على وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو المرور الخاطف على مسألة فدك لا اكثر!، ولأنها مريضة وقداستحوذ عليها الحزن لفراق ابيها فسيكون كلامها ضعيفا هزيلا خاصة وانه لم تمر مناسبة سابقة تكون الزهراء عليها السلام قد ألقت خطابا مثلا ليتعرف الجاهلون بها والمتجاهلون لها عن المنطق الرباني لسيدة نساء العالمين.

وكان خطاب الزهراء عليها السلام اول خطاب لمعارضة داعمة لأهل البيت عليهم السلام بتعبير آخر كانت عليها السلام هي اللسان الناطق عنهم، اذ لم يعد هناك خطاب واحد كما كان الحال في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بل ظهرخطاب التضاد أو الخطاب المعارض والذي يهدف الى تأجيج الوعي في عقول الناس وتحريك الاتجاهات في المسار الصحيح الموالي لآل البيت عليهم السلام.. هو اذن خطاب النخبة الواعية المظلومة والمعصومة.

خطبتها الاولى في المسجد النبوي وامام المسلمين كافة

وعن جماعة قال[1]: (قالوا: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها من فدك، لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها... حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار...

ولنلقِ نظرةً فاحصةً على خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد أمام أبي بكر وبين حشود المهاجرين والأنصار، فإنها عليها السلام تناولت في أغلب جوانبها امتداح الإمام عليّ (عليه السلام) والثناء على مواقفه الجهادية الخالصة لخدمة الإسلام، وتسجيل الحق الشرعي لأهل البيت (عليهم السلام) الذين وصفتهم بأنّهم الوسيلة إلى اللّه في خلقه وخاصته ومحلّ قدسه وحجّته، وورثة أنبيائه في الخلافة والحكم مع بيان فضلهم على الامة عبر مقارنة ماكانوا عليه وما أصبحوا فيه.

الخطبة الأولى

في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله...

قالت زينب بنت علي بن أبي طالب: لَمّا بلغ فاطمة إجْماَع أَبي بَكْرٍ عَلى مَنْعها حقَّها من فَدَكٍ، لاثَتْ خِمارَها وَاشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وَأَقْبَلَتْ في لُمَّةٍ مِنْ حَفَدَتِها وَنِساءِ قَوْمِها تجُرُّ أدْراعَها، وتَطَأُ ذُيُولَها، لا تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، حَتّى دَخَلَتْ عَلى أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ فِي

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦: ٢١١.

حَشَد مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأَنْصارِ وَغَيْرِهِمْ. فَنِيطَتْ دُونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَستْ ثُمّ أَنَّتْ أَنَّةً أجْهَشَ لَها القَوْمُ بِالْبُكاءِ والنحيب، فَارْتَجَّ المَجْلِسُ، ثُمَّ أمْهَلَتْ هُنَيَّةً حَتّى إذا سَكَنَ نَشِيجُ القَوْمِ وهَدَأتْ فَوْرَتُهُمْ وسكنت روعتهم، افْتَتَحَتِ الكَلامَ بالحَمْدِ لله وَالثَّناءِ عَلَيْه، وَالصَلاةِ عَلى رَسُولِه في كلام طويل من الثناء والتحميد، فعادَ القَوْمُ فِي بُكائِهِمْ، فَلمَّا أمْسَكُوا عَادَتْ فِي كَلامِها فَقَالَتْ عليها السلام:

أبْتدئُ بحمدِ مَنْ هو أوْلى بالحمدِ والطولِ والمجد. الحَمْدُ لله عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُكْرُ عَلى ما ألْهَمَ، والثَناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغُ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإِحْصاءِ عَدَدُها، وَنَأى عَنِ الجَزاءِ أمَدُها، وَتَفاوتَ عَنِ الإِدْراكِ أبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لاِسْتِزادَتِها بِالشكْرِ لاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلى الخَلائِقِ بِإِجْزالِها، وَثنّى بِالنَّدْبِ إلى أمْثالِها.

وَأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأويلَها، وَضَمّنَ القُلُوبَ مَوْصُولَها، أنارَ فِي الفِكَرِ مَعْقُولَها. المُمْتَنِعُ مِنَ الأَبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنْ الأَوْهامِ صِفَتُهُ. ابْتَدَعَ الأَشْياءَ لامِنْ شيء كانَ قَبْلَها، وَأنْشَأها بِلا احْتِذاءِ أمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِه، وذَرأها بِمَشِيَّتِهِ مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِها إلاّ تَبْيِيناً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبِيهاً عَلى طَاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وَإعْزازاً لِدَعْوَتِهِ. ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ عَلى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وحِياشَةً لَهُمْ إلى جَنَّتِهِ.

وَأَشْهَدُ أنَّ أَبِي مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أنْ أرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أنْ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أنْ ابْتَعَثَهُ إِذِ الخَلائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسَتْرِ الأَهاوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالَى بِمآئِلِ الأُمُورِ، وَإِحاطَةً بِحَوادِثِ الدهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ المقدُورِ.

ابْتَعَثَهُ اللهُ إتْماماً لأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلى إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنفاذاً لِمَقَادِيرِ حَتْمِه، فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً فِي أدْيانِها، عُكَّفاً عَلى نِيرانِها، عَابِدَةً لأَوْثانِها، مُنْكِرَةً للهِ مَعَ عِرْفانِها، فَأنارَ اللهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وَكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلا عَنِ الأَبْصارِ عَمَهَها، وعن الأنْفُس غُمَمَها، وَقامَ فِي النَاسِ بِالهِدايَةِ، فَأنْقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وَهَداهُمْ إلى الدينِ القَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إِلى الصراطِ المُسْتَقِيمِ.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأفَةٍ وَاخْتِيارٍ، وَرَغْبَةٍ وَإيثارٍ، فَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فِي راحَةٍ مِنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ، مَوضُوعاً عَنْهُ أعْباءُ الأَوْزارِ، وَمَحْفُوفاً بِالْملائِكَةِ الأَبْرارِ، وَرِضْوانِ الربِّ الغَفّارِ، وَمُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبَّارِ، صَلَّى الله على أبِي نَبِيِّهِ وَأمِينِهِ عَلى الوحْيِ وَصَفِيهِ، وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

ثمّ التفتت عليها السلام إلى أهل المجلس وقالت: وأَنْتُم عِبادَ اللهِ نَصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ حولكم، زَعِيمُ حَقّ لَهُ فيكُمْ، وَعَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ.. وَنحن بَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَها عَلَيْكُمْ، ومعنا كِتابُ اللهِ النَّاطِقُ، وَالقرآن الصَّادِقُ، وَالضياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ

بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مَتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أشْياعُهُ، قَائِدٌ إلى الرضْوانِ أتْباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَجاةِ اسْتِماعُهُ، بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ الْمُنَوَّرَةُ، وعَزَائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ الْمحَذَّرَةُ، وَبَيناتُهُ الجَالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكَافِيَةُ، وَفَضَائِلُهُ الْمَنْدُوبَةُ، وَرُخَصُهُ الْمَوْهُوبَةُ، وَشَرائِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ. فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشركِ، وَالصَلاةَ تَنْزِيَهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، وَالزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً فِي الرزْقِ، وَالصيامَ تَثْبِيتا لِلإخْلاصِ، وَالْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقاً لِلْقُلُوبِ، وَطَاعَتَنا نظامَاً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الفُرْقَةِ، وَالجِهادَ عِزّاً لِلإِسْلامِ، وَالصبْرَ مَعُونَةً عَلى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الوَالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ منْسأةً في العمر ومَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالقِصاصَ حَقْنَاً لِلدماءِ، وَالوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضَاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكائيلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ تَنْزِيهَاً عَنِ الرجْسِ، وَاجْتِنابَ القَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السرْقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ، وَحَرَّمَ الشرْكَ إخْلاصاً له بِالربُوبِيَّةِ.. فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاّ وَأنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَأطِيعُوا اللهَ فِي ما أمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإنَّهُ قال إنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ. فاحْمَدُوا اللهَ الذي بِعَظَمَتِهِ ونُورِهِ ابْتَغَى مَنْ في السَمَواتِ والأَرْضِ إليهِ الوسيلةَ، فنَحْنُ وَسيلَتُهُ في خَلْقِهِ ونَحنُ آلُ رسُولِهِ، ونَحْنُ خاصَّتُهُ، ومَحَلُّ قُدْسِهِ، ونَحْنُ حُجَّةُ غَيْبِهِ، ووَرَثَةُ أنْبيائِهِ.

أيها النّاسُ: أنَا فَاطِمَةُ وَأبِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أقُولُها حَقّاً عَوْدَاً وَبَدْءاً، ما أقُولُ إذ أقُولُ غَلَطاً، وَلاَ أفْعَلُ مَا أفعَلُ سرفاً ولا شَطَطاً. لَقَدْ

جَاءَ كُمْ رَسُولٌ مِنَ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمنِينَ رَؤُوفٌ رَحيمٌ. فَإِنْ تَعْزُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسائكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمي دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ المَعْزِي إلَيْهِ صلّى الله عليه، فَبَلَّغَ النذارَةَ صَادِعَاً بِالرسَالَةِ، ناكباً عَنْ سنن المُشْرِكِينَ، ضَارِباً لأثْبَاجِهِمْ، آخِذَاً بِأكْظامِهِمْ، دَاعِيَاً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، يَفُضُّ الهام ويجُذُّ الأَصْنامَ، حَتّى انْهَزَمَ الجَمْعُ وَوَلَّوُا الدبُرَ، وحَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلَ عَنْ صُبْحِهِ، وَأسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدينِ، وهدأتْ فَوْرَةُ الكفْرِ، وَخَرسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ، وَطَاحَ وَشِيظُ النفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الكُفْرِ وَالشقَاقِ، وَفُهْتُمْ بِكلِمَةِ الإِخْلاصِ، فِي نَفَرٍ مِنَ البِيضِ الخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فأنْقَذَكُم منها بنبيِّهِ، تعْبُدُونَ الأصْنامَ وتَسْتَقْسِمُونَ بالأزْلام مَذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ العَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ القدَّ والوَرَقَ، أذِلَّةً خَاسِئِين، تَخَافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأنْقَذَكُمُ اللهُ بِنبيّه صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيَّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ ما مُنِيَ بِبُهَمِ الرجالِ، وَذُؤْبانِ العَرَبِ، وَمَرَدَةِ أهْلِ الكِتَابِ، كُلَّما أوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أطْفَأها اللهُ، أو نَجَمَ قَرْنٌ للضلالة، أو فَغَرَتْ فَاغِرَةُ المُشْرِكِينَ، قَذَفَ أخَاهُ عليّاً فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتّى يَطَأَ صِماخَها بِأخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَها بِحدِّهِ، مَكْدُوداً فِي طاعة اللهِ ورسوله، مُجْتَهِداً فِي أمْرِ اللهِ، قَرِيبَاً مِنْ رَسُولِ اللهِ، سَيِّداً فِي أوْلِياءِ اللهِ، مُشَمراً نَاصِحَاً مُجِدَّاً كَادِحَاً.. وَأنْتُمْ فِي بُلَهْنِيَةٍ وَادِعُونَ آمِنُونَ فرِحُونَ، وفِي رَفَاهِيَةٍ مِنَ العَيْشِ فَكِهُونَ، تَأْكُلُون العَفْوَ وتَشرِبُوْنَ الصَفْوَ، تَتَوَكَّفُونَ

الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النزالِ وَتَفِرونَ مِنَ القِتَالِ!!

فَلَمّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيهِ دَارَ أَنْبِيائِهِ، وَمحلَّ أَصْفِيائِهِ، ظَهَرَتْ فِيكُمْ حَسِيْكَةُ النفاقِ، وَانْسَمَلَ جِلْبابُ الدينِ، وأَخْلقَ عهده، وانتقضَ عقده، وَنَطَقَ كَاظِمٌ، وَنَبغَ خَامِلٌ، وَهَدرَ فَنِيقُ الباطِلِ يَخطُرُ فِي عَرَصَاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشّيطانُ رَأسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ صارخاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُصيخينَ، وَلِلْغِرَّةِ مُلاحِظِينَ، واسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكُمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وأَوْرَدْتُموها غَيْرَ شِرْبِكُمْ.

هَذا وَالعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَر، بِداراً زَعَمْتُم خَوْفَ الفِتْنَةِ! ألا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكافِرِين.

هَيْهَاتَ مِنْكُمْ؟ وَأينَ بِكُمْ؟ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟! وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زَاهِرَةٌ، وزَوَاجِرُهُ قاهرة، وَأَوَامِرُهُ لائِحَةٌ، وأدلته وَاضِحَةٌ، وَأَعْلامُهُ بَيّنةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ!! أَرَغْبَةً ويْحكُمْ عَنْهُ تُدْبِرُونَ؟ أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟! بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً.. وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآَخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ.

ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا بعد اجتهاد إِلاّ رَيْثَما سكنتَ نِفْرَتُها، وَأَسْلَسَ قِيادُها، ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطَانِ الغَوِيّ، وَإِطْفاءِ أَنْوارِ الدّينِ الجَلِي، وَإِهْمادِ سُنَنِ النَبيّ الصَفِيّ، تُسرِّونَ حَسْوَاً فِي ارْتِغَاءٍ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوُلْدِهِ فِي الخَمَرِ وَالضَّرّآءِ، وَنحن نَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى

مِثْلِ حزّ المُدَى، وَوَخْزِ السنانِ فِي الحَشَا! وَأَنْتُمْ الآنَ تَزْعَمُونَ أنْ لا إِرْثَ لَنَا ولاحظّ! أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ؟! بَلى قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِي ابْنَتُهُ!

إِيْهاً معاشر المُسْلِمِينَ، أَأُبْتزُّ إِرْثِيَهْ؟ يَا ابْنَ أَبِي قُحافَةَ أَفِي كِتابِ اللهِ أَنْ تَرِثَ أَباكَ وَلاَ أَرِثُ أَبِيَهْ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا! جرْأَةً منكم على قطيعة الرحِم ونكْث العهْد، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُد. وَقَالَ فِي ما اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا عليهما السلام إِذْ قَالَ: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ. وَقَالَ: وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ. وَقَالَ: يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظ الأُنْثَيَيْنِ. وَقَال: إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلى الْمُتَّقِينَ.

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لاحظْوَةَ لِي وَلا إِرْثَ مِنْ أَبِي، وَلاَ رَحِمَ بَيْنَنَا! أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ أَبِي صلى الله عليه وآله مِنْها؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ: إِنَّا أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتوارَثانِ؟ أَوَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ القرآن وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمي؟!

فَدُونَكَهَا مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً مزْمومةً، تكون معك في قبرك، وتَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الحَكَمُ اللهُ، وَنعم الزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالمَوْعِدُ القِيامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسَرُ المُبْطِلُونَ. وَلِكُل نَبأٍ مُسْتَقَر، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِل عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ!

ثُمَّ رَنَتْ عليها السلام بِطَرْفِها نَحْوَ الأَنْصارِ وَقَالَتْ:

يَا مَعْشَرَ النَّقِيبَةِ، وَأَعْضادَ المِلَّةِ، وَحَضَنَةَ الإسْلاَمِ: مَا هَـذِهِ الغَمِيـزَةُ فِـي حَقِّي، وَالسِنَةُ عَنْ ظُلاَمَتِي؟! أمَا قال رَسُولُ اللهِ أبِي: الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ؟ لَسَرْعانَ مَا أحْدَثْتُمْ، وَعَجْلاَنَ ذَا إهالَة، وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِما اُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أطْلُبُ وَاُزاوِلُ؟! أتَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ؟ لعمري خَطْبٌ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُـهُ، وَاسْـتَنْهَرَ فَتْقُـهُ، وَفُقِـد رَاتِقُـهُ، وَأظْلَمَـتِ الأرْضُ لِغَيْبَتِـهِ واكتأبَـت خِيَـرةُ الله لِمُصِيبَتِهِ، وَخَشَعَتِ الجبالُ، وَأكْدَتِ الآمالُ، وَأُضِيعَ الحَرِيمُ، وَاُزِيلَـتِ الحُرْمَـةُ، فَتِلْـكَ وَاللهِ النَّازِلَـةُ الكُبْـرى، وَالْمُـصِيبَةُ العُظْمـى، لا مِثْلُهـا نَازِلَـةٌ، وَلا بائِقَـةٌ عاجِلَةٌ، أعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ، يَهْتِفُ بِـهِ فِـي أفْنِيَتِكُمْ هِتَافاً وَصُراخَا، وَتِلاوَةً، وَإلحاناً، وَلَقَبْلَـهُ مـا حَـلَّ بِأنْبِيـاءِ اللهِ وَرُسُـلِه، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَـدْ خَلَـتْ مِـنْ قَبْلِـهِ الرسُـلُ أفَإنْ مَاتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَـضُرّ اللهَ شَيْئَاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ.

إيْهاً بَنِي قَيْلَةَ! أاُهْضَمُ تُراثَ أبِيَهْ، وَأنْـتُمْ بِمَـرْأىً مِنّـي وَمَـسْمَعٍ وَمُنْتَـدى وَمَجْمَعَ؟ تَشْمَلُكُمُ الـدَّعْوَةُ، وتَلْبَـسُكُمُ الحَيْـرَةُ، وفـيكم العَـدَدُ وَالعُـدَّةُ وَلكـم الدارُ وعندكم الجُنَنُ والأَداةُ وَالقُوَّةُ، وَعِنْدَكُمُ السلاحُ، تُـوافِيكُمُ الـدَّعْوَةَ فَـلا تُجِيبُونَ، وَتَأتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ وَأنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفـاحِ ، مَعْرُوفُـونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، والنخْبَةُ الَّتِي انتُخِبَتْ لنا أهلَ البيتِ، وَالخِيَـرَةُ الَّـتِي اخْـتِيرَتْ فنابـذْتُمْ فينـا صـميم العَـرَبَ، وَتَحَمَّلْـتُمُ الكَـدَّ وَالتَّعَـبَ، وَنَاهـضْتُمُ الاُمَـمَ،

وَكَافَحْتُمُ البُهَمَ، لانَبْرَحُ ولا تَبْرَحُونَ نَأمُرُكُمْ فَتَأتَمِرُونَ، حَتَّى إِذا دارَتْ بِنا رَحى الإسْلامِ، وَدَّرَ حَلَبُ الأَيَّامِ، وَخَضَعَتْ نخوة الشرك، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَهَمَدَتْ نِيرانُ الكُفْر وَهَدَأَتْ روْعَةُ الهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدينِ. فَأَنّى حِرتُمْ بَعْدَ البَيَانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلان، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقْدامِ وجَبُنْتُمْ بعدَ الشَجاعَةِ، عن قوْمٍ نَكَثُوا أيْمانَهُمْ، من بعد عَهْدِهِمْ وطَعَنُوا في دينكم. فقاتلُوا أئمّةَ الكُفْرِ إنّهُمْ لا أيْمانَ لَهُمْ لَعَلّهُمْ يَنْتَهُوْنَ. ألا تُقاتلُونَ قَوْمَا نَكَثُوا أيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُوكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَق أنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

ألا، قَدْ أرى والله أنْ قَدْ أخْلَدْتُمْ إلى الخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُم مَنْ هُوَ أحَق بِالْبَسْطِ وَالقَبْضِ، وَخُلِبتُمْ بِالدَّعَة، نجَوْتُمْ مِنَ الضيقِ بِالسعَةِ، فَمَجَجْتُمْ الذي عرفتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ، فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِي حَمِيدٌ.

ألا وَقَدْ قُلْتُ الذي قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّي بِالخذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالغَدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلَكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، ومنية الغَيْظِ، ونفْثَةُ الصدْرِ، ومعذرَةُ الحُجَّة!! فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبْرَةَ الظَّهْرِ، مَهِيْضَةَ العَظْمِ خَوْراءَ القناة، نَاقِبَةَ الخُفّ، باقِيَةَ العارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ موصولةً بِشَنارِ الأَبَدِ، متصُلَةً بِنارِ اللهِ المُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلى الأَفْئِدَة.

فَبِعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ، واعملوا إنّا عاملون، وَانْتَظِرُوا إنّا مُنْتَظِرُونَ، وَأنا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ. فكِيْدُوني جَمِيْعاً ثُمّ لا تُنْظِرُون.

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

فَأجابَها أبو بكر وَقَال:

يابِنْتَ رَسُولِ اللهِ لَقَدَ كَانَ أبُوكِ بِالْمُؤمنِينَ عَطُوفاً كَرِيماً رَؤُوفاً رَحِيماً، وَعَلى الكافِرِينَ عَذاباً ألِيماً وَعِقاباً عَظِيماً، إنْ عَزَوْناهُ وَجَدْناهُ أباكِ دُونَ النساءِ، وَأخا إلْفِكِ دُونَ الأخِلاَّءِ، آثَرَهُ عَلى كُل حَمِيمٍ، وَسَاعَدَهُ عَلى كُل أمْرٍ جَسِيمٍ، لا يُحِبكُم إلاّ كُل سَعِيدٍ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إلاّ كُل شَقي، فَأنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ الطَّيِبونَ، وَالخِيَرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ، عَلى الخَيْرِ أدلَّتُنا، وَإلى الجَنَّة مَسالكُنا، وَأنْتِ يا خَيْرَةَ النساءِ، وَابْنَةَ خَيْرِ الأنْبياءِ، صادِقَةٌ فِي قَوْلِكِ، سابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقكِ، وَلا مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ. وَاللهِ ما عَدَوْتُ رَأيَ رَسُولِ اللهِ، وَلا عَمِلْتُ إلاّ بِإذْنِهِ، وَإنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أهْلَهُ، وَإني أُشْهِدُ اللهَ وَكَفى بِهِ شَهِيداً أنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: نَحْنُ مَعاشِرَ الأنْبِياءِ لا نُورِثُ ذَهَباً وَلا فِضَّةً وَلا داراً وَلا عِقاراً، وَإنَّما نُورِثُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَالعِلْمَ وَالنبُوَّةَ، وَما كانَ لَنا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوالي الأمْرِ بَعْدَنا أنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ، وَقَدْ جَعَلْنا ماحَاوَلْتِهِ فِي الكُراعِ وَالسلاحِ يُقاتِلُ بِها الْمُسْلِمُونَ، وَيُجاهِدُونَ الكُفَّارَ، وَيُجادِلُونَ الَمرَدَةَ الفُجَّارَ، وَذَلِكَ بِإجْماعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ أنْفَرِدْ بِهِ وَحْدِي، وَلَمْ اَسْتَبِدَّ بِما كانَ الرَّأيُ فِيهِ عِنْدِي، وَهذِهِ حالِي وَمالِي هِيَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ، وَلا تُزْوى عَنْكِ، وَلا تُدَّخَرُ دُونَكِ، وَأنْتِ سَيدَةُ أُمَّةِ أبِيكِ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ، لا يُدْفَعُ مالَكِ مِنْ فَضْلِكِ، وَلا يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكِ وَأصْلِكِ، حُكْمُكِ نافِذٌ فِيما مَلَكَتْ يَداي، فَهَلْ تَرَيْنَ أنْ أُخالِفَ فِي

ذَلِكَ أباكِ.

قالت عليها السلام: سُبْحانَ اللهِ ما كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ كِتابِ اللهِ صادِفاً، وَلا لأحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتْبَعُ اَثَرَهُ، وَيَقْتَفِي سُوَرَهُ، أفَتَجْمَعُونَ إلى الغَدْرِ اعْتِلالاً عَلَيْهِ بِالزورِ، وَهَذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الغَوائِلِ فِي حَياتِهِ ، هَذا كِتابُ اللهِ حَكَماً عَدْلاً وَناطِقاً فَصْلاً يَقُولُ: يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ. وَيَقُولُ: وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُد، فبَيّنَ عَزَّ وَجَلَّ فِي ما وَزَّعَ مِنَ الأَقْساطِ، وَشَرَعَ مِنَ الفَرائِضِ وَالميراثِ، وَأباحَ مِنْ حَظ الذكْرانِ وَالإناثِ ما أزاحَ عِلَّةَ المُبْطِلِينَ، وَأزالَ التَظَني وَالشبُهاتِ فِي الغابِرينَ. كَلاَّ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أنْفُسُكُمْ أمْراً، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ المُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ.

فَقالَ أبو بكر: صَدَقَ اللهُ وَصَدَقَ رَسُولُهُ وَصَدَقَتْ ابْنَتَهُ، أنْتُمْ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدينِ، وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صَوابَكِ، وَلا أُنْكِرُ خِطَابَكِ، هؤلاءِ المُسْلِمُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكِ قَلَّدُونِي مَا تَقَلَّدْتُ، وَباتفاقٍ مِنْهُمْ أخَذْتُ ما أخَذْتُ، غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدّ وَلا مُسْتَأثِرٍ وَهُمْ بِذلِكَ شُهُودٌ.

فَالْتَفَتَتْ فاطِمَةُ عليها السلام إلى النَّاسِ وَقَالَتْ: مَعاشِرَ النَّاسِ المُسْرِعَةَ إلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةَ إلى الفِعْلِ الخاسِرِ، أفَلا تَتَدَبَّرُونَ القرآن أمْ عَلى قُلُوبٍ أقْفالُها. كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِكُمْ ما أسَأتُمْ مِنْ أعْمالِكُمْ، فَأخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأوّلْتُمْ، وَسَاءَ ما بِهِ أشَرْتُمْ، وَشَرٌّ ما مِنْهُ

اغْتَصَبْتُمْ، لَتَجِدُنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقِيلاً، وَغِبَّهُ وَبِيلاً، إذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَرَاءَه الضَّراءِ، وَبَدا لَكُمْ مِنَ رَبِكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَحْتَسِبُونَ. وَخَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلُونَ. ثُمَّ انكفأت إلى قبر أبيها صلى الله عليه وآله وقالت:

قَدْ كانَ بَعْدَكَ أَنْباءٌ وَهَنْبَثَةٌ لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكْثُرِ الخُطَبُ
إنّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الأَرْضِ وابِلَها وغاب مذْغِبْتَ عنّاالوحيُ والكُتُبُ
تَهَضَّمَتْنا رِجالٌ وَاسْتُخِفَّ بِنا إذْ بِنْتَ عنّا فنحن اليوم نُغْتَصَبُ
أبْدَتْ رِجالٌ لَنا نَجوْى صُدُورِهِمُ لَمَّا فُقِدْتَ وَحالَتْ دُونَكَ الكُتُبُ

قال: فما رأينا يوماً أكثر باكياً وباكيةً من ذلك اليوم.

والمصادر لذلك كثيرة منها[1]:

وتنتهي أسانيد الرواية إلى عدد من الرواة، منهم زينب الكبرى بنت علي وفاطمة، والحسين الشهيد، والباقر عليهم السلام، وابن عباس، وعبد الله بن الحسن المثنى، وغيرهم.

ردّ فعل أبي بكر على خطاب الزهراء عليها السلام

يقول الطبري في دلائل الامامة:

اضطرب المجلس وتفرق الناس وارتفعت الضجة وأصبحت خطبة الزهراء (عليها السلام) حديث الناس فلجأ أبوبكر إلى التهديد والوعيد.

---

(١) من لا يحضره الفقيه للمحدث الشيخ محمد بن علي المعروف بالصدوق - ت٣٨١هـ ودلائل الإمامة للطبري محمد بن جرير بن رستم - ت٣١٠هـ وغيرهم.

وروي أنّ أبابكر لما شاهد أثر خطاب الزهراء على الناس قال لعمر، تربت يداك ما كان عليك لو تركتني(١).

الخطبة الثانية

خطبتها الثانية كانت امام نساء المهاجرين والانصارففي الرواية:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان، قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسيني قال حدثنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن حميد اللخمي قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا، قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبي، قال حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قال: لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله عليها السلام اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت، من علتك؟.

فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأي، و﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين، ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة

(١) (دلائل الإمامة، للطبري: ص ٣٩).

ومهبط الوحي الأمين والطبين بأمر الدنيا والدين ﴿أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

وما نقموا من أبي حسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عز وجل، والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاعتلقه، ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطانا، قد تخير لهم الري غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب وإن تعجب وقد أعجبك الحادث، إلى أي سناد استندوا؟ وبأية عروة تمسكوا؟ استبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾، ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

أما لعمر إلهك لقد لقحت فنظرة ريثما تنتجوا، ثم اختلبوا طلاع القعب دما عبيطا وزعافا ممقرا، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا، واطمأنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا وزرعكم حصيدا ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾.

وهاتان الخطبتان تعدّان من أهم خطب صدرالاسلام الأول، لأَنّهما تضمّنتا أخطر التحولات التي شهدها تاريخ الإسلام بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كشفت الخطبة عن القدرة البيانية والانسانية والمعرفية في الخطيبة، ومن المعروف انه كلما قويت العلاقة بالقرآن زادت القدرة البيانية والمعرفية وهذا أسهم في كشف شخصية المتحدثة امام جمهور المسلمين وبخاصة لمن لم يعرفها عليها السلام بأنها امرأة غير عادية.

وقد تميز الخطاب عموما بامور منها:

أنها حددت الخط القيادي لهذه الامة من خلال بيان مظلومية ومناقب الوصي عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبذلك شخصت وأسهمت في التعريف والتأكيد على القيادة السياسية الصالحة لهذه الامة من خلال محاججتها للخليفة حيث بان قصور أبي بكر في الوعي والفهم والرد وبخاصة وان الامر كان امام المسلمين كلهم!!.

كما كان الخطاب طافحا بالمشاعر الانسانية النبيلة والتي وضحت من الخطبة والحوار فالزهراء عليها السلام تذكّر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أبوها من دون كل الرجال ثم تذكر ماكان سابقا وماحل لاحقا وكيف ورث الناس آباءهم وهي ابنة النبي الصديقة الطاهرة لا تمتلك الحق في وراثة أبيها!!.. وبهذا القت بالشرعية الكاملة على كل ماقالته وعلى من أوصى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير مما جعل شرعية الحاكم في تأرجح وتذبذب!!. وسنمر في الدور الاعلامي على تفاصيل اكثر.

٤- اعلان المعارضة السياسية

وقد كانت الاحداث متسارعة وكان السجال علنا امام المسلمين مما اكد على ان الامة على مفترق طرق، فطريق الزهراء وعلي عليهما السلام يسير بعيدا عن دار الخلافة الامر الذي فتح الباب على مصراعيه لبيان خط التشيع الاصيل.. وبهذا اصبح واضحا ان سلب فدك من اهلها انما كان لسحب القوة ممن هم اهل الخلافة الشرعية والامامة والزعامة وبهذا اصبح واضحا ان الزهراء في الصف المعارض، واعلان معارضتها عليها السلام لنهج أبي بكر يأتي من عدة أمور منها:

دورانها على بيوت الانصار لبيان حقها ومظلوميتها، ففي الرواية:

فلما أن كان الليل حمل علي عليه السلام فاطمة عليها السلام على حمار وأخذ بيدي الحسن والحسين عليهما السلام، فلم يدع أحدا من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتاه في منزله فذكرهم حقه ودعاهم إلى نصرته.

ويذكر سلمان الفارسي أن أمير المؤمنين عليه السلام فعل ذلك ثلاث ليال متوالية، فلما لم يجد سوى أربعة أنصار فقط لزم بيته وأقبل على جمع القرآن وتأليفه(١).

وفي رواية اخرى: فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار، والحسن والحسين (عليهما السلام) معها، وهي تقول: يا معشر المهاجرين

(١) (كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٥٨٠).

والأنصار، انصروا الله، فإني ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم بايعتموه: أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، ففوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيعتكم[1].

٥- المقاطعة السياسية

وبعد وضوح الخط الاصيل لآل البيت عليهم السلام كان لابد من خطوات تدعيمية، فكانت مقاطعة الزهراء عليها السلام للشيخين والتي استمرت حتى وفاتها.. والبداية كانت بإعلان غضبها على الشيخين ففي الرواية:

كان الصحابة رجالاً ونساءً يعودون فاطمة عليها السلام بين الحين والحين، إلاّ عمر وأبابكر لم يعوداها لأنها قاطعتهما ورفضتهما ولم تأذن لهما بعيادتها، وحينما ثقل عليها المرض وقاربتها الوفاة لم يجدا بداً من عيادتها لئلا تموت بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي ساخطة عليهما، وتبقى وصمة العار تلاحق الخليفة وجهازه الحاكم إلى يوم القيامة.

فجاء لعيادتها تحت ضغط الرأي العام، فسألا عنها، وقالا لأمير المؤمنين عليه السلام: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت فإن رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا.

قال: ذلك إليكما. فقاما فجلسا عند الباب.

---

(١) (جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة الامام علي عليه السلام ج١٠ ص٩١).

ودخل علي عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال لها: أيتها الحرة، فلان وفلان بالباب، يريدان ان يسلما عليك فما تريدين؟ قالت: البيت بيتك، والحرة زوجتك، افعل ما تشاء!

فقال: شدي قناعك، فشدت قناعها، وحولت وجهها إلى الحائط. فدخلا وسلما وقالا: ارضي عنا رضي الله عنك، فقالت: مادعا إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة ورجونا ان تعفي عنا. فقالت: ان كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه، فإني لا أسألكما عن أمر إلاّ وانا عارفة، بأنكما تعلمانه، فإن صدقتماني علمت أنكما صادقان في مجيئكما. قالا: سلي عما بدالك. قالت: نشدتكما بالله، هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني»؟ قالا: نعم.

فرفعت يدها إلى السماء، فقالت: اللهم انهما قد آذاني، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما.

قال: فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور، فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – من قول امرأة[1].

ثم تلا ذلك اعلان المقاطعة الكاملة مع الشيخين وعدم السماح لهما بملاقاتها عليها السلام:

.. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا فوجدت من ذلك على أبي

(١) (البحار: ٤٣ | ١٩٨).

بكر وهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد أبيها ستة أشهر فلما توفيت دفنها علي عليه السلام ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر[1].

وجاء في صحيح البخارى، ج ٥، ص ٨٢: «غضبت فاطمة من أبي بكر وهجرته إلى أن ماتت».

وقال ابن قتيبة الدينورى فى كتابه تأويل مختلف الحديث: وقد طالبت فاطمة عليها السلام أبا بكر بميراث أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما لم يعطها إياه حلفت أن لا تكلمه أبدا وأوصت أن تدفن ليلا لئلا يحضرها فدفنت بالليل[2].

ويعد سلاح المقاطعة واحدا من اكثر الاسلحة تأثيرا وبخاصة إذا اخذنا نظر الاعتبار مكانة الزهراء عليها السلام من جهة وحداثة رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جهة اخرى.. وسنرى تألم أبي بكر من عدم السماح له بحضور تشييع الزهراء عليها السلام.

والملاحظ ان سلاح المقاطعة قد استعمل مرات ومرات في التاريخ البشري، وقد دعا الكثير من السياسيين وعلماء الدين الى مقاطعة البضائع الاسرائيلية والدول الداعمة لها كعقاب على تجاوزاتها المستمرة على مقدسات المسلمين وسياسة التطهير العرقي التي تنتهجها.

ولم يك امر المقاطعة سهلا على الشيخين بل حاولا كسره مرات ومرات

---

(١) (أيضاً شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢١٧، كشف الغمّة للأربلي: ج١ ص٤٧٧).

(٢) (الدينورى، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (المتوفى٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، ج ١، ص ٣٠٠، تحقيق: محمد زهرى النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣، ١٩٧٢.

ففي الرواية:

... فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة عليها السلام فإنا قد أغضبناها فانطلقا جميعا فاستأذنا على فاطمة عليها السلام فلم تأذن لهما فأتيا عليا فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام[1]. بل انهما لما سمعا بدفنها حاولا نبش القبور التي في البقيع ففي الرواية ان عليا جعل سبعة قبور مزورة في البقيع لتضليل الناس عن قبرها وانما ارادا ذلك كي يتخلصا من وصمة العار الابدية انهما اغضبا بنت النبي التي يغضب الله لغضبها. ففي الرواية:

ارتفعت أصوات البكاء من بيت علي عليه السلام فصاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع لها، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي عليه السلام، وهو جالس، والحسن والحسين بين يديه يبكيان، وخرجت ام كلثوم، وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله، الآن فقدناك حقا لا لقاء بعده ابدا. واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون، وينتظرون خارج الجنازة

ليصلوا عليها، وخرج أبو ذر، وقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد اُخر إخراجها في العشية[2]. وأقبل أبوبكر وعمر يعزيان عليا عليه السلام، ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله صلى الله

---

(١) (ابن قتيبة الإمامة والسياسة ١ / ١٣)

(٢) (البحار: ٤٣ | ١٩٢).

عليه وآله وسلم[١]. ولكن عليا غسلها وكفنها هو وأسماء في تلك الليلة ثم نادى: يا ام كلثوم، يا زينب يا حسن، يا حسين، هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء والجنة، وبعد قليل نحاهم امير الؤمنين عليه السلام[٢] عنها. ثم صلى علي على الجنازة، وشيعها هو والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبوذر والمقداد وعمار وبريدة والعباس وابنه الفضل[٣]. فلما هدأت الاصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها امير المؤمنين عليه السلام ودفنها سرا وأهال عليها التراب، والمشيعون من حوله يترقبون لئلا يعرف القوم، فدفنوها وعفوا تراب قبرها.

وروي ان عليا عليه السلام سوى قبرها مع الأرض مستويا، وقيل: سوى حواليها قبورا مزورة سبعة حتى لا يعرف احد قبرها، وروي انه رش اربعين قبرا حتى لا يبين قبرها من غيره من القبور خوفا من الاعداء[٤]. فلما اصبح الناس أقبل عمر وأبو بكر والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام.

فقال المقداد: قد دفنا فاطمة عليها السلام البارحة، قال العباس: انها أوصت ان لاتصليا عليها.

فقال عمر: والله لقد هممت أن أنبشها فأصلي عليها، فقال علي عليه

(١) (البحار: ٤٣ | ١٩٩).
(٢) (البحار: ج ٤٣ | ص ١٧٩)
(٣) (البحار: ٤٣ | ١٨٣).
(٤) (البحار: ٤٣ | ١٨٣).

السلام: والله لو رمت ذاك لارجحت اليك يمينك، لئن سللت سيفي لا أغمدته دون ازهاق روحك، فانكسر عمر وسكت وعلم ان علياً اذا حلف صدق[١].

وهذا يعني انهما ادركا مامعنى ان تدفن الزهراء ليلا ولا يصلي عليها احد!.

ولا بأس ان نستعرض بعض ردود الفعل تجاه ماقام به الشيخان، اذ يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في أمر فدك: وسألت علي بن الفارقيّ مدرّس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة عليها السلام صادقة؟

قال: نعم.

قلت: فَلِم لم يدفع إليها أبو بكر فَدَك وهي عنده صادقة؟

فتبسّم، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحُرْمته وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرّد دعواها لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيءٍ؛ لأنّه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود.

وهذا كلام صحيح؛ وإن كان أخرجه مخرج الدُّعابة والهزل[٢].

---

(١) (البحار: ٤٣ | ١٩٩).

(٢) (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٨٤).

٦- توجيه الناس الى مظلومية امير المؤمنين عليه السلام

وذلك من خلال عدة مواقف اهمها:

أ - لما أُستخرج أمير المؤمنين من منزله، خرجت فاطمة صلوات اللّه عليها خلفه، فما بقيت امرأة هاشمية، إلا خرجت معها حتى انتهت قريباً من القبر، فقالت لهم: خلوا عن ابن عمي، فو الذي بعث محمداً بالحق، لئن لم تخلوا عنه لأنشرن شعري ولأضعن قميص رسول اللّه، على رأسي ولأصرخن الى اللّه، فما ناقة صالح بأكرم على اللّه من ولدي.. فقال سلمان: فرأيت واللّه أساس حيطان المسجد تقلعت من أسفلها حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ، فدنوت منها وقلت: يا سيدتي ومولاتي إن اللّه تبارك وتعالى بعث أباك رحمة، الى ان قال سلمان: فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها.. فدخلت في خياشيمنا[١].

ب - روايتها للكثير من الاحاديث في فضائل علي عليه السلام ذكرنا بعضها ولا بأس أن نشير الى غيرها.

١ - عن أم كلثوم بنت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، عن فاطمة: بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم (من كنت مولاه فعلي مولاه)؟ وقوله صلى الله عليه وآله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)؟![٢]

---

(١) (الاحتجاج ج١ص١١٣ و١١٤).

(٢) (أسنى المطالب، لشمس الدين الجزري، ص٥٠).

ب – عن زينب ابنة علي، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أما إنك يا علي وشيعتك في الجنة[١].

ج – عن محمود بن لبيد قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كانت فاطمة عليها السلام تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك، فلما كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدها – صلوات الله عليها – تبكي هناك، فأمهلتها حتى سكنت، فأتيتها وسلمت عليها وقلت: يا سيدة النسوان قد والله قطعت أنياط قلبي من بكائك، فقالت: يا أبا عمرو لحق لي البكاء فلقد أصبت بخير الآباء رسول الله صلى الله عليه وآله، واشوقاه إلى رسول الله. ثم أنشأت تقول:

إذا مات يوماً ميت قل ذكره   وذكر أبي مذ مات والله أكثر

قلت: يا سيدتي إني أسألك عن مسألة تتلجلج في صدري، قالت: سل، قلت: هل نص رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته على علي عليه السلام بالإمامة؟ قالت: واعجباه أنسيتم يوم غدير خم؟ قلت: قد كان ذلك، ولكن أخبريني بما اسر إليك، قالت: أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: (علي خير من أخلفه فيكم، وهو الإمام والخليفة بعدي، وسبطاي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة).

قلت: يا سيدتي فما باله قعد عن حقه؟ قالت: يا أبا عمر لقد قال

---

(١) (دلائل الإمامة: ص٢ و٣. ومثله في (إحقاق الحق) ج٧، ص٣٠٧. و(ينابيع المودة) ص٢٥٧).

رسول الله صلى الله عليه وآله: مثل الإمام مثل الكعبة إذ تؤتى ولا تأتي – أو قالت مثل علي – ثم قالت: أما والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عترة نبيه لما اختلف في الله اثنان ولورثها سلف عن سلف وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين، ولكن قدموا من أخره الله، وأخروا من قدمه الله، حتى إذا ألحدوا المبعوث، وأودعوه الجدث المجدوث، اختاروا بشهوتهم، وعملوا بآرائهم، تبا لهم، أولم يسمعوا الله يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[١] بل سمعوا ولكنهم كما قال الله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٢]. هيهات بسطوا في الدنيا آمالهم، ونسوا آجالهم، فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم، أعوذ بك يا رب من الحور بعد الكور[٣].

د – إن سيدة النسوان فاطمة عليها السلام لما منعت فدك وخاطبت الأنصار، فقالوا: يا بنت محمد لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعلي أحداً، فقالت: وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذراً[٤].

هـ – في خطبتها التي ألقتها في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، على مسمع ومرأى من المسلمين وبضمنهم الحكومة الجديدة، فكان مما قالته: "أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟".

(١) (القصص، ٦٨).

(٢) (سورة الحج: الآية ٤٦).

(٣) (عوالم المعارف: ج١١، ص٢٢٨).

(٤) (الخصال، ج١، ص١٧٣).

وقالت أيضاً: "أبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض"[١].

وقد أشارت إلى أهمية الامامة فقالت عليها السلام: وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفرقة.

وهذا امر مهم للغاية في بيان امامة امير المؤمنين عليه السلام وبخاصة واننا اذا تتبعنا الاحداث فيما بعد نجد ان الخلفاء عموما سواء العباسيون أو الامويون ادعوا الامامة ظلما وعدوانا وذلك في مخطط التضليل الاعلامي الخطير الذي كان يهدف الى اسباغ الشرعيات على وجودهم في السلطة وسحب البساط عن اهل البيت عليهم السلام عموما. مثل هذا جرى كثيرا وهذه احدى الشواهد بين الامام موسى بن جعفر عليهم السلام وهارون العباسي حول فدك.

قال هارون للامام: «حُدَّ لي فدكا حتى أردّها اليك». ظنّ هارون أنه بذلك يستطيع أن يسلب آل البيت شعار ظلامتهم الذي طالما رفعوه مطالبين بفدك.

امتنع الامام في أول الامر، وحين أصرّ عليه هارون قال الامام: «لا أخذها إلا بحدودها.

قَبِل هارون بذلك، وبدأ الامام يذكر حدود فدك فقال: «أما الحد الاول فَعَدَن». وَعَدَن تعني نهاية الجزيرة العربية... تقول الرواية: فتغير وجه هارون وقال: إيها!. قال الامام: «والحدّ الثاني سمرقند» أي أقصى شرق حكومة

(١) (دلائل الإمامة، للطبري، ص١١٧ والاحتجاج، للطبرسي، ص١٣٧ وبحار الأنوار ج٢٩ ص٢٢٦).

هارون. فاربدّ وجه هارون. ثم قال الامام: «الحد الثالث أفريقية» أي أقصى غرب البلاد الاسلامية. فاسودّ وجه هارون وقال: هيه! ثم قال الامام: «والحدّ الرابع سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينية» أي أقصى شمال العالم الاسلامي آنذاك.

استشاط هارون غضبا وقال ساخرا: فلم يبق لنا شيء، فتحول الى مجلسي... أي اجلس على سرير الخلافة مكاني!

وتقول الرواية بعد ذلك: إن الامام قال: قد أعلمتك أنني إن حددتها لم تردّها، فعند ذلك عزم على قتله[١].

وقالت: ما الذى نقموا من ابي الحسن؟

نقموا والله منه نكير سيفه وقلة مبالاته لحتفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره فى ذات الله[٢].

ز- عن كتاب مصباح الأنوار للشيخ هاشم بن محمد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام:

«لما حضرت فاطمة الوفاة بكت، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: يا سيدتي ما يبكيك؟ قالت: أبكي لما تلقى من بعدي، فقال لها: لا تبكي فوالله إن ذلك لصغير عندي في ذات الله»[٣].

---

(١) (البحار ٤٨ / ١٤٤).
(٢) (المجلسي، البحار ج ٤٣، ص ١٦٠، اربلي، ج ١، ص٤٩٢ و٤٩٣).
(٣) (بحار الأنوار ج٤٣ ص٢١٨ ح٤٩).

ان الزهراء عليها السلام كانت قد علّمت الآخرين اهمية الدفاع والمحافظة على حياة الوصي ولهذا كانت هناك ثلة لا تترك الامام عليه السلام خوف الايقاع به، كما ان دفاع الزهراء عليها السلام عن علي عليه السلام كشف للآخرين اهمية الامامة وانها لا تقبل المساومة وان الشرعية السياسية لاتتم إلا بوجود الامام المنصوص عليه وبهذا فهي كيان مقدس لا يمكن استبداله.

٧- التوظيف السياسي للشعر

سيمر علينا في الدور الاعلامي ان الشعر هو احد الوسائل الاعلامية القديمة، فقد كان الشاعر هو الناطق الرسمي للقبيلة ولهذا اهتم اهل البيت عليهم السلام بدعم الشعراء الموالين لهم، في حين بذلت السلطات الاموال الكثيرة لكسب ألسنة الشعراء الداعين الى حكمهم. وعادة يكون الشعر اسهل حفظا وأعظم اثرا من النثر عموما وبخاصة اشعار الرثاء فإنّ تأثيرها عميق لا محالة.. وقد كان للشعر الحسيني دوره الكبير في نشر المعارف الحسينية وإماطة اللثام عن ظلم واستبداد الحكومات والحكام والخلفاء.

على هذا فقد كان للشعر صداه السياسي والمعرفي والاعلامي والتربوي، وقد كشف الشعر السياسي عن الكثير من الوقائع والاحداث، كما كان عاملا من عوامل انطلاق الثورات وبث الارادة لدى الشعوب كما قال الشاعر ابو القاسم الشابي:

اذا الشعب يوما اراد الحياة   فلابد ان يستجيب القدر

ولابـــــد لليـــــل ان ينجلـــــي　　　　ولابـــــد للقيـــــد ان ينكـــــسر

حيث اصبحت هذه الابيات نشيدا يردده الثائرون في كل ساحات التغيير والجهاد.. ولما نعود الى الزهراء عليها السلام نجد انها قالت جل اشعارها بعد رحيل ابيها صلى الله عليه وآله وسلم وكانت تبتغي تحريك المشاعر وتوظيفها في اطار خدمة مسيرة اهل البيت عليهم السلام ونصرة الولاية، ولهذا نجد ان للشعر الزهراوي مزاياه من حيث كونه مصدرا للعواطف النبيلة ومنبعا للفضائل الانسانية وهو ايضا حاكيا عن ظلم (الخلافة الراشدة) وشاكيا وجع الامة وانحراف مسيرتها، تقول عليها السلام:

قـــد كـــان بعـــدك أنبـــاء وهنبثـــة　　　　لـو كنـت شـاهدها لم تكثـر الخطـب

انـــا فقـــدناك فقـــد الارض وابلـــها　　　　واختـل قومـك فاشـهدهم فقـد نكبـوا

تجهمتنـــا رجـــال واســـتخف بنـــا　　　　بعـد الـنبي وكـل الخـير مغتـصب

قـد كـان جبريـل بالآيـات يؤنـسنا　　　　فغبـت عنـا فكـل الخـير محتجـب

وكنـــت بـــدرا ونـــورا يستـــضاء بـــه　　　　عليـك تنـزل مـن ذي العـزة الكتـب

فقـــد لقينـــا الـــذي لم يلقـــه أحـــد　　　　مـــن البريـــة لا عجـــم ولا عـــرب

ســـيعلم المتـــولي ظلـــم حامتنـــا　　　　يـوم القيامـة انـى سـوف ينقلـب

فسوف نبكيك مـا عشنا ومـا بقيت　　　　لنـــا العيـــون بتهمـــال لـــه ســـكب

وهذه الابيات قالتها امام الملأ بعد اكمال الخطبة، ومن البديهي ان كل حاضر كان من كان سيحس بمظلوميتها عليها السلام وألمها، وقد كان بالامكان ان تكتفي بالخطبة ولكنها آثرت ان تصب شكواها في هذا القالب

الشعري الذي يسهل حفظه ونقله وخزنه إضافة الى عمق تأثيره وهكذا جل الابيات التي اوردنا بعضها في الدور الثقافي انما كانت تنطلق من هذا التأثير.. تقول عليها السلام:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى ... إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صبت علي مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا
قد كنت ذات حمى بظل محمد ... لا أختشي ضيماً وكان حما ليا
فاليوم أخشع للذليل وأتقي ... ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
فإذا بكت قمرية في ليلها ... شجناً على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي ... ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا
ماذا على من شم تربة أحمدٍ ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا(١)

٨- الاحتجاج السياسي الخالد

وذلك من خلال وصيتها عليها السلام بعدم اعلان مراسم تشييع عامة لها ودفنها سرا! وهذا دليل على عدم رضاها عما فعله الشيخان بل على ماقدمته الامة ايضا من دعم لهما واهمال لحقها، فلقد أرادت عليها السلام ان تسجل الموقف تاريخيا ليتساءل المسلمون دوما عن قبرها وعن وفاتها السريعة بعد ابيها... و ليقول المسلمون كلما حلت بهم من ويلات ومصائب ان كل ما جرى لنا هو من السقيفة وبهذا مزقت الزهراء عليها السلام السقيفة تاريخيا

(١) (أعيان الشيعة) ج١، ص٣٢٣.

ونسفت كل ماتأسس فيها من ظلم لآل البيت عليهم السلام.

وهذه رسالة خالدة أوصلتها الزهراء عليها السلام الى الاجيال على مر التاريخ، ليبقى التساؤل مطروحا دائما اين هو قبر الزهراء عليها السلام؟ ولن تجد الاجيال على مدى التاريخ جوابا!!، ولقد كان قبر امير المؤمنين عليه السلام مُغيبا ولكن الله عرّف به كي تقصده الناس من كل حدب وصوب، لكن قبر الزهراء عليها السلام بقي سرا دفينا!! لانه يمثل الوجع الاول للامة، وهو يمثل ايضا ظلامتها بل هو ظلامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه أوليست هي عليها السلام ام ابيها وبهجة قلبه التي من آذاها فقد آذى رسول الله ومن آذى رسول الله فقد آذى الله ومصيره الى النار!!فكل عاقل يعلم ان بضعة المصطفى قد غاب قبرها ليعرف الناس ظلامتها دوما وابدا، ولهذا لم ينفع التأويل والتزييف الذي حصل فيما بعد في اقصاء الناس عن ساحة المظلومية والتي تستمر كنسيج متواصل مع مظلومية آل البيت عليهم السلام حتى تصل الى صاحب الامر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وسنمر على تفاصيل اكثر من خلال الدور الاعلامي.

الحركة الفاطمية تحت المجهر

المتتبع للحركة الفاطمية المطالبة بحقها في فدك وفي دفاعها عن الامامة يصل الى معطيات عدة اهمها:

قد تكون الظروف ضاغطة على الرجل ولا تسمح له بالتحرك ولكن حركة المرأة أيسر وأسهل مما يمنحها قوة التأثير بالشكل الذي يكون معبرا عن القضايا المطلوبة، وهذا ماوجدناه في حركة الزهراء عليها السلام، فالظروف لم تكن تسمح للإمام عليه السلام بأن يدخل في معترك مع أبي بكر لكنها كانت مناسبة جدا للزهراء عليها السلام.

وأنّ صبر أمير المؤمنين عليه السلام على القوم ما كان إلاّ بعهدٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر عند خذلان الأُمّة[1]، وأنّه عليه السلام كان يقول واصفاً حاله بعد البيعة: «فنظرتُ فإذا ليس لي معين إلاّ أهل بيتي، فضننتُ بهم عن الموت، وأغضيتُ على القذى، وشربت على

(١) (الاحتجاج | الطبرسي: ٧٥)

الشجا، وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمرّ من طعم العلقم»[١].

وقال عليه السلام: «وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أنّ الصبر على هذا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذىً، وفي الحلق شجىً، أرى تراثي نهباً... »[٢].

٢-ان المرأة والرجل كليهما مسؤولان عن صيانة الامة وحمايتها وحفظ رسالتها، ويبدو ان أبي بكر لم يكن يدور في خلده أبدا أن الزهراء عليها السلام ستدخل معه هذا المعترك القاسي وبهذا الشكل وامام الجماهير والناس كلهم لتكشف القناع عن الانحراف الذي بدأ يدب في جسد الامة، وقد تحدثنا سابقا ان مفهوم الدور ينطلق على ماقام به الشخص وما ينبغي القيام به وماهو متوقع منه وقد كان سحب الشرعية عن الخليفة الحاكم مما ينبغي القيام به ولكنه ربما غير منتظر أو هودور غير متوقع من الزهراء الزاهدة العابدة التي ترى ان افضل شيء للمرأة ان لا ترى رجلا ولايراها رجل!!، لأن التكليف واحد للمرأة والرجل على حد سواء.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

---

(١) (نهج البلاغة | صبحي الصالح: ٦٨ الخطبة ٢٦).

(٢) (نهج البلاغة | صبحي الصالح: ٤٨ الخطبة ٣).

(٣) التوبة ٧١.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أنّ عليّاً عليه السلام حمل فاطمة عليها السلام على حمارٍ وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة عليها السلام الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل)(١).

وأيضا في خصال الصدوق: أن فاطمة الزهراء لّما منعت فدكاً وخاطبت الأنصار، فقالوا: يا بنت محمد، لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لاَبي بكر ماعدلنا بعلي أحداً. فقالت: «وهل ترك أبي يوم غدير خمّ لأحد عذراً»(٢).

أو يقول الناس: لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به فقال علي عليه السلام: أكنت أترك رسول الله ميتاً في بيته لا أُجهزه، وأخرج إلى الناس أُنازعهم في سلطانه! وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»(٣).

إن الاعتراض والمطالبة بالحق والعدالة ليسا من شأن جماعة دون أخرى، بل من اختصاص كل شرائح المجتمع بما فيهم النساء لأنهن عنصر من عناصره بل ربما يشكلن السواد الاعظم والاخطر في موازين البناء الاجتماعي من حيث التأثير الآني والمستقبلي.

٣- اتبعت الزهراء عليها السلام كل الوسائل المتاحة لها في الدفاع عن حقها المغصوب في فدك وحق زوجها عليها السلام المغصوب في الامامة ابتداءً

(١) الخصال: ١٧٣.

(٢) (الخصال: ١٧٣).

(٣) (الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١: ١٢. وشرح ابن أبي الحديد ٦: ١٣).

من الكلمة واقامة البينة والحجة واستعمال اسلوب الخطاب الجماهيري في اشد الاماكن تأثيرا وهو المسجد النبوي الذي كان مكانا عاما يحضره كل المسلمين بلا استثناء، وهذا التنوع في الاساليب كشف من ناحية عن قوة شخصيتها عليها السلام وسعة آفاقها وكشف من جهة اخرى عن اهمية هذا التنوع من اجل زيادة مساحة التأثير والاثار، فربما كان هناك جمهور من المسلمين قد تأثروا بخطبتها في المسجد اكثر من اسلوب محاججتها وربما هناك من تأثر بمظاهر الحزن على ابيها اكثر من اي شكل آخر.

٤ـ لم تصب الزهراء بالتشنج امام مطالبة الخليفة اياها بالبينة والدليل على تملكها فدك! وهي الصديقة الصدوقة، بل سايرت الخليفة وجاءت بالشهود والبينة وامام كل المسلمين لئلا تبقى هناك حجة على احد ولكي تزيح الشكوك والاوهام من مخيلة المسلمين الآخرين بمعنى انها تمتعت بسعة صدر ومرونة في احتواء الاحداث كي تصل الى المبتغى.

وبعد خطبة فاطمة (عليها السلام) في المسجد وكلام أبي بكر ـ فقالت أم سلمة (رضي الله عنها) حين سمعت ما جرى لفاطمة (عليها السلام): ألمثل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقال هذا القول؟ هي والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس، ربيت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خيره نشأة، وربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ أفأنذرها وخالفت متطلبه؟ وهي خيرة النسوان

وأم سادة الشبان، وعديلة مريم، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، ويوسدها يمينه ويلحفها بشماله، رويدا ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمرأى منكم، وعلى الله تردون واها لكم، فسوف تعلمون. قال فحرمت عطاءها تلك السنة(١).

لقد أتمت السيدة فاطمة عليها السلام الحجة على الجميع، وأدت ما عليها من الواجبات، وسجلت آلامها في سجل التاريخ الطويل!.

ان مجرّد تكذيب الزهراء سلام الله عليها وعدم قبول قولها مصيبة عظمى وجناية كبرى ليس بحق الزهراء عليها السلام بل بحق الرسول والرسالة والاسلام كله فإذا كانت المرأة التي يغضب لغضبها الله تُكَذّب فما بال الآخرين!!.

عن عبدالرحمن بن عوف: أنّه سمع أبا بكر يقول في مرضه الذي توفي فيه: وددت أني لم أكن فتّشت بيت فاطمة وأدخلته الرجال، ولو كان أُغلق على حرب. وفي رواية: ليتني لم أكن كشفت بيت فاطمة عن شيءٍ، وتركته ولو أُغلق على حرب(٢).

٥ـ مواقف الزهراء عليها السلام عموما كانت مواقف شجاعة وجريئة ليس فيها اي تردد أو تراجع بل كانت مواقف صامدة وهذا الامر على الرغم

---

(١) (دلائل الإمامة للطبري ٣٩).

(٢) (المعجم الكبير | الطبراني ١: ٦٢ | ٤٣. وتاريخ الطبري ٣: ٤٣٠ حوادث سنة (١٣ هـ). وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٣٧. وكنز العمال ٥: ٦٣٢ | ١٤١١٣. وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٦ – ٤٧، و٦: ٥١. ومجمع الزوائد ٥: ٢٠٣).

من انها كانت في ظروف حرجة وصعبة للغاية من وفاة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم وحزنها ومرضها حيث تشير الروايات الى ان خطبتها في المسجد كانت بعد عشرة ايام فقط من وفاة ابيها.

وكانت عليها السلام الجريئة في طرح موقفها، وقالت لبعض هؤلاء: «لأدعونّ عليك في كل صلاة» وهذا التهديد من امرأة الى من جلس مكان ابيها وزوجها لعلامة كبرى على شجاعتها ورباطة جأشها.

٦- خطبتها في المسجد كانت لها اصداء واسعة من حيث التعريف بقضيتها وشخصها، فحتى الذي لم يلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسمع الاحاديث عن الزهراء عليها السلام فإنه يصل الى فهم اولي عن هذه الشخصية العظيمة من خلال ماتكلمت به والهيئة التي دخلت بها المسجد ومن خلال القضية نفسها.

٧- اصطحاب ابنتها زينب عقيلة بني هاشم عليها السلام معها الى المسجد كان اعدادا لها لادوارها المستقبلية القادمة من جهة، وهذه الصورة حافظت على نسائية الحدث فهي لم تأخذ الحسنين معها الى المسجد!، ومن جهة اخرى فاذا ما علمنا ان السيدة زينب عليها السلام هي احد رواة الخطبة ادركنا اهمية حضورها في هذا الظرف المفصلي.

٨- لقد كانت حركة الزهراء عليها السلام هي اول حركة نسوية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بل يمكن القول انها اول حركة اسلامية قوية ومؤثرة بعده صلى الله عليه وآله وسلم كما كانت خطبتها

كذلك، اضافة الى ذلك انها كانت حركة متعددة الاساليب والآثار بل ان اخفاء قبرها وعدم حضور المسلمين جنازتها ابقى مظلوميتها في قلب التاريخ والامة وجعل رسالة فدك تهز ضمير الامة، ومن ثم بقي الخلفاء فيما بعد يفكرون في اعادة فدك الى اهل البيت لكسب محبوبية الناس.

والى هذا يشير الشيخ حسين الكوراني قائلا (اي دور يمكن ان يكون اعظم من هذا الدور؟ لنفترض ان شخصا قام بانقلاب ويريد ان يقضي على ثورة عظيمة جدا وجاء شخص آخر ابطل مفعول هذا الانقلاب.. اولا يكون هذا الشخص قد قام بدور عظيم.. لقد أبطلت الصديقة الكبرى مفعول اخطر انقلاب في تاريخ البشرية ولولا ذلك لاستحكمت الفتنة وخيم الظلام[١].

٩- أرادت الزهراء عليها السلام من خلال مواقفها تعليم الامة كيفية الدفاع عن حقوقها وكيفية صيانة العقيدة وحمايتها والمحافظة على بيضة الدين وهي علّمت هذه الامور للرجال والنساء على حد سواء، وعلمت النساء بشكل ادق الامور الدينية والدفاعية والحقوقية وآليات المطالبة بها.. فقد ورد ان الناس لما اجتمعوا على ابي بكر قسم قسما بين نساء المهاجرين والانصار فبعث الى امراة من بني عدي قسمها مع زيد بن ثابت فقال: ماهذا؟ قال: قسم قسمه ابو بكر للنساء قال: اتراشوني عن ديني والله لا أقبل منه شيئا فردته عليه[٢].

---

(١) (الشيخ حسين الكوراني، في محراب فاطمة).

(٢) (ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ج١ص١٣٣).

١٠ـ انقسام الناس بين مؤيد للزهراء عليها السلام ومعارض لها، ونجد ان هذا الانقسام قد غزا البيت النبوي نفسه فشهدت عائشة بنت ابي بكر ضد الزهراء عليها السلام اما ام سلمة فقد وقفت الى جانب الحق الزهراوي!. كما عرضنا لذلك، فهذه المحنة كشفت النوايا والسرائر.

١١ـتكامل الادوار بين الجنسين

فنلاحظ ان عليا والزهراء عليها السلام كليهما قد قاما بدورهما في نصرة الحق وبذلا كل ما بوسعهما، فعلي عليه السلام يطوف مع الزهراء عليها السلام على بيوت الانصار والمهاجرين يذكّران الامة بوعد الغدير وبفدك وبمقام الزهراء، ونفس الشيء قامت به الزهراء من نصرة امير المؤمنين عليه السلام كدفاع علني عن خط الامامة الذي يبدأ من علي بن ابي طالب، وكان موقف الزوجين قويا جريئا ثابتا واضحا، وهذا يدل على ان الاساس في الشريعة هو قيام المرأة والرجل بأدوارهما المطلوبة لتحقيق استخلاف سليم على وجه الارض والفارق يكمن في الاساليب التي تتناسب مع مؤهلاتهما ووظائفهما الحياتية ومع ماهو متاح لكل منهما.

يقول السيد الحكيم:

(أما الزهراء (عليها السلام) فكان دورها استثنائياً؛ لأنَّها (عليها السلام) بالأصل غير مكلفة بالجهاد، ولكن وجدت أن علياً (عليه السلام) معرض للقتل، وكان من المحتمل أن يُقتل (عليه السلام) بسبب رفضه للبيعة. فالزهراء (عليها السلام) كان موقفها هو التظلم لعلي (عليه السلام)

ولنفسها، وكشف الحقيقة، الأمر الذي يصب في نفس موقف الإمام علي (عليه السلام) وهو تسجيل الرفض باتجاه الخلافة والأوضاع الجديدة.

فكلا الموقفين كان صلباً، غاية الأمر أن الزهراء (عليها السلام) قامت بواجبها ووظيفتها التي لم يكن من الممكن لعليّ (عليه السلام) أن يقوم بها؛ لأن شخصية الزهراء وظروفها كامرأة منتسبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، كان دورها – التظلم – يعطيها فرصة للحركة، وشيئاً من الأمان من القتل. وإن كانت لم تأمن الضرب والاعتداء والتجاوز، إلا أن موقفها كان يعطيها أماناً نسبياً من القتل(١).

١٢ – ان الزهراء عليها السلام نجحت في سحب الشرعية الدينية من الخلافة بشكل أو بآخر وهي بهذا كانت قد فصلت بين منهجين اساسيين.. الطريق الاول تمثل في العصمة الكاملة التي تبدأ من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى امير المؤمنين عليه السلام والى الائمة الاثني عشر عليهم السلام وهو طريق التكامل وهو صراط واحد غير مفترق وثابت ايضا الى يوم القيامة، والطريق الثاني هو منهج الخلافة (اللا معصومة) والقابل للخطأ (اخطأ عمر واصابت امرأة) وهو طريق غير ثابت وغير مستقيم وقد استهل اعماله باغتصاب الحق من اهله..

١٣ – وقد كانت النتيجة تأخير بيعة امير المؤمنين عليه السلام للخليفة الاول.

(١) [الحكيم، محمد باقر، فاطمة الزهراء عليها السلام].

ومن هنا نجد في الروايات أنّه ما بايع أمير المؤمنين عليه السلام حتى ماتت فاطمة عليها السلام، وكان له وجه في الناس طيلة حياتها، روى الزهري عن عائشة، أنها قالت: كان لعلي عليه السلام من الناس وجه في حياة فاطمة عليها السلام، فلمّا توفيت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عنه عند ذلك.

وقيل للزهري: فلم يبايعه عليّ حتى ماتت فاطمة عليها السلام؟ قال: ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي عليه السلام[1].

والمدة الزمنية مابين تولية الخلافة الى حين رحيل الزهراء عليها السلام كانت فرصة مناسبة لغربلة الامة من جهة وكشف من كان مع الامام ومن هو ليس في خط الامامة، كما كانت فرصة لبيان مظلومية الامام عليه السلام واهل البيت عليهم السلام عموما، وهي ايضا بيان وكشف لمقام الزهراء عليها السلام في حياة امير المؤمنين بل في حياة الامة كلها.

١٤-والسؤال هل نجحت الحركة الزهراوية؟

والجواب يكون حاضرا في وعينا الحالي.. فنحن بعد أربعة عشر قرنا على شهادتها نعيد في الذاكرة مظلوميتها ونفتش عن قبرها فيؤلمنا ان لنساء النبي قبوراً معروفة أما بضعته ومهجة قلبه فلا قبر معروفاً لها!!، وحينما نتبين الحقائق المُرة نحاول ان نصدق ماحصل! اذ كيف حصل كل هذا الظلم لسيدة

---

(١) (سنن البيهقي ٦: ٣٠٠. وشرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٦. وراجع صحيح البخاري ٥: ٢٨٨ | ٢٥٦ - كتاب المغازي - باب غزوة خيبر. وصحيح مسلم ٣: ١٣٨٠ | ٥٢ - كتاب الجهاد والسير).

نساء العالمين بعد رحيل المصطفى بأيام؟! فلا نتمالك انفسنا الا بالدعاء على من ظلمها عليها السلام وظلم آل البيت عليهم السلام بالويل والثبور، وهذا الفكر يجسده مئات الملايين من البشر منتشرون في كل اصقاع الدنيا وهذا بحد ذاته نجاح منقطع النظير، اضافة الى نتائج الموقف من التبصرة بالحقائق وتعلم آليات الدفاع عن الحق والجهر بالحق ولو على حساب الجسم والحياة وهذا كله نجاح خالد وابدي، بل ان نظرة سريعة للاحداث التي جرت بعد ذلك ومواقف السيدة زينب عليها السلام وباقي النساء في ارض الطفوف لهو مؤشر على نجاح الحركة الفاطمية بنفس الشكل الذي نجح فيه الامام الحسين عليه السلام، فالمعروف ان هدف ثورة الامام الحسين عليه السلام كان هو الانتصار للحق والامر بالمعروف واماطة اللثام عن الوجه الاموي المنحرف عن خط الرسالة، وقد نجح الحسين عليه السلام في ذلك على مدى الدهر وان كان عليه السلام قد فشل عسكريا بل ان النجاح العسكري لم يكن ضمن ماخطط له الامام عليه السلام امام اهدافه السامية، ونفس الشيء يُقال عن الزهراء عليها السلام التي قادت عملية استشهادية تعلم انها لاتغير الواقع الذي كان لكنه سيمهد لظهور الجماعة الصالحة المؤمنة بمظلومية آل البيت عليهم السلام فيكونون انصاراً لهم ولولدها الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في ثورته الكبرى.

اما على الصعيد الآني فالزهراء عليها السلام كانت قد اوقدت الجمرة الحارقة التي جعلت أبي بكر نفسه يتمنى لو لم يفعل ذلك:

.. فقالت (عليها السلام): نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني.

قالا: نعم، سمعنا، من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قالت: فإني أُشهد الله وملائكته، أنكما أسخطتماني، وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأشكونكما إليه. والله لأدعون الله عليك في كل صلاة.

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة!

ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله، لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها. ثم خرج باكياً... الخ[(١)].

لقد اثبتت الزهراء عليها السلام في محاججتها امام الملأ قصور الخليفة في الفهم المطلوب وأثبتت خطأ مابرّره من ان (معاشر الأنبياء لا يورثون) بمعنى ان هذا البيان زاد من تعريف المسلمين بقصور الوعي عند الخليفة وتكامله عند آل البيت عليهم السلام وهذا كشف مهم ليس للامة فحسب بل للتاريخ وللاجيال كلها وقداستطاعت الزهراء عليها السلام ان تحركه في اتجاه تعاطف الامة معها وباتجاه مظلومية آل البيت عليهم السلام وهو الذي ابقى اوج فدك مستعرا في النفوس.

---

(١) (الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: ١ / ٢٠).

كما ان الزهراء عليها السلام كانت قد ضخت الامة بروح تعبوية اولية ربما ماكان هناك من يعير لها اهمية ولكن كانت البداية، وهذه الروح التعبوية استطاع علي عليه السلام ان يظهرها كمكون اجتماعي واضح لعب دورا في الثورة الحسينية فكانت التعبئة الخالدة للامة على مفاهيم التضحية والايثار والفداء.

١٥ - اما الشيء الاخير فهو ترسيخ المشاركة السياسية للمرأة، فقد استدل علماء مدرسة اهل البيت عليهم السلام على جواز المشاركة السياسية للمرأة من خلال الدور السياسي للزهراء عليها السلام، ولهذا لانجد المرأة الموالية انها كانت قد عاشت ازمة الحق السياسي أو ازمة الدور السياسي التي عاشتها باقي النساء والتي ناضلت من اجلها الحركة النسوية العالمية ضمن الموجة الاولى الى قرابة قرن من الزمان لكنها لم تصل الى تفعيل الدور السياسي والوظائف السياسية للنساء بالشكل المطلوب، ويكفي ان نطل على التاريخ لنجد الدور الزينبي في واقعة الطفوف يتألق في المشهد العام للثورة.

ولا بأس من اشارة حيث ان السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله ينظر الى ان ادوار الائمة في الحياة السياسية تدور في اربعة محاور هي:

ا- تربية الامة على كراهة الظلم

ب-المقاطعة

ج-الثورة واسناد الثوار واستعمال القوة

د- المقاومة السياسية

وهذه الأدوار هي الاطار العام الذي رافق مسيرة اهل البيت والزهراء عليها السلام من بينهم فهي عليها السلام تجتمع معهم في كل الامور ماعدا المقاومة المسلحة غير ان دورها تأسيسي وهو الفيصل والمنطلق باعتبار انه فاتحة الادوار الاخرى. فنحن نرى ان تربية الامة على كراهة الظلم كان قد بدأ منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه لم يكن بذلك الوضوح التام، فالمسلمون المهاجرون تعرضوا للظلم من قبل قريش وحاربوها ولكن جاء عفو الطلقاء كمنهجية مطلوبة لوقتها اما فهم الامة الواسع للظلم بمعنى انه استبعاد الوصي ومصادرة الحقوق وغيرها، فإنه يبدأ منذ قيام الزهراء عليها السلام بدورها العظيم في بيان مظلومية امير المؤمنين عليه السلام وكل آل البيت عليهم السلام واهمية نُصرة المسلمين له وهذا الدور بالذات يلتقي مع احد اهداف الثورة الحسينية.

أما المقاطعة فقد أشرنا اليها سابقا وهو ايضا احد الادوار التي مارسها الائمة عليهم السلام طيلة مسار حياتهم فقد كانو دوما مقاطعين للحكومات.. فعندما أرسل المنصور العباسي للإمام جعفر الصادق يقول له: – لماذا لا تغشانا – أي لا تزورنا – كما يغشانا الناس؟ فكتب الإمام جعفر الصادق للخليفة يقول: أما بعد فليس عندي من الدنيا ما أخاف عليه، وليس عندك من الآخرة ما أرجوك له.

وهو ايضا يأخذ له بداية من منهجية الزهراء عليها السلام في مقاطعة الشيخين حتى الممات كما رأينا.



الدور الاعلامي

يُعـرّف الاعـلام بانـه (تزويـد النـاس بالاخبـار الـصحيحة والمعلومـات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأيٍّ صائب في واقعة مـن الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الـرأي تعـبيراً موضـوعياً عـن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم[1].

فالإعلام هو نقل المعلومات والمعارف، والثقافات الفكريـة والـسلوكية، بطريقة معينة، عبر أدوات وسائل الإعلام والنشر، بقصد التأثير.

والاعلام"هو التعريف بقـضايا العـصر وبمـشاكله، وكيفيـة معالجـة هـذه القضايا في ضوء النظريات والمبادئ التي اعتُمدتْ لدى كل نظام أو دولة، مـن خلال وسائل الإعلام المتاحة داخلياً وخارجياً، وبالأسـاليب المـشروعة أيـضاً لدى كل نظام وكل دولة"[2].

ويذكر ابن منظور أن الإعلام بمعنى التبليغ، ويقال: بلّغتُ القـوم بلاغـاً أي أوصلتهم الشيء المطلوب.

(١) (الاعلام له تاريخه ومذاهبه، د. حمزة عبد اللطيف ص٧٥).

(٢) (الإعلام في ضوء الإسلام، د. عمارة نجيب ص ١٦).

وفي الوسيط "ع ل م": علم الشيء علماً: عرفه

وفي القرآن الكريم ﴿لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾. وع ل م الشيء، وبه: شعر به ودري.

وفي الاية" ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين". وأعلم فلان الخبر، وبه: أخبره به على هذا فالاعلام هو عملية نقل ونشر وعرض للمعلومات والحقائق عبر الاستفادة من وسائل معينة وآليات موجودة وهناك غاية من خلال هذا النشر والعرض الا وهي التأثير في الطرف الآخر المتلقي للمادة المعروضة.

وقد يكون الاعلام ايجابيا يهدف الى نشر الحقائق والقيم الايجابية والمثل السامية وقد يكون على العكس من ذلك بعيدا عن النزاهة والصدق والامانة ويروج لمفاهيم سلبية كما هو الحال في كثير من مناهج الاعلام المعاصر التي تعتمد على الاثارة الغريزية وعلى تشّيء المرأة وعرضها بشكل سلعي وسوقي اكثر مما هو انساني!!.

والإعلام الإسلامي هو: "تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة، بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب، يعي الحقائق الدينية، ويدركها، ويتأثر بها في

معتقداته وعباداته ومعاملاته[1].

وقد اعتمد الاعلام الجاهلي على آليات الاتصال اللفظي وغير اللفظي حيث كان الشعر والخطابة والاسواق المزدهرة في مواسمها هي وسائل الاعلام انذاك اضافة الى الخطابة التي كانت تأتي في الدرجة الثانية بعد الشعر، اما في صدر الاسلام فقد أُضيفت لذلك وسائل اخرى منها ارسال البعثات والوفود الى الدول الاخرى والرؤساء والملوك (د. عبد اللطيف حمزة، الاعلام في صدر الاسلام).

والاعلام في العصر الجاهلي كان يتحرك مع التجارة التي تنطلق في رحلتي الشتاء والصيف اضافة الى حركة السفر وقد كان هناك اعلام عام عن قرب ظهور نبي عند اليهود الذين كانوا في المدينة وانتشر اعلامهم الى خارج المدينة، وكانت وسائل الاعلام تمثل الخبر المنقول شفهيا والقصيدة الشعرية، فالشاعر كان يقوم مقام الصحيفة بالنسبة للاحزاب في الوقت الحاضر فهو الناطق الرسمي عن قبيلته وهوالمناضل عنها بشعره وهوالمحفز لها في اوقات الحروب.

واسواق العرب ايضا كانت محطات اعلامية للالتقاء ونقل الاخبار واقامة المباريات الشعرية ومنها سوق عكاظ وسوق دومة الجندل والمربد وحتى المنازعات بين القبائل كانت تُفض في الاسواق وكان هناك اسلوب المناداة في الاسواق والاماكن المكتظة وهي عادة بقيت وربما مازالت في بعض القرى

---

(١) (الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيي الدين عبد الحليم، (ص: ١٤٧).

النائية، وكانت دار الندوة محطة اجتماع القبائل واصحاب النفوذ لحل المشكلات واقرار الاحلاف والمواثيق كحلف الفضول.

وفي الاسلام تطورت وسائل الاعلام فتقدمت الخطابة على الشعر وكان لنزول آيات القرآن بشكل تدريجي اعلان واعلام عن آخر التطورات النزولية أو الدينية أو الفكرية أو الحياتية وكلها اسماء وعناوين صحيحة (للمزيد راجع د. عبد اللطيف حمزة، الاعلام في صدر الاسلام، والذي يرى ان الايات القرآنية تمثل سيلاً اعلامياً عاكساً لفكر الهداية والقيم والدعوة في القرآن الكريم وكذلك الاحاديث النبوية)، ثم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يستفيد من المناسبات والاحداث فيقول الاحاديث التي تدخل ضمن سُنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي ايضا تشمل آخر المستجدات على الساحة النبوية والجهادية فالحديث النبوي كان هو الآخر وسيلة خبرية واعلامية موجهة ومؤثرة ومتميزة.

وقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الأذان كوسيلة للاعلان عن موعد الصلاة أو لتحشيد الناس في الظروف الحرجة.

ويمكن القول ان هناك مسارين اعلاميين فيما يخص الزهراء عليها السلام:

المسار الاول يشمل الاساليب والآليات التي اعتمدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتسليط الضوء على الزهراء عليها السلام نفسها.

أما المسار الثاني فيشمل الاساليب والوسائل التي اعتمدتها الزهراء عليها السلام في التبليغ والدعاية ونصرة الرسالة.

المسار الاول:

١- الروايات والاحاديث

اعتمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم آلية اعلامية في تسليط الاضواء على الزهراء عليها السلام نفسها من خلال الاحاديث التي قالها صلى الله عليه وآله وسلم ومن خلال ارسال الفقراء الى بيتها ومتابعة الحدث وعرض النتائج بعدها كما في رواية التصدق بالعقد(التي ذكرناها في الدور الاجتماعي). وايضاً من خلال اشراكها في الامور المهمة كفتح مكة والمباهلة والتي جاءت كعرض الهي للتعريف بالشخصيات الافضل التي كانت موجودة في ذلك الوقت، والمراد بتعريفها ليس فقط آنيا بل على مدى الزمان والقرون بأن هذه هي افضل الشخصيات التي كانت في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

عن سلمان الفارسيّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا سلمان، مَن أحبّ فاطمة ابنتي فهو في الجنّة معي، ومَن أبغضها فهو في النار.

يا سلمان، حُبّ فاطمة ينفع في مئةٍ من المواطن، أيسر تلك المواطن: الموت، والقبر، والميزان، والمحشر، والصراط، والمحاسبة. فمَن رضِيَتْ عنه ابنتي فاطمة رضِيتُ عنه، ومَن رضيتُ عنه رضيَ اللهُ عنه، ومَن غضِبت عليه ابنتي فاطمة غضبتُ عليه، ومَن غضبتُ عليه غضب الله عليه.

يا سلمان، ويلٌ لَمن يظلمها ويظلم بَعلَها أميرَ المؤمنين علياً، وويلٌ لَمن يظلم ذريّتَها وشيعتها[١].

ولا ننسى ان لصوق بيت الزهراء عليها السلام بالمسجد النبوي قد ساهم في تعريفها اعلاميا من خلال معاناتها ومساعدة الصحابة لها وكذلك - وهو الاهم- من خلال سد ابواب المسجد من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا باب الزهراء عليها السلام والاعلان بأن هؤلاء هم اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

روى الترمذي في صحيحه بسنده عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم، أمر بسد الأبواب، إلا باب علي عليه السلام[٢].

وروى الإمام أحمد في مسنده بسنده عن ابن عمر قال: كنا نقول زمن النبي صلى الله عليه - وآله - وسلم: رسول الله خير الناس - إلى أن يقول: ولقد أوتي ابن أبي طالب رضي الله عنه، ثلاث خصال، لأن تكون لي واحدة منهن، أحب إلي من حمر النعم، زوجه رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم، ابنته وولدت له، وسد الأبواب إلا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر[٣].

وفي الرواية:

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ بيد فاطمة عليها

---

(١) (البحار: ٢٧ / ١١٦ ح ٩٤، ورواه الخوارزمي في مقتل الحسين: ١ / ٥٩. القندوزى، ينابيع المودة: ٢٦٣).

(٢) (صحيح الترمذي ٢ / ٣٠١).

(٣) (مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٦).

السلام وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي الذي بين جنبيَّ، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله جلّ وعلا[1].

وتعريفها للامة بهذه الصورة هو بيان لمقامها واذا سلمنا ان الاحاديث النبوية كانت وسائل اعلامية لتسليط الضوء على امور مهمة (راجع د. عبد اللطيف حمزة، الاعلام في صدر الاسلام) فمعنى ذلك ان منهجية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت تتطلب بيان نقاط التميز للزهراء عليها السلام عن غيرها وان موقف التعريف في الرواية يشبه الى حد كبير موقف التعريف بالوصي في بيعة الغدير.

يقول السيد منير الخباز في احدى محاضراته المنبرية:

ما معنى أن يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم آخذاً بيد فاطمة عليها السلام؟! إن عمله هذا كعمله في حق عليٍّ يوم الغدير، حيث أصعد ذلك الرجل الفريد معه على المنبر، وأخذ بيده ورفعها!

وفي هذا اليوم عندما خرج آخذاً بيد فاطمة المرأة الفريدة في العالم، قال: من عرفها فقد عرفهاومن لم يعرفها فليعرفها!

لاحظوا كيف قدمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الأمة، وعرفهم مقامها درجةً درجة!

إن لكلامه صلى الله عليه وآله وسلم في أنفس مستمعيه وقارئيه جاذبيةً

(١) (مناقب ابن شهر آشوب: ٣/ ٣٣٢).

خاصة منوعة! في المرتبة الأولى قال: بضعةٌ مني لاحظوا كلمة (بضعة) ثم انتقل الى الأعلى الى المرتبة الثانية فقال: (وهي قلبي الذي بين جنبيّ)! وعندما يقول النبي (أنا) فالأنا هنا غير كلمة بدني، فالبدن مضاف وضمير المتكلم مضاف اليه هنا تعابير خاصة: بضعةٌ مني، وهي أبلغ من بضعة من بدني، وقلبي الذي بين جنبي غير قلبي، إنها قلب بين جنبي الشخص الذي (إنيته) مبدأ ومنشأ لكل الفضائل البشرية!

وهذه الرواية تستحق التأمل فمن باب ان النبي يأخذ بيد ابنته ويطوف عليها امام الناس ليعرفهم بها وبمناقبها وهو شيء لم يحصل حتى في مجتمعاتنا التي يخفي البعض فيها اسم الاخت ويكتفي بالقول رضيعتي!!.. وهو اراد ان يعّرف بها وبفضائلها ولا ادري هل كان يريد ذلك لخلق الاستعداد النفسي لدى الامة لما يحصل مستقبلا؟ الله اعلم.

الفتاة إنسان، والإنسان شريك في بناء الحضارة، وفي بناء الحياة يجب أعداد الفتاة منذُ صغرها على أنها شخصية قادرة على بناء الحضارة، وعلى بناء الإنسان، وعلى بناء الحياة بشتى ألوانها تماماً إلى جانب الرجل...

النبي أقحم الزهراء في قلب الأحداث، النبي أقحم الزهراء في قلب المعركة التي يخوضها من أجل تبليغ رسالته، النبي صنع من الزهراء شريكاً في بناء الدولة الإسلامية، النبي صنع من الزهراء عضواً فاعلاً في بناء كيان الدولة الإسلامية آن ذاك الزهراء عانت مع النبي كل ألامه.

وقد سُئلت عائشة: أيُّ الناس كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه

وآله؟ فقالت: فاطمة، فقيل لها: مِن الرجال؟ قالت: زوجُها، إن كان ما علمتُ صَوّاماً قَوّاماً[(١)].

عن الإمام الباقر عليه السلام ـ في حديث ـ قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً ويقيناً إلى مشاشها، ففرغت لطاعة الله»[(٢)].

وعن الامام الحسين عليه السلام، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والائمة من ولدها امناء ربي وحبله الممدود بينه وبين خلقه من اعتصم به نجا ومن تخلف عنه هوى[(٣)].

واقول: اننا لو جمعنا كل الاحاديث التي قالها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الزهراء عليها السلام مضافا اليها الآيات القرآنية التي نزلت فيها جمعناها جمعا مباركا لا نجد له مثيلا في اي امراة اخرى بل ربما اي رجل غير علي عليه السلام واولاده!!.

وفي الرواية.. قالت ام سلمة: تزوجني رسول الله وفوض امر ابنته اليّ وكانت والله آدب مني واعرف بالاشياء وكيف لا تكون كذلك وهي سلالة الانبياء[(٤)].

---

(١) (الاستيعاب ٧٥١: ٢، الصواعق المحرقة لابن حجر المكّي الشافعي: ٧٢).

(٢) (دلائل الإمامة | الطبري: ١٣٩ | ٤٧. والمناقب | ابن شهرآشوب ٣: ٣٣٧).

(٣) (المجلسي، البحار ١٠: ٢٣ ح ١٦).

(٤) (دلائل الامامة: ٢١/٨١).

ويكفي ان نعرف ان مجرد تفويض امر الزهراء عليها السلام الى ام سلمة هي بمثابة قراءة لهذه الشخصية العظيمة ولكن من باب آخر يزيدها تعريفا لدى الآخرين.

ان هذا الاسلوب الاعلامي في التعريف كان قد اتبعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك المعصومون كلهم لما فيه من اهداف وآثار تعليمية ودعائية وتوجيهية وهو نفس الاسلوب الذي اتبعه بنو أمية في ترويج المفاهيم الخاطئة كالتي تبرر سبَّ علي عليه السلام أو اعلاء شأن بني امية مع الفارق ان ما استند عليه بنو امية كان كاذبا مختلقا يهدف الى طرد واقصاء اهل البيت عليهم السلام عن وعي الامة.

فقد روي أن معاوية كان قد أعطى سمرة بن جندب من بيت المال مائة ألف درهم على أن يخطب سمرة في أهل الشام ويشهد كذباً بأن قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾[1] أنها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) وآية: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾[2].

فلم يقبل سمرة هذا العرض، فبذل معاوية له مائتي ألف درهم، فرفضها، فبذل له أربعمائة ألف درهم، فقبل، وخطب بها فيهم[3].

---

(١) (سورة البقرة: ٢٠٤)

(٢) (سورة البقرة: ٢٠٧).

(٣) (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤ ص ٧٨ فصل في ذكر المنحرفين عن علي (عليه السلام)، والمناقب ج١ ص ١١٠ فصل في معجزات أقواله (عليه السلام).

روى ابن أبي الحديد عن أبي جعفر الاسكافي وقال: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه... منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير، روى الزهري: أنَّ عروة بن الزبير حدّثه قال:

حدّثني عائشة، قالت: كنت عند رسول اللّه إذ أقبل العبّاس وعليّ، فقال: يا عائشة! إن هذين يموتان على غير ملّتي، أو قال: ديني[1].

وهذه احاديث خطيرة تركت آثارها حتى الان وهي اشارة واضحة الى تأثير الحديث النبوي في الاعلام من حيث انه يمكن تحريفه وتأويله وتغييره بالصورة التي لا يمكن التلاعب بالاية القرآنية بهذا الشكل اللهم الا في التأويل كما في رواية سمرة بن جندب، فهناك اذن ثورة بيضاء تعتمد الصدق والحق والدعاية البيضاء والعكس في الثورة السوداء التي تستند على دعاية سوداء بعيدة كل البعد عن الصدق والنزاهة.

وهذه الحالة الاعلامية موجودة في عصرنا، فما اكثر ماتُشترى الاقوال والصحف ووسائل الاعلام فهناك صحافة مأجورة واخرى مُسَيَّسَة واخرى كاذبة واخرى محاصرة مجهض عليها لانها اللسان الناطق بالحق.

---

(١) (شرح النهج، ابن ابي الحديد، ط١. مصر ا ج١ ص ٣٥٨).

٢- المباهلة

وقد مررنا على المباهلة في الدور السياسي، وقدحدثت واقعة المباهلة حينما كان هناك وفد من نصارى نجران جاءوا لمناقشة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما تعرضه الايات المباركة حول عيسى عليه السلام.

وفي تفسير العياشي، بإسناده عن حريز عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) سئل عن فضائله فذكر بعضها ثم قالوا له زدنا فقال إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتاه حبران من أحبار النصارى من أهل نجران فتكلما في أمر عيسى فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ إلى آخر الآية فدخل رسول الله فأخذ بيد علي والحسن والحسين وفاطمة ثم خرج ورفع كفه إلى السماء، وفرج بين أصابعه، ودعاهم إلى المباهلة، قال: وقال أبو جعفر (عليه السلام) وكذلك المباهلة يشبك يده في يده يرفعهما إلى السماء فلما رآه الحبران قال أحدهما لصاحبه: والله لئن كان نبيا لنهلكن وإن كان غير نبي كفانا قومه فكفا وانصرفا[١].

لقد كانت المباهلة مناظرة خطيرة استعد لها الرسول حينما جاء صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسنان والسيدة الزهراء عليهم السلام وامير المؤمنين عليه السلام الذي كان نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وشاركت الزهراء عليها السلام كممثلة عن (نساءنا) اي عن كل النساء المسلمات انذاك بما فيهن امهات المؤمنين!! وهذا دليل على افضليتها على

---

(١) (الطباطبائي الميزان ج٣ ص٢٢٩).

نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونساء المسلمين قاطبة، وهذا مؤشر على انها الاعلم والافضل والاكمل سلام الله عليها.

(ولو كان في الأمة الإسلامية من يساويهما لدعاه كما دعاهما ولما لم يكن في النساء من يقاس في بضعته الزهراء، نرى الرسول الأعظم يستغني بوجودها عن وجود غيرها، فكأنه صلى الله عليه – وآله – وسلم إذ دعاها دعا النساء جمعاء، لأنها أم الأئمة وسيدة نساء هذه الأمة[1].

٣- القدوة الحسنة

ويمكن القول ان كل ما ذكرناه اعلاه كان يهدف الى تسليط الضوء على بضعة المصطفى وسيدة نساء العالمين عليها السلام لطرحها (لوحدها من النساء) كقدوة مطلقة خالدة مدى الزمان فالزهراء عليها السلام حسب اية المباهلة التي نزلت في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي النموذج الاكمل للانسان وهي مثال الايمان الكامل والتقوى الرفيعة والسمو الاخلاقي وهي عليها السلام صاحبة الفضائل كلها وما نزول سورة الدهر والايات المتعلقة بالزهراء عليها السلام إلاّ إنعكاساً لبيان مقامها من لدن حكيم خبير والايات النازلة كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[2].

---

(١) (شرح احقاق الحق السيد المرعشي ج٢٤ ص٢ نقلا عن محمود شلبي في حياة فاطمة عليها السلام ص ٢٦٠ دار الجيل بيروت).

(٢) الرعد: ٢٩.

أخرج القندوزي في (ينابيع المودّة) قال: أخرج الثعلبي عن الباقر (رضي الله عنه) قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ فقال (صلى الله عليه وآله): «هي شجرة في الجنة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنّة.

فقيل له: يا رسول الله - صلى الله وعليه وآله - سألناك عنها فقلت: هي شجرة في الجنّة أصلها في دار عليّ وفاطمة وفرعها على أهل الجنّة؟

فقال: صلى الله عليه وآله: إنّ داري ودار عليّ وفاطمة واحد غداً في مكان واحد، وهي شجرة غرسها الله تعالى وتبارك بيده، ونفخ فيها من روحه، تنبت الحليّ والحلل، وإنّ أغصانها لترى من وراء سور الجنّة[1].

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[2].

أخرج أصحاب العديد من التفاسير نزول هذه السورة بشأن فاطمة الزهراء بنت الرسول سلام الله عليه وعليها ومنهم الفخر الرازي، في تفسيره الكبير، قال:

الكوثر أولاده صلى الله عليه - وآله - وسلم لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى: أنه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأبه[3].

(١) (ينابيع المودة/١٣١).

(٢) (الكوثر: ١).

(٣) (التفسير الكبير/ج٣٠/تفسير سورة الكوثر).

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[١].

عن أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام): ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٢].

﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى ﴾[٣].

قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال صلى الله عليه - وآله - وسلم (علي وفاطمة وابناهما).

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾[٤].

فقد روى الصدوق رحمه الله عن الريان بن الصلت عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: أدعوا لي فاطمة فدعيت له، فقال: يا فاطمة.

قالت: لبيك يا رسول الله، فقال: هذه فدك مما هي لم يوجف عليه بالخيل ولا ركاب وهي لي خاصة دون المسلمين وقد جعلتها لما أمرني الله تعالى به فخذيها لك ولولدك»[٥].

---

(١) الاحزاب ٣٣.

(٢) (أحمد بن حنبل، المسند، ٦ / ٣٢٣. الطبراني، المعجم الكبير، ٣ / ٥٣، ح / ٢٦٦٤). (أحمد بن حنبل، المسند، ٦ / ٣٢٣. الطبراني، المعجم الكبير، ٣ / ٥٣، ح / ٢٦٦٤).

(٣) (الشورى٢٣).

(٤) (الإسراء: ٢٦).

(٥) (عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج ٢، ص ٢١١).

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله عن علي بن أسباط قال لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي وجده يرد المظالم فقال له: «ما بال مظلمتنا لا ترد»؟!.

فقال له: وما هي يا أبا الحسن؟.

فقال: «إن الله عز وجل لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فدك وما والاها ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هم فراجع في ذلك جبرائيل عليه السلام فسأل الله عز وجل عن ذلك فأوحى الله إليه: «إن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام» فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لها: «يا فاطمة ان الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فدك.

فقالت: «قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك» فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

وأخرج الطبرسي في مجمع البيان عند تفسيره لهذه الآية فقال: المُحَدِّثون الأَثبَاث رَوَوا بالإِسناد إلى أبي سعيد الخدري أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ﴾، أعطى رسولُ الله فاطمة فدكاً، وتجد ثَمَّةَ هذا الحديث مِمَّا ألزم المأمون بِرَدِّ فَدَك على وُلد فاطمة (عليها وعليهم السلام).

وقد طرح الاسلام قدوته الزاهرة في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(١) (التهذيب للطوسي: ج ٤، ص ١٤٨).

واهل بيته عليهم السلام كقدوات مطلقة معصومة لا يمكن ان يصدر عنها الخطأ أو الضلال ابدا، وهي نماذج خالدة ومناسبة لكل عصر ومكان، وكان اسلوب القدوة هو احد الوسائل الاعلامية التي اتبعها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام ومازال الاعلام المعاصر يتبع هذا المنهج للتوجيه نحو نماذج معينة بقصد التأثير على المتلقي، حيث تسعى كل نظرية تربوية الى تقديم النموذج الذي يجسد افكارها واطروحتها ومن ثَم التاثير على الرأي العام من خلال قوانين الجذب، وكلنا يعلم كيف طرح الاعلام المعاصر صور ابطاله من الاباحيين والنساء السافرات مما ادى الى شيوع هذه الصفات وهذه النماذج في المجتمعات المسلمة وبسرعة وتمرد عجيبين!!.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام –ومازالو– هم القدوة الحسنة لهذه الامة على مر الدهور قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

وعموم القدوات – كما اسلفنا في الاصول التربوية عند الزهراء عليها السلام – تساعد على التعلم السريع وايصال الفكرة وتوضيحها وتصحيح الاخطاء فيها ولهذا فالقدوة الصالحة من عوامل الرقي والكمال والعكس صحيح أيضاً.

وقد اشار القرآن الى اسلوب القدوة قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى

---

(١) [الأحزاب: ٢١].

اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾[1].

.. ومن هنا ندرك لماذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد على الزهراء عليها السلام في الاحاديث التي اشرنا اليها.

وتعتبر القدوة وسيلة اعلامية وتربوية وثقافية فهي الاسلوب الصامت في التربية، وتعتمد على غريزة التقليد والمحاكاة وهي تُسهل عملية الاقناع أو الترويج لرأيٍ معين أو تبديل السلوك.

ان الزهراء عليها السلام لهي القدوة الكاملة ومواقفها في حياة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم وبعيد رحيله ومواقف نسائه معها واطلاع الصحابة على بعض شؤونها (تعبها وعناءها وثيابها) كل ذلك شكل زخما اعلاميا لها في زمن ابيها ومابعده.

ويمكن للقدوة ان تكون فاعلة ومؤثرة من خلال سيرتها وعلاقاتها مع الآخرين.

وقد مررنا على علاقتها بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم وزوجها عليها السلام واولادها واشرنا الى تعاملها مع الشرائح المختلفة من الناس بما في ذلك زوجات الرسول وباقي الصحابة وعموم نساء المسلمين ورجالاتهم، فلم تكن عليها السلام معزولة عن المجتمع فتحتاج الى آليات معقدة لاثبات وجودها أو التعريف بها فبيتها عليها السلام كان مقصدَ الفقراء والانصار والصحابة وبقية المسلمين رجالا ونساءً..

(١) الانعام الاية ٩٠.

المسار الثاني:

وهو يشمل كل ماقامت به هذه السيدة العظيمة من وسائل من اجل نصرة الدعوة الاسلامية والتعريف والدعوة والتبليغ لها، ولا يخفى علينا ان هذا الدور المهم هو نفسه الدور الذي قام به اهل البيت عليهم السلام عموما وعلى مدى تاريخهم بما يناسب العصر الذي كانوا فيه وماهو متاح لهم، فقد انبرى الامام زين العابدين عليه السلام بالدعوة الى الاسلام الحق عن طريق الدعاء وقام الامام الصادق عليه السلام بدوره التبليغي عن طريق النشر المعرفي، وكلا الدورين قامت بهما السيدة الزهراء عليها السلام في بداية الدعوة وبهذا فأن كل ما عرضناه من ادوار ومواقف وما سنعرضه لاحقا يدخل ضمن الدور الاعلامي التبليغي الذي قامت به سواء في تعليم المسلمين والمسلمات أو في التأصيل والتأسيس للقيم الجديدة أو في نصرة الرسالة وصيانة السنة النبوية والدفاع عن الامامة، فهذه كلها رسائل اعلامية تبليغية كان الهدف الاساس منها – بعد الرضا الالهي – هو التعريف بالرسالة والرسول والوصي والدعوة اليها وبيانها وهذا هو الهدف الاسمى في الاعلام الاسلامي الذي نراه حاليا.

والمسار الثاني يمر بمرحلتين ايضا: الاولى هي الدور الاعلامي لها في حياة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم وقد مر بنا، اما الثانية فهي الدور الاعلامي للزهراء بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو ماسنقف عنده ولا ننسى ان كل ما تطرقنا اليه سابقا ومانشبر اليه لاحقا يدخل ضمن هذا الدور

بما في ذلك اقوالها والاحاديث التي روتها، فاقوال الزهراء عليها السلام كانت وسائل تعليمية وترتبط باهداف الاسلام الاساسية في التبليغ ونشر الدعوة وكانت في اقوالها احيانا تحاول التركيز على فكرة معينة أو غاية معينة مثل الاحاديث الداعمة لولاية علي عليه السلام مثل حديث اللوح..

عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على مولاتي فاطمة عليها السلام وقدامها لوح يكاد ضوءه يغشي الأبصار، فيه اثنا عشر اسماً ثلاثة في ظاهره وثلاثة في باطنه، وثلاثة أسماء في آخره، وثلاثة أسماء في طرفه، فعددتها فإذا هي اثنا عشر اسماً، فقلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: هذه أسماء الأوصياء أولهم ابن عمي وأحد عشر من ولدي، آخرهم القائم (صلوات الله عليهم أجمعين). قال جابر: فرأيت فيها محمداً محمداً محمداً في ثلاثة مواضع، وعليا وعليا وعليا وعليا في أربعة مواضع[١].

عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه يقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً يسيراً، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي. ثم أخذ بيد علي فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض، فأسألكم ما تخلفوني فيهما[٢].

---

(١) (عيون اخبار الرضا ج١ ص٤١ ح١).

(٢) (ينابيع المودة: ص٤٠).

الدور الاعلامي للزهراء عليها السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة طفت على السطح الاحقاد الكامنة في النفوس وانشغل المسلمون عن دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانتخاب الخليفة بعده!!، رغم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد عين لهم الوصي كما هو من معروف من بيان حديث الغدير!!، ثم سرعان مااُخرج عامل الزهراء في فدك حيث تمت مصادرة فدك الامر الذي دفع بالزهراء عليها السلام الى تسخير قضية فدك للمطالبة بتنفيذ مابايع المسلمون عليه زوجها عليها السلام في يوم الغدير وصيانة الولاية المهددة بالخطر والدفاع عن ساحة الامامة المقدسة... كانت اياما ساخنة تمثل بداية الانحراف عن النهج المحمدي، فكان لابد من موقف قوي يشجب القرارات الظالمة ويكشف حقيقتها امام الملأ، والامر ليس باليسير خاصة وان الامة كانت قد اجمعت على محاصرة بني هاشم في شِعب ضيق كي تحقق طموحاتها التي ماكان بالامكان عرضها أو الاعلان عنها في

زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أبداً، وكان لابد لمن اراد ان يقوم بمهمة (ازاحة القناع) ان يتمتع بمواصفات من قبيل الشجاعة والجرأة والقوة في البيان والقدرة على المحاججة، وكان لابد وان يكون معروفا بالصدق لئلا يقولوا انّه كذّاب!، مضافا إلى ذلك ان الامر لابد وان يتم بعلانية مطلقة وامام الملأ كلهم كيلا تبقى هناك حجة لاحد، ولم يكن من يستطيع القيام بهذه المهمة سوى امير المؤمنين والزهراء عليهما السلام، فأمّا امير المؤمنين عليه السلام فكان من غير الصائب ان ينبري لهذا الامر اذ قد تؤدي المدافعة عن الحق الى سجالات كلامية وربما قتالية تُذهب بكل ماقام به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ايام حياته- كما عرضنا سابقا- ولذا لم يكن هناك غير الزهراء عليها السلام التي يمكنها ان تنبري لهذه المهمة الثقيلة وبكل ابعادها.. وهنا يبدو المشهد الاعلامي للزهراء عليها السلام حافلا بعدة وسائل وآليات كانت قد شكلت الاعلام المعارض للسلطة والذي مازال مستمرا حتى وقتنا المعاصر.

الوسائل الاعلامية عند الزهراء عليها السلام

تعددت الوسائل والآليات الاعلامية التي اتبعتها الزهراء عليها السلام في الدفاع عن حقها في فدك وحق زوجها في الولاية واهمها:

١ - النشر الاعلامي ٢ - البيان الاعلامي ٣ - الشعر ٤ - المقاطعة

٥ - البكاء ٦ - بيت الاحزان ٧- التعتيم الاعلامي.

١- النشر الاعلامي

حيث ان الزهراء عليها السلام انبرت للدفاع عن قضية الولاية وخطورة اغتصابها رغم ان الامر حصل ومازالت تربة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ندية لم تجف بعد!!، وهذه المبادرة السريعة انما كانت لبيان ان الامر لا يمكن السكوت عليه، فربما يتجاهل القوم الامر أو يتناسوه فلابد إذن من حملة اعلامية قوية تستهدف النشر الاعلامي الذي يساهم في الدفاع عن قضية الولاية وتسليط الضوء على نقاط الضعف عند الخلافة المغتصبة، ولابد ان يفهم المسلمون -على الاقل من كانوا في المدينة- ملابسات الامر فلابد اذن من ايضاح الحقائق لدى العموم.. ففي الرواية:

عن الإمام الباقر عليه السلام: «أنّ عليّاً حمل فاطمة على حمارٍ وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال علي: أكنت أترك رسول الله ميتاً في بيته لا أُجهزه، وأخرج إلى الناس أُنازعهم في سلطانه! وقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»[(١)].

ويذكر سلمان الفارسي أن أمير المؤمنين عليه السلام فعل ذلك ثلاث ليال متوالية، فلما لم يجد سوى أربعة أنصار فقط لزم بيته وأقبل على جمع

(١) (الإمامة والسياسة / ابن قتيبة ١: ١٢ مكتبة مصطفى بابي الحلبي - مصر. وشرح ابن أبي الحديد ٦: ١٣.١٠).

القرآن وتأليفه[١].

وفي رواية اخرى: فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار، والحسن والحسين (عليهما السلام) معها، وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار، انصروا الله، فإني ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم بايعتموه: أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، ففوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيعتكم[٢].

ويبدو الامر شاقا خاصة مع الاحداث التي توالت على الزهراء عليها السلام لكن الامر كان ضرورة مُلحَّةً، وبهذا الدوران الطويل على بيوت الانصار تكون قد تمت الحجة على القوم وانكشف ماكان خافيا الامر الذي جعل الامام علي عليه السلام (فلما لم يجد سوى أربعة أنصار فقط لزم بيته وأقبل على جمع القرآن وتأليفه).

ويمكن القول ان الزهراء عليها السلام كانت قد حاولت من خلال حملتها الاعلامية اعادة الناس الى باحة الوصية يوم الغدير، وقد آثرت ان تطوف عليها السلام على بيوت الانصار تسألهم عن حقها وتذكّرهم ببيعة الغدير، وهو اسلوب قديم في الاعلام يسمى المناداة.. اذ كان الملوك والحكام يرسلون (مناديا) ينادي في المدن والامصار لإعلام الناس بآخر المستجدات، ومهمة المنادي ان يطوف على البيوت والازقة لتعريف الناس، فالمعنى ان

---

(١) (كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٥٨٠).

(٢) (جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة الامام علي عليه السلام ج١٠ ص٩١).

الزهراء عليها السلام كانت قد استفادت من هذه العادة الرائجة للنشر الاعلامي والحملة الاعلامية، والمناداة وسيلة قديمة حيث يركب الراكب ويطوف على الناس مخبراً اياهم بالاحداث الهامة والقرارات الجديدة والتعليمات.

٢- البيان الاعلامي

وذلك من خلال خطبتي الزهراء عليها السلام، تعتبر الخطبة من اقوى وسائل الاعلام والدعاية والاتصال وللتاثير على الناس في مشاعرهم واقناعهم بالافكار الجديدة، وهي فن مخاطبة الجمهور، وهي الكلام البليغ الذي يلقيه الخطيب الى جمع من الناس بهدف تغيير الاتجاهات والعقائد والميول ولهذا لابد ان تكون قوية ومؤثرة.

والخطب بأنواعها ذات آثار كبيرة على المستمعين لها سواء ولاءً أو اعراضاً أو شجباً أو تأييداً أو تفاخراً الى غير ذلك، وقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم – وكذلك اهل البيت عليهم السلام – اعتماداً كبيراًعلى الخطابة في نشر الدعوة وفي شرح تعاليم الدين والتبليغ للقضايا المهمة الى غير ذلك من الاهداف والغايات الكبرى.. وخلاصة القول اننا حين نتحدث عن الخطبة النبوية فإنما نتحدث عن قوة من قوى الاعلام تأتي في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم والحديث الشريف[1].

وقد حفل التاريخ بخطب كثيرة للرسول واهل بيته عليهم السلام ونجد

(١) (حمزة عبد اللطيف، الاعلام في صدر الاسلام ص ١٦٩).

في نهج البلاغة الكثير منها وخَطَبَ الامام الحسين عليه السلام عدة خطابات في يوم العاشر لدعوة الناس الى القتال معه ونصرته والتخلي عن سفك دمه.

وكان سوق الخطابة مزدهرا في العصر الجاهلي وكذلك في صدر الاسلام بل بقي شأنها في كل ثورة حدثت على وجه البسيطة حتى وقتنا المعاصر، وقد بلغت من الاهمية في العصر النبوي بحيث تقدمت على الشعر نفسه.

و الخطبة لا تكون مؤثرة الا اذا كان الخطيب اكثر القوم فصاحة وبلاغة واكثرهم منطقا ولسانا وهو يجيد فن الخطابة والالقاء، جريء النفس رابط الجأش لا يتلعثم ولا يتردد ولا يتراجع عن أيٍّ من بياناته مهما كان موقف الناس منه. ولابد ان يكون الخطيب على بينة بما يدعو اليه وعلى وعي بمستوى تقبل الجمهور الذي يخاطبه.

ولما نعود الى خطبتي الزهراء عليها السلام (اللتين ذكرناهما في الدور السياسي) فنحن نحتاج الى اكثر من وقفة تأمل مع الخطاب الفاطمي.

فقد القت الزهراء عليها السلام خطابها علانية امام الجمهور المسلم المحتشد في المسجد النبوي، وارادت عليها السلام من خلال ذلك ايصال رسالة الى كل الناس الحاضرين الذين سينقلون الكلام الى الغائبين والبعيدين في باقي بلاد المسلمين، وكان بالامكان ان تكون هناك جلسة سرية يُناقش فيها الامر لكن ماكانت تريده الزهراء عليها السلام اعظم من ذلك بكثير.

وعادة تعتمد الخطبة على مقومات سنقوم بعرضها متواكبة مع الخطاب الفاطمي واهمها:

١ - فن التوقيت: حيث القت الزهراء عليها السلام الخطبة في وقت ازدحام الناس في المسجد والخليفة جالس وسطهم.

٢ - زمن الخطبة: وقت الخطبة كان قصيرا فهي عليها السلام لم تتحدث لساعات كي يمل السامع ويضّيع بملله الخطوط الاساسية فيها، ولم يكن وقت الخطبة ضيقا فلا يصل الجمهور الى فهم المعنى والمطلب، بل تكلمت لوقت مناسب وهذا مهم لانه يوصل الرسالة الاعلامية بشكل يحافظ فيه على ذهنية السامع بحيث تبقى مستيقظة فيستمر في تلقي الرسالة دون تعب ودون شعور بالملل.

٣- العامل المكاني فقد كانت في المسجد النبوي الذي بناه ابوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي ابنته وشجنة قلبه، واختيار المكان جعل مساحة التأثير اكبر فهي ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي لولاه لما عُرف الاسلام اصلا!وهي المغصوب حقها وحق زوجها والغاصبون في المسجد يتعبدون امام الناس!!.

٤ - هيئة المتكلم: والاعلام يكون مؤثراً اذا جاء مع هيئة مؤثرة فلا فائدة في ان اتكلم عن خبر حزين مع هيئة مفرحة، ولهذا بانت رعاية الزهراء عليها السلام لمظهرها حتى [ان الرائي حينما نظر اليها وهو على علم بانها ذاهبة الى مسجد ابيها انشّد الى مظهرها ومشيتها التي تشبه مشية النبي والرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم] وفي ذلك تأكيد وتذكير على ابوته صلى الله عليه وآله وسلم لها من خلال الصورة والمظهر، تماما كما هو الحال

عند الامام الحسين عليه السلام لما خرج يوم العاشر مرتديا عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما انها احكمت الحجاب فمن المعلوم ان الثوب الطويل اكثر هيبة من الملابس القصيرة ولهذا كانت (تطأ ذيولها) ودخلت المسجد بهيئة حزينة وهو امر مطلوب لمن هو في موقفها ومكانتها، والملاحظ أنها وضعت ستارة تفصل بينها وبين الرجال في المسجد وان كانوا ليسمعون صوتها وهو اشارة الى رعاية الحجاب فلا حرج في الصوت، كما انها لم تدخل بمفردها بل مع (لمة من النساء)وهذا يزيد الهيبة، وهي رسالة اولية الى ان هناك الكثير ممن ضموا اصواتهم الى صوتها فهي تتكلم كناطق رسمي عن جمهور مؤيد!، وهذا تحذير ايضا للخليفة بأن ينتبه لموقفه اكثر فهو لا يكلم طرفا مفردا وانما جمهورا غاضباً!!.

٥- الحوار المفتوح مع الخليفة امام الملأ، كما رأينا في المحاججة فهي لم تكن بالهمس أو الافراد وانما امام الملأ كله وقد قلنا ان الحال اشبه مايكون بأستجواب سياسي صريح علني عكس ضحالة ادراك الخليفة للمسائل الدينية وذلك تماماً على عكس من تخاصمه! فقد كانت الايات تصدح من فمها المبارك وبكل شدة وبيان مما دل على استنباط قوي وفهم اقوى مضافا الى الدلائل والبيانات والحجج التي لا يمكن ان تُرد!!.

٦- وجود الثقة الجماهيرية بالخطيبة

فقد كان هناك انصات واضح للخطبة وكان هناك استماع جيد وكأن الطير على رؤوسهم فلم يقاطعها احد ولم يرد عليها احد، بل ان الكثيرين

جاءوا الى المسجد وبقوا فيه منتظرين مجيء بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - لوجود اعلام مسبق - ليكونوا على علم بما يجري من امور وليتفهموا امر الخلاف بين بضعة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وبين الخلافة الجديدة، ولم يتسرب الى احدهم ادنى شك ان الخطيبة -والعياذ بالله - خرجت عن دائرة الصدق بل وجدوا الخليفة يؤيد صدقها ولا يجد دليلا مقنعا على ماقام به في حين انها اقامت البيّنة وقدمت ادلتها تترى واحدا بعد آخر، ولهذا قالو للزهراء عليها السلام بعدها:

... فقالوا: يا بنت محمد، لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لاَبي بكر ماعدلنا بعلي أحداً. فقالت: «وهل ترك أبي يوم غدير خمّ لاَحد عذراً»[(١)].

او يقول الناس: لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به فقال علي عليه السلام أكنت أترك رسول الله ميتاً في بيته لا أُجهزه، وأخرج إلى الناس أُنازعهم في سلطانه! وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»[(٢)].

ولا ننسى تأثير المكانة الاجتماعية فقد كانت العرب في الجاهلية تشترط ان تكون السيادة في الخطيب والكرم في خلقه اي انهم حدّدوا شروطا لمن يريد ان يكون خطيبا لكنهم عفوا عن ذلك في الشعر.

كما ان شخصية الزهراء عليها السلام تركت بصماتها على الخطبة، فهي

---

(١) (الخصال: ١٧٣).

(٢) (الإمامة والسياسة | ابن قتيبة ١: ١٢. وشرح ابن أبي الحديد ٦: ١٣).

المرأة المقدسة الوحيدة التي اشار اليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مراراً وتكرارا بانها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء الجنة، ثم انه صلى الله عليه وآله وسلم اعلمها بما سيجري عليها فهناك اذن احترام عظيم للسيدة وهناك منزلة لها في النفوس لا تدانيها اي من النساء بما في ذلك زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم!، وهناك إخبار سابق عن الاحداث الجارية!.

٧-كان هناك اعداد نفسي لتهيئة اذهان المستمعين من خلال الاعلام عن زمان ومكان الخطبة مسبقا من خلال دورانها مع زوجها على بيوت الانصار والمهاجرين، مضافا الى الحال التراكمي في تكدس الأحداث كانشغال الامام بالدفن وترك القوم لجثة نبيهم مسجاة على الارض وصراعهم على الخلافة ثم طرد عامل الزهراء من فدك كل ذلك كان متزامنا مع عزاء الزهراء عليها السلام على ابيها.

كما انها اوجدت الاستعداد النفسي لسماع الخطبة والتفاعل معها من خلال اثارة الموقف قبل الخطبة... ففي الرواية

.... فنيطت [أي علقت] دونها ملاءة [الملاءة الازار] فجلست ثم أَنَّتْ أَنَّةً اجهش [اجهش القوم: تهيئوا] القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم امهلت هنيئة حتى اذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما امسكوا عادت في كلامها، فقالت (عليها السلام): الحمد لله على ما انعم...

هذه (الأنة) مهمة فهي من ناحية تشابه السلام الجمهوري الذي يسبق

خطب القيادات والذي يُراد منه التنبيه الى علو شأن المتكلم أو الى سمو المقام والمورد، ومن ناحية ثانية فأنها عملية شد الانتباه لمن كانوا في المسجد والذين ربما لم يلتفتوا الى دخول الزهراء عليها السلام الى المسجد، ثم هي عملية توجع لما آلت اليه الامور بعد المصطفى فما مضت ايام على الرحيل حتى هبَّت الامة تنازع ابنته الوحيدة وبهجة قلبه صلى الله عليه وآله وسلم اموالها التي كانت لها في حياته صلى الله عليه وآله وسلم وهذا التوجع والـ(أنّة) من امرأةٍ مظلومة يساهم في تفعيل حالة التظلم لهذه الاسرة عند المستمع والمشاهد وهو امر مطلوب في بيان الحقانية.

٨- محتوى الخطبة وقد اشرنا الى ذلك سابقا، فالخطبة الاولى تسمى الخطبة الفدكية الا انها لم تحتوي على اشارة صريحة عن فدك اللهم الا في المحاججة مع أبي بكر والتي كانت في نهاية الخطبة.

واما مزايا الخطبة:

١- حسن الابتداء بالثناء على الله وهي المعزاة بأبيها

اذ قالت عليها السلام:

الحمد لله على ما انعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن اولاها، جم عن الاحصاء عددها، ونأى عن الجزاء امدها، وتفاوت عن الادراك ابدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق باجزالها، وثنى بالندب إلى امثالها، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص

تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها، المتنع من الابصار رؤيته، ومن الالسن صفته، ومن الاوهام كيفيته، ابتدع الاشياء لا من شيء كان قبلها، وانشأها بلا احتذاء امثلة امتثلها كونها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، الا تثبيتا لحكمته، وتنبيها على طاعته، واظهارا لقدرته، تعبدا لبريته، واعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نقمته، وحياشة [حاش الابل: جمعها وساقها] لهم إلى جنته

وهذا تعريف بالمستوى الايماني العالي للخطيبة لمن لا يعرفها، كما ان الابتداء بهذا الكلام التعبدي كان قد ساهم في شد الانتباه والتذكير بخطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد تكلمت الزهراء عليها السلام بلغة دينية ايمانية صرفة، كما ركزت الزهراء عليها السلام على التذكير بالامور العقائدية التي هي اساس الشريعة.

٢- ادخال اسمها في الخطبة

ثم قالت: ايها الناس اعلموا، اني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم اقول عودا وبدوا، ولا اقول ما اقول غلطاً، ولا افعل ما افعل شططا [الشَطَط: هو البعد عن الحق ومجاوزة الحد في كل شيء..

فهي لما قالت عليها السلام خطبتها كانت تضع مخططا لزيادة مدى التأثير الزماني والمكاني اي لا تجعل الخطاب آنيا ينتهي اثره وذكره ما ان تخرج من المسجد بل جعلت اسمها في وسط الخطبة وليس في اوله كي لا يتم بتره

وبذلك يبقى سند الاثبات فلا يمكن ان يقول احد.. جاءت امراة وخطبت في المسجد.. لانه سيمر حتما على اسمها ومعنى ذلك ان هذه الخطبة هي رسالة الزهراء عليها السلام الى الاجيال كلها.

٣- بيان ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ابوها

قالت عليها السلام:

لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم [عنتم: انكرتم وجحدتم] حريص عليكم بالمؤمنين روؤف رحيم.

فان تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم، واخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى اليه (صلى الله عليه وآله)، فبلّغ الرسالة، صادعا [الصدع هو الاظهار] بالنِذارة [الانذار: وهو الاعلام على وجه التخويف] مائلا عن مدرجة [هي المذهب والمسلك] المشركين، ضاربا ثبجهم [الثَبَج: وسط الشيء ومعظمه] آخذا باكظامهم [الكَظَم: مخرج النفس من الحلق] داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الاصنام [في بعض النسخ (يكسر الاصنام) وفي بعضها (يجذ) أي يكسر] وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه [أي انشق حتى ظهر وجه الصباح] واسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين [الشقاشق: جمع شِقشقة وهي: شيء كالربة يخرجها البعير من فيه اذا هاج] وطاح [أي هلك] وشيظ [الوشيظ: الرذل من الناس].

وهذا اكمال للشطر الاول في التعريف بنفسها فرب داخل الى المسجد أو

سامع بخطبتها لاحقا فلا يعرف اي فاطمة هذه والفواطم كُثر، فجاء البيان واضحا في التعريف بسيد المرسلين وبما قام به من جمع الامة على كلمة التوحيد ونبذ الارباب المتفرقة.. وهي عليها السلام تخطب في جمهور المسلمين في المسجد الذي بناه أبوها صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته الى المدينة!. وقد استعرضت فضائل ابيها الذي انتشلهم من الضياع وصّورت لهم بؤسهم قبل البعثة وسيادتهم على الامم بعدها.

٤ـ مضمون الخطاب الاعلامي كان قويا صريحا

وكانت الكلمات قوية ومفهومة، تعبر عن الحرص على الحقيقة مع القوة في البيان والمنطق، وقد تميَّز الخطاب بالصدق والموضوعية والحماس والاتزان الانفعالي. ولأن الرسالة الاعلامية التي اخذها المتلقي كانت صادقة وصريحة فهو كشف عن مظلومية واضحة وضوح الشمس!، وهي ايضا صادرة عن بيت النبوة لذا كان المردود ايجابيا وهذا مانلمسه من قولهم (يا بنت محمد، لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لاَبي بكر ماعدلنا بعلي أحداً).

لقد تعمدت الزهراء عليها السلام ان يكون لها اعلامٌ جماهيريٌ يخاطب جمهور المسلمين بمختلف اتجاهاتهم وميولهم ومستوياتهم الدينية والمعرفية، ولهذا كان الخطاب نسقا واضحا خاليا من التعقيد أو الخطأ أو التذبذب وقد نجح في الاقناع وتحقيق اعلى نسبة من الجذب.

٥ـ اعتمدت عليها السلام الجمل القصيرة في الخطاب

... فجعل الله الايمان: تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة: تنزيها لكم

عـن الكـبر، والزكـاة: تزكيـة للـنفس، ونمـاء في الـرزق، والـصيام: تثبيتـا للاخلاص، والحـج: تـشييدا للـدين، والعـدل: تنـسيقا للقلـوب، وطاعتنـا: نظاما للملة، وامامتنا: امانا للفرقة، والجهاد: عزا للاسلام، والـصبر: معونـة على استيجاب الاجر، والامـر بـالمعروف: مـصلحة للعامـة، وبـر الوالـدين: وقايـة مـن الـسخط، وصـلة الارحـام: منـساةً في العمـر ومنمـاة للعـدد، والقصاص: حقنا للدماء، والوفاء بالنذر: تعريضا للمغفرة، وتوفيـة المكائيـل والموازين: تغييرا للبخس، والنـهي عـن شـرب الخمـر: تنزيهـا عـن الـرجس، واجتناب القذف: حجابا عن اللعنة، وترك السرقة: ايجابا بالعفة، وحـرم الله الشرك: اخلاصـا لـه بالربوبيـة، فـاتقوا الله حـق تقاتـه، ولا تمـوتن الا وأنـتم مسلمون، واطيعوا الله فيما أمركم بـه ونهـاكم عنـه، فانـه انمـا يخـشى الله مـن عباده العلماء.

وعادة تكون الجمل القصيرة اكثـر تـأثيرا وهـي تـستوجب الوقـوف عنـد انتهائها مما يعطي للسامع فرصة التفكير في كل كلمة عكس الجمل الطويلة التي تبتلع الكلمات. كما ان المقاطع الصغيرة اسهل حفظـا ونـشرا وهـذا يعـود الى تفكير الزهراء عليها السلام المستقبلي بنشر الخطبة وتخليدها.

٦- مراعاة ادب الحوار فهي لم تقاطع الخليفة في كلامه

رغم كل ما بينهما مـن اخـتلاف بـل وخـلاف ايـضا، فلـم نـر في كـلام الزهراء عليها السلام فحشا أو سبّاً أو شتما رغم انها خرجـت تطالـب بحقهـا من غاصـبيها، وجـاءت نـبرة الـصوت مـؤثرة وجـاءت النـبرة الاعلاميـة قويـة

وموثرة وبليغة بحيث انها زرعت التردد في قلب الخليفة على ماجاء في الروايات فاعطاها كتابا بردِّ فدك!..

فالمخاطَب أو المتلقي لخطاب الزهراء عليها السلام كان جمهور المسلمين والهدف من الخطاب هو تعديل الاتجهات والقيم وتوجيهها صوب الولاء لاهل البيت عليهم السلام وفي نهاية الحديث انتقلت الزهراء عليها السلام بذكاء واضح لمحاججة الخليفة وربما انه لم يكن يتوقع هذا الانتقال السريع والمفاجيء في الخطاب!!.

٧-جمعها للثنائيات المتضادة كالخير والشر والحق والباطل والشرعية واللاشرعية والماضي والحاضر

اما اهم المهارات التي بانت في المحاججة مع الخليفة حيث قالت عليها السلام:

يابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا ارث أبي؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ اذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[1] وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا اذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[2] وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾[3] وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي

(١) [النمل: ١٦]

(٢) [مريم: ٦]

(٣) [الانفال: ٧٥]

أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾(١) وقال: ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾(٢) وزعمتم: ان لا حظوة لي ولا ارث من أبي، ولا رحم بيننا، افخصكم الله بآية اخرج أبي منها؟ ام هل تقولون: أن اهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست انا وأبي من اهل ملة واحدة؟ أم انتم أعلم بخصوص القرآن من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم اذ تندمون، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

فاجابها ابو بكر عبد الله بن عثمان وقال: يا بنت رسول الله، لقد كان ابوك بالمؤمنين عطوفا كريما، روؤفا رحيما، وعلى الكافرين عذابا اليما، وعقابا عظيما، ان عزوناه وجدناه اباك دون النساء، واخا إلفك دون الاخلاء آثر على كل حميم، وساعده في كل امر جسيم، لا يحبكم الا سعيد، ولا يبغضكم الا شقي بعيد، فأنتم عترة رسول الله، والطيبون الخيرة المنتجبون، على الخير ادلتنا، إلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وأبنة خير الانبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ماعدوت رأي رسول الله، ولا عملت الا بإذنه، والرائد لا يكذب أهله، واني اشهد الله وكفى به شهيدا، أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (نحن معاشر الانبياء، لا نورث ذهبا ولا فضة،

(١) [النساء: ١١]

(٢) [البقرة: ١٨٠]

ولا دارا ولا عقار، وإنما نورث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة، فلولي الامر بعدنا، ان يحكم فيه بحكمه) وقد جعلنا ماحولته في الكراع والسلاح، يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة الفجار، وذلك باجماع من المسلمين، لم انفرد به وحدي، ولم استبد بما كان الرأي عندي، وهذه حالي ومالي، هي لك وبين يديك، لاتزوى عنك، ولا ندخر دونك، وانت سيدة امة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك واصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين ان اخالف في ذلك أباك (صلى الله عليه وآله)؟

فقالت (عليها السلام): سبحان الله ما كان أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادفا ولا لاحكامه مخالفا! بل كان يتبع اثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا، يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾(١) ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُود﴾(٢) وبين عزّ وجلّ فيما وزع من الاقساط، وشرع من الفرائض والميراث، واباح من حظ الذكران والاناث، ما ازاح به علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا بل سولت لكم انفسكم أمرا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

---

(١) [مريم: ٦]

(٢) [النمل: ١٦]

فقال ابو بكر: صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا ابعد صوابك، ولا انكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت: معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل [في بعض النسخ: قبول الباطل] المغضية على الفعل القبيح الخاسر، افلا تتدبرون القرآن؟ أم على قلوب أقفالها؟ كلا بل ران على قلوبكم ما اسأتم من اعمالكم، فأخذ بسمعكم وابصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم، لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه وبيلا، اذا كشف لكم الغطاء، وبان باورائه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون.

واهم المهارات هنا هي:

١ـ مهارة طرح الاسئلة والاستمرار في المحاجة دون تردد.

٢ـ مهارة الاجابة السريعة وبيان ومنطق.

٣ـ مهارة حسن الاستماع فهي لم تقاطع رغم كل آلامها.

٤ـ مهارة تنظيم الخطبة وختامها بالمحاجة مع الخليفة.

٥ـ مهارة الاستفادة من الثقل الاكبر وكتاب الله في المحاجة.

٦ـ مهارة الاستمرار في الدفاع حتى بعد ان اكملت الخطاب.

٧- مهارة البلاغة والفصاحة والقدرة على الالقاء بجرأة ورباطة جأش وهي المعزاة بأبيها.

٨- مهارة عرض القضية الاساسية وهي الامامة من خلال عرض قضية فدك.

٩- مهارة صيانة الخطبة والمقاصد من خلال ادخال اسمها في الخطبة وكذلك تعريفها بأبيها فهي الوحيدة التي تناديه بهذا الاسم ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[(١)].

١٠- مهارة التعبير الانفعالي والتي تظهر من خلال قدرة الفرد على التعبير عن مشاعره بشكل يسيطر على عوامل الجذب لأنه يعبر عن مشاعر صادقة فهي ابتدأت بـ(أنّة) لكنها لم تستغرق في البكاء!.

١١- سعة الصدر وهي امام من سرقها حقها وحق زوجها الالهي في الامامة.

١٢- مهارة اتقان عوامل الزمان والمكان والوقت والاسلوب.

١٣- مهارة المبادرة السريعة الى اتخاذ موقف سريع في ظرف صعب.

١٤- مهارة السعي لحل المشكلة.

١٥- مهارة الاقناع فقد اقنعت الخليفة فاعطاها كتابا بردِّ فدك، بل ان

---

(١) الاحزاب ٤٠.

كلماتها تركت اثرها كما هو واضح في قول أبي بكر (روى البخاري أيضاً في صحيحه في الخمس: أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضبت على أبي بكر، فهجرته قال: فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، ثم خرج أبوبكر باكياً ومعه عمر مطرقاً فذهبا إلى المسجد فإجتمعا بالناس فقال أبوبكر: أيها الناس اقيلوني، يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً باهلهِ وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم).

١٦- مهارة العناية بالذات من خلال صيانة الحجاب الاسلامي ودخولها مع (لمة) من النساء.

١٧- مهارة الاستنباط والاستدلال كما هو واضح في المحاججة.

١٨- مهارة استعراض تاريخ الحاضرين في الجاهلية وبعدها ودور ابيها في تغيير النسق الفكري والاجتماعي وغيره اي مهارة المقارنة بين الماضي والحاضر وعرض النقيضين من الخير والشر والحق والباطل.

١٩- مهارة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

٢٠- مهارة التواصل الاجتماعي مع الملأ رغم اختلاف الرأي.

٢١- مهارة الحوار السليم فلم تقاطع الخليفة في كلامه أبداً.

٢٢- مهارة تحمل المسؤولية.

٢٣- مهارة اتخاذ القرارات السليمة في القاء الخطبة أو في الدوران على بيوت الانصار أو في الاستقرار عند بيت الاحزان.

٢٤- مهارة احترام الذات فلم تاتِ الزهراء عليها السلام متوسلة أو مستجدية بل جاءت بعزة نفس وقوة وشجاعة.

٢٥- هناك مرونة واضحة في التعامل مع الخصم.

٢٦- مهارة ضبط النفس.

٢٧- نهاية الموقف كان ببثها الشكوى لرسول الله من خلال ابياتها الشعرية كأنها عليها السلام انهت المحاكمة ببث تظلمها الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكن امام الناس!كأنه نشيد جنائزي!لما لم ينجح المظلوم باسترداد حقوقه وهو اعلام من باب اياك اعني واسمعي ياجارة!!.

ثم عطفت على قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وقالت:

قد كان بعدك انباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
وكل اهل له قربى ومنزلة ... عند الاله على الادنين مقترب
ابدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا رجال واستخف بنا ... لما فقدت وكل الارض مغتصب
وكنت بدرا ونورا يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا ... فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لما مضيت وحالت دونك الكثب

والى غير ذلك.

ومن ضمن مطالبتها بفدك ودفاعها عن الولاية نجد:

١ - اعتمادها على القرآن اساسا في المحاججة.

٢ - المنهج الاستفهامي الذي قدمته (اترث اباك ولا ارث ابي؟) وهواسلوب يثير الانتباه ويشد السائل، وهو دليل على ذكاء صاحبه.

٣- ولما كانت المحاججة علنية فالنتائج ابلغ اثرا.

٤ - الاسلوب الاستدلالي بتقديم الدليل والبرهان ويكون ذلك حجة.

ولا ننسى ان اصطحابها لابنتها السيدة زينب عليها السلام هو تمهيد وإعدادٌ للمستقبل الذي ستقف فيه ابنتها موقفها هذا دفاعا عن الامامة فهو نموذج للتربية الاعلامية المطلوبة كما انها خطوة لصيانة الرسالة باعتبار ان الراوي من البيت النبوي.

ولقد زود الخطاب الزهراوي الناس بالحقائق الواضحة والحجج الدامغة منطلقا من الفهم السليم للدين ومستندا على الايمان بحقانية القضية التي تدافع عنها. ولقد كان الناس بحاجة الى هذا الخطاب الذي ذكرهم بأيامهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبما لهم وماعليهم فكيف وهذه التي تشتكي الظلم هي ابنته صلى الله عليه وآله.

ردّ فعل الخليفة على خطاب الزهراء:

اضطرب المجلس وتفرق الناس وارتفعت الضجة وأصبحت خطبة الزهراء (عليها السلام) حديث الناس فلجأ أبوبكر إلى التهديد والوعيد.

ورُوِيَ أنّ أبابكر لما شاهد أثر خطاب الزهراء على الناس قال لعمر، تربت يداك ما كان عليك لو تركتني[١].

٣- الشعر

قلنا ان الشاعر هو الناطق الرسمي الذي يتكلم عن لسان قبيلته، والشعر بيان لما يعتمل في النفوس من عواطف أو اوجاع اي انه العرض الذكي للعواطف والميول والرغبات بالشكل الذي يشد المستمع ويجذبه اليه بقوة.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن من الشعر لحكمة.

وقد استمع صلى الله عليه وآله وسلم لقصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) واجزاه عليها ببردته الشريفة.

ونفس الشيء فعله الامام الرضا عليه السلام مع دعبل الخزاعي لما قرأ تائيته المشهورة.

وقال الامام الصادق عليه السلام: من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة.

وقال الامام الصادق عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يُروى شعر أبي طالب وأن يُدون وقال تعلّموه وعلموا أولادكم فانه كان على دين الله وفيه علم كثير.

وقال الامام الرضا عليه السلام: ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا به إلا

---

(١) (دلائل الإمامة، للطبري: ص١٤٢).

بنى الله له مدينة في الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملك مقرب وكل نبي مرسل.

كانت الزهراء عليها السلام الناطق الرسمي عن اهل البيت عليهم السلام والمعرّف بمظلوميتهم، ونرى أنّ الزهراء عليها السلام قالت جُلّ اشعارها بعد رحلة ابيها المصطفى وكلها ندبة لرحيله وتوجع لمظلوميتها ومظلومية وصيه عليه السلام، فهو اذا افصاح عن حالة الالم والاذى الذي عاشه اهل البيت عليهم السلام سيما مَنْ رضاها مِنْ رضا الجبار!!.

وفيما قالته عليه السلام من ابيات شعرية في ذكر الشكوى لأبيها حول ماحل بها من مصائب جديدة بعد ان اخذت قبضة من تراب قبره الشريف:

ماذا على من شمّ تربة أحمد ... الا يشمّ مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

و لها (عليها السلام) وقد لحقت أمير المؤمنين (عليه السلام) بعدما أخرجوه ملببا بحمائل سيفه فلم تتمكن فعدلت الى قبر أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) فاشارت اليه بحرقة ونحيب قائلة:

نفسي على زفراتها محبوسة ... يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك في الحياة وانما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي

ولها ايضا:

قلّ صبري وبان عني عزائي ... بعد فقدي لخاتم الانبياء

عين يا عين اسكبي الدمع سمحاً ... ويك لا تبخلي بفيض الدماء

يـــا رســـول الالـــه يـــا خـــيرة الله　　　وكهـــــف الأيتـــــام والـــــضعفاء

لـــو تـــرى المنـــبر الـــذي كنـــت تعلـــوه　　　قـــد عـــلاه الظـــلام بعـــد الـــضياء

وهذه الاشارة الاخيرة كافية لبيان بداية الابتعاد عن نهجه صلى الله عليه وآله وسلم وهي كناية عن مسيرة الظلام الذي تخبطت به الامة بعد ترك وصية المصطفى في يوم الغدير.

وكانت تقول شعرها امام الملأ ولهذا نقل اشعارها رواة الفريقين، وهذا الاعلام العام هو الذي تناقلته الاجيال فيما بعد لعرض مظلومية الزهراء عليها السلام.

٤- اعلان المقاطعة مع الخلافة

والتي استمرت عليه عليها السلام حتى وفاتها ولم تسمح لهم بحضور جنازتها وتركت الامر معلقا في التاريخ، وهذه المقاطعة ايضا لم تكن مكتومة بل الكل يعلم بها، وهذا اعلان عام عن كونها في واد والشيخين في واد آخر لا يلتقي أبداً مع الوادي الاول!!.

٥- بكاؤها عليها السلام امام الملأ

روى الشيخ الصدوق بسند معتبر عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين عليهم السلام فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره وحتى قيل له:

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ﴾[(١)].

وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا له: أما أن تبكي الليل وتسكت بالنهار وأما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل فصالحهم على واحد منها.

أما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر – مقابر الشهداء – فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف.

وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، ما وُضِعَ بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولاه: جعلت فداك يا بن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين.

قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

أني ما أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة.

وفي الرواية: (ما وُضِع أمامه طعام ولا شراب إلا ومزجه بدموع عينيه).

قال الشاعر:

فقلت لها إن البكاء لراحة ... به يشتفي من ظن ألا تلاقيا

---

(١) يوسف: ٨٥.

(٢) يوسف: ٨٦.

وقد وصف الإمام الصادق عليه السلام حزن الزهراء عليها السلام كما في الرواية الصحيحة في الكافي بالتالي: «وكان يدخلها حزن شديد على أبيها»[1].

وكذلك روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن الله لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل»[2].

كان حزنها حزناً رسالياً واعلاما واضحا امام الناس كلهم فلابد ان يستمر التذكير بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولابد ان يستمر التعريف بمظلوميتها ومظلومية زوجها ولهذا كان حزنها امام الملأ وقد قال السيد منير الخباز في احدى محاضراته المنبرية ان الزهراء عليها السلام لم تبكِ في البيت امام زوجها بل كانت تبكي امام الملأ!، واقول لأن هذا البكاء كان يراد منه غايات وغايات وكان لابد ان يكون معلَما مستمرا يشهده اهل المدينة كلهم ويشهده الحسنان عليه السلام اللذان سيكملان مسيرة المظلومية.

ولما رحلت الزهراء عليها السلام قال عليٌّ عليه السلام عند قبرها مخاطبا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(.. فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين).. كانت دموعها هي المعبِّر عما يلوج في قلبها

---

(١) (الكافي ج١ ص٢٤١).

(٢) (الكافي ج١ ص٢٤٠ ح٢).

من احزان من هذه الامة وعلى هذه الامة!!...

ولعل الزهراء عليها السلام بكت في موقف محدد امام امير المؤمنين عليه السلام.. ففي الرواية:

ولما حضرت فاطمة الوفاة بكت، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: يا سيدتي ما يبكيك؟ قالت: أبكي لما تلقى من بعدي، فقال لها: لا تبكي فوالله إن ذلك لصغير عندي في ذات الله»[1].

وفي كتاب الكافي يقول بعض الرواة عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يعظ الناس: «مروا أهاليكم بالقول الحسن عند موتاكم»، ويستشهد الإمام عليّ عليه السلام في هذا الخط بالزهراء عليها السلام فقال: «فإن فاطمة عندما قُبض أبوها أسعدها بنات بني هاشم – على طريقة النساء عند الموت – فقالت: اتركن التعداد – أي لا تعددن الآلام والأحزان – وعليكن بالدعاء». فالبكاء الهادف والحزن الرسالي كان له مطلب آخر في تغيير صورة البكاء (الجاهلي) أو اللاهادف الذي لا يجدي نفعا سوى تبديد الطاقة والجهد والوقت!.

ولقد نزلت النوازل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحزن واغتم وسمّى عام رحيل زوجته ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها وعمه أبي طالب رضي الله عنه بعام الحزن وكأنه اراد من خلال اعلان الحزن على هذا الخطب الجلل وتذكير المسلمين الفرحين بالعودة الى ديارهم بعد انتهاء حصار الشعب

(١) (بحار الأنوار ج٤٣ ص٢١٨ ح٤٩).

بما داهمه من الم وأسى على فراق الاعزة. كما اشارت الروايات الى حزنه صلى الله عليه وآله وسلم لفراق ولده ابراهيم الذي مات صغيرا وان اظهار الحزن لا يعني الابتعاد عن الخط القويم. ففي الرواية: قال صلى الله عليه وآله وسلم: ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ولا نقول الا مايرضي ربنا وانا لفراقك ياابراهيم لمحزونون[1].

وقد بكى يعقوب كثيرا واعلن بكاءه حيث كان يبثه اي يظهره امام الناس، قال تعالى:

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أو تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٦) ﴾.

فيكون معنى البث: هوالحزن العظيم الذي لا يُصبَر عليه فيُبث بين الناس، أي يذاع وينشرفيهم.

ولقد استبد الحزن بمريم بعدما حصل الحمل فدعاها الله عز وجل الى هزِّ النخلة كي تنشغل بشيء ينهي احزانها، فالحزن يؤذي الجنين نفسه، قال تعالى:

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي

(١) [صحيح البخاري- كتاب الجنائز- باب قول النبي ، حديث: ١٣٠٣ -«إنا بك يا ابراهيم لمحزونون (٢/٨٣)]

إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾[1].

ولنا ان نتصور حال الزهراء عليها السلام التي فقدت مالها واباها وولدها محسنا الذي سماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ايام حياته بهذا الاسم فهناك اكثر من سبب يدعوها للحزن ولاعلان الحزن. وفي الرواية عن الامام الصادق عليه السلام:

وأما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تأذى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف»[2].

وقد استعمل اهل البيت عليهم السلام اسلوب البكاء كوسيلة اعلامية فهذا الامام الصادق عليه السلام يقول ((أوصاني أبي الإمام الباقر أن أستأجر له عشر جوارٍ يندبنه بمنى أيام منى)) فمهمة هؤلاء النساء الندب والبكاء وهذه الندبة هي وسيلة للتعريف بالميت وبيان واعلاء لشأنه، كما انها وسيلة تذكير بمظلومية هذا الشخص العظيم الذي مات مسموما مظلوما فكيف بندبة الزهراء عليها السلام لأبيها والتي تريد منها تسليط الضوء على مظلومية اهل البيت عليهم السلام والتعريف بخط الامامة الصادق الذي يبدأ من علي عليه

(١) مريم ٢٤ – ٢٦.

(٢) (الخصال ج١ ص٢٧٢ ح١٥).

السلام المسلوب حقه فيها.

وفي الرواية: .. فقال المفضل للصادق عليه السلام: يا مولاي ما في الدموع من ثواب؟ قال: ما لا يحصى إذا كان من محق. فبكى المفضل (بكاءً) طويلاً ويقول: يا ابن رسول الله إن يومكم في القصاص لأعظم من يوم محنتكم، فقال له الصادق عليه السلام: ولا كيوم محنتنا بكربلاء وإن كان يوم السقيفة وإحراق النار على باب أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة وزينب وأم كلثوم وفضة وقتل محسن بالرفسة أعظم وأدهى وأمر، لأنه أصل يوم العذاب. (فاطمة بهجة قلب المصطفى للهمداني الفصل الحادي والثلاثون).

ونفس الشيء قام به الامام الحسين عليه السلام من اصطحاب نسائه واخواته معه رغم نهي الآخرين عن ذلك ((شاء الله أن يراني قتيلاً وأن يراهن سبايا)) وانما كان هذا الاصطحاب مع المشقة التي كانت فيه للجميع فهو من اجل صيانة الثورة وشخوصها واهدافها بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام فلا تندرس الواقعة الجليلة المصاب كما اندرست غيرها وهذا ماحدث حيث كان للدور الاعلامي للنساء الاثار العظيمة التي يمكن الاطلاع عليها من خلال كتابنا نساء الطفوف.

في الرواية ((لما قتل الحسين لبسن النساء السواد ولطمن وندبن وكان زين العابدين ينقل إليهن الطعام) وهذا الدعم للمشروع الاعلامي دليل على اهمية هذا الدور وخطره وعظم تأثيره.

وقد كان لمجالس العزاء والبكاء على الامام الحسين عليه السلام بعد

عودة السبايا الى المدينة اثر كبير في التعريف بالثورة الحسينية وبيان لمظلومية اهل البيت عليهم السلام اضافة الى كشف القناع عن الوحشية الاموية، فاصبحت مجالس العزاء تشكل خطرا على السلطة نفسها، فكان ان ارسل يزيد الى عامله على المدينة امراً بابعاد السيدة زينب عليها السلام عن المدينة لما تثيره من اعلان معادي من خلال الحزن والبكاء، وهذا دليل على ان للبكاء اثاراً سياسية خطيرة وهو نفس الاسلوب التي استعمله الامام زين العابدين عليه السلام طيلة حياته من اجل بيان حقائق واقعة الطف.

عن الإمام الباقر عليه السلام ((من تذكر مصابنا وبكى لما أرتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون ومن جلس في مجلسٍ يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)).

وعن الامام الصادق عليه الصلاة والسلام قال: وما عين أحب الى اللَّه، ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه.. وما من عبد باك يبكيه، إلا وقد وصل فاطمة.. عليها السلام وأسعدها عليه.. ووصل رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وأدى حقنا.. وما من عبد يُحشر إلا وعيناه باكية.. إلا الباكين على جدي.. فانه يُحشر وعينه قريرة.. والبشارة تلقاه، والسرور على وجهه، والخلق في الفزع، وهم آمنون.. والخلق يعرضون وهم حدَّاث الحسين تحت العرش، وفي ظل العرش[1]..

---

(١) (البحار ج٤٥ص٢٠٧).

٦- بيت الاحزان.. ثقافة الرمز والصورة

لما ضجر اهل المدينة من بكاء الزهراء عليها السلام اخذت تبتعد عن المدينة بعد ان كلمها أمير المؤمنين عليه السلام فأجابته إلى ذلك فكانت في نهارها تخرج خارج المدينة وتصطحب معها ولديها الحسن والحسين فتجلس عليها السلام تحت شجرة من أراك، فتستظل تحتها، وتبكي أباها طيلة النهار فاذا أوشكت الشمس أن تغرب تقدمها الحسنان مع أبيهما ورجعوا قافلين إلى الدار، وعمد القوم إلى تلك الشجرة فقطعوها فكانت تبكي في حر الشمس، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فبنى لها بيتا أسماه " بيت الاحزان " ظل رمزا لأساها على مر العصور، ونسب إلى قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فيه:

ام تراني اتخذت لا وعلاها ... بعد بيت الاحزان بيت سرور

يقول العلامة المحدث محمد باقر المجلسي: «أجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة عليها السلام تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فراشنا، ولا بالنهار لنا قرار على اشغالنا وطلب معايشنا، وإنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فقال عليه السلام: حبا وكرامة.

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء فلما رأته سكنت هينئة له فقال لها: «يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ان شيوخ المدينة يسألوني

أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً».

فقالت عليها السلام: «يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم فوالله لا اسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»، فقال لها علي عليه السلام: «افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك».

ثم أنه بنى لها بيتاً في البقيع نازحا عن المدينة يسمى بيت الأحزان وكانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها وخرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فردها إلى المنزل»[1].

لقد كان وجود بيت الاحزان بحد ذاته ابداعا فريدا ساهم في ابقاء صورة الزهراء عليها السلام الثائرة المظلومة خالدة في نفوس المسلمين!، وكانت الدلالات الرمزية لبيت الاحزان في قمة التأثير المستمر حتى وقتنا الحالي.. (فالصورة ليست مجرد خطوط متماوجة بل انها عجين من الدلالات) التي جعلت منها وسيلة تأثير عاطفية قوية تمثل قصة الانحراف وتحمل رمزيات المقاومة الفاطمية وماارادته من هز النفوس وتكريس كثافة التاثير(وكأنها دلالة حوارية الصورة تستقر في القلب والعقل)، والرمز في بيت الاحزان ابقى المشهد ساخنا وهذا الشكل البسيط في ادواته العظيم في دلالته تحول الى شعار يجسد المظلومية الفاطمية.

---

(١) (البحار: ج ٤٣، ص ١٧٨).

ثقافة الصورة

لا احد ينكر ان تأثير الصور المرئية هو اعظم من كل الوسائل الاخرى، فمن ناحية هي لغة بسيطة يفهمها الأمِّي والعالم والجاهل والموالي والمعادي لأن الرؤية البصرية هي أساس التصديق ومن أجل ذلك انتشر المثل المشهور الذي يقول: "إن الصورة تساوي ألف كلمة". الصورة اذا لغة ومضمون وهي آلة واضحة وسريعة وعصرنا عصر الصورة، مما يعني هيمنة الصورة وسيادتها لتكون إحدى أهم أدوات عالمنا المعرفية والثقافية والاقتصادية والإعلامية، والصورة خالدة في العقل الباطن وخالدة مع خلود الفكرة والانسان ولهذا يسهل محو الكلمات ويصعب محو الصور.

ويوضح ابن منظور[١] معنى الصورة، تصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي، قال ابن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته ". وقريب من ذلك ما جاء عند والفيروزابادي، والمأخوذ من معاني الصورة في معاجم اللغة، أنها تعني الشكل والنوع، والصفة، والحقيقة.

وقد عرض القرآن الكريم صورا عديدة منها قوله تعالى:

﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾[٢]، فإن معنى ذلك أن هناك علامات تدل على أن هؤلاء الناس الوارد ذكرهم في الآية يكثرون من

---

(١) (ص ٢٥٢٣)

(٢) (سورة الفتح، الآية: ٢٩٢).

السجود وقدلا نتابعهم في كثرة السجود، ولكن هذه العلامات هي التي دلت على هذا الأمر.

وقد صور القرآن الكريم مشاهد يوم القيامة وجعلها صوراً حاضرة في قلوب الناس ووعيهم مما ساهم في زيادة الخوف من زلزلة الساعة واهوال القيامة.

(هناك حضور جارف للصور في حياة الإنسان، فهي حاضره في شتى مجالات حياته، تلعب دوراً أساسياً في تشكيل وعيه، فيرتبط تفكيره بها بما يسمى التفكير البصري، محاولاً فهم العالم من خلال لغة الشكل والصورة، والتفكير بالصورة يرتبط بالخيال، والخيال يرتبط بالإبداع والإبداع يرتبط بالقدرة على إنتاج دلالات، والدلالات تعني الخروج من الواقع الضيق المحدود إلى الآفاق الرحبة الأكثر حرية والأكثر إنسانية.

فهي ذات فوائد كبيرة في عمليات تنشيط الإنتباه والإدراك والتذكر والتخيل والإبداع والرمزية، إذا ما قُدِمَت بالطريقة المناسبة، ذلك أن الصورة بألف كلمة على حد تعبير المثل الصيني، وهذا ما يؤكده جيروم برونر (Bruner) قوله أن الفرد يتذكر ١٠% فقط مما يسمعه و٣٠% مما يقرأه، و٨٠ % مما يراه أو يقوم به (عبدالحميد. شاكر، عصرالصورة السلبيات والإيجابيات، عالم المعرفة، الكويت: ٢٠٠٥ م).

لقد استقرت اعواد بيت الاحزان في ذاكرة كل موالي وكل محب لاهل البيت عليهم السلام وكل ناصر للزهراء عليها السلام استقرت هذه الصورة

المتواضعة في الموروث الثقافي للامة فاصبح بيت الاحزان هو شعار المظلومية الذي اجج الثورات والحركات بل وما زال يؤجج ويغير ويثير ويثور. لكن هذه الصورة لم تبق محبوسة في المدينة فقد انتقلت الى المدن الاسلامية الاخرى مثل مكة واليمن وذلك عبر وسيلة اعلامية مهمة الا وهي:

التهامس

وأصله من الهمس، وهو اسلوب قديم حيث يتبادل الناس الاخبار بخفية وبصوت غير مسموع حينما يكون هناك خوف من حاكم أو ظالم. وظاهرة نقل الاحداث عن طريق المشافهة قديمة اذ ان الناس في كل مكان ينقلون مشاهداتهم وما تاثروا به في سفرهم وتجوالهم من خلال مواقف الناس واحاديثهم واسواقهم، وكان الخلفاء يستعينون بالعجائز لنقل الاخبار لهم خفية، وقد كانت احداث فدك عاصفة وكانت مدار حديث الناس مع المستجدات التي حصلت وقتها كحروب الردّة التي لم تحصل بسبب ارتداد الناس عن الدين كما كتبوا لنا في مناهجنا الدراسية وانما كانت بسبب رفض اعطاء الحقوق الشرعية الا لمن اوصى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو امير المومنين عليه السلام!!.

وعادة تكون الحياة العامة سجالا في الاخبار والسرد والحكي بعد رحيل زعيم عظيم ومجيء آخر مكانه، ونرى الان انشغال القنوات الفضائية بسرد وبيان وعرض صور الرحيل والمجيئ، وتصرف اموال طائلة لتثبيت ونشر وسحب افكار معينة من ذهن الناس، فكيف برحيل الرسول صلى الله عليه

وآله وسلم بعد شهرين فقط من حجة الوداع وبعد ان جمعهم في غدير الجحفة ليبلِّغ اكمال الدين بتنصيب عليٍّ عليه السلام وليّاً من بعده لهذه الامة، هناك كلام كثير في الساحة والناس تتساءل عما جرى ومادار والحديث عن ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واحتجاجها على أبي بكر الذي انشغل عن دفن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باختلاس الخلافة ومصادرة حق ابنته عليها السلام وبضعته وبهجة قلبه في ارضها وكذلك حق زوجها عليها السلام في الولاية ثم جاء بيت الاحزان ليكون موردا لحديث اكبر.. فالقاصدون الى المدينة كثرة كاثرة منهم من يروم زيارة قبر الرسول الشريف ومنهم من يروم رؤية الخليفة الجديد ومنهم من جاء لأغراضٍ اخرى، فالكل اصبح في تساؤل عن هذه الجالسة بحزن تحت السعيفات في حر الهجير تشتكي ظلم الخليفة الجديد وجوره رغم انها ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سيد المرسلين وحبيب اله العالمين؟!، نعم الكل يتساءل عن قصة بيت الاحزان ولابد لكل قاصد ان ينقل خبرا أو يترك اثرا أو يشير الى ماجرى حسب قراءتهِ للحادثة، ولهذا كان بيت الاحزان اعظم صورة اعلامية مبتكرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٨- التعتيم الاعلامي

وذلك من خلال دفنها سرا واخفاء قبرها وهذا تطبيق لوصيتها، وهو امر خطير فالكل علم بمرضها وكان على استعداد لحضور جنازتها ولكن الزهراء عليها السلام اوصت بالدفن سرا (حنطني وغسلني وكفني بالليل

وصلِّ عليَّ وادفني بالليل ولا تعلم أحدا....

وفي الرواية: وارتفعت أصوات البكاء من بيت علي عليه السلام فصاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع لها، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي عليه السلام، وهو جالس، والحسن والحسين بين يديه يبكيان، وخرجت ام كلثوم، وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله، الآن فقدناك حقا لا لقاء بعده أبداً. واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون، وينتظرون خارج الجنازة ليصلُّوا عليها، وخرج أبو ذر، وقال: انصرفوا فان ابنة رسول الله قد اُخَر إخراجها في العشية. وأقبل أبوبكر وعمر يعزيان عليا عليه السلام، ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولكن عليا عليه السلام غسلها وكفنها... ثم صلى علي على الجنازة، وشيعها والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبوذر والمقداد وعمار وبريدة والعباس وابنة الفضل. فلما هدأت الاصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها امير المؤمنين عليه السلام ودفنها سرا وأهال عليها التراب، والمشيعون من حوله يترقبون لئلا يعرف القوم، ويمنعهم المنافقون، فدفنوها وعفوا تراب قبرها.

عن ابن نباتة قال: سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن علة دفنه لفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلم ليلاً؟ فقال (عليه السلام): (إنها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام

على من يتولاهم أن يصلي على أحد من ولدها)[1].

وفي بعض الروايات ان امير المؤمنين سوّى عدة قبور كي لا يهتدي القوم الى قبرها مما جعل أبي بكر يطالب بنبش القبور بحجة الصلاة عليها الا ان عليا عليه السلام وقف امامه شاهرا سيفه كما ذكر المقرم في كتابه وفاة الزهراء عليها السلام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن نفض يديه من تراب قبرها عليها السلام وهو يناجي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وستنبئك ابنتك بتضافر أُمّتك على هضمها، فأحِفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليلٍ معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً»[2]. وهذا اعلان أو بالاحرى هو البيان التأبيني الذي قاله الامام امام جمع الموالين كاشفا عن مظلوميتها الخالدة مدى الدهور مما زاد من مشاعر التظلم لها.

على هذا فالدور الاعلامي للزهراء عليها السلام تميز بالصدق والثبات والموضوعية والهدفية وانه اعلاء للحقائق القرآنية والتاريخية التي لا يشوبها زيف، وانى ذلك؟ وهي عليها السلام المعصومة التي اذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرا، اضافة الى السرعة والمبادرة في بيان ما جري تحت السقيفة رغم اوضاعها الحزينة اذ كانت تهدف الى تعديل اتجاه حركة الامة واعادتها الى المسار الطبيعي، غير انها تعلم ان هذا الامر قد لا يكلل بالنجاح فالمطامع

---

(١) (أمالي الصدوق ص٥٢٣).

(٢) (كافي ١: ٤٥٩ | ٣).

موجودة ولهذا كان الهدف الثاني هو عرض الحقائق على الملأ لئلا يقول قائل (لا اعلم) ولهذا تعددت اساليبها بعد الخطبة من حيث انها اصبحت اكثر مساسا بالجمهور كما في بيت الاحزان.

والملاحظ ان الدور الاعلامي يأخذ صفة الامتداد في حياتها وبعده بشكل متميز عن الادوار الاخرى التي هي ايضا تتمتع بهذه الصفة، ولكن بشكل آخر فقد ابتدأ الاعلام من المناوشات السجالية الكلامية ثم الخطبة ثم استمر من خلال بكائها امام الملأ الذي لاقى احتجاجا فجاء بيت الاحزان ليكمل المشوار وقد استمرت في الحضور الى بيت الاحزان الى آخر ايام حياتها عليها السلام على اختلاف الروايات التي تحدد الوقت وبذلك استطاعت ان تكرس الظروف حول مظلوميتها ومظلومية اهل البيت عليهم السلام من خلال الدفن سرا وتغييب القبر والذي بقي حشرجة في قلوب كل المسلمين وما اكثر الذين اسلمو وتبصرّو حينما تتبعوا قبور نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلموا بمواضعها واستغربو لهذا الضياع لقبر ابنة المصطفى عليه السلام فبدأ السؤال والتحري الذي اوصلهم الى مظلوميتها وهو ماكانت تتوخاه الزهراء عليها السلام فهي لم تكن تفكر في نصر آني أو في تغيير آني بقدر ماكانت تكرس الامور لبيان انفصال الخلافة الجديدة ومابعدها عن خط الامامة الرباني وبأن الانحراف بدأ بعد غياب الرسول، وهذه هي الاستراتيجية الاعلامية الصحيحة وهي قمة النجاح في الاعلام وذلك بأن تجعل الرسالة الاعلامية ممتدة التأثير مدى الاجيال والقرون تؤتي اكلها كل حين.



الدور الثقافي

كلمة ثقافة هي واحدة من اكثر الكلمات جدلا في العصر الراهن وأصل الكلمة مأخوذ من كلمة ثقف ولها معنيان رئيسيان متباينان:

الأول: ثَقَفَ: قال الفيروز أبادي: ثَقَفه: أي صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه.

وأُثقِفْتُهُ: قُيِّضَ لي.

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى:

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ﴾.

والثاني: ثَقِفَ يثقَف، وثَقُفَ يثقُف، ثَقْفاً وثَقَفاً وثقافة: صار حاذقاً خفيفاً فطناً[1].

ومنه:

ثَقِفَ الكلام: حذقه وفهمه بسرعة

وثقَّف الولد: هذّبه وعلّمه.

(١) (القاموس المحيط مادة ثقف، ٣/١٢١).

وثاقفه مثاقفةً: غالبه فغلبه في الحذق (بتصرف نفس الكلمة من المنجد والمعجم الوسيط).

ويبين ابن منظور في لسان العرب أن معنى ثَقَفَ: جدّد وسوّى، ويربط بين التثقيف والحذق وسرعة التعليم. ويعرف المعجم الوسيط الثقافة بأنها (العلوم والمعارف والفنون التي يطلب فيها الحذق)[١].

وهناك تعريف آخر للثقافة: (الثقافة في اللغة العربية تعني الحذق والفهم، والتثقيف بمعنى التشذيب والتهذيب والتقويم والحذق والفطانة (الفطنة)، وقد عرفت المعاجم الحديثة للغة العربية هذه الكلمة بأنها العلوم والمعارف والفنون التي يطلب فيها الحذق. وسواء كانت الثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب فيها الحذق أو هي الحذق وفهم العلوم والمعارف والفنون... الخ[٢].

فالثقافة هي القاعدة الأساسية لبناء الحضارة في أي مجتمع، واستعملت الثقافة في العصر الحديث، للدلالة على الرقيّ الفكري والأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات. وهي اشمل من العلم، اذ انها تصوغ شخصية الفرد وتبين هوية الامة وما يميزها عن غيرها.

والتعريف الاصطلاحي للثقافة الإسلامية فهو: جملة العقائد والتصورات، والأحكام والتشريعات، والقيم والمبادئ، والعوائد والأعراف

---

(١) (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة ثقف، ج١ ص٩٨ القاهرة مصر).

(٢) (الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان ص٩).

والفنون والآداب، والعلوم والمخترعات التي تشكل شخصية الفرد وهوية الأمة وفق أسس وضوابط الإسلام.

والمصدر الاول لثقافة الانسان المسلم هو القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي تشمل ايضا التقاليد والاعراف، ولأن مصدرها القرآن الكريم الثابت بلا تحريف أو تغيير فأنه يمنح قوة ذاتية خالدة، الامر الذي كان ومازال معينا على نشر وانتشار الاسلام وعلى زيادة التمسك باحكامه وشرائعه وحفظ مقدساته.

ويعرّف الدور الثقافي بأنه: قدرة الفرد على تقييم ما يتلقاه من معارف ومعلومات من وسائل الإعلام المختلفة بما يدعم دوره في معايشة قضايا العصر والانفتاح على العالم الخارجي. ويلعب التعليم دوراً هاماً في هذا المجال حيث أنه كلما نال المرء قسطاً أكبر من التعليم كلما كان أكثر فهماً وإدراكاً ومقاومة للإيحاءات والتأثيرات السلبية التي قد ينقلها الاتصال بالعالم الخارجي.

ولقد جاء الاسلام بثقافة خاصة اساسها التوحيد والايمان بالله والملائكة والانبياء واليوم الآخر واركانها العدل والاخلاق، فهي ثقافة شاملة لكل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية وهي تنطلق من العقيدة وهدفها بناء الانسان الصالح وتوجيهه في مسارات الخير، وبهذا كانت لها ميزاتها من الربانية والواقعية والشمولية والحركية، وقد عرّفت البشرية بنماذج مثقفيها من خلال نماذج المسلمين الاوائل الذين هم الصور الخالدة على مر التاريخ. ولم تكن الثقافة – بما فيها العلم بانواعه – ترفا فكريا بل كانت

اسلوب حياة تهدف الى تنسيق الحياة الاجتماعية والسياسية وتنظيم علاقة الانسان بخالقه.

ان عملية التغيير الاجتماعي وما يتبعه من تغيرات على باقي مناحي المجتمع يعتمد أولاً على الافكار الجديدة وعلى تطوير وتهذيب الافكار السابقة فالفكر هو المنطلق الاساسي وعبر نشر هذا الفكر ضمن الانساق المعرفية المتعددة الموجودة في المجتمع تبدأ عملية التغيير والتطوير والنهضة، ويحتاج هذا التغيير الى وقت زمني وكلما كان هناك تفاعل اكثر مع الافكار الجديدة ومساع حثيثة لنشرها كلما كانت النتائج اسرع وافضل.. وتلعب القدوة دورا حيويا في هذا التفاعل والنقل الامر الذي يسهل ايصال الفكرة الجديدة.

واذا اخذنا بعين الاعتبار ان المجتمع الجاهلي كان يعرض صور مثقفيه من خلال الشعراء بما فيهم اصحاب الهجاء والمجون ويطرح علومه من خلال بعض الاساطير والخرافات التي كان يعتمدها ومن خلال نموذج الكهنة والعرّافين!!، اذ ان العلم النافع عندهم هو علم الانساب والكهانة!!، حيث تغيب العلوم النافعة- لدى كلا الجنسين- ولما جاء الاسلام جاء بدعوة جديدة لطلب العلم والتعلم والتأمل في آيات الافاق والانفس وجعل لكل ذلك اجرا وثوابا مما ادى الى حصول تغيير ذاتي واجتماعي شامل، فلم يعد الانسان ذلك الفرد الجاهلي الذي همه شن الغارات وقراءة اشعار الغزل بل اصبح ذا اهداف عليا وسامية وفي فترة زمنية قصيرة قياسا لما رأيناه فيما بعد من تغيرات ثقافية على الساحة العالمية.

ان احد شروط ظهور الثقافة وبيان مرتكزاتها هو وجود الانسان المثقف الذي يحوّل النظرية الى ارض الواقع وهذا اكبر بيان للثقافة.. ولقد كان الصراع بين الجاهلية والاسلام -ومازال- على شدته وكان لابد للانسان الرسالي من ان يتسلح باسلحة المواجهة واهمها العلم والعمل والايمان فدور المثقف - رجلا كان أو امراة - هو كدور النبي الذي يتمم رسالتهُ الرسول من خلال استمراره في المواجهة ضد الباطل وضد الشرك. فالمثقف من كلا الجنسين هو المحامي عن العقيدة وهو عكس الجاهل أو اللامثقف الذي حتى وان رام البناء فأنه يهدمه!!

ولقد كان العلم هو احد مصادر الثقافة وقد شجع الاسلام على طلب العلم وعلى التعلم والتعليم قال تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(1).

وحث تعالى على طلب الزيادة في العلم: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(2).

ولهذا بدأ الاهتمام بطلب العلم ولكلا الجنسين، واذا ما أخذنا حث الشريعة على العلم والمعرفة فانها قدمت نماذج رجالية ونموذجاً نسوياً كي يتعلم الناس ويعرفوا ماهي القيم الجديدة التي تجعلهم في سُلَّم التمايز والتفاضل.

---

(١) [المجادلة١١].

(٢) [طه ١١٤].

وعرّف الاسلام العلوم النافعة للافراد الامر الذي اوجد تنافسا في سبيل تحقيق سبق علمي في كل المجالات. وافضل العلوم والمعارف هو معرفة الله اي علوم الدين فظهرت العلوم التي تعنى بفهم القرآن وتفسيره ورواية الحديث الى غيره. وقدم الاسلام منهجا متكاملا لأُسسهِ الفكرية الواضحة والتي تستند على عقيدة التوحيد والايمان بالله واليوم الآخر.

ولعل واحدا من ميزات الثقافة الاسلامية انها جاءت برؤية جديدة للمرأة ولدورها الاجتماعي والرسالي في الحياة وقدمت النموذج الاكمل في صورة الزهراء عليها السلام والسيدة خديجة والسيدة زينب عليهما السلام وهي نماذج مثقفة ومتحركة وفاعلة ومؤثرة في المجتمع، وهي ايضا نماذج جديدة غير مسبوقة..

ولا ننسى ان ظهور الاسلام قد صاحبه ظهور ظاهرة جديدة ومهمة هي ظاهرة التعلم والتي بدأت اولى خطواتها من خلال تعليم اسرى بدر لعشرة من المسلمين مقابل اطلاق سراحهم، ففي الوقت الذي لم يكن في المجتمع الجاهلي سوى ثلاثةِ افراد يحسنون القراءة والكتابة ازداد العدد شيئا فشيئا وجذب معه النساء ايضا فظهرت اولى بوادر التعليم النسوي في المدينة على يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وابنته المعلمة الاولى فاطمة الزهراء عليها السلام.

ان العلم يساهم في تمكين المرأة لبناء شخصيتها ضمن اسس عقلية ومنطقية مما يساعدها على بناء ذاتها بالشكل الذي يكون منسجما مع الدين

من جهة ومع العصرنة والحداثة من جهة أخرى، ولا يمكن ان يكون هذا البناء الانساني سليما ما لَمْ يرتكز على الدين الذي يوضح للمرأة - بل لكل انسان- مساره في الحياة واهدافه والوسائل المتبعة لتحقيق الغايات الكبرى.. وحينما تتعلم المرأة تتخلص من سيطرة العادات الجاهلية وعشعشة الخرافة ويتبلور لديها الفهم والوعي وتُحدَد المساحات الفاصلة بين الاسلام الحقيقي وبين الاسلام المتطرف والمشوه، وبذلك تستطيع ان تخطوخطواتها نحو القدوة الحيوية الفاعلة والمؤثرة بعيدا عن اشباه الاصنام واشباه البشر من القدوات المزيفة التي تحاول الهيمنة الاستكبارية عولمتها لصياغة نموذج للمرأة بعيدا عن الدين والاخلاق ومقطوعة عن التاريخ وتراثه العظيم.

ويمكن ان نذكر بأنّ مطالبة النساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخصص لهن يوما للتعلم كان دلالة على الوعي الجديد الذي حملته المرأة المسلمة وكان ذلك بعد ان رأت النساء نموذج المرأة العالمة المعلمة والعارفة والمثقفة في الوسط القاحل، وكل ذلك تجلى في شخصية الزهراء عليها السلام..... المثقفة الاولى والعالمة الاولى الامر الذي شجع النساء على المطالبة بتعلم العلم اقتداءً بها. ففي الرواية:

عن أبي سعيد الخدري قال: قالت النساء للنبي: " غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن[1].

---

(١) ("صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يُجعل للنساء يوم على حدة في العلم، ج١، ص١٩٥، حديث١٠١. الاستيعاب، ج٤، ص٤٦٤ والاصابة، ج٤).

ويمكن القول ان الزهراء عليها السلام مارست دورها الثقافي عبر طريقين:

١ - التثقيف المباشر عن طريق لقاء الناس والذهاب الى المعارك والقاء الخطب وفتح المجالس التي هي مدارس تعليمية والاجابة على الاسئلة الى غير ذلك من الوسائل.

٢ -التثقيف غير المباشر عن طريق التربية العامة وتقديم نموذج القدوة الصالحة ومعظم ما يتفاعل به الناس يكون عن هذا الطريق فيتأثرون بالصورة والصوت والسلوك والتعابير المختلفة وهو اسلوب التربية الصامتة (كونوا لنا دعاة صامتين) فالناس يأخذون من المحيط ويتأثرون بماحولهم ويتعلمون من التجارب والاحداث ويأخذون الخبرات والمهارات، ويمتاز هذا التأثير بأنه عفوي ويحصل في اجواء من الحرية وغياب القيود.

الزهراء عليها السلام المرأة العالمة

إنّ آل البيت عليهم السلام هم اعلم الناس بالرسالة وهم الصور الناطقة لها فهم القرآن الناطق، وقد بذلوا جلّ جهودهم وحياتهم من اجل الحفاظ على بيضة الاسلام ونصرته وصيانته من التحريف.

ومن خلال ما ذكرناه ندرك ان ظهور نموذج المرأة المثقفة في الاسلام والتي تتبنى دعم المشروع الحضاري الاسلامي في نشر الدعوة والدفاع عنها وصيانتها، ندرك ان مجرد وجود هذا النموذج الذي تمثل في الزهراء عليها السلام هو بحد ذاته ثورة وانقلابٌ عظيمٌ.. اذ لا يخفى على احد ان الزهراء عليها السلام كانت المثل الاعلى في العلم والثقافة والادب والفضائل والاخلاق.

فعن الصادق (عليه السلام): «أن الله تعالى أعطى عشرة أشياء لعشرة من النساء: التوبة لحواء زوجة آدم، والجمال لسارة زوجة إبراهيم، والحفاظ لرحيمة زوجة أيوب، والحرمة لآسية زوجة فرعون، والحكمة لزليخا زوجة يوسف، والعقل لبلقيس زوجة سليمان، والصبر لبرحانة ام موسى والصفوة

لمريم ام عيسى، والرضى لخديجة زوجة المصطفى، والعلم لفاطمة زوجة المرتضى[(١)].

وبشهادة ام سلمة رضوان الله عليها إذ تقول: كانت فاطمة (عليها السلام) اعرف مني بالأشياء[(٢)] كما ان آية المباهلة دليل واضح على انها اعلم نساء زمانها.

وكانت عليها السلام تستفيد من الاوقات التي تقضيها مع ابيها صلى الله عليه وآله وسلم في تبادل العلم والمعرفة، والدليل على ذلك قصة الورقة التي قالت عليها السلام انها تعادل عندي حسنا وحسينا وكانت ملقاة في القمامة!! وربما لم يطلع على العلم الذي فيها غيرها عليها السلام.

كانت للزهراء عليها السلام مجالسها الخاصة لتعليم النساء، وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد خصص يوما لتعليم النساء امور دينهن، وكانت المجالس التعليمية اشبه ماتكون بشكل مدارس مصغرة ثم استمر النهج على ذلك حتى رأينا فيما بعد ظهور الطبيبات والعالمات الى غيرذلك. وقد استمرت مجالس النساء فكان لابنتها زينب عليها السلام مجلس خاص أيضاً. وقد سعت عليها السلام بكلّ جهدها في نشر العلم وتعليم الآخرين فكان من نتاج مدرستها السيدة [فضّة] وكانت الزهراء عليها السلام تعلم الامة وتعلم اولادها وخادمتها، وكان الرسول صلى الله عليه وآله

(١) (المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٢١ والبحار ج ٤٣).

(٢) (الطبري ١٩٨٤ ص١٢)

وسلم يطلب من بعض النساء تعليم زوجاته لكنه يوكل تعليم النساء الى الزهراء!! لانها عليها السلام الاعلم، فقد كانت الشِفاء من المبايعين الأوائل ومن المهاجرين وقد علَّمت عائشة وحفصة علم الطب والخط بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ان نموذج المرأة العالمة ومن ثم المعلِمة نموذج جديد لم يكن له شبيه سابق ولهذا بحثت النساء الانصاريات عن الوسائل التي تزيد مانقص عنهن من علم بعد ان كان الانسان الجاهلي – رجلا كان أو امرأة – أُمّياً لا يعرف شيئا من العلوم سوى ماهو مربوط بلغته وشعره لا اكثر، فوجد الناس انفسهم امام إمراة عالمة وشاعرة تجيد الخطابة والبلاغة والفصاحة وفضلا عن ذلك هي إمراة تجد عندها لكل سؤال جواب مع شتى العلوم والمعارف وذلك واضح من خلال آثارها الفكرية المتعددة.

كما ان صورة المرأة الخطيبة هي صورة جديدة اذ لم يكن للخطابة نصيب في الجاهلية والغلبة كانت للشعر، فكيف اذا جاءت كلماتها كسيوف مسلولة في الوقت الحرج مع البلاغة الواضحة!؟.

فقد كشفت في خطبتها عن سمو علمها وبلاغتها وحكمة منطقها ووعيها بالامور.

العطاء الفكري للزهراء عليها السلام

خلفت الزهراء عليها السلام تراثا ضخما من الادعية والاقوال والحكم والاشعار بالاضافة الى انها كانت اول راوية حديث بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونقلت احاديث خطيرة كحديث الثقلين، كما انها تركت موسوعة فقهية يمكن ان ينتفع منها القارئ في الكتب المخصوصة بالاضافة الى مصحف فاطمة وسنمر بعجالة لبيان بعض هذه الاثار الخالدة:

١ - بعض ادعيتها

ـ اللهمّ اجعل أول يومي هذا فلاحاً، وأوسطه صلاحاً، وأخره نجاحاً، اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعلنا ممن أناب إليك فَقبلته، وتوكّل عليك فكفيته، وتضرّع إليك فرحمته[1].

ـ اللهمّ إنّي اسألك الهدى والتقى والعفافَ والغنى، والعمل بما تحبّ وترضى، اللهمّ إنّي أسألك من قوتك لضعفنا، ومن غناك لفقرنا وفاقتنا، ومن حلمكَ وعلمكَ لجهلنا، اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، وأعنّا على

(١) (مسند أحمد: ٦ / ٢٨٢).

شكرك وذكرك وطاعتك وعبادتك يا أرحم الراحمين[١].

ـ دعاء النور

بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبّر الاُمور، بسم الله الذي خلق النور من النور، الحمد لله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور، في رقّ منشور، بقدر مقدور، على نبيّ محبور، الحمد لله الذي هو بالعزّ مذكور، وبالفخر مشهور، وعلى السرّاء والضرّاء مشكور، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين»[٢].

–ومن ادعيتها قالت تدعو ربها: اللهم فرّغني لما خلقتني له ولاتشغلني بما تكفلت لي به اللّهم ذلّل نفسي في نفسي وعظم شأنك في نفسي..

انها تعّرف الناس بالهدف الاساسي من الخلق وتدعو الله ان يفرغها للعبادة.

– مِن دعائها سلام الله عليها:

اللهمّ قنّعْني بما رزقتَني، واسترني وعافني أبداً ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني. اللهمّ لا تُعْيِني في طلبِ ما لا تُقدِّرُ لي، وما قدّرتَه عليّ فاجعلْه ميسّراً سهلا. اللهمّ كافِ عنّي والدَيَّ، وكلَّ مَن له نعمةٌ علَيّ خيرَ مكافأة. اللهمّ فرّغْني لِما خلقتَني له، ولا تشغلني بما تكفّلتَ لي به، ولا تعذّبْني وأنا

---

(١) (نفس المصدر).

(٢) [بحار الانوار: ٤٣ / ٦٦].

أستغفرك، ولا تحرْمني وأنا أسألك.

اللهمّ ذلّلْ نفسي في نفسي، وعظِّمْ شأنك في نفسي، وألهِمْني طاعتَك، والعملَ بما يرضيك، والتجنّب لما يُسخطك.. يا أرحم الراحمين.

وهي وعلى الرغم من مقامها السامي عند الله والملائكة فانها تبحث عن ساعة استجابة الدعاء اذ ورد: عن زيد بن علي، عن آبائه، عن فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وآله يقول: إن في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلا أعطاه. قالت: فقلت: يا رسول الله أي ساعة هي؟ قال: إذا تدلى نصف عين الشمس للغروب. قال: وكانت فاطمة تقول لغلامها: اصعد على السطح، فإن رأيت نصف عين الشمس قد تدلى للغروب فأعلمني حتى أدعو[1].

٢- ومن اقوالها عليها السلام

١ ـ قالت فاطمة عليها السلام: حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث: تلاوة كتاب الله، والنظر في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإنفاق في سبيل الله.

٢ ـ قالت فاطمة عليها السلام: «البُشرُ في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة، والبُشرُ في وجه المعاند المعادي يقي صاحبه عذاب النار.

٣ـ قالت فاطمة عليها السلام: «من أصعد إلى الله خالص عبادته

(١) (دلائل الإمامة: ص٥).

أهبط الله إليه أفضل مصلحته»[١].

٤- عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن أبيها، عن أمه فاطمة ابنة رسول الله "صلى الله عليه وآله": «خياركم ألينكم مناكبه، وأكرمكم لنسائهم»[٢].

٥-... وقالت عليها السلام (عند ولادتها): أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أبي رسول الله سيد الأنبياء، وأن بعلي سيد الأوصياء، وولدي سادة الأسباط[٣].

٦- فقالت عليها السلام: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام[٤].

٧-... فقالت عليها السلام: رضيت بالله رباً، وبك يا أبتي نبياً، وبابن عمي بعلاً وولياً[٥].

٨- عن فاطمة عليها السلام في حق الام: الزم رجلها فإن الجنة تحت أقدامها[٦].

٩- ومن كلامها في فضل علي عليه السلام:

---

(١) (البحار: ٧١/١٨٤).

(٢) (دلائل الإمامة: ٧).

(٣) [البحار، ج٤٣، ص٣].

(٤) [البحار، ج٤٣، ص٢٨].

(٥) [إحقاق الحق، ج٥، ص١١٧].

(٦) [مسند فاطمة، لجلال الدين السيوطي، ص١١٦].

عن بكر بن أحنف قال: حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا قالت: حدثتني فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر قلن: حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد قالت: حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي قالت: حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين قالت: حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي، عن أم كلثوم بنت علي عليهم السلام، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درة بيضاء مجوفة، وعليها باب مكلل بالدر والياقوت، وعلى الباب ستر فرفعت رأسي فإذا مكتوب على الباب: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي القوم)، وإذا مكتوب على الستر: (بخ بخ، من مثل شيعة علي؟) فدخلته فإذا أنا بقصر من عقيق أحمر مجوف، وعليه باب من فضة مكلل بالزبرجد الأخضر، وإذا على الباب ستر، فرفعت رأسي وإذا مكتوب على الباب (محمد رسول الله، علي وصي المصطفى)[1].

١٠- عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على مولاتي فاطمة عليها السلام وقدامها لوح يكاد ضوءه يغشي الأبصار، فيه اثنا عشر اسماً ثلاثة في ظاهره وثلاثة في باطنه، وثلاثة أسماء في آخره، وثلاثة أسماء في طرفه، فعددها فإذا هي اثنا عشر اسماً، فقلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: هذه أسماء

(١) (البحار: ج٦٨، ص٧٦ -٧٧).

الأوصياء أولهم ابن عمي وأحد عشر من ولدي، آخرهم القائم (صلوات الله عليهم أجمعين). قال جابر: فرأيت فيها محمداً محمداً محمداً في ثلاثة مواضع، وعليا وعليا وعليا وعليا في أربعة مواضع.

١١ - قالت عليها السلام: ... فو الله يا سلمان، لا أخلي باب المسجد حتى أرى ابن عمي سالماً بعيني. فرجع سلمان إلى علي عليه السلام فأخبره بمقالة فاطمة، فقام علي وخرج من المسجد، فلما رأته انكبت على كتفيه وهي تقول: روحي لروحك الفداء، ونفسي لنفسك الوقاء يا أبا الحسن، إن كنت في خير كنت معك، وإن كنت في شر كنت معك. فبكيا جميعاً صلوات الله عليهما. (نقلت هذه الاحاديث بتصرف من كتاب فاطمة بهجة قلب المصطفى للهمداني).

٣- بعض أشعارها سلام الله عليها

نسبت للزهراء عليها السلام بعض القصائد الشعرية البليغة، ممّا يدل على تمكّنها من ناصية اللغة ومعرفتها لهذا الفن.

وقد جمع الشعر المنسوب إليها في ديوان، فبلغ ثمانِ عشرة بين مقطوعة وقصيدة، وأغلبه في رثاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١ - حكي عن الزهراء عليها السلام كانت تلاعب الحسن عليه السلام وتقول:

أشبه أباك يا حسن   واخلع عن الحق الرسن

واعبـــد إلهـــاً ذا مـــنن　　　ولا تـــوالى ذا الإحـــن

وقالت للحسين عليه السلام:

أنـــت شـــبيه بـــأبي　　　لـــست شـــبيهاً بعلـــي

٢-ولما دفن رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلت على أنس بن مالك فقالت: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وآله التراب؟ ثم بكت ورثته قائلة:

أغـبر آفـاق الـسماء وكـورت　　　شمـس النهـار وأظلـم العـصران

فـالأرض مـن بعـد الـنبي كئيبـة　　　أسـفاً عليـه كـثيرة الرجفـان

فليبكـه شـرق الـبلاد وغربهـا　　　ولتبكـه مـضر وكـل يمـان

يـا خـاتم الرسـل المبـارك ضـوءه　　　صـلى عليـك مُنـزِّلُ القـرآن

ثم أخذت قبضة من تراب القبر فجعلتها على عينيها ووجهها ثم أنشأت تقول:

مـاذا علـى مـن شـم تربـة أحمـد　　　أن لا يـشم مـدى الزمـان غواليـا

صـبت علـيَّ مـصائب لـو أنهـا　　　صـبت علـى الأيـام عـدن لياليـا

٣-ومن جملة ما ينسب إلى فاطمة عليها السلام في رثاء أبيها:

نفـسي علـى زفراتهـا محبوسـة　　　يـا ليتهـا خرجـت مـع الزفـرات

لا خـير بعـدك في الحيـاة وإنمـا　　　أبكي مخافة أن تطول حياتي[١]

(١) (إحقاق الحق) ج١٠، ص٤٣٥.

وحكي البيتان عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد دفن فاطمة عليها السلام.

٤ –وقولها ترثيه صلى الله عليه وآله:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى	إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صبت عليَّ مصائب لو أنها	صبت على الأيام صرن لياليا
قد كنت ذات حمى بظل محمد	لا أختشي ضيماً وكان جماليا
فاليوم أخشع للذليل وأتقي	ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
فإذا بكت قمرية في ليلها	شجناً على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي	ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا
ماذا على من شم تربة	أن لا يشم مدى الزمان غواليا[1]

٥ – قالت الزهراء عليها السلام:

إذا مات يوماً ميتاً قل ذكره	وذكر أبي مذ مات والله أزيد
تذكرت لما فرّق الموت بيننا	فعزيت نفسي بالنبي محمد
فقلت لها: إن الممات سبيلنا	ومن لم يمت في يومه مات في غد[2]

٦ – وقالت عليها السلام:

إذا أشتد شوقي زرت قبرك باكياً	أنوح وأشكو لا أراك مجاوبي
فيا ساكن الغبراء علمتني البكا	وذكرك أنساني جميع المصائب

(١) (أعيان الشيعة) ج١، ص٣٢٣، ط بيروت.

(٢) (البحار) ج٢٢، ص٥٢٣.

فـإن كنـت عـني في الـتراب مغيبـاً فمـا كنـت عـن قلبي الحـزين بغائـب

٨-أنشدت الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله:

وكنـت بـدراً ونـوراً يستـضاء بـه عليـك تنـزل مـن ذي العـزة الكتـب

وكـان جبريـل روح القـدس زائرنـا فغـاب عنـا وكـل الخـير محتجـب

فليـت قبلـك كـان المـوت صـادفنا لمـا مـضيت وحالـت دونـك الحجـب

إنـا رزئنـا بمـا لم يـرز ذو شـجن مـن البريـة لا عجـم ولا عـرب

ضـاقت علـي بـلاد بعـد مـا رحبـت وسيم سبطاك خسفاً فيه لي نصب

فأنـت والله خـير الخلـق كلـهم وأصدق الناس حيث الصدق والكذب

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت مـن العيـون بتهمـال لهـا كـسب[1]

٤- فقه الزهراء عليها السلام

تركت الزهراء عليها السلام موارد فقهية موجودة في بعض المصنفات، وكنت اتمنى لو سلط الفقهاء عليها ضوءا اكثر، ونشير هنا الى واحدة منها لضيق المكان:

عن علي بن الحسين عن عبد الرحمن بن أبي نجران، وسندي بن محمد، ومحمد بن الوليد جميعا عن عاصم بن حميد عن يزيد بن خليفة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الله أتصلي النساء على الجنازة؟ قال: فقال: أبو عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله

(١) (البحار) ج٤٣، ص١٩٥ -١٩٧

عليه وآله كان فيما هدر دم المغيرة بن أبي العاص، وحَدَّثَ حديثا طويلا، وان زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله توفيت وإن فاطمة عليها السلام خرجت في نسائها فصلت على أختها[١].

- عن علي، عن فاطمة رضي الله عنهما، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حبيبة أبيها كل مسكر حرام، وكل مسكر خمر[٢].

٥- مصحف فاطمة عليها السلام

لفظ المصحف كما ورد في كتاب لسان العرب: المصحف والمصحف الجامع للصّحف المكتوبة بين الدفتين كأنه أصحف والكسر والفتح فيه لغة.

وفي المصباح المنير: والصحيفة قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه... والجمع صحف بضمتين وصحائف... والمصحف بضم الميم أشهر من كسرها.

مصحف فاطمة في الأحاديث الشريفة

في حديث عن أبي عبدالله عليه السلام: ومصحف فاطمة ما أزعم أنّ فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد حتّى إنّ فيه الجلده ونصف الجلده وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش.

وعن حمّاد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: تظهر

(١) (الاستبصار - الشيخ الطوسي، باب الصلاة على جنازة معها امرأة، ج١ ص ٤٨٥ -٤٨٦).
(٢) (دلائل الامامة: ٣).

زنادقة سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأنّي نظرت في مصحف فاطمة. قال: فقلت: وما مصحف فاطمة؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لّما قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجلّ، فأرسل اليها ملكاً يسلّي عنها غمّها ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي. فأعلمته، فجعل يكتب كلّ ما سمع حتّى أثبت من ذلك مصحفاً. قال: ثم قال: أما إنّه ليس الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون[1].

وفي حديث آخر قال له الراوي: فمصحف فاطمة؟ فسكت طويلاً ثمّ قال: إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون، إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوماً وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانهِ، ويخبرها[2].

قلت: جعلت فداك فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيّها؟ قال: دفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا مضى صار إلى الحسن ثم إلى الحسين عليهما السلام، ثم عند أهله حتّى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر. فقلت: إنّ هذا العلم كثير! قال: يا أبا محمد، إنّ هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوّله، وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثانية ولا تكلّمت بحرف منه[3].

---

(١) (البحار: ٤٣ | ٨٠).

(٢) (البحار: ٤٣ | ٨٠).

(٣) (دلائل الإمامة للطبري: ٢٧ – ٢٨).

وأيّاً كانت الروايات حول مصحف فاطمة فهو غير موجود حاليا بين ايدينا، فهو يرمز الى رعاية الهية خاصة لهذه المرأة العظيمة، فالله تعالى ارسل الملائكة لتواسي الزهراء عليها السلام كما ارسل ملائكة لتكلم مريم وهذا ليس بالامر الغريب، وهو ما اجمع عليه علماؤنا، والذي اقوله ان الله تعالى اراد ان يعرّف الناس قدر فاطمة عند الله تعالى بعد الاحداث الساخنة فقرن اسمها بهذا المصحف لتبقى في وجدان الانسان وفي ضمير كل مسلم، فهو ليس للتسلية فحسب انما هو تطييب للخواطر وتعريف بما سيكون فيما بعد، وهو تهذيب للامة بأن الانسان الممتحن والذي يمر بمحنة أيّاً كان شكلها بحاجة الى مواساة الآخرين وتصبيرهم لا كما حصل مع الزهراء عليها السلام من الهجوم على دارها واسقاط جنينها!، كما انه اشارة الى عناية الزهراء عليها السلام بهذه الاملاءات فنرى انها جمعتها في مصحف صيانة لها من التلف وهو يدل على حرص الزهراء على مافيها من العلم والخوف من ان تفقد منه شيئا وهو اشارة الى الابداع عندها عليها السلام والى اهتمامها بالنظم والتنظيم.

ولعله – والله اعلم – كان نزول الملائكة على الزهراء عليها السلام وانشغال علي عليه السلام بكتابة المصحف – كعهده منذ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – تسلية لخاطر امير المؤمنين عليه السلام ايضا بعد رحيل رسول الله وما لاقى من ظلم واذى من قبل المسلمين.

كانت الزهراء عليها السلام تُحدِّثُ الملائكة وكان نتاج هذا الحديث هو مصحف فاطمة فسميت عليها السلام بالمحدَّثة بفتح الدال وقد كانت محدثة

بكسر الدال تحدث امها وهي جنين في بطنها اما المحدثة بالفتح:

فهي التي يطلعها أحد على الوقائع والحقائق من وراء حجاب، أو التي تستلهم الأخبار من قبل الله تعالى، عن طريق الوحي وهو الملك.

(والمحدَّث من تكلمه الملائكة بلا نبوة ولا رؤية صورة، أو يلهم له ويبقى في روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى، أو ينكت له في قلبه من حقايق تخفى على غيره، أو غير ذلك من المعاني التي يمكن أن يراد منه).

وقال (العلامة الأميني رحمه الله في كتابه القيم: [1] (إن في هذه الأمة أناساً محدَّثين كما كان في الأمم الماضية، وأمير المؤمنين وأولاده الأئمة الطاهرون علماء محدثون وليسوا بأنبياء. وهذا الوصف ليس من خاصة منصبهم ولا ينحصر بهم بل كانت الصديقة كريمة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم محدثة، وسلمان الفارسي محدثا. نعم كل الأئمة من العترة الطاهرة محدثون، وليس كل محدث بإمام، ومعنى المحدث هو العالم بالأشياء بإحدى الطرق الثلاث المفصلة في الأحاديث.

ويستفاد من أحاديث عديدة أنّ الملائكة كانت تنزل على فاطمة (عليها السلام) من قبل الله، وتطلعها على ما يحدث وما سيحدث في المستقبل، إنّ الوحي الذي خصّ بالرسالة والأحكام ونزول الآيات القرآنية قد انقطع مع وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنّه خاتم الأنبياء، ولا يأتي رسول بعده،

---

(١) (الغدير ج٥ ص ٤٩).

وهذه عقيدتنا كما إنّ الدين كامل والنعمة تامّة بولاية أهل البيت (عليهم السلام)، ولكنّ الوحي لم ينقطع بالإيحاء للأولياء والإخبار عن المستقبل، فإنّ الله سبحانه يوحي عن طريق ملائكته لمن يشاء ومتى يشاء، لأنّ الوحي لا يقتصر على الأنبياء، فالله أوحى إلى أُمّ موسى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾.

وأوحى الله إلى النحل والى السماء، إذ ليست سيّدة نساء العالمين وبنت سيّدة الأنبياء والمرسلين بأقلٍّ شأناً من مريم بنت عمران، أو سارة زوجة إبراهيم، أو أُمّ موسى، وليس معنى ذلك أنّ مريم أو سارة أو أُمّ موسى كنَّ من الأنبياء، وكذلك ليس معنى ذلك أنّ السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت نبيَّةً.

- عن إسحاق بن جعفر بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنما سميت فاطمة مُحدَّثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا فاطمة، اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين[1]. فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإن الله جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين[2].

---

(١) (إشارة إلى الآية ٤٢ و٤٣ من سورة آل عمران)

(٢) (البحار: ج٤٣، ص٧٨).

– عن عبد الله بن الحسن المؤدب عن أحمد بن علي الأصفهاني، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن إسماعيل بن بشار قال: حدثنا علي بن جعفر الحضرمي بمصر منذ ثلاثين سنة قال: حدثنا سليمان قال: محمد بن أبي بكر لما قرأ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾[١]. ولا مُحدَّث، قلت: وهل يحدث الملائكة إلا الأنبياء؟ قال: إن مريم لم – تكن نبيَّةً وكانت مُحدَّثةً، وأم موسى بن عمران كانت محدَّثةً ولم تكن نبيَّةً، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبيَّةَ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت محدَّثةً ولم تكن نبيَّةً[٢].

وإنّ الأئمّة (عليهم السلام) كانوا جميعهم محدّثين في زمانهم، أي أنّهم كانوا يستلمون الأخبار الجديدة من قبل الله تعالى[٣].

٦- خطبتا الزهراء عليها السلام

للزهراء عليها السلام كما هو معروف خطبتان الاولى ألقتها في المسجد النبوي والثانية في تجمع لنساء الانصار وكلاهما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي اولى الخطب النسائية في الاسلام، وقد ازدهرت الخطابة في عصر الاسلام وطغت على الشعر الذي كان الاول في العصور التي قبله

(١) (سورة الحج: الآية ٥٢)
(٢) (البحار: ج٤٣، ص٧٩).
(٣) (البحار: ج٤٣، ص٧٩).

وذلك لما في الخطابة من قدرة على ايصال وتوضيح المعاني الجديدة التي رافقت الدعوة وفي التأثير على جماعة المسلمين وقد كانت هناك عدة خطب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخرها خطبة الغدير التي تم فيها تنصيب امير المؤمنين عليه السلام والتي مثلت وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الامة.

وقد القت خطبتها عليها السلام وهي في الثامنة عشرة فهي من اهل بيت زقو العلم زقا وكانت كلا الخطبتين قد استجمعتا الفصاحة والبلاغة وقوة المعاني والاستدلال والبيان وتوضيح المقاصد وعلل الشرائع بشكل يوحي بكمالها العلمي وقدرتها الثقافية وكيف لا وهي اعظم النساء شأنا في العلم والمعرفة. وقد عرضنا الخطبتين في الدور السياسي.

قال الإمام السيد شرف الدين رحمه الله: وللزهراء عليها السلام حجج بالغة، وخطبتاها في ذلك سائرتان، كان أهل البيت يلزمون أولادهم بحفظهما كما يلزمونهم بحفظ القرآن[1].

(١) (المراجعات المراجعة ١٠٣).

الاسهامات الثقافية للزهراء عليها السلام

تعددت عطاءات الزهراء عليها السلام الثقافية خاصة في المجتمع المدني الذي استقبل الاسلام واستقبل ثقافته الجديدة برحابه صدر. وقد كان للزهراء عليها السلام دورها الواضح في بلورة الثقافة الاسلامية من عدة جوانب منها:

أ- رواية الحديث

تعتبر الزهراء عليها السلام اول النساء اللائي حفظن السنة المطهرة من خلال رواية الحديث ومن خلال الدفاع عن الاصول العامة فيها كالامامة من خلال رواية الاحاديث المفصلية المهمة كحديث الثقلين.

ولا يغيب عن بالنا ان رواية الحديث عن شخصية عظيمة كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان امرا جديدا بحد ذاته وكان مهما للغاية ويتسم بقدسية وكانت تمثل ربطا بالنبوة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووسيلة اعلامية قوية ومؤثرة، ولهذا نجد – على الجانب الآخر – ظهور ظاهرة التحريف المشوه للاحاديث مع نشر الحديث الكاذب والذي انتشر في العهد الاموي لتحقيق منافع آنية كاسقاط القداسة عن شخصيات مهمة كامير

المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام واهل بيته ولترويج مفاهيم مغلوطة كاسباغ القداسة على الحكام الظلمة واعتبار الخروج عليهم ذنبا لا يغتفركما اشرنا الى ذلك. مضافا الى ذلك ان رواية الحديث امر يحتاج الى معرفة وعلم وقدرة على الحفظ والاستظهار وجرأة في بيان الحديث وان وجد من يخالفه كحديث الثقلين، كما ان عدم تدوين السنة النبوية كان هو السبب في كل ما تعانيه الامة المسلمة الآن من انشقاق واختلاف لاختلاف الاحاديث المروية واختلاطها بالكاذب، والملاحظ ان الزهراء عليها السلام لم تنقل احاديث خاصة عن حياة الرسول الخاصة وان كانت هي الحاضرة معه دوما بل اننا نجد ذلك حتى في اقوالها فهي لم تتفوه بشيء عن علاقتها مع امير المؤمنين اوعن محطات حرجة كما تحدثت بذلك بعض زوجاته وهذا اشارة الى ادبها والى تقديسها للحياة الاسرية وصيانة لاسرارها.

وجمع الحافظ جلال الدين السيوطي حديث الزهراء عليها السلام المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في (مسند فاطمة الزهراء عليها السلام) فكان فيه ٢٨٢ حديثاً في مجمل أحوالها وتاريخها وما روي عنها، وقد جمعه من كتب العامّة المعتبرة. وجمع الشيخ عزيز الله العطاردي في (مسند فاطمة الزهراء) ١١٢ حديثاً مروياً عنها من مصادر الشيعة وبعض مصادر العامّة، موزعة على ١٦ باباً من أبواب القرآن والفقه والدعاء والعقائد والاحتجاج والحكم والمواعظ وغيرها(١)، وعدّ في آخر المسند تسعة

(١) (مسند فاطمة عليها السلام | العطاردي: ٤٧١ – ٥٨٦، منشورات عطارد نقلا عن الهمداني بهجة ←

وعشرين صحابياً ممن روى عنها عليها السلام.

وفي آخر عوالم الزهراء عليها السلام للشيخ عبدالله البحراني، جمع محققو الكتاب مسند الزهراء عليها السلام من كتب الفريقين في أواخر الجزء الثاني منه، تحت عنوان (الأحاديث الغراء من مسند فاطمة الزهراء عليها السلام) فبلغ ٢١٩ حديثاً في عناوين مختلفة[١].

وقال الاستاذ توفيق أبو علم عن هذه النقطة بالذات: (أخذت الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه أو ما كان يأمر بكتابته لها، وقد أخذ عنها ابناها الحسن والحسين وأبوهما عليّ وحفيدتها فاطمة بنت الحسين مرسلاً وعائشة وام سلمة وأنس بن مالك وسلمى أم رافع رضي الله عنهم، وقد ساعدها على ذلك أنّها ألّمت بكثير من علوم القرآن وإحاطتها باُمور من الشرائع السابقة، وكانت تعرف القراءة والكتابة، ولقد فطمها الله بالعلم، وكان أبوها رسول اله صلى الله عليه وآله وسلم يستكتب لها الصحف التي تسترشد بها في أمر دينها وتبصّرها باُمور دنياها، فالسيّدة فاطمة من أهل بيت اتّقوا الله وعلّمهم الله)] ولنعم هذا الاقتباس من قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[٢].

بعض الاحاديث التي روتها عليها السلام.

قلب المصطفى).

(١) (عوالم الزهراء عليها السلام | البحراني ٢: ٨٥٥ - ٩٣٤).

(٢) راجع (أهل البيت) لتوفيق أبو علم: ص١٢٨ - ١٢٩).

١ –حديث الثقلين

عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه يقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً يسيراً، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي. ثم أخذ بيد علي فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض، فأسألكم ما تخلفوني فيهماوقال القندوزي: وفي (الصواعق المحرقة): روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً وإن كثيراً من طرقه صحيح وحسن[1].

٢ – عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم عليه السلام، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي[2].

٣– عن زينب، عن فاطمة بنت رسول الله عليهما السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: يا أبا الحسن أما إنك وشيعتك في الجنة[3].

٤ –عن شيبة، عن فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم الا ولد

(١) (ينابيع المودة: ص ٤٠).

(٢) (الكافي – الشيخ الكليني – ج ١ – ص ٥٣٢١).

(٣) (إحقاق الحق: ج٧، ص٣٠٧).

فاطمة فإني أنا أبوهم وأنا عصبتهم[١].

٥ ـ محمد بن أحمد بن داود عن علي بن حبشي بن قوني قال: حدثنا علي بن سليمان الزراري عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن إسماعيل عن الخيبري عن يزيد بن عبد الملك عن أبيه عن جده قال: دخلت على فاطمة (عليها السلام) فبدأتني بالسلام ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت طلبت البركة قالت: اخبرني أبي وهو ذا، هو انه من سلم عليه وعلي ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة، قلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم وبعد موتنا[٢].

٦ ـ من الاحاديث التي روتها حديث الكساء

رَوَى هذا الحديث الشّيخ عبد الله بن نور الله البحراني في كتابه " عَوالِمِ العلوم " بسندٍ صحيح عن جابر بن عبد الله الانصاري.

٧ ـ عن الحسين عليه السلام، عن أمه فاطمة رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إياك والبخل، فإنه عاهة لا تكون في كريم. إياك والبخل فإنه شجرة في النار واغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله النار. وعليك بالسخاء، فإن السخاء شجرة من شجر الجنة، أغصانها متدلية إلى الأرض، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنة[٣].

(١) (تهذيب الكمال للمزي: ١٩/ ٤٨٣، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١١/ ٢٨٣، المعجم الكبير للطبراني: ٢٢/ ٤٢٣).

(٢) (تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٦ – ص٩).

(٣) (أهل البيت لتوفيق أبو علم: ١٣٠ – ١٣١).

٨- عن فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام، عن أبيها، عن جدها فاطمة الكبرى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يدفن من ولدي سبعة بشاطئ الفرات، لم يبلغهم الأولون، ولم - يدركهم الآخرون[(١)].

٩- روى الشيخ الكليني بالإسناد عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «جاءت فاطمة عليها السلام تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض أمرها، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كُريسة، وقال: تعلّمي ما فيها، فإذا فيها: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت[(٢)].

١٠- عن عبد الله بن حسن عن أمه فاطمة بنت حسين عن جدها فاطمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل المسجد صلى على النبي صلى الله عليه وآله وقال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج صلى على النبي صلى الله عليه وآله وقال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك[(٣)].

١١- عن محمد بن عمر الكناسي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن فاطمة الصغرى، عن الحسين بن علي، عن فاطمة بنت

(١) (بحار الأنوار: ٨ / ١٣١).

(٢) (الكافي ٢: ٦٦٧ | ٦).

(٣) (المعجم الكبير للطبراني: ٤٢٤/٢٢، سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزويني: ٢٥٣/١).

محمد صلى الله عليه وآله خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إن الله عز وجل باهى بكم، فغفر لكم عامة، وغفر لعلي خاصة، وإني رسول الله إليكم غير هائب لقومي ومحاب لقرابتي، هذا جبرائيل عليه السلام يخبرني: إن السعيد، كل السعيد، حق السعيد، من أحب علياً في حياتي وبعد وفاتي[1].

١٢- وعن بكر أحمد القصري: حدثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا: حدثتني فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر قلن: حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد الصادق: حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي: حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين: حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين، عن أم كلثوم بنت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، عن فاطمة: بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم (من كنت مولاه فعلي مولاه)؟ وقوله صلى الله عليه وآله: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)[2].

١٣- عن سيدة النساء فاطمة ابنة سيد الأنبياء صلوات الله عليهم أنها سألت أباها محمداً صلى الله عليه وآله فقالت: يا أبتاه ما لمن تهاون بصلاته من الرجال والنساء؟ قال: يا فاطمة من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة، ست منها في دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث في قبره، وثلاث في القيامة إذا خرج من قبره.

---

(١) (أسنى المطالب لشمس الدين الجزري، ص٦٦).

(٢) (أسنى المطالب، لشمس الدين الجزري، ص٥٠).

وأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا: فالأولى يرفع الله البركة من عمره، ويرفع الله البركة من رزقه، ويمحو الله عز وجل سيماء الصالحين من وجهه، وكل عمل يعمله لا يؤجر عليه، ولا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظ في دعاء الصالحين.

وأما اللواتي تصيبه عند موته: فأولهن أن يموت ذليلاً، والثانية يموت جائعاً، والثالثة يموت عطشاً، فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه. وأما اللواتي تصيبه في قبره: فأولهن يوكل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثانية يضيق عليه قبره، والثالثة تكون الظلمة في قبره.

وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره: فأولهن أن يوكل الله به ملكاً يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية يحاسب حساباً شديداً، والثالثة لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم)[(١)].

١٤- عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: من كنت وليه فعلي وليه، ومن كنت إمامه فعلي إمامه[(٢)].

١٥- في حديث طويل عند رؤية النبي صلى الله عليه وآله أنواع العذاب لنساء أمته ليلة الإسراء: فقالت فاطمة عليها السلام: حبيبي وقرة

(١) (مستدرك الوسائل: ج١، ص١٧١- ١٧٢، سفينة البحار: ٢ / ٤٣).

(٢) (البحار: ج٦٨، ص٧٦ -٧٧).

عيني أخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتى وضع الله عليهن هذا العذاب؟ فقال: يا بنتي أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها، وأما المعلقة بثديها فإنها كانت تمتنع من فراش زوجها وأما المعلقة برجليها فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، وأما التي كانت تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزين بدنها للناس، وأما التي شدت يداها إلى رجليها وسلط عليها الحيات والعقارب فأنها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض، ولا تتنظف، وكانت تستهين بالصلاة، وأما العمياء الصماء الخرساء فإنها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها، وأما التي تقرض لحمها بالمقاريض فأنها تعرض نفسها على الرجال، وأما التي كانت تحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها فإنها كانت قوادة، وأما التي كان رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن الحمار فإنها كانت نمامة كذابة، وأما التي كانت على صورة الكلب، والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فإنها كانت قينه نواحة حاسدة، ثم قال عليه السلام: ويل لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها)[(١)].

١٦ـ قالت عليها السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيراً[(٢)].

---

(١) البحار: ج٨، ص٣٠٩ –٣١٠).

(٢) (أمالي الطوسي: ج١، ص٣١٨).

١٧ –عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنها قالت: ما يصنع الصائم بصيام إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه[١].

١٨ – الحكم بن أبي نعيم قال: سمعت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحدث عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أعتق رقبة مؤمنة كان له بكل عضو منها فكاك عضو منه من النار[٢].

١٩ –حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، عن عبد الرحمن بن دبيس الملائي، عن بشير بن زياد الجزري، عن عبد الله بن حسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى قالت: قال النبي صلى الله عليه وآله: إذا مرض العبد أوحى الله إلى ملائكته أن ارفعوا عن عبدي القلم ما دام في وثاقي، فإني أنا حبسته، حتى أقبضه أو أخلي سبيله. قال: فذكرت لبعض ولده فقال: كان أبي يقول: أوحى الله إلى ملائكته: اكتبوا لعبدي أجر ما كان يعمل في صحته.

٢٠ –روى السيد محمد الغماري الشافعي في كتابه: عن فاطمة بنت الحسين الرضوي، عن فاطمة بنت محمد الرضوي، عن فاطمة بنت إبراهيم الرضوي، عن فاطمة بنت الحسن الرضوي، عن فاطمة بنت محمد الموسوي، عن فاطمة بنت عبد الله العلوي، عن فاطمة بنت الحسن الحسيني، عن فاطمة

---

(١) (مستدرك الوسائل: ج١، ص٥٦٥).

(٢) (أمالي الطوسي، ج٢، ص٤).

بنت أبي هاشم الحسيني، عن فاطمة بنت محمد بن أحمد بن موسى المبرقع، عن فاطمة بنت أحمد بن موسى المبرقع، عن فاطمة بنت موسى المبرقع، عن فاطمة بنت الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام، عن فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام، عن فاطمة بنت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، عن فاطمة بنت الباقر محمد بن علي عليهما السلام، عن فاطمة بنت السجاد علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام، عن فاطمة بنت أبي عبد الله الحسين عليه السلام، عن زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ألا من مات على حب آل محمد مات شهيداً).

٢١- عن أبي الطفيل، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: سمعت فاطمة عليها السلام تقول: سألت أبي عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ﴾ قال: هم الأئمة بعدي: علي وسبطاي وتسعة من صلب الحسين، هم رجال الأعراف، لا يدخل الجنة إلا من يعرفهم ويعرفونه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وينكرونه، لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتهم.

وبعض من روى عنها عليها السلام:

١ - ابن أبي مليكة.

٢ - أبو أيوب الأنصاري.

٣ - أبو سعيد الخدري.

٤ – أبو هريرة.

٥ – أسماء بنت عميس.

٦ – أُم كلثوم.

٧ – بشير بن زيد.

٨ – جابر بن عبدالله الأنصاري.

٩ – الحسن بن علي عليه السلام

١٠ – الحسين بن علي عليه السلام

١١ – الحكم بن أبي نعيم.

١٢ – ربعي بن خراش.

١٣ – زينب بنت أبي رافع

١٤ – زينب بنت علي عليهما السلام

١٥ – سلمان الفارسي المحمدي.

١٦ – سهل بن سعد الأنصاري.

١٧ – شبيب بن أبي رافع.

١٨ – العباس بن عبد المطلب.

١٩ – عبدالله بن الحسن.

٢٠ – عبدالله بن العباس.

٢١ - عبدالله بن مسعود.

٢٢ - علي بن أبي طالب عليه السلام

٢٣ - علي بن الحسين عليهما السلام

٢٤ - عوانة بن الحكم.

٢٥ - فاطمة بنت الحسين عليه السلام

٢٦ - القاسم بن أبي سعيد الخدري.

٢٧ - هارون بن خارجة.

٢٨ - هشام بن محمد.

٢٩ - يزيد بن عبد الملك[١].

وكثرة عدد الرواة دليل واضح على انها لم تكن بمنأى عن الحياة الاجتماعية بل كانت حاضرة بين الناس يسمعون منها ويسالونها ويبحثون عن جواب لاسئلتهم بين الاحاديث الشريفة.

وقد ازدهرت حركة الرواية النسائية بفضل الزهراء عليها السلام فنشأ جيل من المحدثات امثال اسماء بنت يزيد الانصارية والتي كانت معها حينما القت خطبتها في المسجد وام سلمة رضي الله عنها اضافة الى جملة الرواة الذين ذكرناهم.

---

(١) مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام) للشيخ عزيز الله العطاردي: ٥٩٠ - ٦٠٢. عن كتاب الهمداني بهجة قلب المصطفى الفصل التاسع عشر).

ب- تعليم النساء المسلمات

واكبت الدعوة الاسلامية اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعملية التعليم والذي بدأ من خلال تعليم اسرى بدر لعشرة من المسلمين مقابل اطلاق سراحهم، ولم تكن المرأة مستثناة عن هذه القاعدة فقد اوصى الرسول الشفاء: (ألا تُعلّمين هذه – يريد حفصة – رقية النملة كما علمتها الكتابة). [سنن أبي داوود]. من عظمة فعل الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان أمّيّاً وأمر بتعليم زوجته المسنة حفصة الكتابة!.

ويعتبر تعليم النساء احد اهم عوامل التنمية في المجتمع وهو يساهم في تحسين صورة المرأة عن ذاتها وبلورة مواهبها اضافة الى انه احد مؤشرات التقدم في المجتمع. وبما ان للمرأة ادوارا متعددة فهي حاضنة الاجيال ومعلمتهم فان التعليم السليم يساهم في تطوير المرأة من خلال التسلح بالفكر الواعي الذي يقضي على الخرافة والجهل اضافة الى انه يشكل اهم احد عناصر القوة في شخصية المرأة ولهذا حرص الاسلام على تعليم النساء وحثهن على طلب العلم فقد خصص الرسول يوما خاصا لهن لطلب العلم منه شخصيا كما جعل صلى الله عليه وآله وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة..

وحصول المرأة على التعليم هو أيضاً عامل مهم في ما يتعلق بمستويات التغذية وصحة الطفل. فثمة دراسات من أفريقيا تبيّن أن أطفال الأم التي أنفقت خمس سنوات في التعليم الابتدائي تزيد بنسبة قدرها ٤٠ في المائة

احتمالات أن يعيشوا إلى ما بعد سن الخامسة.

مضافا الى ذلك فان التعليم يساهم في تطوير المجتمع من خلال الثقافة الجديدة، وبالعكس فأن الامية تساهم في اعادة وانتاج الثقافة التقليدية التي كانت سيماء المجتمع الجاهلي خاصة فيما يتعلق بدور المرأة وحقوقها وواجباتها الامر الذي قد يتعارض تماما مع ثقافة الاسلام.

هذا وتُصنفُ كثير من الدول الاسلامية - للأسف - على رأس قائمة الدول الأكثر أميةً!!، وذلك لأسباب عديدة من أهمها أن الأسرة المسلمة طيلة أربعة قرون من الانحطاط أعطت الأولوية لتعليم الرجل، وهمّشت تدريس النساء، وحصرت دورهن في خدمة الرجل.

وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم استوصوا بالنساء خيرا. له مدلولات عدة منها علموهن ما ينفعهن من امور دينهن ودنياهم وكم وجدنا — للاسف - زوجات لعلماء كبار ولكنهن لا يفقهن من الدين شيئا!! وكم رأينا نساءً - وكذلك رجالاً - حاصلات على اعلى الشهادات الجامعية لكنهن اميات في القرآن ولا يمتلكن حتى قدرة النطق الصحيح للآية مع ان لسان القرآن هو لسانهن!! وهذا الاستيصاء يشمل كل ماينفع المرأة ويخلصها من الشعور بالقهر والهوان والانكسار وهي دعوة انسانية حملها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنبذ كل اشكال الاستغلال السّيّئ للمراة بل وجعل مقياس التفاضل هو الخيرية للنساء (خيركم خيركم لنسائه).

قال الحسين عليه السّلام: من كفل لنا يتيما قطعته عنّا محنتنا باستتارنا

فواساه من علومنا الّتي سقطت إليه حتّى أرشده بهداه قال اللّه عزّ وجلّ: يا أيّها العبد الكريم المواسي إنّي أولى بهذا الكرم منك، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كلّ حرف علّمه إيّاه ألف ألف قصر وضمّوا إليها ما يليق بها من سائر النعم(١).

وقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: «أوحى اللّه عزّ وجلّ إلى موسى حبّبني إلى خلقي وحبّب خلقي إليّ، قال: يا ربّ كيف أفعل؟ قال: ذكّرهم آلائي ونعمائي ليحبّوني فلئن تردّ آبقا عن بابي، أو ضالا عن فنائي أفضل لك من عبادة مائة سنة بصيام نهارها وقيام ليلها، قال موسى عليه السّلام: ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال: العاصي المتمرّد، قال: فمن الضالّ عن فنائك؟ قال: الجاهل بإمام زمانه تعرّفه، والغائب منه بعد ما عرفه، الجاهل بشريعة دينه تعرّفه شريعته، وما يعبد به ربّه، ويتوصّل به إلى مرضاته(٢).

وقد كانت للزهراء عليها السلام مجالسها الخاصة في تعليم النساء، وهي اول مجالس عرفها الاسلام في تعليم النساء اي المدارس الاولى لتعليم النساء في الاسلام، وكانت تجيب على اسئلة السائلين رجالا ونساءً، وكانت ترحب بالسائلين وتبدي فرحها بالسؤال رغم مشاغلها مما يجعل السائل يجد الباب متسعا لاسئلته الكثيرة وهذه اشارة الى حلمها وسعة صدرها اضافة الى سعة علومها ويمكن القول ان الزهراء عليها السلام كانت عين رسول الله النافذة

(١) (الكاشاني، المحجة البيضاء، ج١ص٣١).

(٢) (الكاشاني، المحجة البيضاء، ج١ص٣١).

في المجتمع النسوي حيث تبدي النساء اسئلتها فتجد الجواب الشافي وهن لا يتحرجن عن سؤالها.. على هذا تكون هي المبلغة الاولى التي مارست التبليغ في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي اعظم نموذج للمرأة الداعية والمبلغة.

وكانت نساء الأنصار جريئات في السؤال عما يتعلق بأحوال النساء وخصائصهن وقد أثنى عليهن رسول الله في إحدى المرات إذ دعا لهن بالرحمة فقال: (رحم الله نساء الأنصار لا يمنعهن حياؤهن أن يسألن عن أمور دينهن. وفي الحديث:

جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه - وآله - وسلم فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ فَقَالَ اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه - وآله - وسلم فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّه (رواه البخاري - باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم).

وفيما نقل عن الزهراء عليها السلام:

١ - جاءت امرأة من نساء المسلمين تسأل فاطمة عليها السلام مسائل علمية فاجابتها فاطمة عن سؤالها الاول وظلّت المرأة تسألها حتى بلغت أسئلتها العشرة ثم خجلت من الكثرة فقالت لا أشق عليك يا ابنة رسول الله، فقالت فاطمة: هاتي وسلي عما بدا لك إني سمعت أبي يقول: ان علماء أمتنا يحشرون فيخلع عليهم من الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في

ارشاد عباد الله[١].

وهذه اشاره الى سعة الصدر التي كانت عندها مع الناس العاديين كما انها علامة على ان النساء كن بحاجة الى من يرشدهن الى جادة الحق والصواب ولكن الحياء يمنعهن من السؤال والحال يتغير اذا كان المعلم إمرأة فهنا قد يرتفع الشعور بالحرج، كما انهن بحاجة الى الشعور بانهم لا يثقلون على من يسألونه كي يجمعوا شجاعتهم ويفهموا امر دينهم.

٢- بالإسناد عن أبي محمد (العسكري) عليه السلام قال: قالت فاطمة عليها السلام - وقد أختصم إليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدين، احداهما معاندة والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحاً شديداً فقالت فاطمة عليها السلام - إن فرح الملائكة بإستظهارك عليها أشد من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها أشد من حزنها، وإن الله تعالى قال لملائكته: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان معداً له من الجنان[٢].

٣- لم تقتصر توجيهاتها وتربيتها صلوات الله وسلامه عليها على النساء بل كانت سلام الله عليها يأتي إليها الرجال بقصد الاستفادة.. فقد جاء رجل

(١) (بحار الأنوار ٢: ٣ / ٣).

(٢) (البحار: ج٢، ص٨).

إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله عندك شيئاً تطرفينيه، فقالت: «يا جارية، هاتي تلك الحريرة» فطلبتها فلم تجدها، فقالت: «ويحك اطلبيها، فانها تعدل عندي حسناً وحسيناً» فطلبتها فإذا هي قد قمّتها في قمامتها، فإذا فيها: «قال محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت. إنّ الله يحبّ الخيّر الحليم المتعفّف، ويبغض الفاحش الضنين السَّئآل الملحف. إنّ الحياء من الإيمان، والايمان في الجنة، وإن الفحش من البذاء، والبذاء في النار[1].

٤- وقال رجل لامرأته: اذهبي إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاسأليها عني أني من شيعتكم أم ليس من شيعتكم؟ فسألتها فقالت: قولي له: إن كنت تعمل بما أمرناك، وتنتهي عما زجرناك عنه فأنت من شيعتنا وإلا فلا. فرجعت فأخبرته، فقال: يا ويلي ومن ينفك من الذنوب والخطايا؟ فأنا إذا خالدٌ في النار، فإن من ليس من شيعتهم فهو خالد في النار. فرجعت المرأة فقالت لفاطمة ما قال زوجها، فقالت فاطمة: قولي له:

ليس هكذا، شيعتنا من خيار أهل الجنة، وكل محبينا وموالي أوليائنا ومعادي أعدائنا والمسلم بقلبه ولسانه لنا، ليسوا من شيعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهينا في سائر الموبقات، وهم مع ذلك في الجنة، ولكن بعدما يطهرون من

---

(١) (المعجم الكبير ٢٢: ٤١٣ / ١٠٢٤. ودلائل الإمامة: ٦٥ / ١).

ذنوبهم بالبلايا والرزايا أو في عرصات القيامة بأنواع شدائدها أو في الطبق الأعلى من جهنم بعذابها إلى أن نستنقذهم بحبنا منها وننقلهم إلى حضرتنا[١].

يقول السيد العاملي في كتابه مأساة الزهراء:

وأصبح بيتها موئلا للداخلات والخارجات وكان ".. يغشاها نساء المدينة، وجيران بيتها ". وصار الناس يقصدونها لتطرفهم بما عندها من العلم والمعرفة وكان الناس يترددون عليها لطلب المعرفة أيضا).

هذا السعي للتعليم والتعلم لو اردنا ان نقايسه باوضاعنا لوجدنا المكيال طافحا، فاليوم تبلغ معدلات الامية في المغرب ٦٩% وفي سوريا ٤٤% وفي مصر ٦١% مع كل التقدم التكنولوجي والمناداة بحقوق المرأة!!، اما المرأة المتعلمة فقد اكتفت بالتعليم الذي يؤهلها للحصول على وظيفة واهملت كتاب الله والفقه والذي هو اساس الحياة بل لتجدها بعيدة عن الاسلام ومعارفه فهناك أمية كتابية وأميّة دينية وأميّة تربوية وسياسية ومارتفاع معدلات الطلاق والعنوسة والخلع الا احد مؤشرات تدني الثقافة الزوجية.

يقول مورو برجر، وهو يهودي أمريكي معاصر في كتابه: " العالم العربي اليوم ": " إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين، وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيدا عن الإسلام[٢]!

وفي صفحتي ٨٨ و٨٩ جاء تقرير من أعمال وقرارات مؤتمر "لكنو،

---

(١) (البحار: ج٦٨، ص١٥٥).

(٢) (جاهلية القرن العشرين ص(٣٣٣-٣٣٢)

LAKNO.

التنصيري الذي عقد سنة ١٩١١ أنه وضع في برنامجه عدة أمور منها استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين التعليم النسائي(نفس المصدر) فهل انتبه المسلمون؟ وياترى هل اعددنا الخطط كي نقضي على الدمار القادم والموجود؟.

ج- تعليم خادمتها فضة

كانت فضة تلميذة للزهراء سلام الله عليها فضلاً عن قيامها بالخدمة المنزلية، فقد وهبها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه الجارية كي تستعين بها في امور المنزل، وذلك بعد ان تحسن وضع الامة بسبب الغنائم بعد فتح خيبر، ولكن الملاحظ ان بيوت المعصومين عليهم السلام لم تخلُ من الخدم – ونفس الحالة موجودة الان عند بعض علمائنا الكبار – فهم يستعينون بالخدم ليس فقط من اجل امور المنزل بل من اجل تعليمهم أو اسناد بعض المهام الدعوتية أو الاسلامية اليهم – والتي قد لا يستطيعها العالم نفسه – ولا ننسى ان وجود هؤلاء الخدم في بيوت مقدسة كهذه سيساهم في تربيتهم على الفضائل وزيادة عدد الموالين للعقيدة فقد صنعت فاطمة عليها السلام من فضة رمزاً للمرأة المؤمنة الصالحة التي لاتتكلم إلا بالقرآن وقصتها يوم انقطعت عن القافلة في ذهابها لحج بيت الله الحرام معروفة حيث التقت بشخص كلما سألها بسؤال عن أحوالها أجابته بآية من القرآن الكريم حتى الحقها بأولادها في القافلة فقالوا هذه أمنا فضة جارية الزهراء ما تكلمت منذ

عشرين سنة إلا بالقرآن[1].

روى الخوارزمي بالاسناد عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام أنّه ذكر تزويج فاطمة عليها السلام ثم قال: «إنّ فاطمة عليها السلام سألت من رسول الله خادماً – إلى أن قال: – ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساحل البحر، فأصاب سبياً فقسمه، فأمسك امرأتين إحداهما شابة، والأُخرى قد دخلت في السنّ ليست بشابة، فبعث إلى فاطمة عليها السلام وأخذ بيد المرأة فوضعها في يد فاطمة عليها السلام وقال: يا فاطمة، هذه لك ولا تضربيها، فإنّي رأيتها تصلي، وإن جبرئيل نهاني أن أضرب المصلين، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصيها بها، فلمّا رأت فاطمة عليها السلام ما يوصيها بها التفتت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: يا رسول الله، عليّ يوم وعليها يوم، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)»[2].

وروى الطبري والراوندي بالاسناد عن سلمان رضي الله عنه قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدامها رحى تطحن بها الشعير، والحسين في ناحية الدار يبكي من الجوع. فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاك وهذه فضّة؟

---

(١) (مناقب آل أبي طالب لابن شهر اشوب ج٣ ص٤٣).

(٢) (مقتل الحسين عليه السلام | الخوارزمي ١: ٦٩).

فقالت: «أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها..»[(١)].

وفي الإصابة: روي عن الإمام الصادق عن آبائه، عن علي (عليهم السلام) أنّه قال: (إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخدم فاطمة ابنته (عليها السلام) جارية اسمها فِضّة النوبيّة. والنوبية نسبة الى البلاد التي كانت تسكنها حيث عرفت هذه البلاد بارتفاع درجات الحرارة وكانت تشاطر الزهراء الخدمة، فعلّمها رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعاءً تدعو به. فقالت لها فاطمة: أتعجنين أو تخبزين؟ فقالت: بل أعجن يا سيِّدتي واحتطب. فذهبت واحتطبت وبيدها حزمة، فأرادت حملها فعجزت، فدعت بالدعاء الذي علّمَها (صلى الله عليه وآله). وكان الدعاء هو: (يَا واحدُ لَيس كَمِثلِهِ أَحَد، تُميتُ كُلّ أحدٍ وأنتَ على عَرشِكَ وَاحِد لا تَأخُذهُ سِنَةٌ وَلا نَوم). فجاء أعرابي فحمل الحزمة إلى باب فاطمة الزهراء (عليها السلام).

واما عن محبتها لآل البيت عليهم السلام فقد روي عن ورقة بن عبد الله الأزدي قال: خرجتُ حاجّاً إلى بيت الله الحرام، راجياً لثواب الله ربِّ العالمين). فبينما أنا أطوف وإذا أنا بجارية سمراء مليحة الوجه، عذبة الكلام، وهي تنادي بفصاحة منطقها وتقول: ربِّ البيت الحرام، والحفظة الكرام، وزمزم والمقام، والمشاعر العِظام، وربِّ محمد (صلى الله عليه وآله) خير الأنام، البررة الكرام، أن تحشرني مع ساداتي الطاهرين، وأبنائِهم الغرِّ المحجلين الميامين.

---

(١) (دلائل الإمامة: ١٤٠ | ٤٨. والخرائج والجرائح ٢: ٥٣٠ | ٦. وبحار الأنوار ٤٣: ٢٨ | ٣٣).

ثم قالت: ألا فاشهدوا يا جماعة الحُجّاج والمعتمرين، أنّ مواليّ خيرة الأخيار، وصفوة الأبرار، الذين عَلا قدرهم على الأقدار، وارتفع ذكرهم في سائر الأمصار، المرتدين بالفخار. قال ورقة: فقلتُ: يا جارية، إنّي لأظنّك من موالي أهل البيت (عليهم السلام)؟ فقالت: أجل. فقلت لها: ومَن أنتِ من مواليهم؟

قالت: أنا فِضّة، أَمَةُ فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله).

فقلت لها: مرحباً بك، وأهلاً وسهلاً، فلقد كنتُ مشتاقاً إلى كلامكِ ومنطقكِ، فأريدُ منكِ الساعة أن تجيبني عن مسألة أسألك. فإذا أنت فرغتِ من الطواف قفي لي عند سوق الطعام حتى آتيك، وأنت مثابة مأجورة.

فافترقنا في الطواف، فلمّا فرغتُ من الطواف وأردتُ الرجوع إلى منزلي جعلتُ طريقي على سوق الطعام، وإذا أنا بها جالسة في معزل عن الناس. فأقبلتُ عليها واعتزلتُ بها، وأهديتُ إليها هدية، ولم أعتقد أنّها صدقة ثم قلت لها: يا فِضّة، أخبريني عن مولاتك فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وما الذي رأيتِ منها عند وفاتها (عليها السلام) بعد موت أبيها محمد (صلى الله عليه وآله)؟قال ورقة: فلمّا سمعتْ كلامي تغرغرت عيناها بالدموع، ثم انتحبت باكية، قالت: يا ورقة هيّجت عليّ حزناً ساكناً، وأشجاناً في فؤادي كانت كامنة.

وقال عبد الله بن المبارك: خرجت حاجّاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر

نبيه محمدٍ عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسَوَادٍ، فتمَيَّزْتُ ذاك فإذا هي عجوزعليها درعٌ من صوف.

فقلت لها: أين تريدين؟

قالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[١].

فقلت لها: أنت منذ كم في هذا الموضع؟

قالت: ﴿ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[٢].

فقلت: ما أرى معك طعامًا تأكلين؟

قالت: ﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾[٣].

فقلت لها: إن معي طعامًا، فهل لك في الأكل؟

قالت: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[٤].

فقلت: ليس هذا شهر رمضان.

فقالت: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[٥].

---

(١) الاسراء الاية ١.

(٢) مريم ١٠.

(٣) سورة الشعراء ٧٩.

(٤) سورة البقرة ١٨٧

(٥) سورة البقرة ١٥٨.

فقلت: قد أبيحَ لنا الإفطار في السفر.

فقالت: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١].

فقلت: لم لا تكلمينني مثلما أكلمك؟

قالت: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [٢].

فقلت: فمن أي الناس أنتِ؟

قالت: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [٣].

فقلت: قد أخطأتُ فاجعليني في حِلٍ.

قالت: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [٤].

فقلت: فهل لكِ أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة؟

فقالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [٥].

فأنختُ ناقتي..

فقالت: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [٦].

فغضضتُ بصري عنها وقلت لها اركبي

---

(١) سورة البقرة ١٨٤

(٢) سورة ق ١٨

(٣) سورة الإسراء ٣٦.

(٤) سورة يوسف٩٢

(٥) (البقرة: ١٩٧)

(٦) ٣٠ – سورة النور

فلما أرادت أن تركب نفرَت الناقة فمزقت ثيابها..

فقالت: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[1].

فقلت لها: اصبري حتى أَعقِلها..

فقالت: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾[2].

فعقلتُ الناقة..

وقلت لها: اركبي.

فلما ركبت قالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾[3].

فأخذتُ بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح..

فقالت: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾[4].

فجعلتُ أمشي رويدًا رويدًا وأترنم بالشعر

فقالت: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القرآن﴾[5].

فقلت لها: لقد أوتيتِ خيرًا كثيرا

فقالت: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[6].

---

(١) (الشورى: ٣٠).

(٢) (الأنبياء: ٧٨)

(٣) سورة الزخرف ١٣.

(٤) سورة لقمان ١٩.

(٥) (المزمل ٢٠)

(٦) البقرة: ٢٦٩.

فلما مشيتُ بها قليلاً..

قلتُ: ألكِ زوج؟

قالت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1].

فسكتُّ ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة

فقلت لها: هذه القافلة، فمن لك فيها؟

فقالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2].

فعلمتُ أن لها أولادًا..

فقلت: وما شأنهم في الحج؟

قالت: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[3].

فعلمتُ أنهم أدلاء الركب.

فقصدتُ بها القباب والعمارات

فقلت: هذه القباب، فمن لك فيها؟

قالت: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[4].

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[5].

---

(١) (المائدة: ١٠١)

(٢) (سورة الكهف: ٤٦)

(٣) (النحل: ١٦)

(٤) سورة النساء ١٢٥

(٥) (سورة النساء: ٦٤)

﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾[١].

فناديتُ: يا إبراهيم، يا موسى، يا يحيى.

قالت: ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾[٢].

فمضى أحدهم فاشترى طعامًا فقدمه بين يديّ..

فقالت: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[٣].

فقلتُ: الآن طعامكم عليّ حرام حتى تخبروني بأمرها.

فقالوا: هذه أمّنا فضة منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزلّ فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء.

فقلتُ: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[٤].

وقال أبوالقاسم القسري: انقطعتُ في البادية عن القافلة، فوجدتُ امرأة فقلتُ مَن أنت؟

فقالت: ﴿ وقُلْ سَلامٌ فَسَوفَ يَعْلَمُون ﴾[٥]، فسلمتُ عليها وقلت: ما تصنعين ها هنا؟

---

(١) (سورة مريم: ١٢)

(٢) سورة الكهف ١٩

(٣) سورة الحاقة ٢٤.

(٤) الإنسان ٩.

(٥) (الزخرف: ٨٩)

قالت: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾[1].

فقلت: أمن الجنّ أنتِ أم من الإنس؟

قالت: ﴿يا بَني آدم خُذُوا زِينَتَكم﴾[2].

فقلت: من أين أقبلتِ؟

قالت: ﴿يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[3].

فقلت: أين تقصدين؟

قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حجُّ الْبَيْتِ﴾[4].

فقلت: متى انقطعتِ؟

قالت: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[5].

فقلت: أتشتهين طعاماً؟

فقالت: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾[6].

فأطعمتها، ثم قلت: هرولي وتعجّلي.

فقالت: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاّ وُسْعَهَا﴾[7].

---

(١) (الزمر: ٣٧)

(٢) (الأعراف: ٣١)

(٣) (فصلت: ٤٤)

(٤) (آل عمران: ٩٧)

(٥) (ق: ٣٨)

(٦) (الأنبياء: ٨)

(٧) (البقرة: ٢٨٦)

فقلت: أردفكِ.

فقالت: ﴿لَو كَانَ فيهما آلِهَةٌ إلاّ الله لَفَسَدَتا﴾[1].

نزلت فأركبتها فقالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾[2].

فلمّا أدركنا القافلة قلت لها: ألكِ أحد فيها؟

قالت: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾[3]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾[4]، ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾[5]، ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾[6].

فصحتُ بهذا الاسماء، فإذا بأربعة شباب متوجّهين نحوها، فقلت: مَن هؤلاء منك؟

قالت: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[7].

فلمّا أتوها قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[8].

فكافؤوني بأشياء، فقالت: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[9] فزادوا لي.

---

(١) (الأنبياء: ٢٢).

(٢) (الزخرف: ١٣).

(٣) (ص: ٢٦).

(٤) (آل عمران: ١٤٤).

(٥) (مريم: ١٢)

(٦) (النحل: ٩).

(٧) (الكهف: ٤٦)

(٨) (القصص: ٢٦)

(٩) (البقرة: ٢٦١).

فسألتهم عنها، فقالوا: هذه اُمّنا فضّة جارية الزهراء، ما تكلّمت منذ عشرين سنة إلاّ بالقرآن[1].

الخادمة في عصرنا

اهتم الاسلام بأمر الخدم ووضع عدة توصيات في التعامل الحسن معهم والقائم على الرحمة بهم وعدم هضم حقوقهم، فهذا أنس بن مالك يصف معاملة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: (فخدمته في الحضر والسفر، فوالله ما قال لي لشيء صنعته: لم صنعت هذا هكذا، ولا لشيء لم أصنعه: لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا؟) ولم يهمل الاسلام امر تهذيبهم وتعليمهم الشريعة ولو بالقدر الميسور مع اهمية الحفاظ على مكانتهم ووضع ضوابط معينة لاختيار الاكفأ منهم ومن يتمتع بالخلق الحسن والامانة وغير ذلك.

ونرى الزهراء عليها السلام توكل امر الخدمة المنزلية الى خادمتها فضة وتحتفظ هي بالامور الاخرى والتي هي اكبر اهمية واعظم اثراً كتربيتها لاولادها وادارتها لشؤون المنزل الامر الذي يساعد على تحديد الوظائف المطلوبة للكل، كما إنّ هذا التقسيم في المهام يتيح لربة البيت مزيدا من الاشراف على الامور المهمة.

ولا تعني الرحمة بهم تركهم يفعلون مايحلو لهم بل لابد من متابعتهم وتوجيههم وتعريفهم باخطائهم وربما معاقبتهم اذا ما ارتكبوا الاخطاء الشنيعة، كما ولابد من تهذيبهم وتربيتهم على ترك الفحش من القول

(١) (الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور: ٤٣٩، تراجم أعلام النساء ٢: ٣٦٣، الإصابة ٤: ٣٧٦).

والسلوك وعلى كتم الاسرار واداء الامانة واحترام من في البيت، كما ان جنس الخادم وعمره وكذلك موطنه الاصلي ودينه وثقافته كلها عوامل مؤثرة في علاقته بافراد الاسرة واصلاحها أو افسادها - والعياذ بالله-.

وكان اهل البيت عليهم السلام يرون في وجود الخدم فرصة لتعليمهم وتأديبهم بأدب الاسلام وهو ما انتج لنا صورة فضة خادمة الزهراء.. المرأة المتكلمة بالقرآن.

هذا من جانب ومن جانب آخر نرى ان امر حصول الزهراء عليها السلام على الخادم قد تأخر لحين العثور على الخادم المناسب، فعامل الانتخاب له اثر كبير على اوضاع الاسرة عموما، فعادة مايعيش الخدم في البيوت لمدة غير قصيرة فهم يطلعون على الاسرار، كما ان بينهم وبين اعضاء الاسرة جميعا علاقات مستمرة طويلة الامد -بحكم بقائهم- وهي علاقات مؤثرة وذات آثار على الجميع بلا استثناء، ولهذا نجد في الدراسات الحديثة اشارات وارقام خطيرة على تأثير الخادمات على لغة الاولاد خاصة اذا لم تكن تحمل نفس لغة الاسرة وايضاً تأثيرها على البناء القيمي خاصة للاولاد الصغار الذين يرتبطون بها مما ادى الى خلخلة هذا البناء اضافة الى ضعف ظاهرة الانتماء للوالدين أو الوطن، وعموما فالخادمة الاجنبية تترك آثارها على اعضاء الاسرة بالكامل وحتى لو ساهمت في اعداد الطعام فقط للاسرة وكانت من دين آخر فان قدسية الغذاء تتعرض للتمزق.

ومما يؤسف له ان نسبة الخادمات المسلمات لا تزيد عن ٨% من مجموع

الخادمات المستقدمات في منطقة دول الخليج!!والباقي غير مسلمات ولكنهن يُستخدمن في بيوت مسلمة!!.

وفي الكويت مثلا هناك مئتا الف خادم لمليوني نسمة!

كما ان ٧٧% من الاسر في السعودية لديها خادمة أو اكثر

وقد أظهرت نتائج الدراسات الميدانية والوثائقية أن قرابة ٢٥% من أطفال الأسر التجريبية في المرحلة الأولى، يقلدون المربيات في اللهجة، وأن أكثر من ٤٠% منهم تشوب لغتهم لكنة أجنبية، ويتعرضون لمضايقات من أقرانهم بسبب ذلك.

مضافا الى كل ذلك ان اسلوب التعامل مع الخادم يؤثر على الابناء انفسهم فالتعامل الرحيم يساهم في الاعداد المستقبلي لتعامل رحيم، ولكن الاسراف في العطف قد يؤدي الى ظاهرة استغلال الخدم لاعضاء الاسرة- اي العكس-كما ان نظرات التحقير والاهانة وابتزاز انسانية الخدم تجعل من اعضاء الاسرة صورا عاكسة لهذا السلوك حتى مع غير الخدم مستقبلا.

ان الزهراء عليها السلام كانت معنية بامر خادمتها فبدأت معها من نقطة الصفر حتى اصبحت نموذجا يحتذى به اما نحن:

١- فهل حقاً نبحث عن الخادمة المسلمة المؤمنة التي تشيع قيم الاسلام؟

٢- وكم من الاسر تحرص على تعليم الخادمة وتوجيهها الوجهة الصحيحة المتقومة مع الدين والاخلاق؟

٣- وماهو السبب الذي يدعونا للمجيء بالخادمة؟ هل هي تربية الاولاد ام للمساعدة في شؤون المنزل؟ فاذا كان لتربية الاولاد فالى اي مدى نطمئن اليها حينما نسلم لها فلذات اكبادنا؟وماهو دور الام هنا ومالذي ستفعله حينما يربى الاطفال على ثقافة معاكسة بل ربما معادية لثقافتنا؟.

د- تعليمها عليها السلام لأولادها

ومن كلامها عليها السلام في تعليمها ولدها الحسين عليه السلام دعاءً نقرأ:

- عن الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام قال: ضمني والدي عليه السلام إلى صدره يوم قتل والدماء تغلي وهو يقول: يا بني احفظ عني دعاء علمتنيه فاطمة عليها السلام وعلمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمه جبرائيل عليه السلام في الحاجة والمهم والغم والنازلة إذا نزلت والأمر العظيم الفادح. قال: ادع بحق يس والقرآن الحكيم، وبحق طه والقرآن العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ما في الضمير، يا منفس عن المكروبين، يا مفرج عن المغمومين، يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، صل على محمد وآل محمد، وافعل بي كذا وكذا.

المرأة المثقفة المعاصرة

رغم ان عصرنا الحالي هو عصر التطور التكنولوجي وعصرالقرية الواحدة الذي سهّل انتقال الكم الهائل من المعلومات في اقل وقت إلاّ اننا نرى ان هناك ثقافة هامشية للمرأة تقتصرعلى الموضة والزينة والصورة!!، وهي تكاد تستأثر بكل اهتمامات المرأة!، اما تطهير القلب أو الوصول الى حالة التوازن بين الفكر والروح وتنمية الفضائل فهو امر بات اما مفقوداً أو مهملاً. فمازالت هناك مسافات بعيدة بين المتعلمات وبين الثقافة الاسلامية!، وفي كثير من الاحيان فأننا نرى متعلمات بلا وعي أو ثقافة!! رغم انهن يمتلكن من العلم الذي يتيح لهن الحصول على افضل الوظائف لكنهن يفتقدن للعلم الذي يعلمهن كيف يطورن انفسهن؟ وكيف يتعاملن مع الاخرين وكيف يجدن الحلول لمشكلاتهن؟ وكيف يقدمن نماذج معاصرة للمرأة المسلمة بعد افول نجمها دهورا طويلة في عصور الظلام والتخلفّ؟.

وكان لظهور النفط والتغييرت التي طرأت على ثقافة الاستهلاك اثره في ترسيخ المفاهيم السلبية كحب الكسل والراحة واللجوء الى الثقافة التبريرية أو

التغريبية. فنرى الأمية الأبجدية والثقافية والتكنولوجية والسياسية والدينية بين النساء!!وهذا ان اشار الى شيء فانما يشير الى ان هناك فرقا كبيرا بين المتعلمة التي تجيد القراءة والكتابة وبين المرأة المثقفة التي هي اساس النهضة والتطور فالمثقفة (هي التي تعلمت وتسامت في إيمانها وشعورها، وامتد خيالها وتفكيرها إلى آفاق الوجود.. هي التي تنمي معرفتها وتغريها بمنتوج العقول وفيض القرائح، وتستمد من كل ثقافة مسموعة أو منظورة قوة تستعين بها على الحياة هي التي تتبع كل جديد سديد، ولا تبخل بثقافتها على جهود تبذلها لإسعاف الإنسانية البائسة، هي التي تسمعها فلا تسأم حديثها وتود لو أنها لا توجز..).

واذا كانت المرأة المسلمة هي من اكثر الشرائح العالمية والاجتماعية تأثرا بالافكار الموجهة في اسفين الغزو الثقافي الموجه ضدها من جهة ومن جهة اخرى فهي الاكثر تضررا من التفسيرات الخاطئة للدين والتي تميل مابين التطرف والقشرية مما يوحي بوجود مشكلة حقيقية للمرأة التي تعد الاجيال وتنقل القيم وتصون التراث، ومن ذلك كله ندرك حاجة المجتمع الى المرأة المسلمة المثقفة التي تتسلح بسلاح العلم والمعرفة والوعي الديني والاجتماعي والسياسي فتعيد انتاج الادوار الزهراوية بروح من العصرنة متوافقة مع المنهج القويم، وتمارس دورها التبليغي في اطار الحجاب والصون والتعبد.

وقد تكون مسألة تثقيف المرأة من الامور التي يجب ان تهتم بها النخب النسوية الواعية في كل مجتمع، ولكن هذا لايكفي اذ تكون الحركة هنا في اتجاه

واحد.. فلابد ان يتم تحريك المرأة المسلمة نفسها لاستثمار طاقاتها وقدراتها والانطلاق برؤية ثاقبة للحياة والدين فالحركة اذا لابد ان تكون من اتجاهين من المرأة الى الثقافة ومن المجتمع الذي يريد نشر الوعي الثقافي الى المرأة وبالعكس وهذه معناه اصلاح رؤية المرأة لنفسها واهدافها واعادة الثقة اليها بأنها قادرة على اعادة انتاج التاريخ بروح التقدم والتطور.. وبما ان المرأة المسلمة قد شَقّتْ طريقها في واقع الحياة فهناك الطبيبة والمحامية والاعلامية والى غير ذلك فيبقى ان ماتحتاج اليه من الثقافة المطلوبة امر يمكن الوصول اليه بيسر للتخلص من تراكمات التخلف والضبابية.

من كل الذي قلناه عن الدور الثقافي نصل الى نقطة مهمة هي ان الزهراء عليها السلام كان لها دور كبير في التنمية الثقافية التي حصلت في صدر الاسلام الاول من خلال مشاركتها في تقديم النموذج الراقي للمرأة المسلمة المثقفة اضافة الى دورها الكبير في زيادة عدد المتعلمات وراويات الحديث والمتفقهات في الدين.



الدور الاقتصادي

الدور الاقتصادي يمثل ما يقوم به الفرد من نشاطات لإشباع حاجاته وحاجات الاسرة الاقتصادية، وهو بهذا العمل يساهم في التنمية الاقتصادية للمجتمع وفي دفع عجلة التطور والتقدم وتخليصه من الفقر الذي يعتبر اكبر عقبة في طريق التنمية والتطور.

واذا اردنا ان نشير الى الدور الاقتصادي للزهراء عليها السلام فاننا يمكن ان نأخذ به من عدة جوانب منها:

١ ـ ماقامت به عليها السلام من اعمال بهدف تأمين المعيشة لاسرتها الكريمة من خلال قيامها عليها السلام بالغزل كما في الرواية:

وفي رواية طويلة مذكورة في أسباب نزول سورة هل اتى ان عليا عليه السلام قال مخاطبا اليهودي: هل لك أن تعطيني جزةً من صوف تغزلها لك بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثة أصوع من شعير؟» قال: نعم.

فأعطاه الصوف والشعير. فقبلت فاطمة عليها السلام[1].

٢- ماقامت به عليه السلام من تقديم الاعانات للفقراء بهدف تحسين اوضاعهم وتخفيف وطء الفقر عنهم وهذا نجده من امور اهمها:

ا- الاعانات التي قدمتها للفقراء من باب صدقاتها واحسانها كما في الروايات السابقة التي عرضناها في الدور الاجتماعي.

ب- الاعانة التي قدمتها لعموم فقراء الامة من خلال تخصيص ريع فدك والذي قدر بما ذكره الشيخ المجلسي عن كشف المحجة أن وارد فدك كان أربعة وعشرين ألف دينار في كل سنة، وفي رواية أخرى سبعين ألف دينار ولعل هذا الاختلاف في واردها حسب اختلاف السنين، فحسب الروايات فهي عليها السلام قد تملكت فدك في العام السابع للهجرة لكن المستوى الحياتي لها عليها السلام لم يتغير بل بقيت عليها السلام على قناعتها واقتصادها وزهدها، حيث جعلت اموال فدك خالصة لفقراء المسلمين وخاصة لبني هاشم الذين تحرم عليهم الصدقات، وهي بهذه الثروه الكبيرة كانت قد قدمت الدعم المادي لمشاريع ابيها صلى الله عليه وآله وسلم في الاعمار الذي حصل في المدينة من قبيل الاهتمام بالزراعة أو الجند أو غير ذلك. وهذا الدعم المادي يشبه دعم امها خديجة رضي الله عنها للدعوة الاسلامية والذي شكل العمود الفقري الاقتصادي للدولة الفتية.

- روى الحلبي عنه عليه السلام "أن فاطمة عليها السلام جعلت

---

(١) (إحقاق الحق | الشهيد التستري ١٠: ٢٦٤ عن تفسير الثعلبي).

صدقاتها لبني هاشم وبني المطلب[١].

وفي الرواية.. فجمع الناس الى منزلها واخبرهم أن هذا المال لفاطمة. ففرقه فيهم وكان كل سنة كذلك وتأخذ منه قوتها[٢]...

ومع الاسف الشديد لم اجد رواية تبين لنا طريقة الانفاق لكي يكون الامر واضحا وانما اكتفى علماؤنا بالقول انها عليها السلام جعلت وارد فدك للفقراء.

وقد بذل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مساعي كثيرة لانتشال المسلمين من الفقر منها المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ومنها الحث –كما هو الحال في القرآن الكريم – على الاحسان والاعانة ورعاية الفقراء، ومانجده في الشريعة من فرض الزكاة والخمس والديات والكفارات فما هي الا أمورٌ يراد بها اعانة الطبقة الفقيرة بما يساهم من تخفيف وطأة الفقر في المجتمع، وما وجد هذا الحال الا لحفظ كرامة الانسان الفقير واجبار الغني على تذكره ومواساته وارساء العدالة الاجتماعية في المجتمع بما يحقق للجميع الحياة الكريمة. ولهذا حث الاسلام على الانفاق الطوعي ورغّب فيه (كما في انفاق الزهراء عليها السلام لمال فدك على الفقراء) كما في الايات المباركة:

قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ

---

(١) (من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٢، ص ٣٨، ح ١٦٣٩).

(٢) (بحارالانوار: ج ٢٩، ص ١١٨. المناقب: ج ١، ص١٤٢).

فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١).

وقال ايضا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢).

وقال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ، أولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣).

واوجب الزكاة والكفارات ليتم الاستفادة من الاموال المكدسة عند الاغنياء بل ان التكافل الاجتماعي في الإسلام ليس معنياً به المسلمون فقط بل يشمل كل بني الإنسان على اختلاف مللهم واعتقاداتهم داخل ذلك المجتمع كما قال الله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (٤).

والتكافل في الإسلام، يعني التزام القادر من أفراد المجتمع تجاه أفراده

---

(١) البقرة(٢٦٥)

(٢) البقرة (٢٦٢).

(٣) [البقرة: ١٧٧].

(٤) [الممتحنة: ٨].

الباقين ماديا ومعنويا بما يمكن ان يخفف من مساحة الفقر في المجتمع ويساعد على انتشال الفقراء من كثير من الاضطرابات النفسية والاجتماعية والخلقية، حيث ان رعاية الفقراء في المجتمع والاهتمام بهم يخلصهم من كثير من العقد التي ان ترسخت فانها تدفعهم الى الانحراف، وبهذا يتعزز الشعور لدى الفقير انه ليس شيئا هامشيا أو مهملا بل له حقوقه التي يجب على المجتمع تداركها. اضافة الى ان العمل الخيري يساهم في اعادة توزيع الدخل لمصلحة الفقراء والفئات الضعيفة وهو مما يساهم في زيادة الاستقرار الاقتصادي ويساعد على تلبية الحاجات الاساسية للفئات الفقيرة وهذا الامر يساهم في تقوية الانتماء الديني والاجتماعي للمسلمين للدولة الجديدة ويساهم في تعزيز الامن حيث يساهم الدعم المالي (في القضاء على الاحقاد والميول العدوانية المعادية للدولة وعلى زيادة المودة والحب للمعينين) مما يعني زيادة المودة والحب لاهل البيت عليهم السلام وهذا الدعم المالي يساهم في التخفيف من استغلال الفقراء من قبل الاغنياء ويطوق العامل الربوي لهم.

وقد نشأت فكرة الضمان الاجتماعي في نهاية الحرب العالمية الثانية، وروعي في تقريرها أن السلام الاجتماعي لا يمكن أن يتحقق في حياة الشعوب إذا ترك الفرد يواجه محنه وشدائده بمفرده دون أن يشعر بأن المجتمع من حوله على استعداد لمد يد المعونة إليه وقت ضعفه ومحنته، اما الاسلام فقد سبق العالم في نظام التكافل الاجتماعي والذي يساهم في تعزيز الشعور بمسؤولية الفرد تجاه الاخرين وبهذا ينسلخ عن انانيته وفرديته ويعيش الهم العام.

والارجح ان الزهراء عليها السلام قد جعلت خراج فدك وقفا لاصلاح امور المسلمين (خاصة فقراء بني هاشم) وهوبمثابة اعمال خيرية جارية المنافع ولهذا حدث تحسن في اوضاع المسلمين المعاشية وهو تأديب لنا على آليات الاستثمار الصحيح للاموال بما يقوي الصالح الاسلامي العام وفيما ينفع عموم المسلمين ويغير احوالهم نحو الاحسن.

٣- ويمكن ايضا ادراج آليات الانفاق السليم والذي يبتعد عن التبذير والاسراف والاكتفاء بالحد الادنى الى مستوى الكفاف أو دونه (حسب الظروف) مما يعلمنا صورة عن اهمية الاقتصاد الاسري وتأثيره على اقتصاد الدولة[١].

---

(١) يعرف تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية لعام ١٩٩٧ التنمية بأنها عملية زيادة الخيارات المطروحة على الناس ومستوى ما يحققونه من رخاء، وهذه الخيارات ليست نهائية أو ثابتة. وبغض النظر عن التنمية فإن عناصرها الأساسية الثلاثة تشمل القدرة على العيش حياة طويلة وفي صحة جيدة، واكتساب المعرفة، والتمتع بفرص الحصول على الموارد اللازمة لعيش حياة لائقة. ولا تقف التنمية عند هذا الحد، فالناس أيضاً يقدرون جيداً الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وإتاحة الفرص أمامهم للإبداع والإنتاج.

وعرّفت الأمم المتحدة تنمية المجتمع بأنها العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات ولمساعدتها على الاندماج في المجتمع والمساهمة في تقدمه بأقصى قدر مستطاع.

بمجمل القول ان الزهراء عليها السلام ساهمت في التنمية الاقتصادية

ابان صدر الاسلام، فلقد كانت السنوات التي اعقبت الهجرة ضيقة للغاية وكان المسلمون عموما في ضنك شديد لعل اجلى شواهده هم فقراء الصّفّة الذين كانوا في المسجد، ولكن هذا الحال لم يستمر طويلا اذ يذهب اكثر المؤرخون الى ان السنة السابعة للهجرة [وهي السنة التي اعطيت فيها فدك للزهراء عليها السلام] وما بعدها كانت الدولة الفتية قد شهدت انفراجا للوضع الاقتصادي يعلله البعض بان السبب يعود الى فتح خيبر والصدقات وفرض الجزية (وصارت الاوضاع تؤول الى وضع احسن في السنوات التالية.. وبدأت المعالجات الاقتصادية التي جاءت متدرجة تظهر نتائجها في تقديم معادلة ذات طابع انساني واجتماعي واقتصادي ترمي الى تحريك المال من جهة الى جهة اخرى.. وتقلل الفوارق المالية بين فئات الناس وتعمل على تنشيط الاقتصاد وزيادة الانتاج وتكثيره كما في اقطاع الارض الموات[1]...

(١) (الحياة الاقتصادية في العصور الاسلامية الاولى، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار طارق، عمان، الاردن ص٦).

ان الزهراء عليها السلام لم تنفق اموال فدك على حياتها الخاصة ولو كانت كذلك لخلفت ميراثا ضخما من الاموال كما هو الحال عند (الصحابة) الذين تكدست عندهم الثروة مع ماكان عليه المسلمون من فقر شديد!، مما كان سببا في التفاوت الطبقي بين المسلمين والذي كان على مرحلة خطيرة واشير الى بعض الارقام:

فالزبير بن العوام بنى داره المشهورة بالبصرة، وفيها الأسواق، والتجارات، وبنى دوراً في الكوفة، ومصر، والإسكندرية، وبلغ ثُمن ماله خمسين ألف دينار، وترك ألف فرس، وألف مملوك، وخططاً بمصر والإسكندرية، والكوفة والبصرة[١].

وقالوا: كان للزبير خمسون مليوناً ومئتا ألف.

وقيل: بل مجموع ماله سبعة وخمسون مليوناً وست مئة ألف[٢].

---

(١) (حياة الصحابة ج٢ ص٢٤٢ وحلية الأولياء ج١ ص٩٠، البداية والنهاية ج٥ ص٣٤٥).

(٢) (حياة الصحابة ج٢ ص٢٤٤ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٤٩).



الدور القيمي

القيم هي المعتقدات التي يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة والتي تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته، وتحدد له السلوك المقبول والمرفوض والصواب والخطأ وهي تتصف بالثبات النسبي.. والقيمة كما رآها د. حامد زهران هي: تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الاشخاص والمعاني واوجه النشاط والقيم هي تعبير عن دوافع الانسان وتمثل الاشياء التي نوجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها وتقترب القيم من المثل والمثل تمثل الحوافز الطويلة الامد أو الغايات التي تسعى لتحقيقها(١) وهي حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها لنفسه وفق التعاليم الشرعية محددا المرغوب فيها والمرغوب عنه من السلوك.

والقيم هي ايضا الامور المرغوبة والمثل المنشودة في ثقافة معينة وقد تواكبت البشرية على محبة جملة من الفضائل والقيم كالشجاعة والاباء ومحاربة الظلم والنظافة الى غير ذلك من الامور التي هي مقاييس للتمييز بين ماهو مرغوب وماهو منبوذ.

---

(١) (الزهران، علم النفس الاجتماعي، ص١٢٤)

وقد تكون هذه المثل والمقاييس فردية خاصة بالفرد نفسه فتمثل قيم الشخصية التي تهدف الى تطوير الشخصية وتنمية البناء الذاتي بما يحقق لصاحبه النجاح والنمو والتقدم، اما المثل الاخرى التي ترتبط بالجماعة فهي المثل الاجتماعية التي تهدف الى تحسين الاداء الاجتماعي للفرد وايجاد روابط سليمة بينه وبين باقي اعضاء المجتمع. والقيم تشكل باعثا على السلوك والاخلاق و(هي تزرع نحو المستقبل الدائم فهي دائما واعدة الى غد افضل من اليوم وامس، كما ان الحضارة لا تقوم الا على القيم والمثل قبل اي شيء آخر.. وهي تشكل الثقافة، وعن طريقها يبدو طريق النمو والتقدم وبقدر وحدة القيم يكون تماسك المجتمع وبقدر التباين والتفاوت في القيم يكون تفكك المجتمع[1].

أما القيم الإسلامية فهي كما عرفها د. علي خليل مصطفى (عبارة عن مجموعة المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته وتتفق مع امكاناته وتتجسد من خلالها الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة)[2].

---

(١) (د. اسماعيل عبد الفتاح القيم السياسية في الاسلام ص١٨).

(٢) [أبو العينين، علي خليل مصطفى، الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم الطبعة الأولى جدة دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، المقدمة ص. ١٥٣].

ويعتبر الدين المصدر الاساسي للقيم مضافا الى الاعراف والتقاليد، والقيم الدينية تكون جامعة لكل القيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والاخلاقية لانها تنبع من الاسلام وما اقره من اوامر ونهى عنه من نواهِ، ولهذا يبدو التفاوت واضحا بين التصنيفات المتعددة للقيم والتي تجعل القيم الدينية جزءاً من القيم وبين الرؤية الاسلامية التي تجعل من الدين هو القيم كلها بما فيها من اخلاق وتشريعات وضوابط ومعايير تحدد وتوجه السلوك بمعنى كل مايساهم في بناء الشخصية الاسلامية ويجعلها قادرة على اداء دورها الاستخلافي على صعيد الفرد والمجتمع.

وبناءً على المفهوم الديني للقيم ذكر الباحثون عدداً منها، مثل: قيم الإيمان، والتقوى، والصلاة، والحق، والحرية، والمسؤولية الى غير ذلك.

ولقد تميزت القيم الاسلامية بانها قيم ربانية المصدر والمنهج والغاية والهدف فهي ليست قيماً دنيوية مقطوعة بل هي متصلة اتصالا وثيقا بالدار الاخرة التي هي دار البقاء والمجازاة، وهي تسعى الى تحقيق التكامل الانساني من خلال الرحلة البشرية الى المطلق الكامل فهي من جهة تحسن العلاقة مع الخالق وتربي الفرد وتبين له سبيل النجاة، ولانها ربانية فلابد ان تكون متوافقة مع الفطرة الانسانية واي انحراف عن الفطرة قد يقود الى التطرف والغلو، ولانها ربانية فلابد ان تكون واقعية تتماشى مع الحياة الانسانية ولابد ان يكون الفرد نفسه قادراً على تطبيقها اذ ماجعل الله في الدين من حرج.

قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[١].

وهدف القيم الاسلامية هو تربية الفرد المسلم على الفضائل الانسانية وابعاده عن الرذائل وهي تزوده بالمعايير التي يعرف من خلالها الحسن والقبيح والجيد والرديء، والقيم توقظ في داخله عزما وشوقا وسعيا مما يؤجج الطاقات الكامنة عنده باعتباره خليفة الله في ارضه فلابد ان يسعى لترشيد المجتمع البشري نحو ارادة من استخلفه، ولهذا جاءت التضحيات عظيمة من اجل صيانة القيم أو احيائها أو نشرها فثورة الامام الحسين عليه السلام كانت من اجل صيانة القيم الاسلامية وتفعيل ماتجمد منها. كما ان القيم تمنح وتعلم الفرد آليات الاختيار بين عدة انماط من السلوك والاختيار الصائب وهو ما توافق مع الدين والعقيدة حتى وان كانت هناك مقاومة وهو ما حصل في واقعة الطف. على هذا تعتبر القيم احد اهم عوامل توجيه السلوك الانساني الفردي والاجتماعي وهي تقدم صورة للفرد عن ما ينبغي القيام به أو الابتعاد عنه.

وهناك رأي يقدمه د. فوزي طايل وهو «يلحظ الباحث أن فقهاء المسلمين لم يفردوا أبواباً خاصة بالقيم؛ لأن القيم الإسلامية هي الدين ذاته؛ فهي الجامع للعقيدة والشريعة والأخلاق، والعبادات والمعاملات، ولمنهاج الحياة والمبادئ العامة للشريعة، وهي العُمُد التي يقام عليها المجتمع الإسلامي؛ فهي ثابتة ثبات مصادرها، وهي معيار الصواب والخطأ، بها يميز المؤمن الخبيث

---

(١) البقرة (٢٨٦).

من الطيب، ويرجع إليها عند صنع القرارات واتخاذها.. وهي التي تحدث الاتصال الذي لا انفصام له بين ما هو دنيوي وما هو أخروي في كل مناحي الحياة»[١].

وقد احدث الاسلام ثورة قيمية كبرى ازاح من خلالها قيم الجاهلية العفنة كما حافظ على بعض القيم التي كانت متوافقة مع الاطر الاسلامية، وكان مجتمع المدينة بحد ذاته مجتمعا قيميا تصاعديا وكان مجتمعا مثاليا في أبعاده المتعددة، ومن البديهي ان التغيير القيمي يحتاج الى نماذج تمشي على الارض لبيان هذه الانماط الجديدة وامكان تطبيقها، على ذلك يمكن القول ان اهل البيت عليهم السلام كلهم ساهموا في هذا المشروع الطويل الامد وما دولة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الا ثمرة لتطبيق هذه القيم كلها في الدولة المهدوية. ويمكن القول ان مجموع ماقامت به الزهراء عليها السلام في ادوارها المتعددة يمثل القيم الجديدة التي دعا اليها الاسلام في اطروحته الحضارية.

ولقد اشار جعفر بن ابي طالب في حواره مع النجاشي الى جملة من القيم التي كانت سائدة في الجاهلية بقوله:

أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه

(١) [فوزي محمد طايل: كيف نفكر استراتيجيًّا، مركز الإعلام العربي، القاهرة ١٩٩٧، ص ٣٠ – ٣١.

فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا، نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك ؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظْلَمَ عندك أيها الملك.

وقد اشارت الى ذلك الزهراء عليها السلام في خطبتها:

وَكُنْتُمْ عَلى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فأنْقَذَكُم منها بنبيّهِ، تعْبُدُونَ الأصْنامَ وتَسْتَقْسِمُونَ بالأزْلام مَذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ العَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ القدَّ والوَرَقَ، أذِلَّةً خاسِئِين، تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأنْقَذَكُمُ اللهُ بِنَبيّه صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللَّتيَّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ ما مُنِيَ بِبُهَمِ الرجالِ، وَذُؤْبانِ العَرَبِ، وَمَرَدَةِ أهلِ الكِتَابِ، كُلَّما أوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أطْفَأها اللهُ، أو نَجَمَ قَرْنٌ للضلالة، أو فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أخاهُ عليّاً فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتّى يَطَأَ ضِماخَها بِأخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَها بِحدِّهِ، مَكْدُوداً فِي طاعةِ اللهِ ورسوله،

مُجْتَهِدَاً فِي أمْرِ اللهِ، قَرِيبَاً مِنْ رَسُولِ الله، سَيِّدَاً فِي أوْلِياءِ اللهِ، مُشَمراً نَاصِحَاً مُجِدَّاً كَادِحَاً.. وَأَنْتُمْ فِي بُلَهْنِيَةٍ وَادِعُونَ آمِنُونَ فرِحون، وفِي رَفَاهِيَة مِنَ العَيْشِ فَكِهُونَ، تأْكُلُون العَفْوَ وتشربُوْنَ الصَفْوَ، تَتَوَكَّفُونَ الأخْبَارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النزالِ وَتَفِرونَ مِنَ القِتَالِ!!

مذقة الشارب [أي شربته] ونُهزة [أي الفرصة]، وقبسة العجلان [مثل في الاستعجال] وموطئ الاقدام [مثل مشهور في المغلوبية والمذلة] تشربون الطَرق [ماء السماء الذي تبول به الابل وتبعر].

وتقتاتون القِدّ [جلد غير مدبوغ] اذ كان العرب يقتاتون جلد المعزى لسوء حالتهم المعاشية

وقالت عليها السلام ايضا:

فرأى الأُمم فرقاً في أديانها، عُكّفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله تعالى بأبي محمد ظُلمها، وكشف عن القلوب بهمها وجلى عن الأبصار غممها، وقامَ في النّاس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدّين القويم، ودعاهم إلى الصّراط المستقيم.

فالقيم في الحياة الجاهلية كانت تسمو إلى بناء المجد الشخصي، وحسب قول مالك بن نبي فإن "البطولة في الجاهلية كانت تهدف إلى إعلاء شأن الـ(أنا)، لكن الإسلام حوّل محور البطولة لتجد مسوّغاتها في عالم الآخرين؛ أي أصبحت تعبر عن اهتمام أسمى، يرتبط بغريزة الـ(نحن) أكثر منه بالـ(أنا).

ولما كانت القيم تصل في احايين كثيرة الى حد القداسة فسوف ندرك كم من جهد بذله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لانتزاع صورة القداسة هذه التي كانت تحاصر الانسان الجاهلي وتقوقعه في اطار العصبية والقبلية وتحويله الى انسان مسلم يدعوالى الهداية والنور ويتبنى القيم الجديدة.

ولما كانت الزهراء عليها السلام قد عاشت حالة الانتقال القيمي فهي كانت في المجتمع المكي الذي مثّل القيم الجاهلية ثم انتقلت الى المجتمع المدني الذي كان ساحة ظهور ونمو القيم الجديدة، فلابد ان يكون لها دور واضح في هذه النقلة النوعية الحضارية الامر الذي يجعلنا نصل الى قناعة انها عليها السلام تبنت القيم الاسلامية وكان لها دور في نشرها واحيائها بل ان وجود الزهراء المعصومة الكاملة يرسم صورة عن النموذج القيمي الذي يريده الاسلام وعن اهم سماته وفضائله ولهذا نقول ان الزهراء عليها السلام رسخت القيم الجديدة وساهمت في الحفاظ على البناء القيمي مع رسول الله واهل بيته الكرام بل ان وظيفة صيانة الفضائل وتثبيتها واحيائها كان واحدا من اهم ادوار الائمة عليهم السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ويمكن القول ان الزهراء عليها السلام ساهمت بـ:

١- التعريف بالقيم.. وهذا جلي في خطبتها واقوالها.

٢- تحريك القيم وتفعيلها كما في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال المطالبة بفدك.

٣- المشاركة في التاسيس القيمي خاصة في القيم الخاصة بالمرأة والاسرة والزواج.

٤ -البناء القيمي من خلال تأصيلهِ في النفوس وتقديم النموذج والاسوة الحسنة.

ولما كانت القيم شاملة متنوعة كثيرة فلابد من وضع تصنيف سليم لها وهناك عدة تصانيف منها التصنيف الخماسي الذي اعتمدناه في كتابنا السابق (نساء الطفوف) وسنعتمده الان مع اضافة القيم الاسلامية الاصيلة.

١ – القيم الدينية

وهي تتعلق بالتعاليم الدينية والسلوك الديني مثل معرفة ما وراء العالم الظاهري ومعرفة اصل الانسان ومصيره وهو يحاول ان يصل نفسه بالقوة التي تسيطر على العالم وهو الله تعالى ويتميز الاشخاص الذين تسود عندهم هذه الصفة باتباع تعاليم الدين في كل النواحي[1].

ويعرّفها محمد كامل حتة بأنها (القيم المستمدة من الدين والتي تتجه الى تكوين الانسان الصالح فاذا تم ذلك تحقق قيام المجتمع القوي السليم الذي يتعاون افراده على البر والتقوى وتستقر فيه دعائم الكفاية والعدل والسلام[2].

واذا كان الدين هو مصدر القيم وهو العامل الاساس في تنظيم علاقة الفرد مع نفسه وخالقه ومجتمعه فأنه من خلال البناء القيمي السليم للفرد يتم بناء المجتمع الصالح.

---

(١) (الزهران علم نفس الاجتماعي ص ١٢٦).

(٢) (حتة، محمد كامل، القيم الدينية والمجتمع، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٤).

وهناك رؤى معاصرة لدى الكثير من علماء النفس والاجتماع والتربية الى ان خلاص العالم من المشكلات المعاصرة التي يواجهها لا يكون الا عن طريق الالتزام بالقيم الدينية.

ومصدر القيم في الاسلام هو القرآن الكريم والسنة النبوية وكذلك سيرة اهل البيت الكرام عليهم السلام والهدف هو بناء الانسان الصالح، قال تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[(١)].

واهم القيم الدينية هي الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والغيب والرسل وتأدية الفروض والواجبات الدينية. كذلك هناك قيم الصبر والصلاة والدعوة الى الله والجهاد والصدق والعدل والتسامح والولاية لاهل البيت عليهم السلام والتبري من اعدائهم ومحبة الله ورسوله واهل بيته والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحجاب والعبادة والايثار وبر الوالدين والتواضع والرحمة والزهد والتوكل والخشوع وصلة الارحام والجرأة في الحق والشعور بالمسؤولية الى غير ذلك.

وقد عمد بعض الباحثين الى جمع القيم الدينية مع القيم الاخلاقية

---

(١) البقرة (١٧٧).

لارتباطهما الوثيق وفي الحديث (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) بل ان بعض المقاييس العلمية لقياس القيم الدينية تعتمد على الصدق والايثار والحلم لأمكانية قياس هذه الامور قياسا الى الامور العقدية أو التعبدية، ولكن الحقيقة ان القيم الدينية هي الاساس في كل القيم فمثلا يرى الاسلام ان النظافة قيمة دينية وهي ايضا قيمة اخلاقية والباحث الصحي يراها قيمة صحية والاجتماعي يراها قيمة اجتماعية لتأثير النظافة على مجمل الاوضاع الاجتماعية وآخر يراها انسانية والاخير يراها سياسية لانها تمثل صورة البلد امام بقية البلدان بل ربما يخرج الساسة في مناورات لحماية البيئة وتنظيفها من الاشعاعات!!وهكذا تنوعت القراءات.

وتتسم القيم الاسلامية الدينية بأنها ثابتة وربانية عكس القيم الوضعية التي هي من صنع البشر والتي تعكس املاءاتهم وافكارهم وتصوراتهم ولهذا فهي ليست ثابتة، كما ان القيم الدينية تتسم بالقداسة ولذلك فهي مصانة من قبل المتعلقين بها حتى لو تطلب الامر التضحية ففي قيمة الايمان بنبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والتي توجب محبته وطاعته ونصرته شهدنا كيف ثارت ثائرة المسلمين امام محاولات انتقاص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والاستهزاء به - والعياذ بالله - من خلال الرسوم الكاريكاتورية أو الافلام الشيطانية.

وهناك من يقسم القيم الدينية الى قسمين هي القيم العقائدية كالايمان بالله واليوم الاخر والملائكة والرسل والايمان بالقرآن الكريم وغيره وقيم

تعبدية كالصلاة والصوم والحج والزكاة وتلاوة القرآن والذكر والدعاء إلى غير ذلك. وقد مررنا وسنمر على الكثير مما نعتبره قيما دينية كالزهد والصدق والتواضع والقناعة وغيرها. اما الايمان بالله فهو قمة القيم الدينية.

١- الايمان بالله تعالى

وهو الركيزة الاساسية في العقيدة وهو اساس القيم الاخرى ويعني الايمان بالله الايمان بوجوده ووحدانيته واسمائه وعدله وقضائه وقدره والتوكل عليه والثقة به ومنه ينطلق الايمان ببعثة الانبياء سيما خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وان الامامة هي امتداد لخط النبوة، ولهذا لابد ان يكون الامام معصوما ومعرّفاً بالنص، ومن ركائز عقيدة التوحيد هوالايمان باليوم الموعود والحساب والثواب والعقاب الى غير ذلك من متطلبات العقيدة الخاتمة.

يقول سيد الموحدين وإمام المتقين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأهُ، ومن جزّأهُ فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمنه، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه، كائن لا عن

حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظر إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولاءم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالما بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها وانتهائها..)[1].

ولاشك ان من لطف الله هو ارسال الانبياء ولهذا كان الركن الثاني من الايمان هو الايمان بالرسل وبخاتمية الرسالة المحمدية، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (فبعث محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته بقرآن قد بيَّنهُ وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقروا به إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه..)[2].

واهل البيت عليهم السلام هم (ابواب الايمان) كما ورد في الزيارة الجامعة، كما ان رضا الزهراء عليها السلام هو مقياس لرضا الله (ان الله يرضى لرضاها) وهذا المقياس هو تعريف بالمعدن الايماني لاهل البيت عليهم السلام والذي يأتي ممزوجا مع العصمة اضافة الى ان هذا المقياس ثابت مدى الدهور والسنين.

---

(١) (نهج البلاغة: ٣٩، صبحي الصالح).

(٢) نهج البلاغة الخطبة (١).

ومن القيم الملحقة بالايمان بالله هو الايمـان بالرسـل والملائكـة والكتـب المنزلة واليوم الآخر. هذا ويساهم الايمان بالله في بناء الشخصية وتكاملها عـن طريق تعديل الاتجاهات والميول وتعديل السلوك واصلاح البـواطن بـالاخص النوايا مما يكون عاملا مساعدا على الاستقامة سواء الفكريـة أو الـسلوكية أو الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية الى غيره، كما يساعد الايمـان بـالله علـى ازالـة مـشاعر الخـوف والقلـق وازاحـة التـوتر ممـا يـؤدي الى تحـسين الـصحة النفـسية، كـذلك يـؤدي الايمـان بـاليوم الآخـر الى توجيـه الاهـداف وتوحيـد الغايات وتخفيف التعلق بالدنيا وتقبل فكـرة المـوت والاستعداد الايجـابي لـه. والايمان بالله يسعى الى تحويل الـنفس الامـارة بالـسوء الى نفـس لوّامـة ثم الى نفس مطمئنة قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّـذِينَ قَـالُوا رَبُّنَـا اللَّـهُ ثُـمَّ اسْـتَقَامُوا فَلَـا خَـوْفٌ عَلَـيْهِمْ وَلا هُـمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وللايمان بالله تعالى دور كبير في تخفيـف مـشاعر الاثم والـشعور بالـذنب عن طريق الاستغفار والتوبة وهو يخدم كرامة الإنسان ويدعو الفرد إلى القـيم والمبادئ السائدة في المجتمع.

والإيمان بالله يدفع بصاحبه أيضاً إلى الشعور بالرضا والقناعة لعلمـه أن الأرزاق بيد الله تعالى وهو الذي قسمها وقدرها بين الناس. قال تعالى:

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الـرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ

(١) سورة الأحقاف (١٣).

عَلِيمٌ﴾ [(١)].

وعلى اساس الايمان مثلا يتم اختيار الزوج اواتخاذ قرار الهجرة لإعلاء كلمة الدين والدفاع عن الحق نصرة لعقيدة التوحيد والدفاع عن النبوة لما تمثله من قيادة الهية وكذلك الدفاع عن الامامة لما فيها من امتداد لرسالة التوحيد والنبوة، اضافة الى اقامة الشعائر والعبادات وكل ما من شأنه ان يقرب الى الله تعالى. وللقيم الدينية إسهامها العالي في شعور الفرد بالسعادة والرضا، فالملتزمون دينياً يرتفع لديهم معنى الحياة، أي شعور الفرد بالحب والسعادة والعلاقة الطيبة مع الآخرين.

والاشخاص الذين تكون عندهم القيم الدينية هي المتأصلة وهي الاساس تكون قراراتهم واختياراتهم تبعا لهذا الامر كما هو الحال في موافقة الزهراء عليها السلام على الزواج من امير المؤمنين عليه السلام وهو الفقير الذي باع درعه ليكون مهرا لها رغم تقدم الاغنياء لخطبتها!!، في حين نرى ان الذين تكون لديهم القيم الاقتصادية مثلا هي الحاكمة على سلوكهم وهي الموجهة لحياتهم فانهم عند الزواج يجعلون الامور المادية مقدمة على غيرها.

ان الشيء الذي لا ينكر ان الايمان بالله تعالى كان محور حياة اهل البيت عليهم السلام ومنهم الزهراء عليها السلام وهو المحور الذي دارت عليه حياتها وشهادتها وهجرتها وجهادها!.

ففي خطبتها تشير الى الايمان بالله وآثاره على الفرد والامة قائلة:

---

(١) سورة العنكبوت (٦٢).

فجعل الله الايمان: تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة: تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة: تزكية للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام: تثبيتا للاخلاص، والحج: تشييدا للدين، والعدل: تنسيقا للقلوب، وطاعتنا: نظاما للملة، وامامتنا: امانا للفرقة، والجهاد: عزا للاسلام، والصبر: معونة على استيجاب الاجر، والامر بالمعروف: مصلحة للعامة، وبر الوالدين: وقاية من السخط، وصلة الارحام: منسأةً في العمر ومنماة للعدد، والقصاص: حقناً للدماء، والوفاء بالنذر: تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين: تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر: تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف: حجابا عن اللعنة، وترك السرقة: ايجابا بالعفة، وحرم الله الشرك: اخلاصا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون، واطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فانه انما يخشى الله من عباده العلماء.

بل ان الخطبة لتفيض بالكثير من المعاني الايمانية فتبدأ بذكر الله وحمده وهي التي صبت عليها المصائب بل ان مسلسل الحمد يتوالى بشكل بلاغي يطيح بالالباب اذ تقول:

الحمد لله على ما انعم، وله الشكر على ما الهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن اولاها، جم عن الاحصاء عددها، ونأى عن الجزاء امدها، وتفاوت عن الادراك ابدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق باجزالها، وثنى بالندب إلى امثالها، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص

تأولها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها، الممتنع من الابصار رؤيته، ومن الالسن صفته، ومن الاوهام كيفيته، ابتدع الاشياء لا من شيء كان قبلها، وانشأها بلا احتذاء امثلة امتثلها كونها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، الا تثبيتا لحكمته، وتنبيها على طاعته، واظهارا لقدرته، تعبدا لبريته، اعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نقمته...

وتقدم عليها السلام وصفاً جليا للخالق سبحانه في خطبتها وهو وصف جليل ربما لم يكن قبله شبيه!!.

ان الايمان بالله يعبر عن نفسه عمليا من خلال اداء العبادات والعمل الصالح وبهذا نحتاج الى وقفة تأملية عن عبادة الزهراء عليها السلام وعلاقتها العميقة مع الله تعالى، وكل ماقامت من اعمال سواء انفاقها أو سلوكها مع الناس والخادمة أو ماقامت به في بيتها ينـدرج ضمن انماط الاعمال الصالحة التي قامت بها، فمحورية الله هي المدار الذي دارت حوله حياة الزهراء عليها السلام طول عمرها، في حين اننا نتأرجح في محاورنا فتارة مع الله وتارة في الجهة المعاكسة!!، ولهذا تعيش الشخصية المعاصرة حالة من عدم الاستقرار أو التوازن النفسي لتعدد مرجعياتها بما قد يؤدي الى التعارض وحصول الصراع وظهور التذبذب أو القلق في الشخصية.

ومن اسماء الزهراء عليها السلام الزكيَّة والزاكية، لاهتمامها بتزكية النفس الموصلة إلى الفلاح وتمركز حياتها حول هذا القطب، قال تعالى: ﴿قَدْ

أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾.

وفي حديث: فسأل (النبي صلى الله عليه وآله وسلم) عليا عليه السلام: كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله. وسأل فاطمة، فقالت: خير بعل[1].

ومن اقوالها عليها السلام:

- حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث: تلاوة كتاب الله، والنظر في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإنفاق في سبيل الله.

- وفي حديث طويل قالت عليها السلام: يا أبت فديتك ما الذي أبكاك؟ فذكر لها ما نزل به جبرائيل من الآيتين ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ مَّقۡسُومٌ ﴾[2]. فسقطت فاطمة عليها السلام على وجهها وهي تقول: الويل ثم الويل لمن دخل النار[3].

بل ان الزهراء عليها السلام - وهي نموذج الانسان الكامل والمعصوم- تجعل من كل ساعات اليوم واوقاته محطات للعروج الى الله والانس بجواره، فالنوم الذي ننظر اليه على انه ساعة انعتاق وتحرر من كل شيء تنظر الزهراء عليها السلام اليه على انه محطة عبادية ومحطة قرب اليه تعالى ففي الرواية:

عن الزهراء صلوات الله عليها قالت: دخل عليَّ رسول الله صلى الله

---

(١) (مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٥٦).

(٢) (الحجر: ٤٣ -٤٤).

(٣) (البحار: ج٨، ص٣٠٣).

عليه وآله وقد افترشت فراشي للنوم، فقال: يا فاطمة لا تنامي إلا وقد عملت أربعة: ختمت القرآن، وجعلت الأنبياء شفعاءك، وأرضيت المؤمنين عن نفسك، وحججت واعتمرت، قال هذا وأخذ في الصلاة، فصبرت حتى أتم صلاته، قلت: يا رسول الله أمرت بأربعة لا أقدر عليها في هذا الحال! فتبسم صلى الله عليه وآله (وقال) إذا قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنك ختمت القرآن، وإذا صليت عليَّ وعلى الأنبياء قبلي كنا شفعاءك يوم القيامة، وإذا استغفرت للمؤمنين رضوا كلهم عنك، وإذا قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فقد حججت واعتمرت.

- وشهد الرسول صلى الله عليه وآله لها قائلاً: إنّ ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها ففرغت لطاعة الله[1].

٢- الصلاة

وهي عمود الدين التي ان قُبِلَتْ قُبِلَ ما سواها وان رُدَّتْ رُدَّ ماسواها، وتشكل الصلاة رأس العبادات والاوامر الالهية ومفتاح قبول الاعمال كلها، وهي الدعاء والتبريك والتمجيد... والصلاة هي العبادة المخصوصة وقال بعضهم اصل الصلاة من الصلاء قال ومعنى صلى الرجل اي انه ازال عن نفسه بهذه العبادة الصلاء الذي هو نار الله الموقدة[2].

والتأكيدات القرآنية والنبوية واضحة وجلية في هذا الجانب:

(١) (بحار الأنوار: ٤٣ / ٤٦، المشاش: رأس العظم الليّن).

(٢) (الراغب الاصفهاني. مفردات الفاظ القرآن)

قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[١].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٢].

وهذه هي غاية الصلاة العملية وهي ايضا مقياس قبول الصلاة وقد جاء في الحديث: من لم تنهه صلاته عن منكر فلا صلاة له.

وقد شبهها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحمة التي تزيل الاوساخ والقذارة حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: ارأيتم لو ان امام دار احدكم نهرا يغتسل فيه في اليوم خمس مرات هل يبقي عليه شيء من الدرن..؟

وايضا عُدت الصلاة واحدة من اسلحة المواجهة ففي الحديث (ان الصلاة سلاح الانبياء).

وعُرفت الصلاة بانها قربان كل تقي والمقصود بالقربان كل مايتقرب به العبد من اعمال صالحة الى ربه ليفوز بقربه الدائم.

وايضا في الحديث:

اذا قام المصلي الى الصلاة نزلت عليه الرحمة من عنان السماء الى عنان الارض وحفت به الملائكة وناداه ملك لو يعلم هذا المصلي مافي الصلاة ما انفتل.

ان الصلاة تساهم في اشباع حاجة الدين والارتباط بالمطلق والتي تمثل

(١) النساء / ١٠٣.

(٢) (العنكبوت ٤٥).

احدى الحاجات الاساسية للفرد والتي ادى اهمالها في عصرنا الحالي الى خواء روحي واضح ترك اثره في نظرة الفرد الى المجتمع والى الحياة مما سبب في حدوث ازمات نفسية حادة.

كما ان قيام الفرد للصلاة بين يدي خالقه يساهم في توفير الاشباع الذاتي لحاجة الانتماء الاجتماعي من خلال احساسه بالانتماء الى العقيدة الدينية ومشاركته ملايين المسلمين في اداء الفريضة حيث يشعر المصلي بانه واحد من الملايين من البشر الذين اتجهوا نحو مكان واحد لعبادة رب واحد واداء عمل واحد هو الصلاة وهذا الشعور يقوي عنده الاحساس بالقوة والعزة رغم ان الحالة الظاهرية العادية للمسلمين قد تزرع الشعور بالانكسار والوهن والتراجع. !! وهذا الشعور بالقوة يذلل امام الفرد المصلي الكثير من احساسه بمواقع الضعف والجبن والوهن كما يجعله امام بصيرة واحدة تقول (ان العزة لله جميعا) والعزة تأتي من التقوى والايمان. وهذا مما يساعد في زوال عُقدة الشعور بالحقارة والنقص والتي قد تتولد لدى الفرد نتيجة مهنة حقيرة أو طبقة متدنية وغيرها، الامر الذي يعزز في رفد الشعور بالمساواة لدى الفرد (خاصة في الحج وفي صلاة الجماعة) مما يزيد من تقبله لذاته ورضاه عن واقعه ويشجعه على البحث عن اسلوب التفاضل الواضح بين الناس الا وهو التقوى، وبهذا يكون للصلاة شرف عظيم لانها تساهم في تحريره من الطواغيت والرؤساء والحكام ومن اسباغ نير العبودية على هؤلاء الذين هم دائما في مقام النقص الواضح.

واذا كان الهدف من العبادات هو تقوية رابطة العبد بالله من خلال تركه لامور الدنيا - مهما بلغت قيمتها- والتفرغ لعبودية الله تعالى في اوقات محدودة لم يخترها الانسان لنفسه انما ارادها الله تعالى بهذه الصورة الثابتة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان.. فهذه التقوية الايمانية تشجع صاحبها على ترك المنكرات والقيام بالواجبات وعلى السير في نهج الطاعة.

- رُوى عن الحسن البصري أنه قال: "ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تتورّم قدماها[١].

- وحول الاية ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾[٢]: نزلت في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٣].

- وقالت فاطمة عليها السلام: من أصعد إلى الله خالص عبادته أهبط الله إليه أفضل مصلحته[٤].

- وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن عبادتها أنّها متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّوجل لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيّدة إمائي قائمة بين يديّ ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها

---

(١) (البحار، ج: ٤٣، ص: ٨٤. وعوالم الزهراء، ص: ٢٢٤).

(٢) (الذاريات: ١٧)

(٣) (شواهد التنزيل: ٢: ٢٦٨. عوالم العلوم: فاطمة الزهراء عليها السلام في المستدرك: ٨٥).

(٤) (البحار: ج٧١، ص١٨٤).

على عبادتي، أُشهدكم أنّي قد أمّنت شيعتها من النار[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: أنّ أُمّه الزهراء عليها السلام كانت تصلي للاَمر المخوف العظيم ركعتين، تقرأ في الاُولى الحمد و(قُل هو الله أحد) خمسين مرة، وفي الثانية مثل ذلك، فإذا سلّمت، صلّت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ ترفع يديها بالدعاء: «اللهمَّ إنّي أتوجّه بهم إليك، وأتوسّل إليك بحقّهم العظيم الذي لايعلم كنهه سواك، وبحقّ من حقّه عندك عظيم، وبأسمائك الحسنى، وكلماتك التامات التي أمرتني أن أدعوك بها...» إلى آخر الدعاء[٢].

وعنه عليه السلام: أنّها كانت إذا أصبحت يوم الجمعة تغتسل وتصفّ قدميها وتصلي أربع ركعات مثنىً مثنىً، تقرأ في أول ركعة فاتحة الكتاب و(قل هو الله أحد) خمسين مرة، وفي الثانية فاتحة الكتاب والعاديات خمسين مرة، وفي الثالثة فاتحة الكتاب و(إذا زلزلت) خمسين مرة، وفي الرابعة فاتحة الكتاب وإذا جاء نصر الله خمسين مرة، فإذا فرغت منها قالت: «إلهي وسيدي، من تهيّأ أو تعبّأ أو أعدّ أو استعدّ لوفادة مخلوق رجاء رفده وفوائده ونائله وفواضله وجوائزه...، فإليك يا إلهي كانت تهيئتي وتعبيتي وإعدادي واستعدادي، رجاء رفدك ومعروفك، ونائلك وجوائزك، فلا تخيبني من ذلك، يا من لا يخيّب مسألة سائل، ولا تنقصه عطية نائل...» إلى آخر الدعاء،

---

(١) (أمالي الصدوق، المجلس: ٢٤ / ١٠٠).

(٢) (مصباح المتهجد | الطوسي: ٣٠٢ - مؤسسة فقه الشيعة - بيروت).

وذلك مما علّمها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[١].

وتعتبر العبادة بشكل عام وسيلة التكامل الفردي والاجتماعي وقد كان نموذج المرأة العابدة قبل الزهراء عليها السلام متمثلا في شخصية السيدة مريم عليها السلام ولكن الملاحظ ان هناك فروقاً واضحة بين هاتين الشخصيتين منها ان مريم عليها السلام كانت متفرغة للعبادة وليست لها مهام اسرية أو اجتماعية بل لم تكن لها اعمال اصلا بما في ذلك اعداد طعامها!!، في حين كانت الزهراء عليها السلام مثقلة بشتى المشاغل والاعباء المتنوعة، هذا من جهة ومن جهة اخرى كانت مريم عليها السلام تعبد الله في ظرف استرخائي مريح ويأتيها طعامها ورزقها دون عناء ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢] في حين كانت الزهراء عليها السلام تعبد الله على الطوى وتعيش مع باقي المسلمين الجوع والفقر. وكانت حياة مريم عليها السلام في المحراب في المسجد ماخرجت منه الا لطارئ كولادتها لعيسى عليه السلام في حين كان محراب الزهراء عليها السلام هو كل مساحات حياتها!!، بكل اثقالها ومسؤولياتها ومتطلباتها وبما قدمته من خدمات واعمال صالحة اشاد ببعضها القرآن الكريم في آيات خالدات، حتى فراش نومها الخشن كان محرابا للدعاء وللذكر بما عرّفته لنا من اذكار خاصة عند النوم بل وحتى حضورها المعركة سواء كان للغوث أو

(١) (مصباح المتهجد | الطوسي: ٣١٨).

(٢) (آل عمران آية ٣٧).

لتفقد ابيها أو لعلاج الجرحى كان محرابا للسير نحو الله تعالى. في حين ان الانسان المعاصر يمارس العبادات كحركة فردية وطقوس بلا روح وبلا حياة ولهذا لاتكون من عوامل التكامل أو الرقي أو الحركة نحو الله فالصلاة شيء اعتاده الانسان لذا تكون صلاته كنقرالغراب! ولهذا لا تمنعه عن منكر!! فتجده يصل اصدقاء السوء ويقطع الارحام أو يتصدق امام الناس رياءً وهو ابخل الناس على عياله!..

وفي الحديث: سُمّيت فاطمة عليها السلام بالبتول لانقطاعها إلى عبادة الله[١].

- وفي حديث: فسأل (النبي صلى الله عليه وآله وسلم) عليا عليه السلام: كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله. وسأل فاطمة، فقالت: خير بعل[٢].

وأبت السيدة الزهراء عليها السلام إلا أن تكون الصلاة آخر أعمالها رغم مرضها الشديد. فقد ذكر الخوارزمي أنها عليها السلام قُبَيلَ رحيلها قامت في بيتها فصلَّت ركعتين، ثم جلَّلت وجهها بطرف ردائها وقضت نحبها.

روي أنّ فاطمة عليها السلام كانت تنهج في صلاتها من خيفة الله تعالى"[٣].

---

(١) (مجمع البيان / الطبرسي ١٠: ٥٦٨. والمصباح / الكفعمي: ٦٥٩)

(٢) (مناقب ابن شهر آشوب، ج٣، ص٣٥٦)

(٣) (المناقب | ابن شهر آشوب ٣: ٣٤١. ومقتل الحسين عليه السلام| الخوارزمي ١: ٨٠).

٣- الدعاء

الـدعاء هـو مـخ العبـادة وهومحطـة الانعتـاق الى رحـاب الله والتـذلل والاستغاثة وطلب الحاجات من صاحب الاكـوان، والبـوح بمـا يخالج الـنفس مـن شـعور بالتقـصير وهـو عبـادة كاشـفة عـن علاقـة القـرب مـع الله تعـالى وهو(تعـبير طبيعـي عـن إحـساس نفسي وشـعور حـي لـدى الإنـسان، الـذي يدرك وجود حقيقتين في حياته: الله، والإنسان، ويـدرك النـسبة الحقيقيـة بـين الوجودين:

فوجود الله الذي هو مصدر الغنى والكمال والإفاضة في هذا العالم.

ووجـود الإنـسان الـذي هـو وعـاء الفقـر والحاجـة والمـسكنة، المتقـوّم بالإفاضة والعطاء المستمر). قال تعالى:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ *فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾(١).

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ *فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

والـدعاء اشـارة الى الارتبـاط الفاعـل والايجـابي بالغيـب وتأكيـد علـى

---

(١) (الأنبياء/٨٣-٨٤).

(٢) (الأنبياء/٨٧-٨٨).

الايمان به وهو يساهم في تخفيف معاناة الشعور بالذنب ويساعد على التقليل من اضرار الازمات النفسية، كما انه وسيلة من وسائل تقوية العلاقات الاجتماعية سواء من خلال الدعاء للآخرين (ولو في غيابهم) أو من خلال المشاركة في الدعاء بشكل جماعي كما نرى ذلك في المواسم الكبرى للدعاء كيوم عرفة أو ليالي الجمعة الى غير ذلك.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السماوات والأرض)[١].

وقال عليه السلام:

(يا ميسر: ادع ولا تقل: أنّ الأمر قد فرغ منه، إنّ عند الله عزّ وجلّ منزلة لا تنال إلا بمسألة، ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل، لم يعط شيئاً، فسل تعط، يا ميسر، أنّه ليس من باب يقرع إلا يوشك أن يفتح لصاحبه)[٢].

وقد ورد في الحديث الشريف:

(أفضل العبادة الدعاء)[٣].

(وأحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ في الأرض الدعاء)[٤].

---

(١) (الكليني، أصول الكافي، ط٣ / ج٢ / ص٤٦٨. السيوطي، الجامع الصغير، ج١ / ص ٥٧٤)

(٢) (الكليني، الكافي، ج٢ / ص٤٦٦).

(٣) (الكليني، الكافي، ج٢ / ص٤٦٦. المتّقي الهندي، كنز العمّال، ج٢ / ص٦٤).

(٤) (الكليني، الكافي، ج٢ / ص٤٦٧).

واذا كانت الزهراء عليها السلام اعبد هذه الامة فلها مع الدعاء نجوى طويلة.. فهذا ابنها الإمام الحسن عليه السلام يحدّثنا قائلاً: "رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جُمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك، فقالت: يا بني الجار ثم الدار[1].

- وفي الرواية: كانت فاطمة عليها السلام لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة (ليلة القدر) وتداويهم بقلة الطعام، وتتأهب لها من النهار وتقول: محروم من حُرم خيرها[2].

- روى الطبري في دلائل الإمامة بإسناده عن زيد بن علي عن آبائه عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: "سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلاّ أعطاه إياه. قالت: فقلت: يا رسول الله أي ساعة هي؟ قال: إذا تدلّى نصف عين الشمس للغروب".

قال: وكانت فاطمة عليها السلام تقول لغلامها: اصعد على السطح، فإن رأيت نصف عين الشمس قد تدلّى للغروب فأعلمني حتى أدعو[3].

---

(١) (البحار، ج: ٤٣، ص: ٢٥٣. وعوالم الزهراء، ص: ٢٢٥، نقلاً عن علل الشرائع).

(٢) [بحار الأنوار، ج٩٧، ص١٠].

(٣) (دلائل الإمامة، ص: ٧١).

ومن ادعية الزهراء عليها السلام

اللهم فرّغني لما خلقتني له ولاتشغلني بما تكفلت لي به اللّهم ذلّل نفسي في نفسي وعظم شأنك في نفسي.

ويروي السيد الجليل ابن طاووس في كتابه اقبال الاعمال في اعمال ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان مامضمونه:

فكرت بالاعمال المروية لليلة القدر فوجدها كثيرة لا استطيع ان اقوم بها جميعا ففكرت بأن آتي بأهم الاعمال فوجدت ان الدعاء من اهم الاعمال ففكرت ان ابدأ الدعاء لابوي لكني رأيت انهما مسلمان مؤمنان صالحان، ثم فكرت ان ابدأ بسائر المسلمين والمسلمات فرأيت ان اسلامهم يشفع لهم عند الله فيغفر لهم ربهم ويعفو عنهم وان كانو ﴿ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾ لكن ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[(١)].

ثم يقول: ففكرت أن أبدأ بالكفار والجاحدين لنعم الله والمستخفّين بحرمته، فأخذتني الشفقة عليهم لأنهم لا يرتبطون مع الله برابط يمكن أن يكون شفيعاً لهم، وقلت في نفسي إن هؤلاء لا يتمسكون بأي حبل من حبال الله، فعليّ أن أبدأ "ليلة القدر" هذه بالابتهال إلى الله أن يهدي هؤلاء ويفتح عقولهم على الحق ويحرك خطواتهم في طريق الاستقامة، لأن جنايتهم على الربوبية أشد من جناية العارفين بالله.. يقول: ولما فرغت من الدعاء لهم دعوت لأهل التوفيق والإسلام ثم دعوت لنفسي ومن يهمني أمره.

---

(١) التوبة ١٠٢.

تسبيح الزهراء عليها السلام

عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام قال: لما رأيت ما أصاب فاطمة الزهراء من العناء في خدمة البيت وقد جاء سبي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت لها: هلا أتيت أباك تسأليه خادما يكفيك مشقة خدمة البيت؟ فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا عنده جماعة، فانصرفت، وعلم أبوها أنها جاءت لأمر أهمها، فغدا إلى دارها صباحا، وسألها عليها السلام (عما) جاءت له، فاستحت أن تذكر له، فقلت له: أنت تعلم ما تلاقيه فاطمة من القيام بشؤون البيت من الاستقاء والطحن والكنس. وقد أثر ذلك عليها، فقلت لها: لو سألت أباك يخدمك من يكفيك مشقة ما أنت فيه من العمل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم، ومن الدنيا بما فيها: تكبرين اللَّه بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين اللَّه ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين اللَّه ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تختمين ذلك بـ(لا إله إلا اللَّه)، وذلك خير لك من الذي أردتِ ومن الدنيا وما فيها، فلزمت صلوات اللَّه عليها هذا التسبيح بعد كل صلاة، ونُسب إليها»[1].

يقول الراغب الأصفهاني في مفرداته: السبح: المرُّ السريع في الماء وفي الهواء، يقال: سَبَحَ سبْحاً وسباحة، والتسبيح تنزيه اللَّه تعالى، وأصله المرُّ السريع في عبادة اللَّه تعالى وجعل ذلك في حبل الخير، كما حبل الأبعاد في

(١) (بحار الأنوار ٣٣٦ ٨٥).

الشر، فقيل: أبعده اللَّه»[1].

سُئِلَ أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام عن معنى التسبيح فأجاب: «هو تعظيم اللَّه عزّ وجلّ وتنزيهه عما قال فيه كل مشرك...»[2].

وقد استفاضت الأخبار في الحث على الإتيان به حيث قال الإمام الباقر عليه السلام: ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من تسبيح فاطمة كل يوم دبر كل صلاة، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله فاطمة.

قال الصادق (عليه السلام): «من بات على تسبيح فاطمة عليها السلام كان من الذاكرين للَّه كثيراً والذاكرات»

ويقول الصادق عليه السلام: تسبيح فاطمة في كل يوم دبر كل صلاة أحب إلي من صلاة ألف ركعة في كل يوم[3].

وفي بيان كيفيته بعد الصلاة وعند النوم فهو أربع وثلاثون تكبيرة، ثم ثلاث وثلاثون تحميدة، ثم ثلاث وثلاثون تسبيحة.

ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يعطِ ابنته فاطمة الخادم حينما سألته اول الامر اذ ان المسلمين كانوا في مضيقة وشدة وكان الأولى توجيه الاهتمام لرعاية الفقراء والمعوزين، ولهذا لم يقبل صلى الله عليه وآله وسلم اول الامر لكنه فيما بعد وهب لها جاريتها فضة بعد ان جاءه سبي وبعد ان

---

(١) المفردات (مادة سبح) ص٢٢٦.

(٢) (معاني الأخبار٩).

(٣) (الكافي كتاب الصلاة ٣٤٣).

حصل المسلمون على الغنائم الكثيرة، وهذا يعني انه كان يدرك حاجة ابنته الى الخادم لكنه كان ينتظر الوقت المناسب الذي تنحسر فيه آثار الضيق الاقتصادي، كما ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يك يريد ان تكون ابنته متميزة عن باقي النساء بما لديها من خدم بل اراد ان يجعلها تعيش حياتها المتواضعة كباقي النساء.

وفي رواية: أنها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

يا فاطمة والذي بعثني بالحق، إن في المسجد أربعمائه رجل ما لهم طعام وثياب ولولا خشيتي لأعطيتك ما سألت، يا فاطمة وإني لا اُريد أن ينفك عنك أجرك إلى الجارية، وإني أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم القيامة بين يدي اللَّه- عز وجل- إذا طلب حقه منك، ثم علمها صلاة التسبيح.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَضَيْتِ تريدين من رسول اللَّه (صلى الله عليه وآله) الدنيا فأعطانا اللَّه ثواب الآخرة»[1].

وهذه الامور تعكس الرحمة الابوية التى تبرمج اولوياتها ضمن الامور العامة التي تجعل الناس كلهم سواسية ليس بينهم اي تمييز، فهي حركة تربوية مهمة جدا انذاك لان المدينة كانت محطة البناء الذاتي والاجتماعي للمسلمين الاوائل ولابد من توخي الحذر والعدالة مع الاشفاق، ولهذا لم يرّدها صلى

(١) [بحارالأنوار: ٤٣/ ٨٥].

الله عليه وآله وسلم خائبة بل اعطاها عليها السلام التسبيح لتبقى خالدة في ضمير كل مسلم ومسلمة فهذه ابنة القائد والحاكم لكنها شاركت المسلمين الحياة بحلوها ومرها حتى ان الرسول كان يبكي لمرآها وهو القائل: «تجرعي يا فاطمة مرارة الدنيا... لنعيم الآخرة».

وهذه دروس للآباء والامهات فهم قد لا يستطيعون تنفيذ كل ما يريده الاولاد أو قد يقفون عاجزين امام مطاليبهم الكثيرة فلا يردوهم خائبين انما يقومون بتسلية خاطرهم ولو بتسبيح ولو بدعاء جميل أو ثناء أو وعد مفتوح.

وقد اورد فقهاؤنا استحباب التسبيح في وقتين: أحدهما بعد الصلاة، والآخرعند النوم.

اننا نعلم انه من خلال تغيير الافكار الموجودة في اذهاننا فأنه يمكن تغيير المحتوى الداخلي والنفسي والذي يعتبر المؤثر الاكبر لانتاج السلوك، فنحن نتحرك حسبما نفكر، ولقد علّم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ابنته عليها السلام هذا التسبيح كي تنشغل عن آلامها وتعبها - بسبب تزايد الاعباء البيتية مع عدم وجود المساعدة - بذكر الله وهي عملية صرف للذهن عن المشاغل الآنية، وهذا يعود لما يسمى بقانون التعويض فالعقل ينشغل بفكرة ما ايجابية كانت ام سلبية فاذا تعززت الافكار الايجابية ولدّت الشعور بالارتياح وافضل الافكار الايجابية تلك المرتبطة بالقيم الدينية وبالعلاقة مع الله والتي تساعد على ازاحة الفكرة السلبية وبذلك تمنح الفرد الشعور بتحسين الحال، ومن المؤكد ان اهل البيت عليهم السلام لا تداخلهم الافكار

السلبية ولكن الشعور الجسدي بالتعب يحتاج لازاحته الى شعور نفسي بالراحة، مع استرخاء جسدي ولهذا قال بعض المفسرين حول الآية ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ ان الوسع هنا نفسي لانه قادر على ازاحة (عدم الوسع الجسدي)، ونحن نرى احيانا اننا لانمارس عملا ولا نشعر بالتعب البدني ومع ذلك فأننا مرهقون نفسيا ولا نستطيع القيام بأي عمل!! والعكس صحيح فمشاعر الفرح مثلا قادرة على بعث النشاط والتفاؤل في وقت يكون الارهاق والاعياء قد استبد بنا!!.

وربما لوكان هناك من يعيش عناء الزهراء عليها السلام الذي وصفه زوجها امير المؤمنين لأُصيب بـ(الجلطة النفسية) اي توقف الزمن حول هذه النقطة ويصبح جامدا!! فلا يستطيع القيام بأي حركة لانه حبس تفكيره وذاكرته في اطار هذه النقطة المحدودة وهي العناء والتعب!، ولهذا لابد ان نغير افكارنا كي ننطلق الى حياة افضل، والتسبيح هو اشغال للفكر بذكر الله الذي تطمئن له النفوس وترتاح اليه القلوب فينطلق الفرد نحو سماء التوحيد العالية والواسعة فسينسى أو يتناسى ألمهُ وحزنه وتعبه.

ثم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يقدم كلمات سلبية.. لا تفكري بالتعب، لا تتألمي، لا تنشغلي باتعابك بل طار مع ابنته إلى سماء الوحي الإيجابية من خلال مفردات ايجابية ايمانية تدعو الى التفكر في العدد والرقم والتسلسل والتكرار وغير ذلك. فهو صلى الله عليه وآله وسلم رسم صورة عقلية لمستقبل تتغير فيه الاحوال بفضل قدرة الله.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «ما عُبد الله بشيءٍ من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «تسبيح فاطمة عليها السلام في كل يومٍ دبر كلّ صلاة أحبّ إليّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم»[٢].

وعن أبي هارون المكفوف، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «يا أبا هارون، إنّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة، فالزمه فإنّه لم يلزمه عبد فشقي»[٣]. والامر ثابت عند الفريقين، قال ابن حجر العسقلاني[٤]: قال ابن تيمية فيه: إن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه أعياء، لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك.

قال الصادق (عليه الصلاة والسلام): «إذا شككت في تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام فأعده»[٥].

والغريب ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي علم فاطمة الزهراء هذا التسبيح فلماذا اقترن باسمها عليها السلام وليس باسمه صلى الله عليه وآله وسلم؟

---

(١) (الكافي، الكليني ٣: ٣٤٣ / ١٤. والتهذيب، الطوسي ٢: ١٠٥ / ٣٩٨).

(٢) (الكافي، الكليني ٣: ٣٤٣ / ١٥. والتهذيب، الطوسي ٢: ١٠٥ / ٣٩٩).

(٣) (الكافي، الكليني ٣: ٣٤٣ / ١٣. والتهذيب، الطوسي ٢: ١٠٥ / ٣٩٧).

(٤) (إرشاد الساري) ج٦، ص١١٧، بمطبعة الكبرى الأميرية مصر.

(٥) (الكافي، كتاب الصلاة، ص٣٤٢).

هنا تبدو المسألة منطلقة من امرين:

الامر الاول: هو تخليد معاناتها وعنائها لكي يعيش الجميع دوما هذه الصورة بكل مافيها من مشقة وعناء، فلا ترك للعبادة ولا هجر للمجتمع أو الانصراف عن تقديم العون بحجة التعب أو بحجة عدم وجود الوقت أو المعين.

والامر الآخر الذي اعتقده - والله اعلم - هو لتخليد اسم الزهراء عليها السلام في ذاكرة كل مسلم فهي بعمرها القصير وعطائها الكبير وظلامتها الخالدة لابد من وجود علامة تذكير بها خاصة بعد ان ضاع قبرها وبقي بل وسيبقى مجهولا، لابد من شيء يكشف عن تاريخها ومكانتها وجهادها ولاشيء اسمى من هذا التسبيح الذي لابد ان يُذكر بعد كل صلاة وعند النوم وكأنه وقفة تجديد للعهد مع ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبهجة قلب المصطفى في كل ابعاد حياتها المتعددة الصور.

عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: من سبح تسبيح الزهراء عليها السلام ثم استغفر، غفر الله له، وهي مائة باللسان، وألف في الميزان، وتطرد الشيطان، وتُرضي الرحمن»[١].

شكى أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام إليه ثقلاً في أذنه فقال عليه السلام: «عليك بتسبيح فاطمة»[٢].

(١) (ثواب الأعمال للصدوق: ص ١٦٣).

(٢) (الدعوات للراوندي: ص ١٩٧).

قال المحقق البحراني صاحب الحدائق رحمه الله نقلاً عن الطبرسي والمجلسي رحمهما الله: «أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات فكانت عليها السلام تديرها بيدها تكبر وتسبح إلى أن قتل حمزة بن عبدالمطلب سيد الشهداء رحمه الله فاستعملت تربته وعملت المسابيح فاستعملها الناس.

٤- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وتعتبر هذه القيمة من اهم الفضائل الاسلامية خاصة مع تعدد صور المنكر وتعدد اشكاله وصوره، وهو ايضا علامة على قوة الدين وقوة الشخصية فلا يخاف صاحبه في الله لومة لائم.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٣).

---

(١) (سورة آل عمران: الآية ١١٠).

(٢) (سورة آل عمران: الآية ١١٠).

(٣) (سورة آل عمران: الآية ١١٤).

وقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته (عليهم السلام) روايات مستفيضة في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد روي عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن الله ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له. فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر))[١].

وقال الإمام علي (عليه السلام): ((إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، ولكن يضاعفان الثواب ويعظمان الأجر، وأفضل منهما كلمة عدل عند إمام جائر))[٢].

وفي الحديث: ((لا دين لمن لا يدين الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))[٣].

وكل هذه الأحاديث الشريفة تدل على وجوب الأمر بالمعروف والجهر بالحق، ومعارضة بل ومحاربة كل أشكال المنكر.

و(المعروف) كلمة مأخوذة من مادة (عرف) بمعنى الظهور والارتفاع، وانتشار الرائحة الطيبة، وما كان كذلك فهو معروف مأنوس غير مجهول. والاعتراف هو الإقرار، وأصله إظهار معرفة الذنب، والمعروف هو ما عرفته العقول السليمة، وأنستْ إليه الطباع المستقيمة، وهو أيضاً اسم لكل فعل يُعرف بالشرع أو العقل حسنه، والعُرْف المستحسن الذي هو ضد المنكر. وقد

(١) (ميزان الحكمة، ج٥، ص١٩٤١، رقم الحديث ١٢٦٩٨).
(٢) (ميزان الحكمة، ج٥، ص١٩٤٤، رقم الحديث ١٢٧١٩).
(٣) (بحار الأنوار، المجلسي، ج ٩٧، ص ٨٦، رقم ٥٩).

عرَّف المحقق (الحلي) المعروف بأنه: كل فعل حَسَن، اختص بوصف زائد على حسنه، إذا عرف فاعله ذلك، أو دلَّ عليه[١].

وعليه.. فإن كل أمر أو فعل حَسَن هو معروف.. فالصدق والأمانة والوفاء وحسن الخلق والعدل والحاكم الصالح كلها مؤشرات عن المعروف.

اما كلمة (المنكر) فهي مشتقة من مادة (نكر) وهي مادة تدل على الجهل، والصعوبة، والاشتداد، والاستيحاش، والقبح، والنفور، وكراهية النفوس، يقول: أنكره، أي جهله إذا وجده على غير ما عهده، ويقال: أنكر فلان كذا، أي كرهه فلم يقره.

والمنكر هو الباطل، لأن العقول السليمة تنكره وترفضه، ولذلك قال علماء الأخلاق: إن المنكر هو ما تستقبحه العقول السليمة، ويحكم الدين بقبحه، وهو ضد المعروف، ويقول الأصفهاني: المنكر كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة.

وقال المحقق (الحلي): المنكر كل فعل قبيح، عرف فاعله قبحه، أو دلَّ عليه[٢].

ويتجلى لنا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل وضوح في مطالبة

---

(١) (تحرير الأحكام، العلامة الحلي، مؤسسة الإمام الصادق، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ج ٢، ص٢٣٨).

(٢) (تحرير الأحكام، العلامة الحلي، مؤسسة الإمام الصادق، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ج٢، ص٢٣٩).

الزهراء عليها السلام بفدك وجعل قضية فدك وسيلة ومدخلا للمطالبة بتنفيذ وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم بتولي عليٍّ عليه السلام بعده شؤون الامة، ولولا هذا الدفاع لما فهم الناس ان ثمة انحرافا ومنكرا بدأ ينخر في عمود الدولة الاسلامية حيث تَعَود الناس على وجود المعصوم الذي لا يأتي بخطأ أو منكر والذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تستوعب الامة بعد فكرة التغيير الحاصل بعد وفاته وبعد ان اهملت وصيته في علي عليه السلام وظهر التمرد عليها مما يعني خروج الدولة عن مسيرة العصمة التي ارادها واوصى بها من خلال بيعة الغدير والنص على علي عليه السلام، فمطالبة الزهراء بفدك ودفاعها عن الولاية والامامة بهذا الشكل الذي جعلها شهيدة بكِلا المعنيين للشهادة الشهادة على الامة والشهادة بالتضحية يكشف لنا مدى ادراك الزهراء عليها السلام لهذا الامر واهتمامها بالامامة، فمن كان يصدق ان الزهراء عليها السلام التي ترى ان افضل شيء للمرأة هو (ان لا ترى رجلا ولايراها رجل) تخرج من بيتها وتخاطب الملأ كلهم وتطوف على بيوت الانصار كل ذلك دفاعا عن الولاية وتفعيلا لقيمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي تحددت في هذا الظرف.

عن أحمد بن ابي عبدالله عن يعقوب بن يزيد رفعه قال: قال ابوعبدالله عليه السلام: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله تعالى فمن نصرهما أعزه الله تعالى، ومن خذلهما خذله الله تعالى[1].

---

(١) (التهذيب ج٦ ص١٧٧).

٥- الحجاب

وقد آثرتُ ان اضع الحجاب في القيم الدينية باعتباره فرضا الهيا على كل مسلمة، ويمكن ايضا ان نضعه ضمن القيم الاجتماعية لدوره في صيانة المجتمع من الانحراف والجرائم المختلفة، ويمكن ان نضعه ضمن قيم تكامل الشخصية وضمن قيمة المظهر تحديدا لما للمظهر الخارجي من تأثير على سلوك الانسان واتجاهاته ونواياه، والحجاب امر الهي قال تعالى:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٢].

وتتباين الاتجاهات حول الحجاب وتنطلق اكثر هذه الاتجاهات من الرؤية التي يُنظر بها للدين واهم هذه الاتجاهات:

١- من يعتقد ان الدين هو عقيدة الهية ينطلق منها نظام شامل للحياة يعرف ان الحجاب امر الهي مفروض على كل مسلمة في كل عصر وزمان لان الشريعة الاسلامية هي الشريعة الخاتمة فحلال محمد حلال الى يوم القيامة، وانما جاء هذا الفرض لفوائده الكثيرة على المجتمع بشقيه المرأة والرجل، وهو

---

(١) (سورة النور/ الآية ٣١).

(٢) سورة الأحزاب/ الآية ٥٩.

وان خص المرأة المسلمة ولكن مقدماته من غض البصر وغيره موجهة لكلا الجنسين، وعلى هذا فحتى لولم نفهم اثر الحجاب على المرأة والمجتمع فأننا كمسلمات ملزمات بتطبيق الشريعة وتنفيذ الاوامر الالهية.

٢- من يرى ان الدين مسألة شخصية وله مساحته المحدودة في الحياة ووجوده لا يزيد عن المسجد والكنيسة، فهذا الفرد ينظر الى الحجاب ايضا على انه مسألة شخصية لا فرض الهي واجب، وبالتالي فهو حر في ان ينفذ هذا المطلب أو لا!، وعموم الرؤى العلمانية تقصي الدين عن الحياة والمجتمع بل عن الحياة كلها!، وهي نظرة ان كان لها اصل في الوضع المسيحي فانها غير صحيحة بالنسبة للاسلام الذي قدم الى العالم كله اطروحته في اقوى واكثر الحضارات الانسانية تأثيرا وامتدادا، واصحاب هذه الرؤية يعيشون الازدواجية بين كونهم مسلمين بالولادة وعلمانيين بالسلوك، لذا يبحثون عن اساليب يطوقون بها الدين ويقصونه عن دائرة الحياة.

٣- اما المسلمون الجدد فأنهم يعيدون قراءة النص القرآني مع تحريف المضمون فهناك من يرى ان آيات الحجاب خاصة بزمانها وخاصة فقط لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم!!، وهؤلاء يعيدون قراءة النص بشكل يلغي طابع الدوام خاصة وان الاية واضحة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]. وبذلك فالحجاب فرض ولكنه لا

(١) سورة الأحزاب/ الآية (٥٩).

يشمل زماننا!! حسب زعمهم.

٤ـ هناك من يرى ان الحجاب علامة التخلف في العالم الاسلامي!!، وهؤلاء لا يفرقون (في المعنى والمصطلح) بين العرف والدين والتقاليد والفرائض، وهذه الاشكالية عندهم الجأتهم الى هذا التفسير المشوه، وهم يقفون عاجزين عن تفسير سبب التطور التصاعدي لأوضاع النساء في صدر الاسلام وبعد تأسيس الدولة الاسلامية من زيادة عدد النساء الراويات للحديث والمثقفات والطبيبات بشكل واضح حتى سقوط الدولة الاسلامية عام ٦٥٦هـ، فالملاحظ ان العصور المظلمة تبدأ من هذا التاريخ الذي ازيح فيه الاسلام تماما عن باحة الدولة والقوانين، فقد كسحت هذه العصور بظلامها كل تطور أو رقي لدى المرأة والرجل والمجتمع بشكل عام. هؤلاء يرون الحجاب قيدا للمرأة ومانعا لها من التقدم أو الرقي في حين ان الرؤية الاسلامية للحجاب انه شُرّع اساسا ليعطي المرأة حرية الانطلاق الى المجتمع للعمل أو للتعلم أو لقضاء حوائجها وكل مافي الامر انه صيانة للمجتمع عن التمحور حول الشهوات فالاسلام يريد ان يكون خروجها الى الحياة الاجتماعية انسانيا لا يرتكز على اثارة الفتنة أو تهييج الشهوات.

٥ـ هناك من لا يرى الحجاب فرضا الهيا بل هو صورة للهيمنة الذكورية!!، ولا ادري هل هم يعتقدون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء بفرض الحجاب ـ والعياذ بالله ـ من تلقاء نفسه؟، وهذا هجوم ساحق على كل عقائد المسلمين والتي تؤمن جميعها ان القرآن كلام الله لم

يدخله اي تحريف!! ولا ادري كيف استمرت هذه الهيمنة حتى عصرنا الحالي عصر الانفتاح والتحرر!! حيث تخوض المرأة المسلمة معركة ضارية من اجل صيانة الحجاب بل قدمت النساء المسلمات المعاصرات تضحيات جمة في هذا السبيل ومعظم المحاميات عن الحجاب العصري يمثلن الثلة المثقفة للنساء والتي تبدأ من اعلى المناصب البرلمانية نزولا الى الدوائر الاخرى.

ولا يحتاج الامر الى نقاش فمادام الامر بالحجاب من الله تعالى خالق الانسان وهو العدل المطلق فاذاً لا هيمنة ولا سيطرة بل هو تنظيم لشؤون المجتمع الانساني للوصول الى المجتمع السليم الذي لا تسوقه الشهوات.

ويمثل الحجاب مصدر قلق للعلمانيين لانه علامة على التمسك بالاصالة والحفاظ على الهوية والماهيّة كما انه يمثل اكبر تحدٍ للعلمانية التي كانت ومازالت تنفق الاموال وتوجه الاعلام لاقصاء الدين عن الوعي الانساني، على اننا نجد انه رغم التضييق على الحجاب وانتشار المد العلماني والعولمي فأن الحجاب يزداد انتشارا وتزداد النساء وعيا ودفاعا وتضحية واستماتة من اجله مما يدل على انه قيمة انسانية لاصقة بالفطرة لارتباطه بالعفة وهي خلق ثابت.

وقدعرف عن الزهراء عليها السلام شدة التستر ونورد هذه الروايات:

عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي عليه السلام: استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لها: لم حجبته وهو لا يراك؟ فقلت عليها السلام: إن لم

يكن يراني فإني أراه وهو يشم الريح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أشهد أنك بضعة مني.

فالمنطلق هنا امران:

الاول: هو الامر الالهي بأن ترتدي المرأة الحجاب امام الرجل الاجنبي وهنا كان الرجل حاضرا وان كان لايرى وهذا يدل على طاعة الامر الالهي.

اما الامر الثاني: فهو الشعور الداخلي انها امرأة امام رجل اجنبي وعليها ان تتحجب حتى لو كان هناك من لا يرى وهنا عمق الوعي بالحجاب.

قال الامام علي عليه السلام: زكاة الجمال، العفاف[1].

وفي خبر زفاف فاطمة الزهراء عليها السلام " فكان مما اشتروه: قميص بسبعة دراهم، وخمارٌ بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيبرية، وعباءة قطوانية، و.. و..

وفي رواية: قال النبي لها: اي شيء خير للمرأة؟ قالت: ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال: ذرية بعضها من بعض[2].

وهو دعوة صريحة الى تجنب الاختلاط الذي لا مبرر له، ولكنه لا يمثل دعوة الى حجر المرأة بين الجدران الاربعة ابدا! فالزهراء عليها السلام حضرت مغازي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في اُحد والخندق، والقت خطبتها في المسجد النبوي وجلست في بيت الاحزان اياما واسابيع والمعنى واضح..

---

(١) (غرر الحكم، الفصل ٣٧، الرواية ٥).

(٢) (مناقب آل ابي طالب - ابن شهر آشوب ج ٣ ص١١٩).

فقول الزهراء عليها السلام هوكناية عن التستر والابتعاد عن كل مواضع الفتنة والاختلاط الزائد، واذكر انه كانت لي صديقة ترفض العمل في وسط فيه رجال لا لشيءٍ الا الخوف من تأثرها بهم قبل الخوف من تأثرهم بها ربما بالفكرة والخاطرة!.

وعن الفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وما كان خمارها إلا هكذا: وأومأ بيده إلى وسط عضده...[١]

وروى ابن بطريق (رحمه الله) أيضاً في كتاب المستدرك عن كتاب حلية الأولياء (٢: ٤٢) عن الحافظ أبي نعيم بإسناده عن عمران بن حصين أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال: ألا تنطلق بنا نعود فاطمة فإنّها تشتكي؟ قلت: بلى.

فانطلقنا إلى أن انتهينا إلى بابها فسلّم واستأذن لي، فقال: أدخل أنا ومن معي؟

قالت: نعم ومن معك يا أبتاه، فوالله ما عليّ إلاّ عباءة.

فقال لها: أصنعي بها كذا واصنعي بها كذا فعلّمها كيف تستتر.

فقالت: والله ما على رأسي من خمار.

قال: فأخذ خرقة ملاءة كانت عليه [فرمى بها اليها] فقال: اختمري بها ثمّ أذنت لهما فدخلا[٢].

ولما دخلت المسجد لإلقاء خطبتها كانت كما روى العلامة الطبرسي في

(١) (مكارم الأخلاق- الشيخ الطبرسي ص ٩٣).

(٢) (ابن بطريق في كتاب المستدرك عن كتاب حلية الأولياء (٢: ٤٢).

كتابه الاحتجاج بسنده عن عبد الله بن الحسن [هو عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن طالب (عليهم السلام)] باسناده عن آبائه (عليهم السلام): انه لما أجمع [أي أحكم النية والعزيمة] أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكا وبلغها ذلك لاثت [أي لفته] خمارها [الخِمار: المقنعة، سميت بذلك لان الرأس يخمر بها أي يغطى] على رأسها، واشتملت [اشتمال الشيء جعله شاملا ومحيطا لنفسه] بجلبابها [الجلباب: الرداء والازار] واقبلت في لمة [أي جماعة وفي بعض النسخ في لميمة بصيغة التصغير أي في جماعة قليلة] من حفدتها [الحَفَدَة: الاعوان والخدم] ونساء قومها تطأ ذيولها [أي ان اثوابها كانت طويلة تستر قدميها فكانت تطأها عند المشي] ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله) [الخُرم: البرك، النقص، والعدول] حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد [أي جماعة] من المهاجرين والانصار وغيرهم، فنيطت [أي علقت] دونها ملاءة [الملاءة الازار] فجلست... الى آخر الخطبة.

تطأ ذيولها [أي ان اثوابها كانت طويلة تستر قدميها فكانت تطأها عند المشي وهذا دليل على ان ثوبها كان عريضا فضفاضا لا يحكي عن معالم الجسم، ولانه كان كذلك كانت عليها السلام تطاؤه بقدمها ولو كان ضيقا لكان له ذيل واحد. وسنواصل الكلام عن هذه الصورة عند الحديث عن قيم المظهر الخارجي.

٢ – القيم الاجتماعية

وهي تنطلق من تعامل الفرد مع المجتمع الكبير وموقفه من الجماعة الانسانية من قبيل الاهتمام بالاخرين وحبهم ومساعدتهم وتنمية العطف والحنان والايثار وخدمة الغير والاحساس بالمسؤولية الاجتماعية، والذين يتميزون بهذه القيمة يتميزون ايضا بالعطف والحنان والايثار وخدمة الغير ويجدون في ذلك اشباعا لهم وينظرون الى غيرهم على انهم غايات وليسوا وسائل لغايات اخرى(١).

ويرى سبرينجر "أن القيم الاجتماعية في أنقى صورها تتجرد عن الذات وتقترب جدا من القيم الدينية".

ولا ننسى ان الاسلام جاء بقيم جديدة اهمها على الصعيد الاجتماعي:

احترام المرأة واكرامها بنتا وامّاُ وزوجة وعضوا في المجتمع وانسانا كالرجل تماما لا تنتقص انسانيتها على اساس الجنس ابدا بل هي متساوية مع الرجل تماما في الحقوق والواجبات والحساب والثواب والعقاب وان ظهر

(١) (سهير كامل احمد، سيكولوجية الشخصية نقلا عن الزهران ص١٥٥).

تفاوت جزئي فأنما يعود الى الخصائص الفسيولوجية لكل منهما ومتطلبات المجتمع، وهذا ما افرز قيم رعاية المرأة باعتبارها نصف المجتمع في تعداده وكل المجتمع في تربيته.

٢- احترام الاطفال ومحبتهم واكرامهم فهم بشر لهم الحقوق الانسانية كاملة، وفي تربيتهم ما لا يعد من الاجر والثواب، وهذا الاكرام والاحترام يساهم في دعم شخصياتهم ونموهم نموا انسانيا سليما، وبهذا كان الاسلام هو اول من دعا الى رعاية الطفل ووضع له قيمة اجتماعية وانسانية ودعا الى الاهتمام بشأنه.

٣- احترام شرائح المجتمع الاخرى من قبيل الطبقات الفقيرة والمستضعفين وكذلك الجاليات والاقليات الدينية والعرقية والمذهبية والخادم الذي يخدم غيره من الانسان وغيرهم من العاملين بمختلف الوظائف فهم بشر يستحقون الاكرام والاحترام لانسانيتهم كما قال امير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الاشتر:

(فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق).

وقد مررنا على بعض القيم التي رسختها الزهراء عليها السلام في الجانب الاحتماعي والتي تكاد تحولت الى سنن واهمها:

ا- الزواج سنة، فالى فترة ماقبل الاسلام كانت مريم عليها السلام هي أنموذج المرأة الكاملة وكانت عابدة منصرفة عن الدنيا ولم تتزوج، مما مهد لنشر صورة العزوبية المقرونة بالكمال، لنتأمل هذا الحديث:

روى الكليني بسند صحيح عن عبد الصمد بن بشير، قال: «دخلت امرأة على أبي عبد الله عليه السلام فقالت: أصلحك الله إني امرأة متبتلة، فقال: وما التبتل عندك؟ فقالت: لا أتزوج، قال: ولم؟ قالت: ألتمس بذلك الفضل، فقال انصرفي فلو كان ذلك فضلا لكانت فاطمة عليها السلام أحق به منك، أما إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل»[١].

وهذا دليل على ترسخ فكرة الكمال مع الرهبنة والعزوبية فكان لابد من تصحيح المفهوم وضرب المثل والنموذج في صورة حية حاضرة ومقدسة. ونفس الشيء يقال عن الرجال فقد كان عيسى عليه السلام آخر نبي قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن متزوجا وكذلك كان يحيى عليه السلام ولهذا جاء التصدي من قبل رسول الله بالقول: الزواج سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني.

ب- الاسرة كيان مقدس ومحبب الى الله تعالى.

وهذا ما نلحظه من عناية الزهراء عليها السلام بأُسرتها بحيث استغرقت كل اهتمامها ورعايتها.

ج- المهر القليل في الزواج.

د- الكفاءة حسب الدين والاخلاق.

ذ- تقسيم أعمال الحياة الزوجية.

وقد مررنا على اهم القيم في الجانب الاجتماعي من خلال حياتها

(١) (الكافي ج٥ ص٥٠٩ ح٣ باب كراهية أن تتبتل النساء ويعطلن أنفسهن).

الزوجية وتربيتها لأولادها.

اما باقي القيم الاجتماعية فهي:

١- بر الوالدين

وهي من اقدس العلاقات وقد تحدثنا عنها سابقا واشرنا الى ذلك من خلال علاقتها بأبيها وقبلاً بأمها السيدة خديجة رضي الله عنها ولا بأس ببعض الامثلة:

- وجاءته (اي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) في حفر الخندق بكسرة من خبز فرفعتها اليه فقال: ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من قرص اختبزته لابنيّ جئتك منه بهذه الكسرة، فقال: يا بُنيّة: أما إنّها لأوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيّام.

- عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: لما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ قالت فاطمة فتهيبت النبي صلى الله عليه وآله أن أقول له: يا أبه، فجعلت أقول له يا رسول الله، فأقبل عليَّ فقال لي: يا بنية لم تنزل فيك ولا في أهلك من قبل، أنت مني وأنا منك، وإنما نزلت في أهل الجفاء والبذخ والكبر، قولي: يا أبه، فإنه أحب للقلب وأرضى للرب. ثم قبّل النبي صلى الله عليه وآله جبهتي، ومسحني بريقه، فما احتجت

إلى طيب بعده[1].

ان علاقة الزهراء عليها السلام بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم وماكانت تختصه به من احترام هوعلامة صادقة على بر الوالدين، وهذا شيء لم يُراعَ في الجاهلية وركزت عليه القيم الاسلامية.

٢- صلة الرحم

من قبيل ما ذكرناه في الدور الاجتماعي من اعانتها لزوجة جعفر بن ابي طالب.. ففي الرواية:

-ولّما استشهد جعفر بن أبي طالب في مؤتة أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تتخذ لأَسماء بنت عميس طعاماً ثلاثة أيام، فجرت بذلك السُنّة، وأمرها أن تقيم عندها ثلاثة أيام هي ونساؤها لتسليها عن المصيبة ثم اصبحت تلك سُنَّة عامة[2].

وحبها لاختها امامة وغير ذلك.

٣- محبة الناس واحترامهم

وتعني تنمية العلاقة بين الفرد والاخرين من ابناء المجتمع وتقديم المساعدات للمحتاجين منهم ومشاركتهم في السراء والضراء، وهذا يعني ان الفرد لا يعيش منزويا عن المجتمع بل هو يتفاعل معه ويعيش اوضاعه ويشارك

---

(١) (المناقب، لابن المغازلي، ص٣٦٤).

(٢) (علي موسى الكعبي سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ص٨١نقلا عن المحاسن للبرقي).

الاخرين افراحهم واحزانهم.

فهذا ابنها الإمام الحسن عليه السلام يحدّثنا قائلاً: "رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جُمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك، فقالت: يا بني الجار ثم الدار[1].

وقد مرَّ علينا فيما سبق جملة من نشاطها الاجتماعي.

والذي اريد ان اقوله ان الفرد في الجاهلية كان يعيش هَّم نفسه وقبيلته ولم يُبالِ بالآخرين سواء احتراما أو اهتماما!، فكانت مواقف آل البيت عليهم السلام في مساعدة الناس والاهتمام بشؤونهم قد ساعدت على ترسيخ القيم النبيلة من قبيل قيم الايثار والتضحية بالمصالح الخاصة من اجل المصالح العامة. كما في اجابتها لاسئلة السائلة المتكررة مع تشجيعها على السؤال (ذكرناها في الدور الثقافي) وفي اعانة الناس ومساعدتهم ومواساتهم في الفقر والانفاق عليهم واحترامها لخادمتها... وروى الطبري والراوندي بالاسناد عن سلمان رضي الله عنه قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدامها رحى تطحن بها الشعير، والحسين في ناحية الدار يبكي من الجوع. فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاك وهذه فضّة؟

فقالت: «أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون الخدمة

(١) (البحار، ج: ٤٣، ص: ٢٥٣. وعوالم الزهراء، ص: ٢٢٥، نقلاً عن علل الشرائع).

لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها..»[١].

٤- الكرم والعطاء

وتقديم العون للاخرين دون انتظار لجائزة أو هدية ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾. فصداق فدك كان للفقراء من المسلمين وأهل الصُّفَّة وتبرعها عليها السلام بالقلادة والسوارين الى غير ذلك مما عرضنا له آنفا.

يقول غريغ اندرسون في كتابه مبادئ الحياة السليمة:

(ان رسالتك في الحياة تصبح مفعمة من خلال تقدمة الخدمة التي هي فكرة العناية بالآخرين.. وان افضل طريقة نستطيع بها اتمام افضل مستوى من العيش السليم يتم عن طريق خدمة الآخرين، لا يقاس النجاح في الحياة بطول العمر أو بالثروة أو الامتيازات أو بالسيطرة، فالناس الذين يسيرون رحلة العيش السليم يقيسون النجاح بالخدمة وبالدرجة التي نساعد بها الآخرين[٢].

وقد نشرت bbc تحت عنوان الإحسان "يجعلك أكثر سعادة":

يقول باحثون كنديون إن جني مبالغ طائلة من الأموال لا يجلب السعادة للإنسان، بل مايعزز شعوره بالسعادة هو إنفاق المال على الآخرين.

ويقول فريق الباحثين في جامعة بريتيش كولومبيا إن إنفاق أي مبلغ

(١) (دلائل الإمامة: ١٤٠ | ٤٨. والخرائج والجرائح ٢: ٥٣٠ | ٦. وبحار الأنوار ٤٣: ٢٨ | ٣٣).

(٢) (اندرسون، غريغ، ترجمةد. قيصر زحكا، مبادي الحياة السليمة ص١٠٥).

على الآخرين ولو كان خمسة دولارات فقط يبعث السعادة في النفس.

وتقول البروفيسور إليزابيث دان التي ترأست الفريق "إن كيفية إنفاق الناس لأموالهم هي على الأقل على نفس القدر من الأهمية ككيفية كسبهم لهذه الأموال".

وتضيف "بغض النظر عن حجم الدخل الذي يحصل عليه الفرد فإن أولئك الذين أنفقوا أموالاً على آخرين كانوا أكثر سعادة من أولئك الذين أنفقوا أكثر على أنفسهم".

ويوصي العلماء المعاصرون الاشخاص الذين يعانون من القلق المزمن بان يساعدوا الاخرين للتخلص من قلقهم!!.

والملاحظ ان الزهراء عليها السلام كانت قد جعلت في وصيتها انها[1] قد جعلت لجميعهن هذا القدر رغم انهن كن متباينات في محبتها عليها السلام ومودتها، وكانت ام سلمة رضي الله عنها اكثر نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولاءً لاهل البيت عليهم السلام.

٥- الايثار

هو تقديم الغير من المؤمنين على النفس في المال أو الراحة أو ما إلى ذلك من نعم الله، وهو أرفع درجات الجود والسخاء، لأن الإنسان فيه يجود بالشيء وهو محتاج إليه. والإيثار هو أن يقدم الإنسان حاجة غيره من الناس

(١) (أوصت لأزواج النبي لكل واحدة منهن اثنتي عشرة أوقية (البحار: ٤٣ | ١٩٢).

على حاجته، برغم احتياجه لما يبذله، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه.

والايثار (سلوك إرادي تطوعي، كما أنه هدف في حد ذاته بقصد خير الآخرين وثواب الآخرة، وهو مبدأ اعتقادي خلقي، ويشمل هذا السلوك التمسك بالأخلاق، والمشاركة الاجتماعية، وتحمل المسؤولية تجاه الآخرين، واحترام مشاعر وسعادة الآخرين، والثقة والحب وقد أطلق عليه بعض علماء الغرب اسم [الغيرية]) وهو دليل على تفضيل المصلحة العليا أو العامة أو مصلحة الجماعة على المصلحة الخاصة، وهو سلوك لا يخلو من مشقة لان الانسان يجود بما يحتاج اليه وفي وقت الضيق قربة الى الله تعالى فهو كشف لمدى العلاقة القوية مع الله والرغبة في الاخرة، وهو يبتدأ من الشعور بالتعاطف تجاه الآخر ومن الشعور بالمسؤولية تجاه الآخر دون اي انتظار لأي جزاء دنيوي.

قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[(١)].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

والايثار يأتي بعد حصول حالة من التعاطف مع الشخص مما يعني وجود بُعد ادراكي بأن هناك من هو محتاج للمساعدة كما ان هناك القدرة على

---

(١) [الحشر: ٩].

الاعانة، الامر الذي يساهم في تحديد الاستجابة المطلوبة. والايثار كالالتزامٍ خلقي ينضج منذ الطفولة من خلال العلاقة القوية بين الام والطفل، بالاضافة الى تعويد الذات على الضبط الداخلي والسيطرة على الشهوات.

وقد يبادر الشخص للايثار وهو على كره لمن يقدم له وقد يكون العطاء عن حب والحالة الاولى اعظم ثوابا لكن كلاهما مطلوبة فالمحرك للسلوك هنا هو الحس الانساني.

والايثار عكس الاثرة فالأثرة: هي حب النفس، وتفضيلها على الآخرين، وهي صفة ذميمة تعبر عن الأنانية والفردية وحب الذات المفرط.

وايثار الزهراء عليها السلام لا يقدر بوصف بعد ان نزل القرآن الكريم يمدح اهل البيت عليهم السلام في سورة (هل اتى) وخلدت هذه الصورة بكل مافيها من سمو وعلو.

٦- تنمية الروح الجماعية والتعاون

وكشاهد على ذلك:

ذهابها عليها السلام مع ثلة من النساء الى ارض المعركة في احد.

فهي لم تذهب بمفردها وانما ارادت بهذا الذهاب الجماعي ان ترسم صورة واضحة عن اهمية التعاون بين الافراد خاصة في الحوادث الطارئة التي تؤثر على المجتمع كله، وربما كانت النساء بحاجة الى من يبعث فيهن الهمة للذهاب الى ارض المعركة البعيدة نسبيا عن المسجد النبوي وربما جاء الامر

لتثبيت دور للمرأة المسلمة التي لم يكتب عليها القتال لكن الاعانة والمساعدة مطلوبة منها خاصة في الكوارث الطبيعية والحروب.

كذلك ذهابها عليها السلام مع ثلة من النساء الى المسجد لما القت خطابها.

كذلك اسنادها عليها السلام جانب زوجة جعفر في محنتها وهو امر جديد على المسلمين.

ومن مجمل ما عرضناه نصل الى رؤية اولية هي ان الزهراء عليها السلام كانت تحب الخير (يسارعون في الخيرات) وتقدم العون للجميع، وهذا دليل على حبها للانسانية وبذلها كل ما في الوسع لاعانتها فالنظرة الى الاخرين على انهم غاية انسانية تستحق الاعانة والخدمة والعطاء يساهم في انسنة المجتمع عكس الرؤية التي تنظر اليهم كوسائل فانها تدفع الى استغلال الشرائح المستضعفة كالنساء والاطفال والجاليات من اجل تحقيق اكبر نسبة من المنافع المادية.

٣- القيم المعرفية

وهي التي تتضمن الاهتمام بالعلم والمعرفة والسعي الى اكتشاف الحقيقة ومحاربة الامية اضافة الى الابداع في مجالات الحياة المختلفة والسعي الى نشر الثقافة الصحيحة بين الناس مع تكريس حب العلم والعلماء وتقديرهم.

ويقصد بهذه القيم اهتمام الفرد الى اكتشاف الحقيقة والتعرف على العالم المحيط به والاشخاص الذين يضعون هذه القيم في مستوى اعلى من غيرها بنظرة نقدية معرفية تنظيمية يكونون عادة من العلماء[١].

وكانت اول آيات القرآن الكريم تدعو الى القراءة والتعلم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ وتوالت الايات الداعية الى الاهتمام بالعلم والعلماء، قال تعالى:

﴿ قُلْ هلْ يَسْتَوِي الذين يَعْلَمُونَ والذين لا يَعْلَمُون ﴾[٢].

وقال ايضا: ﴿ يَرْفَعُ الله الذين آمَنُوا مِنْكُمْ والذين أوتُوا العِلْمَ

---

(١) (الزهران ص١٢٥).

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

دَرَجاتٍ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ .. وقل ربِّ زدني علماً ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[3].

وقال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم:

«العلم نورٌ وضياءٌ يقذفه اللهُ في قلوب أوليائه، ونطق به على لسانهم».

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «العِلمُ مصباح العقل»[4].

وقال ايضا: «العِلمُ حجابٌ من الآفات»[5].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليكُمْ بِالعِلمِ قبلَ انْ يقبضَ وقبل انْ يُجمعَ وجَمعَ بينَ اصْبَعْيهِ الوسطى والَّتي تَلي الابهامَ ثُمَّ قال العالِمُ والمتعَلِّم شريكانِ في الاجْرِ ولا خيرَ في سائرِ الناسِ بعدُ[6].

وقال أمير المومنين عليه السلام الناسُ ثلاثة عالِمٌ ربانيٌّ ومتعلمٌ على سبيلِ النجاهِ وهَمجٌ رعاعٌ[7].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: باب من العلم يتعلّمه

---

(١) المجادلة، الآية: ١١.

(٢) (٢٠ طه آية ١١٤).

(٣) (فاطر ٣٥).

(٤) (غرر الحكم للآمدي: ٣٢).

(٥) (غرر الحكم: ح ٧٢٠).

(٦) (البحار ج ١ ص١٧٦).

(٧) (البحار ج ٧٥ ص ٩ وغررالحكم ج ٢ ص١٣٢).

الانسان خير له من الف ركعة تطوّعاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله خلفائي فقيل: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟ قال: الذين يحيون سنتي ويعلّمونها عباد الله[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلّموا العلم، فإنّ تعلّمَه حسنة، ومُدارستَه تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمَه مَن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قُربة؛ لأنّه معالم الحلال والحرام، وسالكٌ بطالبه سُبلَ الجنّة، ومونسٌ في الوحدة، وصاحبٌ في الغُربة، ودليلٌ على السرّاء، وسلاح على الأعداء، وزَينُ الأخلاّء. يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمّةً يُقتدى بهم، تُرمَق أعمالهم، وتُقتبس آثارهم، وترغب الملائكة في خلّتهم؛ لأنّ العلم حياةُ القلوب، ونورُ الأبصار من العمى، وقوّة الأبدان من الضعف، ويُنْزل اللهُ حاملَه منازلَ الأحبّاء، ويمنحه مجالسةَ الأبرار في الدنيا والآخرة.

بالعلم يُطاع الله ويُعبد، وبالعلم يُعرَف الله ويُوحَّد، وبه تُوصَل الأرحام، ويُعرَف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل، والعقل يُلهِمه الله السعداء، ويَحرمه الأشقياء»[2].

وسنمر على اهم القيم المعرفية التي جسدها الزهراء عليها السلام.

١- محبة العلم والاهتمام به

كما في الرواية:

---

(١) (المحجة البيضاء ج٢ص١٩).

(٢) (تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: ٢٧، أمالي الصدوق: ٧١٣ / ح ٩٨٢).

عن ابن مسعود، قال: جاء رجل إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندك شيئاً تطرفينيه، فقالت: «يا جارية، هاتي تلك الحريرة» فطلبتها فلم تجدها، فقالت: «ويحك اطلبيها، فانها تعدل عندي حسناً وحسيناً» فطلبتها فإذا هي قد قمّتها في قمامتها، فإذا فيها: «قال محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت. إنّ الله يحبّ الخيّر الحليم المتعفّف، ويبغض الفاحش الضنين السَّآل الملحف. إنّ الحياء من الإيمان، والايمان في الجنة، وإن الفحش من البذاء، والبذاء في النار»[1].

وقد كانت الزهراء عليها السلام اعلم نساء زمانها بالقرآن في كلماته وتفسيره ومعانيه بدليل حضورها المباهلة. وكانت قد شهدت نزول الوحي منذ صغرها فكانت محدِّثة نقلت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة ولم تحتج الى واسطة ونقلت احاديث عظيمة كحديث الثقلين.. وقد عُرفت ببلاغتها وفصاحتها ووعيها لمعاني الالفاظ وكانت قد قالت الشعر والقصيدة والحكمة والخطبة الى غير ذلك من فنون اللغة وهذا شيء نادر لم نجده حتى عند زوجات الرسول أو بقية نساء عصرها.

ولقد دعا القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى طلب

---

(١) (المعجم الكبير ٢٢: ٤١٣ | ١٠٢٤. ودلائل الإمامة: ٦٥ | ١).

العلم ولم يكن الانسان الجاهلي مكترثاً به وقد ساهمت الزهراء عليها السلام في ترسيخ هذه القيمة في الوسط النسوي (بل وحتى في الوسط الرجالي) من خلال طرح نموذج المرأة العالمة الامر الذي جعل نساء الانصار يتسابقن لطلب العلم فظهرت نماذج النساء العالمات وراويات الحديث والمتفقهات في الدين كما ساعدت الزهراء عليها السلام على توجيه انماط الفنون الادبية باتجاه الغايات الاسلامية بمعنى آخر اسلمة الشعر والادب والخطبة.

٢- النشر المعرفي

ونشر العلم والمعرفة بين النساء بل وحتى الرجال حيث تجيبهم على اسئلتهم، كما ان كثرة عدد الرواة الذين ينقلون الرواية عنها وعن أبيها لدلالة واضحة على انها عليها السلام لم تكن معزولة عن الناس وان الجميع كان يحب ان يتعلم منها ويأتي اليها ليسألها. ومن خلال الدور الثقافي يمكن التعرف على ماقامت به الزهراء عليها السلام في النشر المعرفي.

٣- الابداع

الإبداع في اللغة مشتق من الفعل بدع أو أبدع. وقد ورد معنى الإبداع في كثير من معاجم اللغة، وابدع الشيء اي اخترعه لا على مثال، والله بديع السماوات والارض، وأبدع الشاعر جاء بالبديع، اما التعبير الاجرائي فهويمثل القدرة العقلية التي تمكن الإنسان من انتاج (فكرة، وسيلة، أداة، طريقة..). لم تكن موجودة من قبل، أو تطوير رئيسي لها دون تقليد، بما يحقق نفعًا

للمجتمع، فهو عمل هادف يقود إلى (مختّرعات) أصيلة وغير معروفة سابقاً، اي إنتاج جديد يتوصل إليه الفرد من خلال تفاعله مع المثيرات البيئية المتاحة، ولابد أن تكون للفرد المبدع القابلية على فهم المشكلات وان يتمتع بفائض من الافكار (سيولة فكرية) التي يمكن استدعاؤها في وقت واحد وبهذا فهو لايفكر تقليديا وانما يسعى للتغيير. ويتصف المبدعون بالقدرة على التأثير على الآخرين، وإقناعهم، وتوجيههم. ومن المظاهر القيادية التي يتصفون بها هي القدرة على التفكير، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات والالتزام بها، والثقة بالنفس، وركوب المخاطر إذا لزم الأمر، والعمل باستقلالية، والصدق مع النفس، والتوجه الإيجابي لمساعدة الآخرين عند الحاجة، والمبادرة، والاتزان والنضج الانفعالي، والإحساس بالمسؤولية وتحملها، والإحساس بآمال وآلام الآخرين، وقد كانت للزهراء عليها السلام ابداعات كثيرة وفي جوانب شتى:

فمجالسها لتعليم النساء كانت ابداعا جديدا.

ونعشها كان ابداعا. وهو أول نعش في الإسلام.

والاسس التربوية التي اعتمدتها في تربية اولادها كانت ابداعا.

وحياتها مع زوجها بما فيها من قيم وتسامي كانت ابداعا.

وايثارها وعطاؤها كان ابداعا.

ومطالبتها بفدك واتباعها وسائل سلمية ابقت الدين والشريعة محورا اساسيا لكنها حققت المطلوب كان ذلك ابداعا.

واختيارها عليها السلام مسجد ابيها صلى الله عليه وآله وسلم لإلقاء خطابها في وقت اجتماع الناس كان ابداعا.

وماجرى من قطيعة مع الشيخين والتذكير بالحزن والمظلومية في بيت الاحزان كان ابداعا وهلمَّ جرّا.

روى إبراهيم بن محمد الثقفي: إن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مسبحتها من خيط صوف مفتل معقود، عليه عدد التكبيرات، فكانت عليها السلام تديرها بيدها وتسبح إلى أن قتل حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، فاستعملت تربته وعملت المسابيح، فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين عليه السلام عُدِلَ بالأمر إليه فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية بمعنى ان استعمال المسبحة من التراب كان ايضا ابداعا.

واهتمامها بتعليم خادمتها كان سُنّةً جديدة وابداعا.

واما خطبتها التي هي اول خطبة نسائية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد كانت قمة في الابداع الادبي والعلمي والفني.

ولأجل ان يكون الفرد مبدعاً لابد ان يبدأ في تحريك قواه العقلية وتوجيه طاقاته الكامنة نحو انتاج اشياء جديدة.

والابداع يكشف عن الذكاء العالي وعن كيفية توظيف القدرات العقلية والفكرية تجاه القضايا الاسلامية كما هو الحال في الاليات التي اتبعتها عليها السلام في المطالبة بحقها في فدك وفي الدفاع عن الولاية ومما عرضناه في ادوارها المختلفة تظهر لنا مواهبها العقلية.

كما ان اهتمامها عليها السلام بتجميع الاخبار والمعلومات في مصحف فاطمة دون ان تُهمل منه شيئا دليل على عمق نظرها وسعة فكرها.

لقد كانت الزهراء عليها السلام تحمل انواع الذكاءات المطلوبة التي تعرفنا عليها في عصرنا بفضل التطور العلمي، فالذكاء اللغوي كان واضحا من خطبتها والذكاء الاجتماعي كان مَعلما من معالم شخصيتها فهي تجيد التعامل مع المحسن والمسيء والمذنب والمسلم والكبير والصغير ومن هو معها في خطها ومن يضمر العداء والحقد لها ولبيتها، ثم ذكاؤها العاطفي الذي وجهته في البداية نحو ابيها وبانت ملامحه للناس من خلال تحويل الحزن وتوجيه العاطفة صوب المطالب الحقة التي حملتها وكل هذه الامور تظهر مواهبها العقلية وهي تحكي عن كمال إمرأة... وهي رسالة موجهة الى النساء ان يكنَّ على نهجها وسيرها.

٤- القيم السياسية

ونعني بها القيم التي تعبر عن اهتمام الفرد بالنشاط السياسي والعمل السياسي وحل مشكلات الجماهير. ويتميز الاشخاص الذين تسود عندهم هذه القيم بالقيادة في نواحي الحياة المختلفة ويتصفون بالقدرة على توجيه غيرهم[1] واهم هذه القيم:

١- الحرية

قال ابن منظور في لسان العرب:

والحر بالضم نقيض العبد، والجمع أحرار وحرار... والحرة: نقيض الأمة، والجمع حرائر». والحر من الناس أخيارهم وأفضلهم، وحرية العرب: أشرافهم، والحرة الكريمة من النساء، والحر يعني أيضا الفعل الحسن، يقال: ما هذا منك بحر، أي بحسن ولا جميل. ويقابل مفهوم الحر العبد، وهو الإنسان

(١) (الزهران علم النفس الاجتماعي ص١٢٥)

المملوك، وفي حديث: «لا يقل أحدكم لمملوكه عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي» تحاشيا للاستكبار عليهم، ونسب عبوديتهم إليه.

والحرية في الاسلام تارة تكون بمعنى مقابل العبودية وتارة بمعنى الاختيار والقبول والرضا وايا كان المفهوم فانه لا يعني الغاء المسؤولية بل يعني ان الحر يؤدي مسؤلياته كاملة، فهو يعرف ماله وما عليه من حقوق وواجبات، وفي نفس الوقت فأن حريته لا تلحق ضرراً بأحد، (شرورهم مامونة) فالاسلام حرر الناس من القيود والاغلال النفسية والاجتماعية والمادية وحررهم ذاتيا واجتماعيا من خلال توجيه العبودية نحو الله تعالى وحده.

والحرية جزء من حياة الانسان ومن اجلها يحيى ويجاهد ويناضل، والحريات في الاسلام كثيرة منها الحرية الشخصية وحرية الملكية وحرية الاعتقاد والتعبير عن الرأي والتصرف في الاموال والحريات السياسية تخول الفرد المشاركة السياسية والانتخاب والتصويت والى غير ذلك.

والزهراء عليها السلام رائدة التحرر سواء في مواقفها الكثيرة التي عرضناها ويمكن ان نقسمها الى قسمين:

القسم الاول يضم جملة ما قدمناه في ادوارها السابقة من قبيل انفاقها الذي باركته السماء في سورة (هل اتى) وفي غيره من الانفاق والتصدق والكرم فلولا انها كانت تملك حريتها في اموالها لما وضعت اموال فدك مثلا صدقة لفقراء المسلمين.

اما القسم الثاني فهو حريتها في الرأي والتعبير والدفاع عن الحق فهي لم

تسكت على الظلم ولم تتردد في المطالبة وبكل جرأة فالحرية تمثل كرامة الانسان في ان يقول كلمته ويعلن صرخته

والمراد بالحرية السياسية ان يكون لكل انسان ذي اهلية الحق في الاشتراك في توجيه سياسة الدولة من الخارج والداخل وفي ادارتها ومراقبة السلطات التنفيذية فالحرية السياسية متاحة للجميع في ظل الاسلام من خلال المشاركة السياسية والنقد السياسي والتوجيه السياسي والممارسة السياسية والمعارضة السياسية لأن الاسلام يبني المواطن الايجابي الفاعل في بيئته ومجتمعه (د. عبد الفتاح، اسماعيل، القيم السياسية في الاسلام ص١١١) فكيف اذا كان هذا المواطن معصوما؟!.

فمواقفها عليها السلام البطولية مع الشيخين واختيارها لبيت الاحزان كان تعبيراً حُرّاً عن رفضها لما قام به الشيخان بل ان المطالبة بفدك وبالولاية كان بحد ذاته موقفا حرا صامدا ثابتا وقد قالت كلمتها بحرية مطلقة.. ولانكاد نجد ابداعا واضحا في عالمنا الاسلامي لسيادة لغة القهر والاذلال مما يجعل العقل نفسه جامدا اذ ان واحداً من عوامل الابدع هو التحرر والشعور بالحرية والاستقلالية.

٢- العدالة

العدل ضد الظلم، وهو مناعة نفسية، تردع صاحبها عن الظلم، وتحفّزه على العدل، وأداء الحقوق والواجبات. والعدل اعطاء كل ذي حق حقه قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[2].

والعدالة تمثل قمة الهرم القيمي في الحضارة الاسلامية التي جعلت من مبدأ العدالة المحور الذي يسيطر على جميع ابعاد الحركة ويتحكم في جميع ابعاد التطور، ولقد اصبحت العدالة هي المبدأ الاسمى الذي تسعى الجماعة السياسية الى تحقيقه.[3]

وروى الطبري والراوندي بالاسناد عن سلمان رضي الله عنه قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدامها رحى تطحن بها الشعير وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين في ناحية الدار يبكي من الجوع. فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاك وهذه فضّة؟

فقالت: «أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها..»[4].

في الرواية: دخل النبيّ (صلى الله عليه وآله) ذات ليلة بيت فاطمة (عليها السلام) ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، فقال لهما النبيّ (صلى الله عليه وآله): قوما فاصطرعا، فقاما ليصطرعا وقد خرجت فاطمة صلوات

---

(١) النحل: ٩٠

(٢) (النساء: ٥٨).

(٣) (القيم السياسية في الاسلام ص٤٦).

(٤) (دلائل الإمامة: ١٤٠ | ٤٨. والخرائج والجرائح ٢: ٥٣٠ | ٦. وبحار الأنوار ٤٣: ٢٨ | ٣٣).

الله عليها في بعض خدمتها، فدخلت، فسمعت النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهو، يقول: ايه يا حسن شدّ على الحسين، فأصرعه، فقالت له: يا أبه واعجباه أتشجّع هذا على هذا؟ تشجّع الكبير على الصّغير؟

فقال لها: يا بنيّة أما ترضين أن أقول أنا: يا حسن شدّ على الحسين، فأصرعه وهذا حبيبي جبرئيل (عليه السلام) يقول: يا حسين شدّ على الحسن، فأصرعه.[1]

والعدالة هي التي تصون الحرية اذ لاحرية لامة مستعبدة، وكلما ترسخت العدالة شعر الناس بالكرامة والمساواة مما يعزز عندهم الشعور بالانتماء. وضمن مفهوم العدالة يدخل مفهوم العدالة الاجتماعية والتي ارسى قواعدها الاسلام بشكل لا نظير له.

والعدل عكس الظلم والذي هو من القبائح وهو وضع الشيء في غير موضعه، فالشرك ظلم عظيم، لجعله موضع التوحيد عند المشركين.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ

---

(١) (بحار الأنوار ١٠٠: ١٨٩، ومستدرك الوسائل ٢: ٥١٧).

(٢) الأنعام: ٢١.

(٣) ابراهيم: ٤٢.

وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[١].

قال الصادق عليه السلام: «العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به، شركاء ثلاثتهم»[٢].

عن ابن محبوب، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله عزوجل أوحى إلى نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين أن ائت هذا الجبار فقل له: إنني لم أستعملك على سفك الدماء واتخاذ الاموال وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين، فإنّي لم أدع ظلامتهم وإن كانوا كفارا[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «واللّه لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على ان أعصي اللّه في نملة أسلبها جُلب شعيرةٍ ما فعلت، وإن دنياكم لأهون عليّ من ورقة في فم جرادة، ما لعليّ ونعيم يفنى ولذة لا تبقى»[٤].

وما وجدنا في سيرة الزهراء عليها السلام من ظلم لخادم أو قريب أو زوج ابدا وانى يكون ذلك وهي المعصومة المطهرة من كل الرذائل؟

- حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، عن عبد الرحمن بن دبيس، عن بشير بن زياد، عن عبد الله بن حسن، عن أمه، عن فاطمة الكبرى عليها السلام،

(١) (يونس: ٥٤٩).

(٢) (الكافي ج٢ ص٣٣٣ ح١٦).

(٣) (نفس المصدر ح١٤).

(٤) (نهج البلاغة: ص٣٤٧ الخطبة ٢٢٤).

قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما التقى جندان ظالمان إلا تخلى الله منهما، فلم يبال أيهما غلب، وما التقى جندان ظالمان إلا كانت الدائرة على أعتاهم.

وذكرنا ان السيد الشهيد الصدر ينظر الى ادوار الائمة في الحياة السياسية على انها تدور في اربعة محاور اولها تربية الامة على كراهة الظلم وهذا الدور الجامع لكل الائمة عليهم السلام تبتدأه الزهراء عليها السلام من خلال انها اول من ظُلمت من اهل البيت عليهم السلام مع زوجها امير المؤمنين عليه السلام ومن خلال انها اول من اعلنت مظلوميتها وانها عرّفت الامة بها ثم طالبت بالعدل من أبي بكر في خطبتها:

ثم قالت عليها السلام: ايها الناس اعلموا، اني فاطمة وأبي محمد (صلى الله عليه وآله) اقول عودا وبدوا، ولا اقول ما اقول غلطاً، ولا افعل ما افعل شططا [الشَطَط: هو البعد عن الحق ومجاوزة الحد في كل شيء] لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم [عنتم: انكرتم وجحدتم] حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وكذلك في محاجتها مع الشيخ وفي التعريف بمظلومية زوجها عليها السلام كما اشرنا الى ذلك سابقا. فمحاجتها الخليفة انما كان لتعريف الناس بالظلم الذي حصل وبالخروج عن خط العدالة عند من يدعي العدل والعدالة، ولقد كان اهتمام الائمة عليهم السلام ينصب على توجيه الناس نحو رفض الظلم وبغضه ونصرة المظلوم، وجل اهل البيت عليهم السلام

كانوا مظلومين وجل الحكام والملوك الذين عاصروهم كانوا ظالمين لكن بداية مسيرة المظلومية كانت من الزهراء عليها السلام التي اشعرت الامة بمظلوميتها ومظلومية زوجها عليها السلام فاستقرت صورة فاطمة المظلومة في الوجدان الشعبي مما ساهم في تشديد الحقد على الظالمين وتأجيج الثورات عليهم.

٣- المساواة

اكد الاسلام على مبدأ المساواة بين المسلمين في الحقوق والواجبات وان ليس هناك افضلية لعربي على اعجمي الا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وكذلك بالعلم والعمل الصالح فهذه امور التفاضل بين الناس. وقد عاشت الزهراء عليها السلام كباقي الناس ليس هناك مايميزها عنهم الا ذاتها الربانية وايمانها وعلمها وكرمها ونسبها العظيم فكانت عليها السلام في ثيابها وبيتها المتواضع لا تكاد تُعرف انها ابنة الرسول والنبي الخاتم واحب الخلق الى الله، كانت عليها السلام كبقية المسلمين وقد عاشت بؤسهم وفرحهم وحزنهم وضيق الحياة عليهم وتعبهم والى غير ذلك.

عن جابر الأنصاري: رأى النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[1].

(١) (ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢٢٨، ح٥٩٩١).

وعن عليٍّ (عليه السلام) قال: «إنّ الزهراء استقت بالقربة حتى أثّرت في صدرها، وطحنت بالرّحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبّرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها، فأصابها من أجل ذلك ضرر شديد» فقال لها عليّ (عليه السلام) يوماً: «لو أتيت أباك، فسألتيه خادماً»؟ فجاءت فوجدت عنده قوماً فاستحت وعادت..[1]

ولايفوتنا ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو واحد من اقوى القيم السياسية حيث ان الطاغوت هو المنكر الاكبر الذي يجب ازاحته.

(١) (علل الشرائع للشيخ الصدوق: ٣٦٦ / ح ١، ذخائر العقبى لمحبّ الدين الطبري: ٥٠، حلية الأولياء لأبي نُعَيم ٧٠: ١.. وغيرها. مَجَلَت: تقرّحت من العمل، وتكوّن ماء بين الجلد واللحم. دكِنَت: اسودّت).

٥- القيم الاخلاقية

وقد بُعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتمم مكارم الاخلاق فاقرَّ اخلاقا ونبذ اخرى وجعل حسن الخلق ميزة للقرب منه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد مدح القرآن خلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

ولا نستطيع في عجالة ان نلم بكل مكارم اخلاقها عليها السلام وقد ذكرنا الايثار والتعاون والتواضع والخلق الحسن والعدالة والتعاون والكرم والقناعة والرضا والصبروالتصبر وغيره في مواضع مختلفة من هذا الكتاب، وهي قيم مشتركة وسأمر على قيمة واحدة هي الصدق للاختصار.

قيمة الصدق

وهو: مطابقة القول للواقع.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣)

---

(١) (القلم: ٤).

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «زينة الحديث الصدق».

وعن سيدة نساء العالمين عليها السلام قالت عائشة: (ما رأيت احداً كان اصدق لهجة منها إلا ان يكون الذي ولدها)[٢].

ولهذا سميت بالصديقة والصدّيقة وهي صيغة مبالغة في الصدق والتصديق، وقد عرفت الزهراء عليها السلام بالصديقة، وهو واحد من مقاماتها السامية والصديقة الكبرى، أي كانت كثيرة التصديق لما جاء به أبوها صلى الله عليه وآله وسلم وقويّة الإيمان به، كما انّها كانت صادقة في جميع أقوالها بأفعالها[٣].

روى الشيخ الكليني باسناده عن علي بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام، قال: (إنّ فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة)[٤].

وأخرج المحبُّ الطبري في (الرياض النضرة) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للامام علي عليه السلام: (أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد ولا أنا: أوتيتَ صهراً مثلي، ولم أوت أنا مثلك، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أُوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكم)[٥].

---

(١) (الزمر: ٣٣ – ٣٤).

(٢) (مستدرك الصحيحين ج٣ ص١٦٠ – ١٦١].

(٣) (مرآة العقول | العلاّمة المجلسي ٥: ٣١٥).

(٤) (الكافي ١: ٤٥٨ | ٢).

(٥) (الرياض النضرة | المحب الطبري ٣: ١٧٢ دار الكتب العلمية – بيروت).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم للاِمام علي عليه السلام: (يا علي، إني قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء، وأمرتها أن تلقيها إليك فأنفذها، فهي الصادقة الصدوقة)(١).

وفي وصيتها عليها السلام للإمام علي عليه السلام تقول:

يابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال (عليه السلام) لها: «معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي»(٢).

وقد اشرنا سابقا إلى ان تكذيب الزهراء عليها السلام الصادقة الصديقة الصدوقة كان اعظم من غصب فدك نفسها!!.

٦- القيم الصحية

ونحن نجد في بعض اقولها عليها السلام اشارة الى بعض هذه القيم مثل رعاية اداب المائدة حيث تقول الزهراء عليها السلام: في المائدة إثنتا عشرة خصلة، يجب على كل مسلم أن يعرفها، أربع فيها فرض، وأربع فيها سنة، وأربع فيها تأديب.

فأما الفرض: فالمعرفة والرضا والتسمية والشكر.

وأما السنة: فالوضوء قبل الطعام، والجلوس على الجانب الأيسر،

---

(١) (بحار الأنوار ٢٢: ٤٩١ عن كتاب الطرف للسيد ابن طاووس).

(٢) بحار الأنوار، ج٣٤، ص١٩١.

والأكل بثلاث أصابع).

وأما التأديب فالأكل مما يليك، وتصغير اللقمة، والمضغ الشديد، وقلة النظر في وجوه الناس[١].

بل انها حذرت من الاسراف في تناول بعض الاطعمة فعن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يلومن إلا نفسه من بات وفي يده غمر[٢].

الغمر بالتحريك: الدسم والزهومة من اللحم.

اشارة الى الاثر السيئ الذي يتركه الاسراف في تناول الدهون واللحوم على الجسم.

٧- قيم التكامل الذاتي

وهي:

أ- الثقة بالنفس واحترام الذات

الثقة بالنفس هي إيمان الإنسان بأهدافه وقراراته وبقدراته وإمكاناته، اي الثقة بوجود الإمكانات والأسباب التي أعطاها الله للإنسان وان هذه الطاقات والمواهب مودعة في ذاته ولهذا لابد ان يعرف نفسه ويكتشف ذاته ليسخر

---

(١) مستدرك عوالم العلوم، ج١١، ص٤٢٩، نقلاً عن نفائس اللباب.

(٢) (كشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي: ١٧٦).

امكاناته في طريق الخير ليصبح قوي الشخصية، أما عدم تعرفه على ما عنده من إمكانات، ومن ثم عدم ثقته في وجودها، فإن ذلك يؤدي الى ضعف الشخصية ولا تكون قادرة على اتخاذ قرارها، اي ان الثقة بالنفس تأتي من المعرفة الواعية للهوية الذاتية فكلما شعر الفرد بانه إنسان مغمور بالطاقات، ايجابي، قادر على القيام بالأعمال المناطة به ازدادت ثقته بنفسه والعكس صحيح أيضاً.

وتعبر ازمة الثقة بالنفس عند النساء من اوسع الازمات النفسية انتشارا اذ ينخفض مؤشر الثقة بالنفس عندهن ويعود السبب الى التربية وتقاليد المجتمع والى انخفاض قيمة المرأة اصلا في المجتمع، كما ويساهم الاعلام في طرح النموذج السلبي للمرأة وهو النموذج الخائف الضعيف المتردد العاجز عن حل مشكلاته دون اللجوء الى آخر، ويفترض ان يكون الانسان المؤمن بالله اكثر ثقة من غيره بنفسه لثقته بالله تعالى وثقته بدينه.

ولعل خروجها عليها السلام الى المسجد لإلقاء خطبتها لأقوى دليل على ذلك خاصة وانها عليها السلام كانت في ظرف صعب من فقدان ابيها وغصب حقها وحق زوجها، ومع ذلك فهي لم تكن مترددة ولا وجلة بل كانت في قمة الهرم في الثبات على المبدأ.

ثم ان الآليات التي اعتمدتها عليها السلام لتعبر تعبيرا دقيقا على انها كانت على ثقة بنفسها وبنجاح خطتها السلمية فيما بعد اضافة الى ما تشير إليه الروايات من ان أبي بكر كان قد سلمها كتابا بارجاع فدك لها ولكن عمر

كان قد مزقه وهو الذي اراد ان يعطي فدك فيما بعد لبني هاشم حينما تولى خلافة الامة فرفضوا ذلك اي انه تراجع عن اصل الفكرة!.

وفي هذا المقطع تتجلى الثقة العالية بالنفس في اعظم صورة:

قالت عليها السلام: أيها الناس اعلموا أَني فَاطِمَةُ وَأَبِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أَقُولُها حَقّاً عَوْداً وَبَدْءاً، ما أَقُولُ إذ أَقُولُ غَلَطاً، وَلاَ أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ سرفاً ولا شَطَطَاً. لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنَ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَعْزُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأَخا ابْنِ عَمي دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ الْمَعْزِي إِلَيْهِ صلّى الله عليه وآله،.

وهذا تعريفها عليها السلام بنفسها لما بدأت بالقاء خطبتها في المسجد، حيث انها لا تكتفي بتعريف نفسها وابيها ونسبها بل تبين انها تتسامى عن القيام بالاعمال اللاهادفة أو اللغو أو الثرثرة الفارغة -والعياذ بالله وهي المعصومة- وهي بهذا تؤكد عليها السلام صدقها وعلو شخصيتها وتنزهها عن سفاسف الامور.

واننا نجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف ويُعرّف بثقته بابنته عليها السلام من خلال ارسال الفقراء الى بيتها فهو صلى الله عليه وآله وسلم واثق انها لا تردهم خائبين ولو على حساب نفسها.

ب- الاهتمام بالمستقبل

وقد اشرنا الى هذه القيمة في الاصول التربوية عند الزهراء عليها

السلام. وقد تركت الزهراء عليها السلام صورة بيت الاحزان حزينة في قلب كل موالٍ لاهل البيت عليهم السلام وتركت قبرها مخفيا لكي تفهم الامة ظلامتها وتذكر حقها المغصوب وهذه غاية الحكمة، بل وتركت لولديها ارث جدهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليبقى مدى الدهر علامة على حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهما.

أتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله هذان أبناك فورّثهما شيئاً، فقال: امّا الحسن فانّ له هيبتي وسؤددي، وامّا الحسين فانّ له شجاعتي وجودي[1].

ج- الشجاعة والاقدام

لا احد ينكر ان الشجاعة هي الصفة الواضحة عند اهل البيت عليهم السلام جميعهم رجالا ونساءً ونحن نستعرض بعض مواقف الشجاعة لدى الزهراء عليها السلام منها:

- ذهابها الى ارض المعركة في احد وكان المشركون قد انسحبو للتو فقد تكون الحالة عند الغير ادعى الى التريث أو التراجع.

- كذلك بقاؤها في مكة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع وجود احتمالات كثيرة لتعرضها للاذى من قبل قريش.

---

(١) (البحار ج ٤٣ ص ٢٦٣).

- ذهابها الى مجلس الخليفة دون احد من رجالها مع ان الموقف كان حرجا للغاية وربما تطرح كثير من الاحتمالات الوجلة لهذا الحضور.

يقول مرتضى مطهري في كتابه التربية والتعليم في الاسلام:

... في الدفاع عن الحق، بمعنى الدفاع عن الحقوق الاجتماعية وهو أصل إسلامي مسلم، ليس هناك اختصاص بالرجل أو المرأة ﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾. إن كلمة (من) لا اختصاص لها بالرجل أو المرأة، وقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾.

ثم يضيف تحت عنوان شجاعة الزهراء:

إن قضية الزهراء تثير العجب حقاً، فمن جهة أن علياً والزهراء زوجان أظهرا عدم اعتنائهما بالمادة وجمع الثروة والدنيا وما فيها وقال الإمام: وما أصنع بفدك وغير فدك؟ والنفس مظانها في غدٍ جدث جدث.

ماذا يصنع بفدك؟ إنه رجل متحرر من الدنيا بجميع أبعادها المادية، وقد أظهرا عدم اعتنائهما بفدك... نعلم أنها كانت مريضة وملازمة للفراش، فكان من الواضح لديها أنه لم يبق من عمرها شيء، عندها يغتصبون منها فدك، إن فدك بما هي ثروة تفقد قيمتها عند الزهراء، إلا أن فدك بما هي حق مغتصب (ولابد من إحقاق الحق) ترتفع قيمته لدى الزهراء، بحيث تأتي بنفسها إلى مسجد المدينة (في حشد من نسائها) بحضور الخليفة، وتلقي

خطبتها الغراء، تصفعُ بها خصمها، وتدافع عن حقها، لماذا لم تخف؟ هل كان موقفها على خلاف التربية الإسلامية؟ هل كان يقبح بالمرأة أن تأتي إلى مسجد المدينة وتطالب بحقها أمام عدة آلاف من الناس وتتكلم على مال الدنيا؟ كلا، ليس فيه قبح أصلاً، بل كان دفاعاً عن الحق، تلك الزهراء التي لا تبالي بالدنيا وما فيها بما هي مادة وثروة شخصية وسبب للترف والنزهة الفردية، وتلك الزهراء المطمئنة التي ستفارق الدنيا بعد عدة أيام، والإنسان عندما يعلم أنه سيموت بعد أيام قلائل تتلاشى أطماعه بأعراض الدنيا كلياً بما هي مدافعة عن الحق ولا ينبغي لها أن تترك الحق مضيعاً وأن تحيي سنة إضاعة الحقوق، تأتي بشجاعة تامة تدافع عن حقها، وتذهب بشخصها إلى بيت الخليفة وتأخذ الأمر منه، وبعد ذلك تأخذه منه بالعنف، وبعدها تحضر مع أمير المؤمنين في مسجد المدينة بشكل آخر وتحدث تطورات عجيبة أجبرت في نهايتها على مخاصمتهم بشكل رسمي.

د- قيم المظهر الخارجي

المظهر الخارجي احد سمات الشخصية وهو يؤثر على صاحبه من جهة ويؤثر على الناس ايضا من جهة اخرى، فهو يكشف للناس عن هوية صاحبه وقيمه التي يؤمن بها وما عنده من نزعات ورغبات.. وللمظهر الخارجي تاثيره على النفس الانسانية نفسها فارتداء ملابس الرياضة يضاعف الحماس والهدفية للفوز ونفس الشيء يقال عن ملابس الجنود في الحرب بينما الملابس العارية تحاول مضاعفة التوجه الغرائزي واثارة الشهوات ولباس

الدين يذكر بالله والاخرة الى غير ذلك.

وفي المظهر الخارجي للزهراء عليها السلام نجد أموراً منها: الحجاب وشدة التستر والتواضع والبساطة مع الهيبة والوقار اي الهيئة والهيبة والتواضع، وقد اشرنا الى شدة تستر الزهراء عليها السلام من خلال الكلام عن الحجاب، وكذلك تكلمنا عن التواضع. اما الهيبة فهي الاجلال والتوقير و(لاتأتي الهيبة اعتباطاً أو فرضاً بالقوة، وانما هي خصلة مطبوعة تنبع من داخل الانسان نفسه وجزء من شخصيته الباطنة والظاهرة، حين تتوفر صفات معينة فيه، أولها احترام الانسان لذاته، وثانيها احترامه لغيره، وثالثها الثقة بالنفس وبالقدرات، ورابعها الحزم في التعامل مع الآخرين عند الخطأ والعدوان، وخامسها الصلابة والمبدئية والثبات في الأزمات، وسادسها الحكمة في اتخاذ القرارات، وسابعها قوة الارادة والوقوف على الرجلين في مواجهة الأخطار والعواصف، وثامنها عدم التهاون مع الأعداء حالة الاعتداء والرد المناسب المبني على العقلانية والدراسة والتفكير العميق، وتاسعها عدم التهور في التصرف، وعاشرها العمل الدؤوب على التزود بكل ما يُغذّي النفس والعقل ويبني الذات والتعلّم من التجارب لفهم ما يجري في الحياة الذاتية وما حول الذاتية كالمحيط الخارجي والبيئة التي ينشأ فيها المهيوب. وفوق كل ذلك توفر العقل الرصين والقلب الثابت والرؤية الثاقبة والحكمة والحِلم والقراءة الواعية لما في الداخل والخارج فردياً وجماعياً)..

ولنتأمل مظاهر الهيبة والاجلال لدى الزهراء عليها السلام من خلال

هذه الروايات:

... لاثَتْ خِمارَها وَاشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وَأَقْبَلَتْ في لُمَّةٍ مِنْ حَفَدَتِها وَنِساءِ قَوْمِها تَجُرُّ أَدْراعَها، وتَطَأُ ذُيُولَها...

اي هيبة هذه واي اجلال واي عظمة؟ فهي لم تدخل بمفردها بل مع جماعة من النساء وهؤلاء كانوا على رأيها حتما والا لما خرجوا معها.. وهي بذلك تريد ان توصل رسالة بانها ليست وحدها في المعترك بل هناك من يؤيد رأيها وهو ايضا مثلها يستنكر على الخليفة موقفه في مصادرة فدك..... ثم ان مشيتها كانت على غرار ما كان عليه ابوها صلى الله عليه وآله وسلم ولا سمات اعلى من سمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالطريقة التي كان يمشي بها صلى الله عليه وآله وسلم هي افضل انواع المشي والذي يبعث الهيبة في نفس من يراه.

روى أحمد عن ابن عباس – رضي اللَّه عنهما – أن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا مشى مشى مجتمعا ليس فيه كسل[(١)].

وروي عن علي عليه السلام قال: كان رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم إذا مشى كأنما ينحدر من صبب[(٢)].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "ما رؤي مقدِّماً رجله بين يدي جليس له قطّ. ولا خيّر بين أمرين إلاّ أخذ بأشدهما. وما انتصر لنفسه من مظلمة

(١) (أحمد (١/ ٣٢٨) من حديث داود بن أبي هند).

(٢) (الترمذي ٣٦٣٧).

حتى ينتهك محارم اللَّه فيكون حينئذ غضبه للَّه تبارك وتعالى... وكان نظره اللحظ بعينه... وكان إذا مشى كأنما ينحط في صبب... ولا يتنازع أصحابه الحديث عنده. وكان المحدث عنه يقول: لم أرَ بعيني مثله قبله ولا بعدهُ"[(١)].

ومشيها عليها السلام بهذا الشكل هو ايضا رسالة ثانية للتذكير بموقعها بانها بنت المؤسس لهذه الدولة التي آل حكمها الى فلان الذي تعجل في ظلم اهل البيت عليهم السلام سيما الزهراء التي يرضى الله لرضاها!!، وفي الرواية:

قالت عائشة: أقبلَت فاطمة تمشي، لا والذي لا إله إلاّ هو ما مِشيتُها تخرم مِن مشية رسول الله، فلَمّا رآها قال لها: «مرحباً بِآبنتي، مرحباً بابنتي»[(٢)].

وعن عائشة: ما رأيتُ من الناس أحداً أشبهَ كلاماً وحديثاً برسول الله من فاطمة، كانت إذا دَخَلَت عليه رحّب بها وقبّل يَدَيها وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به وقبّلت يديه..[(٣)]

وفي بيت الاحزان ترى الزهراء عليها السلام تأخذ ولديها الى البقيع:

... ثم إنه بنى لها بيتا في البقيع نازحا عن المدينة يسمى بيت الأحزان وكانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسين عليهما السلام أمامها وخرجت إلى البقيع باكية فلا تزال بين القبور باكية فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السلام إليها وساقها بين يديه إلى منزلها ولم تزل على ذلك إلى أن مضى

(١) (مكارم الأخلاق، صفحة ٢٢).

(٢) (أمالي الطوسي: ٣٣٣ – ٣٣٤، عنه: بحار الأنوار ٢٣: ٤٣ / ح ١٩).

(٣) (أمالي الطوسي: ٤٠٠ – عنه: بحار الأنوار ٢٥: ٤٣ ح ٢٢).

لها بعد موت أبيها سبعة وعشرون يوما واعتلّت العلة التي توفيت فيها[١].

هنا الموقف يتطلب ان يكون هناك افراد اخرون لزيادة العدد اولا وللتذكير بمقام الحسنين عليهما السلام وبموقع الزهراء عليها السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وربما للحماية كي لا يتعرض لها احد والموقف يختلف كثيرا لو كانت بمفردها ولم يكن معها سيدا شباب اهل الجنة عليهما السلام.

ان كل اهل البيت عليهم السلام عرفوا بالهيبة والوقار وسبب هيبتهم تغلغل حب الله وخشيته في ذواهم فهم عليهم السلام قمة التواضع رغم انهم قمة البشر!! وهم في اعلى سُلّم الهيبة رغم بساطة ملابسهم وحياهم!. في حين يحاول الانسان المعاصر ان يعزز شعوره بالهيبة من خلال البطش أو الظلم أو تحاول المرأة والعياذ بالله القاء ثوب الكرامة والاستلقاء في متاهات الرذيلة!! انها خيبة وليست هيبة.

اما عن زهدهم ولباسهم البسيط فهو شيء كان قد قرره الرسول نفسه ولنقرأ هذه الرواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«فإنّ هؤلاء أهل بيتي، ولا أُحب أن يأكلوا طيباهم في حياهم الدنيا»[٢].

حدثتني اسماء بنت عميس، قالت: كنت عند فاطمة جدتك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي عنقها قلادة من ذهب كان علي بن ابي طالب عليه السلام اشتراها لها من فيء له؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله

(١) (في بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٧٧).

(٢) (المناقب / ابن شهر آشوب ٣: ٣٤٣. ومسند أحمد ٥: ٢٧٥).

وسلم: لا يغرنك الناس ان يقولوا «بنت محمد» وعليك لباس الجبابرة! فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فاعتقتها فسر رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك[1].

يشير الشيخ فوزي آل سيف الا ان هناك خطين اساسين في تفسير المظهر الخارجي عند اهل البيت عليهم السلام:

الاول هو ما كان عليه اهل البيت عليهم السلام من ارتداء الملابس الخشنة والغليظة فينقل انه كان أمير المؤمنين قد رئي (عليه السلام) وعليه أزارخلق مرقوع فقيل له في ذلك: فقال يخشع له القلب وتذل به النفس ويقتدي به المؤمنون[2].

فهنا ربما لضيق الوضع الاقتصادي في هذا العصر وربما لانهم قوم اجلت طيباتهم وهذا خط التقشف والزهد.

اما الخط الثاني من الروايات فهو يمثل دعوة الى التجمل واظهار النعم خاصة بعد ان تحسن وضع المسلمين بعد الفتوحات ويشير الى ان اهل البيت عليهم السلام كانو يلبسون الملابس الجيدة.

وقال الامام الصادق عليه السلام في جواب سفيان الثوري بعد ان قال للإمام: انت تروي أن علي بن ابي طالب كان يلبس الخشن وانت تلبس القوهي والمروي؟! قال الصادق (عليه السلام) ويحك إن علي بن ابي طالب

---

(١) (بحارالانوار، ج٤٣، ص٢٦).

(٢) [بحار الأنوار: ٧٦ / ٤ ٣١].

(عليه السلام) كان في زمان ضيق فإذا اتسع الزمان فابرار الزمان اولى به[1].

هذان الخطان ولّدا سوء فهم عند المسلمين والموالين فاقترن التدين في الذاكرة المعاصرة بالملابس البالية والخشنة الامر الذي جعل الناس تضيع بين تكلف الزهد واصل الزهد وهو ان لا يملكك شيء.

ثم يضيف:

بناءً على ذلك فإننا نعتقد ان الاصل لديهم (عليهم السلام) في حياتهم الخاصة والعبادية هو تناغم حقيقة الزهد (في قلوبهم) مع مظاهره (في الخارج)، واما في الحياة الاجتماعية فالاصل فيها التجمل والتأنق - في اعتدال - فالله يحب الجمال والتجمل ويبغض البؤس والتباؤس وقد خلق الله الزينة لعباده والابرار اولى بها من غيرهم.

ولذا فإن احد مصاديق الاعراض عن الدنيا وهو المطلوب من المؤمنين هو الكف عن التجمل والتزين ذلك ان المؤمنين (ارادتهم الدنيا فلم يريدوها واسرتهم فافتدوا انفسهم منها). (فوزي آل سيف، الحياة الشخصية لاهل البيت، كيف وماذا يلبسون؟، الموقع).

والذي اقوله ان الزمان الذي عاشته الزهراء عليها السلام وما نقل لنا من روايات تحكي عن زهدها يشير الى الضيق الذي كان عليه المسلمون اول الهجرة اي في السنوات الاولى، وكان هناك فقراء الصّفّة الذين ضاق بهم المسجد النبوي بحيث ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمتنع عن اعانة

---

(١) (بحار الأنوار: ٧٦ / ٣٠٧).

الزهراء بالخادم اول الامر لوجود اولويات اهم في المجتمع، لكن الحال كان قد تغير بعد ان فتحت خيبر وزادت الغنائم فنجد ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو من يجد الخادم للزهراء عليها السلام ويرسله اليها!!، وحتى الرواية التي تشير الى تعجب سلمان من ثياب الزهراء عليها السلام كانت في اوائل ولادة الحسنين يعني سنوات الضيق والتي يقدرها بعض المؤرخين انها تنتهي بعد فتح خيبر وزيادة واردات الدولة الاسلامية اي في العام السابع للهجرة.

والمهم ان لو تؤخذ الدنيا بزخرفها فينشغل الناس بالملابس ويقيّمون الناس على مايرتدون كما هو شائع الان بحيث ان الموضة استنزفت اموال واوقات وقلوب وعقول الكثيرين شيبا وشبانا ونساءً ورجالا!! ولكن الامر بين امرين فيكون امام الناس بما يصون وجهه ويعرّف بنعم الله.. واذكر ان الشهيدة بنت الهدى رحمها الله كانت متواضعة للغاية في ملابسها فكانت النساء الثريات قليلا ما يحضرن مجالسها لكنها بدأت تهتم بالمظهر ضمن حدود الاقتصاد وعدم الاسراف والزهد فازداد الاقبال على مجالسها مما ادى الى زيادة نسبة المحجبات في الاوساط الثرية، وهو مما احدث توازنا في جغرافيا الحجاب في المنطقة اذ لم يعد قاصرا على الفقراء كما كان يلوح البعض بذلك والسبب انها - رحمها الله - اعطت معنى الزهد الصحيح في ان لا يملكك شيءُ وان ملكت كل شيء.

اننا لا ننسى ان كل لحظة تفكير في الدنيا هي خسران من ذخيرة الاخرة!، فأهل البيت عليهم السلام عموما ومنهم الزهراء عليها السلام لم

تشغلهم هذه الدنيا بما فيها من مغريات، فبقي العمر عندهم يدور في رحاب الله وطاعته وعبادته تعالى، وهي عليها السلام لما تكون بهذه المواصفات فهي تقدم لنا دعوة الى عدم الاستغراق في الدنيا بل ان يأخذ الفرد حاجته ليس اكثر وان يعيش هم الاخرة، وللاسف اننا نرىَ نساء عصرنا يقتلن العمر كله في الموضة والتزين حتى اصبحن اسيرات الموضة والاكسسوار ناسيات ان الحسن الحقيقي في حسن الاخلاق والذات وفي تحصيل الاخرة واعطائها ما يليق من الاهتمام.

ان أمير المؤمنين عليه السلام في قوله (قيمة المرء ما يحسنه) أي أن القيمة ليست بالمظهر كي تتباهى المرأة بمظهرها وبمفاتنها، وإنما القيمة في انسنة انسانيتها وفيما تحسنه وتجيده من مهارات، ولهذا أكدَّ الإسلام على صون كرامتها كي لا يتعرض لها أحد بسوء وأمرها بالتستر وعدم التبرج للحفاظ على تلك الكرامة.

واشير الى سوء استفادة البعض من الروايات التي تظهر ثياب الزهراء عليها السلام بهذا التواضع فقد قال احدهم على المنبر: ان الزهراء لم تطالب علياً بثوب ونساؤنا كل يوم يطالبن بعباءة قلت له: ياشيخ ليت المطالبة بالعباءة تزداد على الاقل انها ستر نافع وحجاب اسلامي مبارك!!.

على ان الامر يتباين في حياتها الخاصة فلنقرأ هذه الرواية:

قالت ام سلمة فسالت فاطمة عليها السلام هل عندك طيب ادخرتيه لنفسك؟ قالت: نعم فاتت بقارورة فسكبت منها في راحتها فشممت منها

رائحة ما شممت مثلها قط[1].

وفي الرواية ايضا ان الزهراء عليها السلام قالت لاسماء بنت عميس: هاتي طيبي الذي اتطيب به[2].

عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم وغيره عن خلف بن حماد، عن الحسن بن زيد الهاشمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاءت زينب العطارة الحولاء إلى نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وبناته وكانت تبيع منهن العطر فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وهي عندهن فقال: إذا أتيتنا طابت بيوتنا، فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله، فقال: إذا بعت فاحشي ولا تغشي، فإنه أتقى وأبقى للمال[3].

ولدينا فيض من الروايات حول اهتمام الرسول بمظهره من خلال تمشيط لحيته وتعدد ثيابه. وعن أبي عبد اللَّه الصادق عليه السلام. قال: "كان رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم ينفق في الطيب أكثر ممّا ينفق في الطعام"[4].

وفي الرواية ايضا.. كنت عند فاطمة جدتك اذ دخل رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي عنقها قلادة من ذهب كان علي‌بن‌ابي‌طالب عليه السلام اشتراها له من فيء له.

---

(١) (الطوسي الامالي ص٤١ والبحار ج٤٣ ص١١٤، ٩٥).

(٢) (البحار ج٤٣ص١٨٥ وكشف الغمة ج١ ص٥٠٠).

(٣) (بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٥٧، ص ٨٣).

(٤) (الكافي: ج٦، ص٥١٢).

عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد السفر سلم على من أراد التسليم عليه من أهله ثم يكون آخر من يسلم عليه فاطمة (عليها السلام) فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها.

فسافر مرة وقد أصاب علي (عليه السلام) شيئا من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة فخرج فأخذت سوارين من فضة وعلقت على بابها سترا، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد فتوجه نحو بيت فاطمة كما كان يصنع، فقامت فرحة إلى أبيها صبابة وشوقا إليه فنظر فإذا في يدها سواران من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا بي قبلها.

فدعت ابنيها فنزعت الستر من بابها وخلعت السوارين من يديها، ثم دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الاخر ثم قالت لهما: انطلقا إلى أبي فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غير هذا فشأنك به، فجاءاه فأبلغاه ذلك عن امهما فقبلهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتزمهما وأقعد كل واحد منهما على فخذه، ثم أمر بذينك السوارين فكسرا فجعلها قطعا ثم دعا أهل الصفة[1].

وفي عرس فاطمة كان هناك ثوب عرس وكانت هناك زينة وتزين حيث

---

(١) (البحار ج٤٣ ص٨٣).

امر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتزيين الزهراء عليها السلام وكان هناك الطيب وتنظيف البيت ورش الارض الى غير ذلك

وكان مهرها عليها السلام من ثمن الدرع الذي باعه امير المؤمنين عليه السلام بأربعمائة وثمانين، يقال أربعمائة درهم، فأمره صلى الله عليه وآله وسلم ان يجعل ثلثها في الطيب، وثلثها في المتاع.

قال عليّ (عليه السلام): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قمّ فبع الدّرع فقمت فبعته وأخذت الثمن ودخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسكبت الدّراهم في حجره، فلم يسألني كم هي ولا أنا أخبرته، ثمّ قبض قبضة ودعا بلالا، فأعطاه فقال: ابتع لفاطمة طيباً، ثمّ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدّراهم بكلتا يديه فأعطاها أبا بكر وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت واردفه بعمّار بن ياسر وبعدّة من أصحابه[(١)].

وفي زواج الزهراء عليها السلام دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام لأن يصنع طعاماً ويدعو الناس عامة لتكون سنة في أُمّته، روى الشيخ الطوسي بالاسناد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي، اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، ثم قال: من عندنا اللحم والخبز، وعليك التمر والسمن، فاشتريت تمراً وسمناً، فحسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذراعه، وجعل

---

(١) (التويسركاني مسند فاطمة ص١٣٨).

يشدخ التمر في السمن حتى اتخذه حيساً، وبعث إلينا كبشاً سميناً فذبح، وخُبز لنا خبز كثير، ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ادعُ من أحببت»[١].

وأخرج ابن ماجة عن عائشة وأُمّ سلمة، قالتا: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نجهز فاطمة عليها السلام حتى ندخلها على علي عليه السلام فعمدنا إلى البيت، ففرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء، ثم حشونا مرفقتين ليفاً، فنفشناه بأيدينا... وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلّق عليه السقاء[٢].

وأمر نساءه أن يزيّن ويصلحن من شأنها[٣].

وكان لها ثوب زفاف كباقي النساء وقد اهدته لها بعض النساء وقامت عليها السلام باهدائه بعد المراسم (وكثيرا من النساء حاليا يفضلن استئجار ثوب العرس تخفيضا للتكاليف).

ولا ننسى ان الشريعة الغراء قد شجعت المرأة على التزين في الاطار الشرعي وضمن الحياة الزوجية بل جعلت هذا التزين سببا للاجر الكبير والثواب.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الجاموراني، عن

---

(١) (أمالي الطوسي: ٤٢ | ٤٥. وبحار الأنوار ٤٣: ٩٥ | ٥).

(٢) (سنن ابن ماجة ١: ٦١٦ | ١٩١١).

(٣) (التويسركاني، مسند فاطمة ص١٣٩).

ابن أبي حمزة عن عمر وبن جبير العزرمي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاءت إمرأة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يارسول الله ماحق الزوج على المرأة؟ قال: أكثر من ذلك، فقالت: فخبرني عن شيء منه فقال: ليس لها أن تصوم إلا بإذنه يعني تطوعا ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه وعليها أن تطيب بأطيب طيبها وتلبس أحسن ثيابها وتزين بأحسن زينتها وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية وأكثر من ذلك حقوقه عليها(١).

ان الذي اراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بيانه انه كقائد دولة لا يرضى لابنته ان تبدي اي تفاوت مع فقراء المسلمين، ومن ناحية اخرى انه لما اشترى عليٌّ عليه السلام لها القلادة - كأي زوج يحب ان يرى الزينة في جيد امرأته - فقد اراد صلى الله عليه وآله وسلم ان يعّده مستقبليا حينما يكون خليفة للمسلمين ففي موقعه كصهر للنبي القائد قد تبدو المسألة صعبة!.

ان المشكلة المعاصرة لدى كلا الجنسين هي مشكلة المظهر الخارجي سواء ما يرتديه الانسان أو الهيئة التي خلقه الله بها، فهناك طغيان لثقافة الصورة بل انها تكاد تكون الاساس والمحور الذي تدور عليه حياة الناس وكانت التهمة التي اتُهمت بها المرأة هي الافراط في الاهتمام بالناحية التجميلية الا ان الاحصائيات تثبت ان لا فرق بين الجنسين في العمليات التجميلية!! التي كانت سابقا من اجل ازالة وتخفيف تشوهات الحوادث والحروق فاصبحت من اجل تغيير الصور والملامح!!، وهوس اوهستيريا التجمل هو الهاجس الملازم

(١) (فروع الكافي ج٥ص٥٠٨).

للانسان المعاصر، وكثيرا ما تؤذي البنات انفسهن من اجل اكتساب المعايير العالمية في الرشاقة والنحافة ويقابل ذلك اهمال للعقل والعلم والايمان فثقافة الصورة الهوسية هي الحاكمة. ان الانسان المتوازن يوازن في اهتمامه بالمظهر بحيث لا يكون على حساب انتمائه الديني أو قيمه الاخلاقية أو بشكل يكون مستنزفا للعمر والوقت والمال والجهد والتفكير.

وهناك حالتان سلبيتان في العلاقة مع المظهر، الاولى ان يكون هناك اهتمام مفرط بحيث يتحول الشكل الى هاجس ونجد ذلك من خلال الشخصية النرجسية التي لا ترى الا ذاتها والشخصية الشكاكة والهستيرية مما يعني وجود شخصية سطحية استعراضية كاذبة ومزيفة لانها لا تملك عوامل النضج الصحيح أو التقييم السليم للغير وهي شخصية غير سوية.

كما ان (الامتثال الزائد لمعايير المظهر يدل على الخضوع والامتثال والجمود والعقلية البيروقراطية وشدة التأثر بالآخرين وتقليدهم وضعف تقدير الذات وقلق القبول والرفض من الآخر أو الآخرين. ويمكن أن يصبح الاهتمام بالشكل الخارجي مرضاً بذاته.. وهو الخوف المرضي من سوء شكل الجسم أو توهمه، وهو يصيب الذكور والإناث بنسب متقاربة ويظهر مبكراً في سن الشباب، وهو نوع من الوسواس المرضي المزمن يتمثل بالخوف من تشوه وعدم اعتدال مظهر الجسم.. ويتفحص الإنسان نفسه مرات عديدة يومياً بواسطة المرأة أو بدونها بحثاً عن ذلك التشوه وتأكيداً له).

وهناك خط منحرف آخر يؤدِي الى اهمال الصورة دون الاكتراث بالنظافة

أو اللياقة بل وحتى الحشمة مثلما نرى من رواج ثقافة العري وكأن الانسان بعظامه وجلده فهذا دليل على عدم السلامة النفسية بمعنى اخر ان اهمال المظهر دليل على الاكتئاب وعدم الرضا عن الذات. بل نرى ان بعض الحركات الاسلامية تشجع على اهمال المظهر والنظافة بشكل يدعو احيانا الى التقزز!!.

هـ- حسن التكيُّف

وهو عملية تلاؤم الفرد مع البيئة التي يعيش فيها وقدرته على التأثير فيها، وهي أيضا محاولات الفرد النشّطة والفعّالة التي يبذلها خلال مراحل حياته لتحقيق التّوافق والتّلاؤم والانسجام مع بيئته. وهذا التلاؤم يساعد الفرد على البقاء والنمو وأداء دوره ووظيفته الاجتماعية بصورة طبيعية. ونحن نرى الهزات العنيفة التي تعرضت لها الزهراء عليها السلام في حياتها لكنها خرجت منها منتصرة قوية الايمان غنية بالشكر والصبر، اذ استطاعت عليها السلام ان تذلل الصعوبات وان تواصل مسيرتها الحياتية دون تلكؤ وهو المطلوب اذ ما اكثر الناس الذين يتعرضون للانهيار جرّاء المصائب التي تعترض طريقهم ولم يستطيعوا تحصيل آليات التكيف السليم مع المتغيرات الجديدة فنراهم يسيرون باتجاه الانحراف أو الانتحار وهذه صور سوء التكيف.

ان الزهراء عليها السلام كانت قد عاشت الحصار الذي اثقل كاهل المسلمين وماتت امها رضي الله عنها وهي صغيرة وشاهدت معاناة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته وما كان يلاقيه من مشركي مكة لكننا لا نرى لها الاصبرا وسموا وايمانا، وهذا هو التكيف السليم مع الضغوطات الحياتية

وهو درس سليم كي يتعلم الآخرون آليات التكيف الناجح، وتساعد الرؤية السليمة للحياة والتي تقدمها الفلسفة الدينية على حسن التكيف مع الاحداث والازمات من خلال الايمان بالله والايمان بالقضاء والقدر.

و- التصميم والإرادة

والارادة تعني قدرة المرء على اتخاذ القرار، وبخاصة في القضايا المصيرية، أو على الاختيار بين مختلف البدائل، أو العمل في بعض الحالات من غير أن تقيد إرادته عوائق طبيعية أو اجتماعية أو غيبية.

لقد كان هناك اصرار من الزهراء عليها السلام على اشعال الموقف بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتوالي مسلسل الظلامات، اذ كان يجب عليها ان تحاجج الخليفة في قضية فدك وان تعلن غضبها عليهما وان لا تكلمهما رغم كل التوسلات التي جاءوا بها، ونرى رفضها لان يشيعها احد أو ان يعلم مكان قبرها!!وهذه كلها معالم لشخص ذي ارادة حرة وتصميم مبدئي كما هو الحسين عليه السلام الذي رفض البيعة ليزيد وبقي مُصِرّاً على الموت بكرامة وعزة.

وقد سعى الشيخان مراراً أن يستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى جهة الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام ثم قالت: (نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحبّ فاطمة ابنتي أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة

فقد أسخطني؟ قالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: فاني أُشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي لاشكونكما اليه).

ز- ادب التعامل مع المصاب الجلل

في الرواية: اجتمعت نسوة بني هاشم وجعلن يذكرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت فاطمة عليها السلام: اتركن التعداد، وعليكن بالدعاء[1]. وهذا الادب الجديد الذي طرحته الزهراء عليها السلام في التعامل مع الاحداث الجسام وفي التأدب امام قضية الموت فالدعاء للموتى له اثر كبير ليس على الميت فحسب بل على الداعي له من حيث تخفيف الاذى وتقبل المصيبة والتخلص من الجزع والاستعداد للآخرة. وما ذكرناه حول بكاء الزهراء عليها السلام على ابيها صلى الله عليه وآله وسلم فهو ضمن الخطة الاعلامية والسياسية التي اتخذها ضمن المواجهة مع الخلافة الغاصبة.

وفي وصيتها عليها السلام لّما احتضرت أوصت عليّاً عليه السلام فقالت: "إذا أنا متّ فتولَّ أنت غسلي وجهّزني، وصلّ عليَّ وأنزلني قبري وألحدني، وسوِّ التراب عليّ، واجلس عند رأسي قبالة وجهي، فأكثر من تلاوة القرآن والدعاء فإنّها ساعة يحتاج الميت فيها إلى أُنس الأحياء". وهذا ارشاد للآخرين الى اعانة الموتى بالدعاء والصلاة وقراءة القرآن وهوتثبيت ايضا ان الموت بداية حياة وليس فناء.

(١) البحار، ج٢٢، ص٥٢٢.

٨- القيم الاقتصادية

وهي القيم التي يعبر عنها اهتمام الفرد وميله الى ماهو نافع ويتخذ من العالم المحيط وسيلة للحصول على الثروة وزيادتها عن طريق الانتاج والتسويق والاستهلاك واستثمار الاموال ويتميز الاشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بنظرة عملية[1].

وتبدو القيم الاقتصادية ذات اهمية قصوى خاصة مع ما نراه من تدهور الاوضاع الاقتصادية عالميا والحاجة الى توجيه وضخ كل الطاقات نحو تدعيم الاقتصاد العام، وهذا يعني اهمية دعم القيم الاقتصادية من اجل تحقيق نهوض اقتصادي يستمر من خلال تدريب العناصر الجديدة على مبادئ علم الاقتصاد.

واهم هذه القيم:

---

(١) (الزهران علم النفس الاجتماعي ص١٢٥).

أ- محبة العمل

ويُشار الى ذلك من خلال ما كانت تقوم به الزهراء عليها السلام من اعانة لأُسرها عن طريق الاعمال اليدوية التي كانت تقوم بها واهمها الغزل، ففي الرواية:

لما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة، كانت صناعة الالبسة كلها بيد اليهود، وكان المسلمون محتاجين اليهم من هذه الناحية، فلما رأى النبي ذلك اشترى لفاطمة مغزلاً وقال لها: اغزلي يا فاطمة، فصارت الزهراء عليها السلام تغزل ثيابها وثياب حسنيها وثياب بعلها وابيها، وقد كان لعلي قميص من غزل فاطمة عليها السلام يلبسه تحت لامته في الحروب.

وقد تأثرت نساء المسلمين في المدينة بفاطمة عليها السلام فصرن يغزلن، وهكذا تحوّل هذا المغزل الى سلاح فعّال جعل المسلمين في غنى عن اليهود.

عن علي (عليه الصلاة والسلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جملة كلامه: ونعم اللهو المغزل للمرأة الصالحة[(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (وعلموهن الغزل)[(٢)].

وفي رواية طويلة مذكورة في أسباب نزول سورة هل اتى ان عليا عليه السلام قال مخاطبا اليهودي: هل لك أن تعطيني جزةً من صوف تغزلها لك بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثة أصوعٍ من شعير؟» قال: نعم.

---

(١) (الوسائل ج١٢ ص١٧٤ ح٢ باب٦٤، علل الشرائع ص٩٤).

(٢) (الوسائل ج١٢ ص١٧٤ ح٢ ب٦٤ مثله).

فأعطاه الصوف والشعير. فقبلت فاطمة عليها السلام[١].

وحينما أُوقِفَ الامام زين العابدين عليه السلام أمام يزيد بن معاوية بعد واقعة كربلاء، طالب الامام عليه السلام بالاشياء التي سلبت من خيمة أبيه الحسين عليه السلام، فقال له يزيد: وما فيها؟ فقال الامام عليه السلام: إنّ فيها مغزل أُمِّنا فاطمة.. فقال عليه السلام: «أما مالك فلا نريده، وهو موفر عليك، وإنما طلبت ما أُخِذَّ منا، لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمد ومقنعتها وقلادتها وقميصها»[٢].

قالت عائشة: كنّا نخيط، ونغزل، وننظم الأبرة باللّيل في ضوء وجه فاطمة. (عليها السلام)[٣].

نعم كانت ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقائد الامة ولكنها لم تك تستنكف عن هذه الحرف اليدوية، وكان عليٌّ عليه السلام يعينها على ذلك ويجلب لها ما تحتاج اليه من الصوف لتقوم بغزله وهو يأخذ هذا الصوف من يهودي في المدينة.

قالت أم الحسن النخعي مرَّ عليَّ أمير المؤمنين عليه السلام فسألني.. أي شيء تفعلين؟ قلت: أغزل فقال: اعلمي أن الغزل من طيبات الكسب.

ان العمل اليدوي بالاضافة الى انه يساهم في تحريك القدرات العقلية من خلال التعلم والابداع، فانه يساعد ايضا في تحقيق استثمار نافع للوقت

(١) (إحقاق الحق | الشهيد التستري ١٠: ٢٦٤ عن تفسير الثعلبي).

(٢) (اللهوف ص٢٢٤).

(٣) (أخبار الدول وآثار الأُوَل للمؤرّخ أحمد بن يوسف القرماني: ٨٧ – ط بغداد).

ويكون خير معين للاسرة خاصة في الازمات الاقتصادية ففي الارياف العراقية تصنع النساء النسيج المعروف بالبساط اليدوي وفي الارياف الايرانية مثلا تقضي النساء وقت الفراغ في حياكة السجاد اليدوي الشهير وهي بذلك تشارك في عملية التنمية الاقتصادية للمجتمع ككل وللاسرة ايضا.. وبديهي ان ساحة العمل اليدوي هي ساحة حرة متعددة الاشكال والانماط والانواع وان محبة هذا النمط من العمل أو ترغيب شيء على حساب نوع آخر هو الدافع لتعلمه والعمل به.

كانت الزهراء تقوم بالغزل وبهذا تكون عليها السلام إمرأةً عاملة ولكن في البيت وكان عملها هذا له استحقاقاته المالية كما كان يساهم في توفير بعض متطلبات الاسرة وهذا يعني ان الاسرة العلوية الفاطمية كانت اسرة منتجة ضمن المفهوم المعاصر.

ب- محبة العامل

وهو واضح من سيرتها عليها السلام من خلال التعامل مع خادمتها فضة وتقسيم العمل بينهما وتعليمها والاهتمام بأمرها.

ان الزهراء عليها السلام كانت مديرة البيت ومسؤولة عن تدبير شؤونه وكانت لديها خادمة في الاوقات المتأخرة من حياتها هي فضة ومن خلال ذلك رسمت لنا آليات التعامل الصحيح مع العمال وعرّفت بمهمات رب العمل واثر الاخلاق في تربية العوامل البشرية ودفع مسيرتها الانسانية في الاتجاه الصحيح. وقد اشرنا في الروايات السابقة الى مدى رعاية الزهراء عليها

السلام لخادمتها وبكل اشكال الرعاية من تقسيم العمل معها الى تعليمها وعدم تحميلها مالاطاقة لها به.

ج- الانفاق السليم

فلم يعرف عنها عليها السلام الاسراف مثلا حتى لّما كان عندها المال الكثير بعد هبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم اياها فدكا اي بعد ان اصبحت إمرأة ثرية قد لا تدانيها إمرأة بهذا الثراء لكنها بقيت على ماهي عليه من الزهد وبساطة العيش والقناعة.

د- القناعة

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله منه باليسير من العمل(١).

وعن أبي حمزة عن الباقر والصَّادق (عليهما السلام) قال: من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس(٢).

وقال ابو عبد الله (عليه السلام) أيضاً لرجل يعظه: أقنع بما قسم الله لك، ولا تنظر إلى ما عند غيرك: ولا تتمن ما لست ناقله، فإنه من قنع شبع، ومن لم يقنع لم يشبع، وخذ حظك من آخرتك(٣).

وعن الرضا (عليه السلام) أنه قال: لا يسلك طريق القناعة إلاَّ

---

(١) (الكافي ج٢ ص١١١ ح٣).

(٢) (الكافي ج٢ ص١١٢ ح٩).

(٣) (الكافي ج٨ ص٢٤٣ ح٣٣٧).

رجلان: إما متعبد يريد أجر الآخرة أو كريم يتنزه عن لئام الناس[١].

وعن علي بن الحسين (عليهما السلام) سئل عن أفضل الأعمال؟ فقال: هو أن يقنع بالقوت، ويلزم طول السكوت، ويصبر على الأذية، ويندم على الخطيئة[٢].

وعن علي عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه القناعة فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف[٣].

وفي دعاء الزهراء عليها السلام:

اللهمّ قنّعْني بما رزقتَني، واسترني وعافني أبداً ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني. اللهمّ لا تُعْيِني في طلبِ ما لا تُقدِّرُ لي، وما قدّرتَه عليّ فاجعلْه ميسّراً سهلا. اللهمّ كافِ عنّي والدَيَّ، وكلَّ مَن له نعمةٌ علَيّ خيرَ مكافأة. اللهمّ فرّغْني لِما خلقتَني له، ولا تشغلني بما تكفّلتَ لي به، ولا تعذّبْني وأنا أستغفرك، ولا تحرْمني وأنا أسألك.

اللهمّ ذلّلْ نفسي في نفسي، وعظِّمْ شأنك في نفسي، وألِهمْني طاعتَك، والعملَ بما يرضيك، والتجنّب لما يُسخطك.. يا أرحم الراحمين[٤].

ونقول لولا القناعة التي كانت تملكها الزهراء عليها السلام لما استطاعت ان تتحمل الاوضاع الصعبة التي مر بها البيت العلوي، والفقر

(١) (البحار ج٧٨ ص٣٤٩).

(٢) (البحار ج٧٣ ص١٦٨ باب١٢٩ فضل القناعة).

(٣) (غرر الحكم ج١ ص٣٢٢ ح١٦٣).

(٤) (مهج الدعوات، للسيّد ابن طاووس ١٧٥).

مشكلة الرجل والمرأة على حد سواء ولكن المرأة قد تحتاج الى رعاية اكثر وتوفير للحد الادنى من الوسائل أو المستلزمات خاصة في فترات الحمل والرضاعة، فاذا كانت ذات اليد قليلة فالضرر يلحق بجسدها أو جنينها أو وليدها وتعتبر مشكلة الفقر واحدة من المشاكل العالمية التي اصبحت في حدود التأنيث فاكثر من ٧٠٪ من فقراء العالم هن من النساء واكثرهن من الامهات!! الامر الذي يؤدي الى زيادة نسبة الوفيات عند الاطفال وكثيرا مايسوغ الفقر لمرضى النفوس في استغلال النساء والاطفال وبشكل بشع.

عن الصادق عليه السّلام قال: ثلاث من النساء يرفع اللّه عنهن عذاب القبر ويكون محشرهن مع فاطمة بنت محمد عليها السّلام: إمرأة صبرت على غيرة زوجها، وإمرأة صبرت على سوء خلق زوجها، وإمرأة وهبت صداقها لزوجها، يعطى اللّه كل واحدة منهن ثواب ألف شهيد، ويكتب لكل واحدة منهن عبادة سنة[1].

فالمرأة الصابرة على فقر زوجها تكبت رغبة داخلية ملحة في التزين والتجمل وهو مما لايستطيع الزوج توفيره لها، وواحدة من اهم أسباب ارتفاع الطلاق في المجتمعات الحديثة هو الفقر وعدم القدرة على تأمين متطلبات الحياة وهو من عوامل زيادة العنوسة ولكلا الجنسين!.

(١) (وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٣٧ باب ٢٦ ح ٣)..

كيف نرسخ القيم الزهراوية لدى الجيل المعاصر

القيم الزهراوية هي القيم الانسانية العليا وهي قيم دائمة مستمرة مع استمرار الوجود الانساني، وفي دراسة ميدانية اجريت للتعرف على مصادر القيم والمثل العليا في عدة مدن امريكية للاطفال والمراهقين بين ٦ ـ٢٠ سنة وُجِدَ ان الغالبية كانت مصادر القيم والمثل العليا عندهم هم الشخصيات التاريخية والزعماء[١] وذلك لانهم يعتبرون هذه الشخصيات هي القدوات السامية والمثل الاعلى الذي يُقتدى به، فالقدوة والاسوة الحسنة هي افضل واقوى وسيلة للتغيير اذ انها توصل لنا نموذج الصورة المطلوبة وترشدنا الى امكانية تطبيق الفكرة من خلال النموذج الذي يمكن الاقتراب منه ان كان من الصعب اعادة صياغته، فكيف اذا كان هذا النموذج هو صورة الانسان الكامل الذي لا يكفُّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الاشادة بانه نموذج رباني يغضب الله لغضبه ويعاقب من اسخطه بالنار!!. على هذا نحتاج

---

(١) (القيم السياسية ص٦٣)

الى توثيق العلاقة مع هذه الشخصيات الخالدة بما يساهم في التغيير الذاتي والمجتمعي.

ونحتاج في عملية التغيير الى وسائل عديدة لنقل القيم والحفاظ عليها منها:

١- الاسرة

فالاسرة هي منبع القيم، ففي الحديث يقول الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)). فالوالدان هما الذان ينقشان القيم والافكار والمعتقدات على الصفحات البيضاء لقلب الطفل، وهما القدوة الاولى للطفل ومن الواجب عليهما تعريف ابنائهما بالقيم الاسلامية والاخلاق الفاضلة ومتابعة الطفل وتوجيه كيانه الى الاقتداء بآل البيت عليهم السلام وبالرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم المثل الاعلى ومنار القيم وصورها الخالدة.

ولا ننسى انه كلما ابتعد الوالدان عن الانماط والقيم السلبية في التربية كانت النتائج افضل والقيم السلبية من قبيل الاهمال والقسوة والاستبداد والتحقير والأنانية والجبن والبخل والكذب والظلم الى غير ذلك، فالام التي تعتمد القيم المخالفة للاسلام كالسفور والاغراء والاثارة امام الغرباء تقضي على انسانية ابنتها وتحولها الى جسد متموج لا اكثر!!.

والابوان هما القدوة الحاضرة التي تصل الى مرادها عن طريق التربية

الصامتة من خلال السلوك والناطقة من خلال التوجيه مع اعتماد آليات التربية بالحب والموعظة والترغيب وجعل العقاب اليسير آخر الدواء لان التعزيز الايجابي بالمكافاة والتشجيع افضل من السلبي بالعقاب والتوبيخ ويمكن مراجعة فصل الاليات التربوية عند الزهراء عليها السلام لنعرف كيف نرسخ القيم عند الابناء.

ولا ننسى ان الام هي اول وسيط في التنشئة الاجتماعية وهي المجتمع الاول الذي يراه الطفل ويرتبط به وجدانيا وسلوكيا، ولما كانت شخصية الطفل تتشكل خلال السنوات الاولى والتي تزداد فيها مساحة تاثير الام فدورها في نقل وصيانة وحفظ القيم أساسيٌّ، إذ (إن وعي المرأة بذاتها وبدورها كقيِّم على الأسرة وحارس للقيم والمبادئ، يعني في ميزان القيم أنها تعي تماما دورها وحقيقتها، وأنها حقيقة تعرف وجودها ووظيفتها، وأنها مستخلفة الله في الأرض، عابدة لله وحده دون سواه).

والام الحافظة للقيم والناقلة لها عبر مسيرة الاجيال هي المرأة المتحررة.. واعني تحررها من كل النماذج المشوهة للقيم و(بذلك تحقق ذاتها وأن تسد الثغرة التي ينبغي أن ترابط عليها، فلا يؤتى الإسلام من قبلها).

وعلى هذا فالمطلوب ان تسود الاجواء السليمة داخل الاسرة للوصول الى تربية ناجحة، ولابد من متابعة الاولاد للوقوف عن كثب على نمط وانواع القيم الموجودة عند الاولاد، كما يلعب المستوى التعليمي للوالدين ومدى معرفتهما بالقيم الصحيحة والخاطئة اضافة الى مكانة الاسرة في المجتمع

وعلاقاتها مع الاسر الاخرى وباقي افراد المجتمع دورا بالغ الاهمية في الاكتساب القيمي للاولاد ويكون الدين والتدين هو الاصل في تنمية الاتجهات القيمية الايجابية عند الابناء.

٢- المجتمع

المجتمع بمؤسساته المختلفة واولها المدرسة التي باتت الان تلعب دورا كبيرا في التربية بسبب انشغال الآباء وعدم اكتراثهم للشأن التربوي، وتلعب عناصر الوسط التربوي من الادارة المدرسية والمعلمين وباقي الموظفين دورا كبيرا في البناء القيمي للاولاد، وينطلق التأثير بالدرجة الاولى من عامل الاقتداء خاصة وان الاولاد في المراحل المختلفة من الدراسة يتأثرون بشكل كبير بسلوك المعلمين ويقلدونهم في حركاتهم، كما ان المنهج الدراسي مهم اذ انه كلما تمت صياغته بشكل متوافق مع القيم والاخلاق والعقائد الاسلامية كان موثراً، ولهذا ظهرت (معركة المناهج الدراسية) في الآونة الاخيرة حيث انطلقت دعوات من هنا وهناك تطالب بتحديث المناهج الدراسية لكن ليس التحديث المتزامن مع التطور العلمي والتقني ولكن التحديث الذي ينظر الى الاسلام (كشيء قديم) انتهى دوره اي تجريد المناهج الدراسية من الفكر الاسلامي والقيم الاسلامية!.

ويعاني المسلمون المقيمون في غير بلادهم من مشكلة المناهج الدراسية التي تلقن الاولاد افكارا وسلوكيات وقيما غير متوافقة مع الشريعة مما يجعلهم في صراع مستمر.

ونفس الشيء يقال عن الاعلام الذي هو احد ابرز المؤسسات التربوية اذ كثيرا مايتبنى الاعلام (حتى في بلاد المسلمين) قيما سلبية كالسفور وترك الصلاة واعانة الظلمة والكذب في نقل الاخبار والوقائع مما يجعل الاولاد بحاجة الى درع حصين لمواجهة هذه الاختلالات وهذه الدرع تأتي من الاسرة والوالدين. فالاعلام سلاح ذو حدين تارة باتجاه القيم وتارة ضدها مما جعل الانسان المعاصر يعيش صراعا واضحا يفقده الشعور بالطمانينة والامن والاستقرار، فالاعلام السلبي يركز قيما سلبية خاطئة، كما انه الاكثر انتشارا واغراءً وقوة امام الاعلام الاسلامي الذي مازال في مراحله الاولى، الامرالذي يجعل دور الوالدين حازما في مسألة التوجيه نحو القيم الاسلامية والقيم السليمة.

وتلعب المؤسسات المجتمعية الاخرى كالمسجد والنوادي الثقافية والمراكز الدينية والاجتماعية دورا واضحا في البناء القيمي ويُفترض ان تؤدي مهامها في اجواء مفتوحة ومتوافقة.

هذا ويتبنى المجتمع قيما وعقائد موروثةً قد تكون سليمة أو على العكس كما هو الحال في الدول التي تتبنى القيم والافكار الرأسمالية أو الشيوعية اي القيم السلبية، ولما كان دور الاسرة فاعلا في نقل القيم فأنها اذا ما ترسخت في الطفولة عن فهم وقوة فأنها تصمد امام الضغوطات الخارجية وتبقى محافظة على فاعليتها.



ادوار اخرى

هناك ادوار اخرى للزهـراء عليهـا الـسلام مـن قبيـل دورهـا في التنميـة الشاملة والمجتمعية والذي يعـني اسـهامها عليهـا الـسلام في كـل انمـاط التنميـة فمثلا التنمية الثقافية من خلال زيادة عدد المتعلمين والمتعلمات، والاجتماعية من خلال بيان اسس التنمية الاسرية والتربوية والتكافل الاجتماعي، والتنمية السياسية من خلال ترشيد الوعي السياسي لدى الامة، وهناك الدور القانوني والحقوقي فمطالبة الزهراء عليهـا الـسلام بفـدك تعطينـا صـورة عـن الآليـات القانونيـة في المطالبـة الـتي اتبعتـها مـن قبيـل تـشكيل الـدعوى واقامـة البينـة والشهود وهذا مما يدخل في الدراسات الحقوقية.

هذا ويذهب السيد محمد باقرالحكيم رحمه الله الى ادوار اخـرى للزهـراء عليها السلام واهمها دورهـا في التكامـل الفـردي والاجتمـاعي، الامـر الـذي اسهم في اعداد الجماعة الصالحة التي كان لها دور كبير في حماية الدين وصـيانته والدفاع عنه حيث يعرّف بهذا الدور فيقول:

الدور الأول: الهوية الإنسانية التكاملية

وهو ما يمكن أن نستنبطه من نصوص القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة التى وردت عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بخصوص فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو جانب الكمال فى الهوية الإنسانية.

ان القرآن الكريم والرسالة الإسلامية أرادا أن يعطيا هذه الصورة وهذا الفهم، حول هوية المرأة فى مضمونها وموقعها فى مسيرة الحياة الإنسانية، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تؤكدان أن المرأة من حيث هويتها الإنسانية، تحظى وتتصف بهوية كاملة فى انسانيتها، ولا يوجد فيها أي جانب من جوانب النقص فى هذه الهوية، بحيث يعيق حركتها الإنسانية التكاملية. والله تبارك وتعالى اراد للإنسان فى هذه الحياة أن يقوم بواجبات ومسؤوليات كثيرة، وأعطى لهذا الإنسان حقوقا فى هذه الحياة من أجل أن يواصل مسيره إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾، ويبلغ في هذا المسير درجات الكمال الإنساني القريب من الله تعالى.

إذاً المرأة فى شخصيتها وفى هويتها هي شخصية كاملة وجسدت هذا الكمال وعبّرت عنه. وانطلاقا من هذا الفهم لشخصية المرأة فى الحياة الإنسانية، يمكن أن نقول بأن المرأة تتحمل المسؤوليات العامة فى المجتمع الإنساني، كما يتحملها الرجل على حدٍ سواء. وقد يختلف الحال فى تقسيم الأدوار، فيكون لشخص ما دور ما ولشخص آخر دور آخر وهكذا، لكن من حيث الأساس فى حركة المجتمع تكون الواجبات واجبات مشتركة، ولذلك كانت الواجبات العامة، كالصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها من الواجبات العامة، التي يؤكد الحديث الشريف على أنها أركان الإسلام، ومما قام عليها الإسلام، يتساوى فيها كل من الرجل والمرأة، فكما تجب الصلاة على الرجل تجب على المرأة ايضا، وكما وجبت الزكاة على الرجل وجبت على المرأة.

الدور الثاني: حركة التكامل الفردي

لقد أراد الله تبارك وتعالى لهذا الإنسان أن يتحرك باتجاه الكمالات المطلقة، التى يتصف بها الله سبحانه وتعالى. وبطبيعة الحال لا يمكن للإنسان أن يصل إلى ذلك الكمال المطلق، وإنما أريد له أن يتحرك باتجاه ذلك الكمال، باتجاه العلم لأجل أن يكون فى صراط العلم الإلهي الكامل، وأريد له أن يتحرك باتجاه الجود وفي طريق الإحسان والخير، وباتجاه كل ما يوصله للكمالات الإلهية من خلال الخلوص فى العبودية لله سبحانه وتعالى، كما يبيّن ذلك القرآن الكريم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

هذا الأمر هو الذي يعبر عن هذه المسيرة فى حركة الإنسان نحو التكامل، وعند ما نأتي إلى الزهراء عليها السلام نجد فيما نجد من صفاتها هذه الخصيصة، وهذا الأمر الذى أكدت عليه الآيات الشريفة التى وردت في سورة الدهر، عندما تحدّثت عن أولئك العباد الأبرار الذين وصلوا إلى أعلى

درجات التكامل، فى حركة العبودية لله تعالى، والتقوى والارتباط بالله سبحانه وتعالى، فالزهراء عليها السلام مثلت أيضا المحور فى هذه الحركة التي تحدث عنها القرآن الكريم.

هذا التحرك فى طريق التكامل هو من الأمور ذات العلاقة بدور المرأة فى الحياة، فكما أن الرجل لابد له أن يتحول فى حركته إلى عبد صالح مخلص فى عبوديته لله سبحانه وتعالى، وأن يتصف بالدرجات الكمالية العالية من التقوى والصلاح والعلم والتواضع والصبر والإحسان والجود والبذل والعطاء، إلى غير ذلك من الدرجات العالية التي دعا إليها الإسلام فى مسيرة كمالات الإنسان، وجهاد النفس والرقي نحو الله تعالى، كذلك أريد للمرأة فى أدوارها أن تسلك هذا الطريق وأن تتكامل فى هذا الجانب، لأن قابليتها فى الرقى والكمال والوصول إلى الله تعالى قابلية كاملة، ومؤهلاتها فى ذلك مؤهلات كاملة[1].

وتعليقا على ما كتبه السيد الحكيم اقول انه لابد من الاشارة الى جملة امور منها: ان التكامل الاجتماعي ينطلق من تكامل افراده من كلا الجنسين ولا يمكن ان يكون هناك اي من التكامل في هذا المضمار قاصرا على جنس واحد، وان الاسلام طالما يعتبر ان المجتمع هو مجموعة اسر فالبداية تكون من الاسرة وكان البيت الذي جمع امير المؤمنين والزهراء عليهما السلام هو نموذج الاسرة الكاملة والصالحة والتي هي مقدمة ونواة تشكيل المجتمع الصالح الذي

(١) (مجلة رسالة الثقلين عدد ٣٠).

هو هدف التربية الاسلامية.

ومن خلال التكامل الفردي يتم التمهيد للتكامل الاجتماعي ولهذا كان لابد ان تكون هناك صورة الانسان الكامل في صورة إمرأة بعد ان تعددت الصور الرجالية في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والامام علي عليه السلام ومن ثم الائمة الباقين عليهم السلام والانبياء قبلهم، وكأن هناك رسالة اسلامية تعلن ان المرأة تستطيع السير في طريق التكامل وذلك باتباع الخط الزهراوي والذي مررنا على اصوله من خلال العلم والعلاقة الطيبة والمستمرة مع الله (حتى لما ترضع اولادها أو لما تحرك الرحى) مضافا الى الحضور الفاعل في الساحة العامة بكل ابعادها الثقافية والسياسية والاجتماعية بل حتى في ساحة الحرب – اذا تطلب الامر – وواضح من خلال ذلك ان الامومة والزوجية ليست موانع ان لم تكن وسائل وامدادات نحوالتكامل لكن المشكلة ان المتعلقات القلبية كثيرة ولم تصل الكثير من النساء الى صياغة سليمة اسلامية لهذه المتعلقات!، اذ اننا نربي بناتنا على الاهتمام بالصورة والمظهر ومراعاة الادب العام والتفوق الدراسي لكن نهمل برنامج التكامل الانساني الذي ينطلق من الشعور بمعية الله وعبوديته والامتثال لأوامرِه مهما تغير الزمان والمكان.

ولكي يشق الانسان – الذكر والانثى – طريقه نحو التكامل لابد ان يعتمد على آليات وسبل كي يحقق المطلوب عبر توفير الحاجات الانسانية لهذا الطريق من قبيل الحاجات المادية التي تساعد على صيانة وجوده ونشاطه

وفعاليته في المجتمع اضافة الى تربية العقل وتهذيب الوجدان وتنمية مواهبه، كما ولابد ان يكون هناك اهتمام ورعاية للقيم والفضائل الانسانية وتخليص الروح والنفس من الرذائل كي لا يعيش الانسان نزعته المادية فقط فيهمل الجانب المعنوي الذي هو اساس تكامله.

انه يمكن النظر الى التكامل على انه يشمل الجانب الفردي والاجتماعي ويُنظر الى التكامل على انه وراء تحقيق الفرد لقيمه واهدافه التي يؤمن بها على صعيد الفرد والمجتمع بتعبير آخر ان التكامل هو حركة نحو تدعيم الخلافة الربانية ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والخلافة تعني اعمار الكون اجتماعيا وطبيعيا ودينيا وبالتالي هو سوق للمجتمع والفرد نحو ترشيد التوحيد سواء اكان التكامل على مستوى الذات أو النفس أو الفرد أو على مستوى المجتمع، وقد اعتمد آل البيت عليهم السلام ومنهم الزهراء عليها السلام على منهجية معينة لتوجيه الانسان نحو تكامله منها تقديم نموذج الانسان الكامل الذي تجلى في شخوصهم فهم القدوة الكاملة ومن خلال التربية العملية للافراد كما في تربية الزهراء عليها السلام لاولادها ولخادمتها فضة أو في نموذج التربية الصامتة التي هي للجميع، ولعل من اهم الامور هو النظر بعين الله وتحديد الهدف والغاية بأن تكون الى الله ومعه تعالى وفي كل عمل وكل فكر، والتأكيد على النوايا الصالحة والصبر على المصاعب، ولم يهمل الاسلام عملية توجيه الغرائز والميول بل اهتم بتصريفها بشكل متوازن فهو في الوقت الذي لم يهمل الاهداف السامية للغرائز كغريزة الجنس في ادامة النسل وضع

لها ضوابط لتنظيم التصريف السليم لا الكبت ولا ننسى ان التكامل يجب ان ينطلق من ابعاده المتعددة الذاتية والاسرية والاجتماعية ولابد من رعاية كل هذه التشعبات، فلا يمكن ان يكون شخص ما متكاملا في مسيرته الذاتية ولكنه متعثرٌ في علاقته باسرتهِ أو مجتمعه!! بل التكامل يمرُّ على كل المحطات (خيركم خيركم لنسائه).

ورد أنّ سعد بن معاذ وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفّي، فمشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازته دون حذاء أو رداء، ونزل في قبره، وسجّاه في لحده، واهتمّ به، فلمّا رأت أمّ سعد ذلك قالت: يا سعد، هنيئاً لك الجنّة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يا أمّ سعد مه، لا تجزمي على ربّك، فإنّ سعداً قد أصابته ضمّة. ولّما سئل رسول الله عن ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم، إنّه كان في خلقه مع أهله سوء"(١).

وبهذا فالرجل المتكامل يعيش هذا السلوك الكامل مع ذاته واسرته ومجتمعه وكذلك المرأة المتكاملة تصون هذه العلائق الثلاث، وقد فشلت الاطروحات المعاصرة التي رسمت للمرأة طريقا (للتكامل) لا يمر بالبيت أو الاسرة اذ تعتبر المرأة كائنا مجردا وهو ما افرز جملة متناقضات ادت الى التمرد على اساس الفكر النسوي.. كما ان ايجاد الموازنة بين اطراف التكامل الثلاث يؤدي الى تحقيق السواء في الشخصية والاتزان النفسي الذي هو مطلب مُلِحٌّ

(١) (الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٤٦٨).

في الوقت المعاصر مع تزايد الضغوطات والاضطرابات، فلا افراط ولاتفريط بمعنى اني لا ابدد طاقتي الاجتماعية بحجة انشغالي المطلق بنفسي أو اسرتي والعكس صحيح.

على هذا فان للزهراء عليها السلام دورها الخاص في تكامل المجتمع وتكامل الانسان وتكامل المرأة.

فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين

عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأرض أربعة خطوط قال: تدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم: فقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم إمرأة فرعون، ومريم بنت عمران[١].

وعن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، قالت: فأين مريم بنت عمران؟ قال لها: أي بنيه تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء العالمين عليها السلام[٢].

وعن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني

---

(١) (مسند احمد ج ١ | ٢٩٣، رواه مثله في الاسيتعاب: ٤ | ٣٧٦، ومستدرك الحاكم: ٢ | ٤٩٧، وج ٣ | ١٦٠ من طريقين والإصابة: ٤ | ٣٧٨ وأسد الغابة: ٥ | ٤٣٧، والبداية والنهاية: ٢ | ٦٠، وذخائر العقبى: ٤٢).

(٢) (حلية الأولياء ٢|٤٢، ذخائر العقبى: ٤٣).

عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فاطمة أنها سيدة نساء العالمين، أهي سيدة نساء عالمها؟ فقال: ذاك لمريم كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين[١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: إنها سيدة نساء العالمين، وإنها عديلة مريم بنت عمران، وإنها إذا مرت في الموقف نادى مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وهذا من الأحاديث الصحيحة[٢].

وقال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[٣].

وجاء في لسان العرب... قيل في قوله عز وجل: (وسيداً وحصوراً)، السيد: الذي يفوق في الخير.

وفي مفردات القرآن ان السيد: المتولي للسواد، أي: الجماعة الكثيرة، وينسب إلى ذلك فيقال: سيد القوم، ولا يقال: سيد الثوب، وسيد الفرس، ويقال: ساد القوم يسودهم، ولما كان من شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس قيل لكل من كان فاضلا في نفسه سيد. (الراغب الاصفهاني حرف السين).

---

(١) معاني الأخبار ص ١٠٧.

(٢) (شرح النهج: ج٩، ص١١٩).

(٣) (صحيح البخاري بشرح الكرماني، ج: ١٥، ص: ٤. وأمالي الصدوق، ص: ١٨٧. وبحار الأنوار، ج٢١، باب: ٢٧، ص: ١٤٢، رواية: ٥. ومسند الإمام أحمد، ج: ٣، ص: ٤٩٨، وج: ٦، ص: ٥٤٢).

ان السيد هو اكمل قومه في الفضائل والاعتبارات والملكات والقيم التي يحملها ولو كان الامر غير ذلك لانتفت سيادته اذ كيف يسود قوما يكون فيهم من هو افضل منه!، وبهذا تكون الزهراء عليها السلام افضل نساء الامة وقد جمعت كل الكمالات الانسانية، وهي نموذج نساء اهل الجنة الذي عاش في الارض دهرا ليعطي نموذج الانسان الذي يخلد في الجنة من خلال اعماله وصفاته.

روى المجلسي رحمه الله قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون: يا فاطمة ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وكما ان سيادة شباب اهل الجنة هي على كلا الجنسين كذلك سيادة نساء العالمين هي مطلقة وعامة ولكلا الجنسين، فالتعريف بالسيدة الزهراء على انها سيدة نساء العالمين لا يراد منه بيان مقامها للنساء فقط فهي قدوة الرجال والنساء على مر العصور والدهور بل هي القدوة الخالدة ونموذج الانسان الكامل الذي يحتاجه كل انسان كي يقتدي به. كما هو في المثال الذي ضربه تعالى للذين آمنو:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا إمرأة فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ

(١) (البحار: ج٤٣، ص٤٩).

بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ التحريم.

وعن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل: " ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله، من الجن والانس والطير والوحش والأنبياء والملائكة "[1].

والزهراء والسيدة مريم عليهما السلام هما السيدتان المعصومتان بين كل نساء الارض، على هذا فهما افضل النساء وخير النساء، وقد اورد علماؤنا قراءات كثيرة في من هي الافضل بينهما وجلها تشير الى افضلية الزهراء عليها السلام على مريم عليها السلام، واستدلوا على ذلك من جملة امور منها ان هذه الامة هي خير امة اخرجت للناس فكل مافيها افضل من غيرها، وقال العلامة المجاهد السيد شرف الدين رحمه الله:

تفضيلها على مريم عليها السلام أمر مفروغ عنه عند أئمة العترة الطاهرة وأوليائهم من الإمامية وغيرهم، وصرح بأفضليتها على سائر النساء حتى السيدة مريم كثير من محققي أهل السنة والجماعة كالتقي السبكي، والجلال السيوطي، والبدر، والزركشي، والتقي المقريزي، وابن أبي داود وغيرهم.

والسؤال هنا اننا قد مررنا على اسماء والقاب كثيرة في عالم الرجال فهناك

---

(١) (دلائل الإمامة: ٢٨).

نبي وامام ورسول ومعصوم وسيد شباب اهل الجنة فهل نحتاج الى إمرأة بهذا اللقب؟ ان الناس دائماً وأبداً بحاجة الى التعريف بالاشخاص.. فمن هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ نقول هو رسول الله ونبيه وخاتم الانبياء وسيد المرسلين وسيد البشر وهذا عامل توجيه وجذب وتنبيه الى المنزلة السامية له والمكانة العظيمة التي يمتلكها مما يجعلنا نتعامل بأدبٍ واحترام فلا نذكره دون الصلاة عليه ولا نرضى بإهانة ساحته المقدسة، ونحن كبشر عاديين نسعى للاقتداء بالانسان الكامل الذي نرى في صورته العظيمة ومناقبه الكريمة ما يدلنا على ذلك، وقد لا نهتدي اليه بسهولة فنحتاج الى اعانة وتلميح وتعريف، فالتعريف بمنزلة الاشخاص عن طريق الالقاب والكنى يساعد على جذب الانتباه وعلى رسم الصورة السامية لهم عند الاجيال الحاضرة والقادمة، ونحن نرى في تسمياتنا الحديثة ان هذا امير للشعراء وذاك عميد المنبر وذاك ابو الكرة.. كلها اسماء والقاب يراد منها طرح النموذج الافضل والاحسن والتعريف بشخوصهم.

ويأتي بيان سيادة الزهراء عليها السلام على نساء العالمين رغم انها المرأة الزاهدة التي ليس في لباسها أو مظهرها مايشير الى الرفعة أو التميز عن باقي النساء.. وهذا تأديب لنا كي نعرف آليات التقييم الصحيح التي لا تقوم على اساس الصورة أو المظهر أو خزائن المال أو اي من الاعتبارات الدنيوية بل الميزان على ما يمتلكه الانسان من الفضائل الانسانية وعلى مالديه من علم ومعرفة وخلق وتسامٍ ومايقدمه من خدمة للاخرين.

ولأنها عليها السلام سيدة نساء اهل الجنة فهي عملية ربط بالاخرة لتعليم الانسان - بصورتيه- ان الاعتبارات الاخروية هي نفسها في الدنيا ولا تقوم على الصور والاجساد والهياكل البشرية، وانما على الاعمال والفضائل وان الدنيا مزرعة الاخرة.

وحينما تمر امام اعيننا صورة الزهراء عليها السلام نعرف ان طريق الكمال لابد ان يكون مسايرا للحشمة والعفة ولهذا مهما طرح الغرب من نماذج انحدارية فهي حالة مؤقتة طارئة لأن الاصل هو الستر والعفاف وهو ماتريده فطرة الانسان التي لن تتغير مهما تغير الزمان.

(وعليه، فأن تكون فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، معناه أنها استجمعت في عقلها وقلبها وفضائلها كل عقل وقلب وفضائل نساء أهل الجنة، بل وتفوّقت عليهنّ في ذلك).

ان اللقب الحسن يترك اثره على الطرف المقابل وقد استعمل القرآن الكريم الكثير من الالقاب لبيان المنزلة من جهة وهو ايضا اسلوب تربوي يدعو الى الاقتداء بصاحب اللقب، قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) ﴾ سورة آل عمران.

واطلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على سلمان الفارسي لقب المحمدي وانما اراد بذلك نبذ التفرقة الجاهلية القائمة على التمييز والعنصرية

من جهة ولبيان مكانة سلمان رضي الله عنه العالية عند اهل البيت عليهم السلام، ونفس هذه الالقاب نجدها فيما نسب اليه صلى الله عليه وآله وسلم في ان الحسنين عليهما السلام هما سيدا شباب اهل الجنة واراد صلى الله عليه وآله وسلم من خلال ذلك ان يعرفنا بصورة خالدة عن سمات اهل الجنة وانهم من الشباب، ولكي تواصل الامة الاقتداء بهم ونصرهم طلبا للجنة، وبهذا تكون الالقاب والكنى والاسماء داخلة ضمن التربية الصامتة التي تساهم في تقريب القدوة الحسنة من الناس، ومن المؤكد اني – كانسان مسلم – احب الاقتداء بسيدي شباب اهل الجنة وبسيدة نساء العالمين عليهم افضل الصلاة والسلام.

ويبدو ان معركة الالقاب مستمرة فأن الروايات حول سيدات نساء العالمين تارة تختزل الى اثنتين هما مريم وآسية وتارة ثلاث ورابعة يتم ادخال اخريات بتشبيه التفضيل على النساء كفضل الثريد!! وهذا يعكس لنا اهمية صيانة الالقاب لمستحقيها وان منح اللقب هو وسام يتقلده صاحبه لكي يعرف الآخرون مآثره.

وفي المقابل نجد ان هناك نهيا قرآنيا عن التنابز بالالقاب لما يؤدي اليه من اسقاط للشخصية اجتماعيا ونفسيا وتربويا بل قد يكون سببا لهجر وتدمير الشخصية نفسها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ

وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١١) الحجرات.

وقد لعبت التسميات دورا مهما في العبث بالتاريخ اذ اطلق حكام السوء على انفسهم لقب ولاة الامر أو يد الله أو (امير المؤمنين) أو يطلقون على زوجاتهم لقب (ام المؤمنين) الى غير ذلك كي يضفوا على انفسهم حالة من القدسية تكون عونا لهم للبقاء على كراسي الحكم غارقين في الملذات ومنتهكين للحرمات وعابثين بثروات المسلمين مستحلين لارواحهم وذممهم!!.

ان هناك نوعين من الذات هما الذات المثالية وهو مايريد الفرد ان يصل اليه، والذات الواقعية التي هي الصورة التي نحن عليها الآن، فما اجمل ان تكون الذات المثالية لنا هي صورة سيدة نساء العالمين عليها السلام بكل ما في هذه الصورة من معانٍ وقيم.

ومادمنا مررنا على السيدة مريم عليها السلام فلا بأس من بيان بعض الامور:

ان كلتا الاثنتين (السيدة الزهراء ومريم عليهما السلام عاشتا الاصطفاء الالهي قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾ آل عمران.

فكما أن الله تعالى اهتم بمريم وأنبتها نباتاً حسنا فكذلك جاءت العناية

الملكوتية بالزهراء لتكون نفسا اقدس من مريم كما مر بنا في ولادتها اذ حضرتها مريم عليها السلام نفسها لتكون عونا لأمِّها في ذلك.

ومريم عليها السلام كفلها نبي هو زكريا عليه السلام ليس في مرتبة الرسول الخاتم سيد الانبياء والمرسلين وخير البشر وحبيب رب العالمين، وكل هذه العناية كي يولد عيسى عليه السلام الذي يصلي خلف المهدي عليه السلام ما يعني افضلية المهدي عليه فكيف بالزهراء التي كان من نسلها احد عشر اماما اخرهم مهدي هذه الامة؟!.

كما ان الابتلاء والمحن التي مرت على مريم عليها السلام كانت محدودة فما لاقته الزهراء اعظم بكثير، اذ واكبت أَلَم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة منذ البداية حتى الرحيل، كما ان الزهراء عليها السلام هي صاحبة الشفاعة الكبرى وليست هناك إمرأة تمتلك هذا المقام ففي الحديث:

في تفسير فرات... فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله عزّ وجلِّ: يا بنت حبيبي، ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟ فتقول: يا رب! أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة. قال أبو جعفر عليه السلام: والله.. يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء. فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا فيقول الله عز وجل: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفّعْتُ فيكم فاطمة بنت حبيبي؟

فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم؛ فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حب فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنة. قال أبو جعفر عليه السلام: والله.. لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات، نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ فيقولون: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[(١)].

كما ان الارض تزدهر بنور المصطفى من خلال ذريته الكريمة في الائمة الاثني عشر وآخرهم الامام المنتظر عجل الله فرجه الذي سيقود الثورة التي تقلب الموزاين وتطهر الارض من الشرك ويؤسس لدولة الحق التي بقيت أملاً يداعب عيون الموالين والموحدين، في حين تغيب ذرية مريم عليها السلام فالمسيح عليه السلام لم يتزوج وليس له ذرية وهو يصلي خلف ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت الزهراء عليها السلام هي كوثرها الكثير.

كما ان السيدة الزهراء عليها السلام تميزت بادوارها المهمة والخطيرة في الحياة العامة والخاصة، وقلنا سابقا ان ادوارها تاسيسة جديدة ممتدة وهي

---

(١) (الأسرار الفاطمية / محمد فاضل المسعودي، وشبيه له في علل الشرائع ١٩٧: ١).

الحجر الاساس الذي ننطلق منه لفهم التصور الاسلامي عن الانسان والمرأة، ولأن ادوارها ممتدة التأثير – حتى الظهور– فهي توظف المرأة والرجل على حد سواء ليكونا مدافعين عن الولاية والامامة ومطلوب منهما النصرة قبل وابان وبعد الظهور، ونجد في الروايات ان مع الحجة خمسين إمرأة ضمن الـ٣١٣ كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام[١].

وفي حديث جابر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت لِمَ سميت فاطمة، زهراء فقال: لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين وقالوا إلهنا وسيدنا ما هذا النور فأوحى الله إليهم هذا نور من نوري أسكنته في سمائي من عظمتي أخرجه من صلب نبي من أنبيائي أفضله على جميع الأنبياء واخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري يهدون إلى حقي واجعلهم خلفائي في ارضي بعد انقضاء وحيي.

وقد كانت حياة مريم عليها السلام رهبنة منقطعة الى الله تعالى ولم يكن لها تعاطٍ مع المجتمع الا في حدود ضيقة في حين ان الزهراء عليها السلام كانت حياتها كلها جهاداً وحركة دائبة مستمرة الى الله من اجل نصرة الدين حتى راحت شهيدة مظلومة.

وقد ذكرنا سابقا ان مريم كانت متفرغة للعبادة وكان يأتيها رزقها في حين ان الزهراء عليها السلام كانت حياتها كلها عبادة لكنها وسعت المجتمع

(١) (البحار: ٥٢/ ٢٢٣).

بأسره مع خواء البطن وقلة ذات اليد..

عن الإمام الصادق عليه السلام: هي فاطمة الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى[1].

وقد آثرت ان اعرّف بمقامات الزهراء عليها السلام لاتمام الفائدة وهي:

أ- مقامها عند الله تعالى

ب - مقامها عند الملائكة

ج - مقامها عند الأنبياء والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

د - مقامها عند الأئمة عليهم السلام

هـ - مقامها يوم القيامة.

١ - مقامها عليها السلام عند الله تعالى

إنّ من المقامات التي خصت بها فاطمة الزهراء عليها السلام هو مقام الرضا أي ان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها.. وهذا مما يدل على كونها ذات مقام عالٍ وشريف وسامٍ لها عند الله تعالى: إذ لا معنى ان يرضى الله لشخص من دون أن يكون له عند الله منزلةٌ وكرامةٌ عليه.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " يا فاطمة ان الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك "[2].

---

(١) امالي الطوسي، ج٢، ص٢٨٠.

(٢) المناقب: ٣ | ١٠٦).

٢ - مقامها عليها السلام عند الملائكة

في حديث طويل.. "... فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا لمن هذا النور الزاهر، الذي قد أشرقت به السموات والأرض؟ فأوحى الله إليها: هذا نور اخترعته من نور جلالي لأمتي فاطمة ابنة حبيبي، وزوجة وليّي وأخي نبيّي وأبي حججي على عبادي، أُشهدكم ملائكتي أنّي قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها ومحبيها إلى يوم القيامة.

وهذا يعني انها عليها السلام لها مقام النور الزاهر عند الملائكة فهم يعرفونها في السماء بالنور الزاهر الذي أزهرت السماوات والأرض به ولأجل ذلك سميت بالزهراء.

٣ - مقامها عليها السلام عند الأنبياء والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

أما عند الأنبياء فهذا ما يدل عليه الحديث المأثور عن أهل بيت العصمة عليهم السلام الذي يقول: ما تكاملت نبوة نبي من الأنبياء حتى أقرّ بفضلها ومحبتها وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى، حيث يظهر من هذا الحديث ان لها مقاماً سامياً عند الأنبياء لأنه ما تكاملت نبوتهم حتى أقروا بمنزلتها ومقامها وفضلها.

٤ - مقامهاعليها السلام عند الأئمة عليهم السلام

ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال:

"نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا.

وهذا الحديث من الأحاديث العظيمة الذي أعطى لفاطمة عليها السلام وعلى لسان حفيدها الحسن العسكري عليه السلام أكبر شهادة عظمى بحقها.

عن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أنه قال: " وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي أسوة حسنة... "[١].

٥ - مقامها عليها السلام يوم القيامة

إن أفضل مقام تعطى فاطمة عليها السلام يوم القيامة هو مقام الشفاعة الكبرى والذي من خلال هذه المنزلة يظهر قدر ومقام فاطمة عند الله تعالى يوم القيامة وأمام الخلائق جميعاً، فلقد ورد في تفسير فرات... فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله عزّ وجلّ: يا بنت حبيبي، ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟

فتقول: يا رب! أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة.

قال أبو جعفر عليه السلام - والله - يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء. فاذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا فيقول الله عز وجل:

(١) (البحار: ٥٣ | ١٧٩ و١٨٠، الاحتجاج: ٢ | ٢٧٧).

يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفَّعْتُ فيكم فاطمة بنت حبيبي؟

فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم؛ فيقول الله: يا أحبائي

ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حب فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنة[1].

(١) (بتصرف المسعودي، الاسرار الفاطمية ص٩٧- ١٠٨).

كلمة اخيرة

لقد حاولت في هذه السطور المتواضعة ان أُعيد قراءة سيرة الزهراء عليها السلام من زاوية اجتماعية.

بالشكل الذي يمكن ان يوصلنا الى فهم معاصر لهذه الشخصية العظيمة، وفي النفس امنية في ان لا تتحول السيرة الى مجرد ترف فكري نتباهى به أو حشو ذهني عاجز عن الولوج الى ساحة التطبيق العملي من باب الاقتداء بها، فالمطلوب هو الاعانة على السير العملي نحو هذه الصورة العظيمة التي يقول عنها صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف:

وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي اسوة حسنة[1].

فاذا كان هذا هو قول الامام المعصوم فما نقول نحن؟ فحجية الزهراء على النساء اعظم بكثير من حجيتها على عموم المؤمنين!!.

وعلى هذا فنحن نحتاج الى آليات متعددة لزيادة الفهم والاقتداء منها:

١ - ادراج سيرتها عليها السلام في مناهج التدريس وفي كافة المراحل

(١) (البحار ج٥٣ ص١٧٩ ١٨٠).

الدراسية بما يتناسب مع مستوى الفهم والادراك على ان تراعى في ذلك مضافا الى الصدق والمصداقية الاستفادة من آليات العصرنة لتحقيق اكبر قدر من الجذب نحو هذه الصورة الانسانية العظمى شريطة ان لا يتم التجزيء اي طرح النموذج للنساء فقط فالعمومية مطلوبة والوقوف عند الخصوصيات امر في غاية الاهمية لقلة النماذج العليا في هذا الجانب.

٢-الاهتمام بالخط الزهراوي من خلال دراسة سيرة المجاهدات والشهيدات والكاتبات والناشطات المسلمات بما يمكن ان يطرح وعيا جديدا للصورة المعاصرة للزهراء عليها السلام.

٣-تفعيل دور النخب النسوية في المجتمع، والاهتمام بنشر الوعي الثقافي خاصة فيما يرتبط بفهم المرأة المسلمة لأمور الدين ومكانتها ودورها في الشريعة. ونحتاج الى تطوير الاداء النسوي أو بالاحرى الدخول الى قضايا المرأة من ابعادها المختلفة فما زلنا نتعثر في امور الفقه والنص والواجب والمسؤولية ويجب ان يتم الامر بعيدا عن التطرف والانفعالية التي تتسم بها اكثر الكتابات.

٤-تبدو المرأة المسلمة المعاصرة بحاجة الى اعادة النظر في صياغة الذات على اساس ما أقرته الشريعة بعيدا عن الافراط والتفريط، كما انها بحاجة الى دراسة التيارات والرؤى العالمية المطروحة عن المرأة كي تصل الى فهم اعمق واصوب للدين، ولنجعل من الخط الزهراوي الذي هو خط الاستقامة الذي يحاذي الوسطية منهجا في الحياة.

وواحدة من كبريات اخطائنا اننا حجمنا اهل البيت عليهم السلام في دائرة ضيقة هي دائرة المذهب فجعلنا الحسين عليه السلام شهيد المذهب ورجل حريته في حين انه شهيد الانسانية والمدافع العالمي عن الحرية والكرامة والانسانية، وهذا التضييق يجعل شخصية الزهراء عليها السلام تُطرح ضمن اطار محدود الصورة والتأثير، ولهذا فالنجاح كل النجاح لما نجعلها في محلها اي سيدة نساء العالمين ونقوي من عوامل الجذب نحو هذه الصورة المقدسة لكل البشرية.

اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار، لجعلتهم شفعائي، فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك، أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم، وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنك أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وسلم تسليما كثيرا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة، دار التعارف للمطبوعات؛ لبنان.

٣- الامام علي بن الحسين عليه السلام، رسالة الحقوق.

المعاجم

٤- ابراهيم انيس ورفقاؤه، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

٥- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين ابوعمرو، دار الفكر ط٢ ١٩٩٨.

٦- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٣م

٧- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م.

٨- الحموي، ياقوت، معجم البلدان طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٩- الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠- المعجم الوجيز، اصدارات مجمع اللغة العربية الخاص بوزارة التربية والتعليم، ١٩٩٤م، مصر.

١١- إبن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، سنة ١٩٨٣م.

١٢- ابن الاثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ هـ.

١٣- ابن الجوزي، سبط، تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٤- ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة تاريخ ابن خلدون، دار ابن الهيثم، ط١، ٢٠٠٩ بيروت، لبنان.

١٥- ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر، ط١ سنة ١٤١٠هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦- ابن شهراشوب، محمّد بن علي المازندراني، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢، عام ١٩٩١م.

١٧- ابن طاووس، علي بن موسي الحلّي، اللهوف على قتلى الطفوف، دار التيار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٩٢م.

١٨- ابن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٩٩٤.

١٩- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٠- ابن عساكر الدمشقي، علي بن الحسن، تاريخ دمشق تحقيق: علي شيري، دار الفكر، ط١، بيروت، لبنان ١٤١٥هـ.

٢١- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (المتوفى٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، ج١، تحقيق: محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.

٢٢- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٣- ابن قتيبة، عيون الأخبار، ط سنة ١٣٨٣ هـ، المؤسسة المصرية العامة.

٢٤- ابن كثير، اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق احمد ابو معلم، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م، لبنان.

٢٥- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٢٦- ابن كثير، جامع الاسانيد والسنن، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان٢٠٠٦.

٢٧- ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

٢٨- ابن هشام، سيرة ابن هشام، تحقيق طه سعد، ط سنة ١٤١١ هـ، دار الجيل، بيروت.

٢٩- ابو الحسين، ورام بن ابي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٩٩٥م.

٣٠- ابو داوود، سليمان بن اشعث السجستاني الازدي، سنن ابي داوود، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣١- ابو علم، توفيق، أهل البيت عليهم السلام، مكتبة الإرشاد، /١٩٨٢م، لبنان.

٣٢- ابو علم، توفيق، فاطمة الزهراء، دار المعارف، ط١، ١٩٩٨م.

٣٣- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله، فضائل الصحابة تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٣٤- احمد بن حنبل، مسند احمد، عالم الكتب، ١٩٩٨بيروت، لبنان.

٣٥- الاديب، دور ائمة اهل البيت في الحياة السياسية، دار التعارف، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٣٦- الاربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الائمة، دار الاضواء، بيروت ط٢، ١٤٠٥هـ.

٣٧- الأزرقي، أبو الوليد محمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، دار الشعاع للنشر، ط١، ٢٠٠٧م.

٣٨- الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، دار المعرفة للطباعة، والنشر، ٢٠٠٥م، ط١.

٣٩- الاصفهاني، ابو نعيم، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، م٢٠٠١.

٤٠- الراغب الصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ.

٤١- الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٤٢- الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم، ط٣، طهران، ١٣٦٠ هـ.

٤٣- الاميني، إبراهيم، فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام، ترجمة: علي جمال الحسيني، طهران.

٤٤- الاميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والادب، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ١٣٩٧هـ.

٤٥- البحراني، عبد الله، عوالم العلوم والمعارف والاحوال، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢ هـ.

٤٦- البحراني، عوالم الزهراء عليها السلام، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم.

٤٧- البحراني، هاشم، تفسير البرهان، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، لبنان.

٤٨- البخاري، ابو عبد الله، صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨.

٤٩-البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٤٠١هـ.

٥٠-البدري، سامي، السيرة النبوية، ط٢، سنة ١٤٢٣ هـ، دار طور سينين للطباعة والنشر، بغداد، العراق.

٥١- البرقي، أحمد بن محمّد (م ٢٨٠ ق)، المحاسن، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، ١٤١٣ هـ، ط١، قم.

٥٢- البصري، ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت لبنان، ١٩٩٦.

٥٣- البلاذري، أحمد بن علي بن جابر (ق ٣) أنساب الأشراف، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف، بيروت، ١٣٩٧ هـ.

٥٤-البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مؤسسة المعارف بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٥٥-البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة تحقيق: عبد المعطي امين قلعجي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٠٥.

٥٦-البيهقي، ابو بكر احمد بن حسين بن علي بن عبد الله بن موسي، السنن الكبرى دار الحديث، بيروت، لبنان، ط١، عام٢٠٠٨.

٥٧- التستري، نور الله ابن السيّد محمّد شريف الدين بن نور الله الحسيني، إحقاق الحق، مكتبة السيد المرعشي، قم، ايران.

٥٨- التميمي، أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، تحقيق حسين سليم أسد، ط ٢، ١٩٨٩.

٥٩- التويسركاني، حسين، مسند فاطمة الزهراء، مراجعة محمد الحسيني الجلالي، ط١، دار الصفوة،، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ.

٦٠-الترمذي، سيرة ابن هشام، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، لبنان ١٤١٠ ٥.

٦١-الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح أو سنن الترمذي، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت، ٢٠١١، لبنان.

٦٢- الجزري، ابن الأثير علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض وعادل احمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٣-الجزري الشافعي الدمشقي، شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد، اسمى المناقب في تهذيب اسنى المطالب تصحيح الشيخ المحمودي، الدار الاسلامية، بيروت، لبنان.

٦٤-الحافظ القندوزي، سليمان، ينابيع المودة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

٦٥-الحاكم الحسكاني، أبو عبد الله، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، مؤسسة الأعلمي، ط سنة ١٣٩٣ هـ، بيروت، لبنان.

٦٦-الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن البيع، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٠٠٨.

٦٧-الحر العاملي، وسائل الشيعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط. ١٤٠٤.

٦٨-الحراني، ابن شعبة، ابو محمد الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٧٤.

٦٩-الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٦ هـ، لبنان.

٧٠-الحسني، سيرة المصطفى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت١٩٩٦.

٧١-الحكيم، محمد باقر، فاطمة الزهراء عليها السلام، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، العراق، ٢٠٠٦.

٧٢-الحكيم، محمد باقر، دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، المجمع العالمي لاهل البيت، ط٢سنة ١٤٢٥.

٧٣-الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠.

٧٤- العلامة الحلي، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن علي بن مُطهّر الأسدي، تحرير الأحكام، مؤسسة الإمام الصادق، قم، إيران، ط١، ١٤٢٠هـ.

٧٥-الحلو، محمد علي، مقامات فاطمة الزهراء في الكتاب والستة، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ لبنان، ٢٠١١.

٧٦- الحمويني، محمد بن ابراهيم جويني، فرائد السمطين، مؤسسة المحمودي، بيروت، ط١ ٢٠٠٨.

٧٧- الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي، تفسير الثقلين، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠١.

٧٨- الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، ط١ بيروت، لبنان سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٧٩- الخوارزمي، الموفق بن احمد المكي، مقتل الحسين (عليه السلام)، دار انوار الهدى، قم، ايران.

٨٠- الخوارزمي، الموفق بن احمد المكي، المناقب، مؤسسة النشر الأسلامي، قم، ايران.

٨١-الدارقطني، ابو الحسن علي بن عمر، سنن الدار قطني، تحقيق: ابو الطيب محمد آبادي، عالم الكتب، ط٤، بيروت، لبنان ١٤٠٦هـ.

٨٢- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، دارالمحاسن، القاهرة، تحقيق عبد الله هاشم اليماني ١٣٨٦ هـ.

٨٣- الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، منشورات الشريف الرضي، قم، ايران.

٨٤- الذهبي، شمس الدين، تذكرة الحفاظ، تحقيق عميرات، ط ١ سنة ١٩٩٨ م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٥- الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ٢٠١٠.

٨٦- الذهبي، المغازي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٨٧-الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨١.

٨٨-الرازي، عبد الرحمن بن ابي حاتم، الجرح والتعديل، دار احياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٩٨٨.

٨٩- الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم ط١، سنة ١٤٠٩.

٩٠-الراوندي، قطب الدين ابو الحسين سعيد بن هبة الله، الدعوات، مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قم، ايران.
٩١- الراوندي، فضل الله بن علي، النوادر، تحقيق: سعيد رضا عسكري، دار الحديث، قم، ط١، ١٩٩٩
٩٢- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، الدار الاسلامية للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥. ١٤٠٣ هـ.
٩٣- الزنجاني الخوئيني، إسماعيل الأنصاري، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، منشورات دليل ما، ط١، قم، ١٤٢٨.
٩٤- سليم بن قيس، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.
٩٥-السرخسي، شمس الدين، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٤٠٦ هـ.
٩٦- آل سيف، فوزي، الحياة الشخصية عند أهل البيت، دار محبي (موقع الشيخ فوزي آل سيف).
٩٧-السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، ط١، بيروت لبنان ١٤١٤ه.
٩٨-السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير في احاديث البشير النذير، دار الفكر، ط١ بيروت لبنان، ١٤٠١.
٩٩- السيوطي، جامع الاحاديث، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٨.
١٠٠- السيوطي، مسند فاطمة الزهراء، دار ابن حزم، ١٩٩٤، بيروت، لبنان.
١٠١- السبحاني، جعفر، سيرة سيد المرسلين، دار الاضواء للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ٢٠٠٣.
١٠٢-د. شريعتي، علي، فاطمة هي فاطمة، ترجمة وتحقيق خليل علي ومحمد حسين بزي، دار الأمير للثقافة والعلوم، ٢٠٠٧.
١٠٣-الشلبي، محمود، حياة فاطمة، ط٣، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ.
١٠٤-الشافعي، ابن المغازلي، علي بن محمد بن محمد بن الطيب، مناقب الإمام علي

عليه السلام مناقب أمير المؤمنين عليه السلام تحقيق وتعليق: محمد باقر البهبودي. دار الأضواء، بيروت، لبنان سنة الطبع: ١٤٢٤ هـ.

١٠٥-الشافعي، كمال الدين بن محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية، مؤسسة أم القرى، ١٤٢٠ هـ.

١٠٦-الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.

١٠٧- الشيرازي، ناصر مكارم، الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

١٠٨-الصدر، محمد باقر، فدك في التاريخ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان ١٤١٠هـ.

١٠٩- الصدوق، إبن موسى بن بابويه القمي، الامالي، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم ١٤١٧هـ، ط١، ايران.

١١٠- الصدوق، إكمال الدين وتمام النعمة، ط ١٤٠٥ق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

١١١- الصدوق، الخصال: ٥٨ تحقيق: علي أكبر غفاري، بيروت، مؤسّسة الأعلمي، ١٤١٠هـ، ط١.

١١٢- الصدوق، ثواب الأعمال، منشورات الشريف الرضي، قم.

١١٣- الصدوق، علل الشرايع، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥هـ ١٩٩٦م.

١١٤- الصدوق، عيون اخبار الرضا، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٠٤ هـ.

١١٥-الصدوق، معاني الاخبار، مؤسسة النشر الأسلامي، قم.

١١٦- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥.

١١٧- الصفار، ابوجعفر محمد بن الحسن، بصائر الدرجات كتاب في فضائل آل محمد عليهم السلام، الأعلمي، طهران، ايران، ١٤٠٤ه.

١١٨-الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي،

ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦.
١١٩- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٩٩.
١٢٠- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٩٤.
١٢١ -الطبرسي، رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل، مكارم الاخلاق، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٢
١٢٢-الطبرسي، ابوعلي فضل بن الحسن، مجمع البيان، سنة ١٣٧٩ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، وط العرفان صيدا، لبنان.
١٢٣-الطبرسي، ابو منصور احمد بن علي، الاحتجاج على اهل اللجاج، تحقيق: ابراهيم البهادري، دار الاسوة، ١٤١٣، ط١.
١٢٤-الطبري، ابن جرير، دلائل الإمامة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، سنة ١٩٨٨.
١٢٥-الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
١٢٦-الطبري، ابو جعفر محمد، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان ١٩٨٧.
١٢٧-الطبري، عماد الدين أبو جعفر محمد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ايران.
١٢٨- الطبري، أحمد الشهير بالمحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
١٢٩-الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، تهذيب الاحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، تحقيق: محمد جواد الفقيه ويوسف البقاعي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٢.

١٣٠-الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، الطبعة رقم ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ٢٠٠٥.

١٣١-الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.

١٣٢-الطوسي، الامالي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤.

١٣٣-الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، أوصاف الأشراف-دروس في السير والسلوك، الطبعة١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.

١٣٤- العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الامام علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ.

١٣٥-العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، دار الهادي، ط٤، بيروت، لبنان ١٩٩٥.

١٣٦- العاملي، جعفر مرتضى، مأساة الزهراء عليها السلام، دارالسيرة، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.

١٣٧- العاملي، محسن الأمين الحسيني، أعيان الشيعة، تحقيق: السيّد حسن الأمين، بيروت: دار التعارف، ١٤٠٣ هـ، ط٥.

١٣٨- العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق البجاوي، ط ١ سنة ١٤١٢ هـ، دار الجيل، بيروت، لبنان.

١٣٩- العسقلاني، ابن حجر، ارشاد الساري، دار احياء التراث العربي، ط سنة ١٣٠٤ هـ، بيروت، لبنان.

١٤٠-العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، ط١، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٩٨.

١٤١-العسقلاني، تهذيب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١بيروت، ١٤١٥ه.

١٤٢-العسكري، مرتضى، معالم المدرستين، مؤسسة النعمان، بيروت، ١٤١٠.

١٤٣-العطاردي، عزيز الله، مسند فاطمة عليها السلام، منشورات عطارد، طهران،

١٤١٢هـ.

١٤٤- العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الرضا عليه السلام نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ١٤٠٦ هـ.

١٤٥-د. عكام، محمد، الزهراء بين الثناء والولاء، ط١، دار فصلت، عام ١٤١٨، سوريا.

١٤٦- العياشي، ابى النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، تفسير العياشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، بيروت، ٢٠١٠.

١٤٧-الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.

١٤٨-الفيض الكاشاني، محمّد بن مرتضى، المحجة البيضاء في احياء الاحياء، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٤٩-القرشي، باقر شريف، ام المؤمنين السيدة خديجة، ط١، مكتبة الامام الحسن عليه السلام النجف الاشرف، العراق١٤٢٩هـ.

١٥٠-القرشي، محمد باقر، حياة الإمام الحسن عليه السلام، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، سنة ١٣٧٥هـ.

١٥١-القرشي، محمد باقر، حياة الامام الحسين عليه السلام ج١، ج٢، دار البلاغة، بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ.

١٥٢-القرطبي، ابو عبد الله محمد، تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، ط١، بيروت، لبنان ١٤٠٥.

١٥٣-القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأُوَل، عالم الكتب، ط١، بيروت،. ١٩٩٢.

١٥٤- القزويني، محمد كاظم، فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد الى اللحد، مؤسسة النور للمطبوعات، ط١ بيروت، لبنان، ١٩٩١.

١٥٥-القمي، عباس، بيت الاحزان في ذكر احوالات سيدة نساء العالمين، دار التعارف

للمطبوعات، ١٤١٩بيروت، لبنان.

١٥٦- القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ٢٠٠٧.

١٥٧-الكعبي، علي موسى، سيدة النساء فاطمة الزهراء، مؤسسة الرسالة، قم، ايران، ٢٠١٠.

١٥٨- الكفعمي، إبراهيم بن علي العاملي، المصباح في الأدعية والصلوات والزيارات، منشورات اسماعيليان، قم، ايران.

١٥٩- الكلاباذي، أبو بكر، معاني الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩

١٦٠-الكليني، ثقة الإسلام محمد بن يعقوب، الكافي؛ دار صعب ودار التعارف، بيروت، لبنان.

١٦١- الكليني، محمد بن يعقوب، فروع الكافي، دار الأضواء، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م.

١٦٢-الكنجي الشافعي، محمد بن يوسف، كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، ١٣٩٠هـ.

١٦٣- الكوراني، حسين، في محراب فاطمة الزهراء عليها السلام، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢.

١٦٤-الكوفي، محمد بن سليمان، مناقب الإمام أمير المؤمنين، مجمع احياء الثقافة الاسلامية، قم، ١٤١٢ هـ، ايران.

١٦٥-المازندراني، محمد صالح السروي، شرح أصول الكافي، ط١ دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٦٦- المازندراني، محمّد مهدي حائري، شجرة طوبى، قم، دارالقلم، ١٤٢٥ هـ، ايران.

١٦٧-المالكي، ابن صباغ، الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة عليهم السلام، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

١٦٨-المالكي، ابو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، الاستيعاب في معرفة الاصحاب تحقيق: علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١

بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

١٦٩- المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١١.

١٧٠-المتقي الهندي، علي المتقي ابن حسام الدين، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، مكتبة التراث الاسلامي، ط١، بيروت، لبنان، ١٣٩٧.

١٧١-المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، دار احياء التراث، ١٤١٢، بيروت، ط١، لبنان.

١٧٢-المجلسي، مرآة العقول، دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران..

١٧٣- المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام (سلسلة اعلام الهداية) فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة النساء، رقم ٣، طهران.

١٧٤- محمد، عبد الزهراء عثمان، الزهراء فاطمة بن محمد، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.

١٧٥- المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ١٩٨٠.

١٧٦-المسعودي، محمد فاضل، الأسرار الفاطمية في المقامات الملكوتية والمعاني الروحانية للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، محمد فاضل المسعودي، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥، بيروت، لبنان.

١٧٧-المسعودي، مروج الذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١.

١٧٨-مطهري، مرتضى، السيرة النبوية، ترجمة جعفر صادق خليلي، مؤسسة البعثة، ط٢، بيروت، لبنان١٩٩٢.

١٧٩-المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الامالي، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

١٨٠-المفيد، الإرشاد، دار المفيد، الثانية ١٩٩٣/١٤١٤، بيروت، لبنان.

١٨١- المفيد، الإختصاص، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٨٢-المقرم، عبد الرزاق، وفاة الصديقة الزهراء، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط١، عامه١٤٠٣.

١٨٣-المناوي، محمد عبد الرؤوف، سيدة نساء اهل الجنة فاطمة الزهراء، تحقيق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، مصر.

١٨٤- الموسوي، عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية، ايران، ١٤١٦.

١٨٥-الموسوي، عبدالحسين شرف الدين، النص والإجتهاد، ط سنة ١٣٨٦ هـ، النجف الأشرف، العراق.

١٨٦- الميلاني، فاضل الحسيني، الزهراء ام ابيها، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٤١٣، ط٦.

١٨٧-المهاجر، عبد الحميد، اعلموا اني فاطمة، ط١، دار الكتاب العشرة،. ٢٠٠٧.

١٨٨-مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، عالم الكتب، ١٩٩٨، بيروت، لبنان.

١٨٩-مطهري، مرتضى، السيرة النبوية، ترجمة جعفر خليلي، مؤسسة البعثة، بيروت ١٩٩٢.

١٩٠- النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٤٠٨ هـ.

١٩١ -النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، بيروت، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ١٩٩١.

١٩٢-النسائي، أحمد بن شعيب، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مكتبة المعلا، الكويت، ط١، ١٤٠٦.

١٩٣- النميري، ابن شبة، تاريخ المدينة، ١٤١٠هـ. دار الفكر، قم، إيران.

١٩٤-النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين، ط١، موسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦ هـ.

١٩٥- الهلالي، سليم بن قيس العامري الكوفي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، ط١، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

١٩٦-الهمداني، أحمد الرحماني، فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.

١٩٧-الهيثمي، ابن حجر المكي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.

١٩٨-الهيثمي، نور الدين علي بن ابي بكر، مجمع الزوائد، دار الكتاب العربي ط٣ ١٤٠٢ بيروت، لبنان.

١٩٩-الواقدي، محمد بن عمر، المغازي (ت ٢٠٧)، ط٣، دار عالم الكتب ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤.

٢٠٠-اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.

كتب متنوعة

٢٠١-أبو العينين، علي خليل مصطفى، الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ط١، جدة دار الوسيلة للنشر والتوزيع ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٢٠٢-ابو حجير، مجيد محمود، المرأة والحقوق السياسية في الاسلام، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٧، السعودية.

٢٠٣-د. ابو يحيى، محمد، د. راشد شهوان وآخرون، الثقافة الاسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، دار المناهج، ط١، عمان، الاردن، ٢٠٠١.

٢٠٤-ابييز، آلان وباربار، المرجع الاكيد في لغة الجسد، مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط١، ٢٠٠٨.

٢٠٥-د. البستاني، محمود، دراسات في علم النفس الاسلامي، دار البلاغة، ط٢، بيروت، ١٩٩٩.

٢٠٦-د. الجزائري، غياث الدين، معجزة الاطعمة، طهران، ط١٤، ايران.

٢٠٧-الجوادي الآملي، جمال المرأة وجلالها، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

٢٠٨-الجوهري، عايدة، رمزية الحجاب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، لبنان، ٢٠٠٧.

٢٠٩-الحداد، كفاح، المرأة والعمل السياسي، دار الهادي، بيروت، ط١، لبنان، ٢٠٠١.

٢١٠-الحداد، كفاح، النجاح في عالم المرأة، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

٢١١-احمد، سهير كامل، سيكولوجية الشخصية، مركز الاسكندرية للكتاب، ١٩٩٨.

٢١٢-الخطيب، محمد عجاج، اضواء على الاعلام في صدر الاسلام، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط٢، ١٩٨٧

٢١٣-د. الزنتاني، عبد الحميد، اسس التربية الاسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط٢، ١٩٩٣.

٢١٤-د. الزهران، حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي ط٥، عالم الكتب، القاهرة، مصر. ١٩٨٤.

٢١٥-د. الكندري، احمد محمد مبارك، علم النفس الاسري، ط٢، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٩٢.

٢١٦-اندرسون، غريغ، مبادي الحياة السليمة، ترجمةد. قيصر زحكا، مطبعة اليازجي، دمشق، سوريا، ١٩٩٩.

٢١٧-د. انكلمان، كلاوديا، بلوغ النجاح في الحياة الزوجية، تعريب د. سامر نصري، مكتبة العبيكان، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.

٢١٨-د. باقري، خسرو، نظرة معاصرة الى التربية الاسلامية، انتشارات مدرسة، ٢٠٠٦، ط١٣، طهران، ايران.

٢١٩-د. بطاينة، محمد ضيف الله، الحياة الاقتصادية في العصور الاسلامية الاولى، دار طارق، عمان، الاردن.

٢٢٠-الشهيدة بنت الهدى، المرأة مع النبي، الانترنت.

٢٢١-حتة، محمد كامل، القيم الدينية والمجتمع، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٤، مصر.

٢٢٢- ديورانت «ويليام جيمس، قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر،

ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢٢٣-د. راجح، احمد عزت، اصول علم النفس، ط٧، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨.

٢٢٤- د. رفعت، محمد، قاموس الطفل الطبي، دار ومكتبة الهلال، ط١.

٢٢٥-د. سبوك، حديث الى الامهات، ترجمة وتحقيق: منير عامر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٩.

٢٢٦-سبوك، بنيامين، فن الحياة مع المراهق، تحرير منير عامر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢، ط١

٢٢٧-د. سقال، ديزيره، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

٢٢٨-د. السعداوي، نوال، وهبة رؤوف عزت، المرأة والدين والاخلاق، دار الفكر المعاصر ط١، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠

٢٢٩-شمس الدين، محمد مهدي، بين الجاهلية والاسلام، المؤسسة الدولية للطباعة والنشر، ط٤ بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

٢٣٠-د. طبارة، رجاء مكي، دراسات نظرية وعملية لتقنيات وميادين في علم النفس الاجتماعي، ط١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.

٢٣١-طايل، فوزي محمد، كيف نفكر استراتيجيًا، مركز الإعلام العربي، القاهرة ١٩٩٧.

٢٣٢-عبد الحليم، محي الدين، الاعلام الاسلامي وتطبيقاته العملية، مطبعة الخانجي، مصر، ١٩٨٠

٢٣٣-د. عبد الحليم، محي الدين، الدعوة الاسلامية والاعلام الدولي، دار الفكر، القاهرة، مصر.

٢٣٤-عبدالحميد، شاكر، عصرالصورة السلبيات والإيجابيات، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٥.

٢٣٥-د. عبد الفتاح، اسماعيل، القيم السياسية في الاسلام، ط١، الدار الثقافية للنشر،

القاهرة، مصر ٢٠٠١.

٢٣٦-د. عبد اللطيف، حمزة، الاعلام في صدر الاسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

٢٣٧- د. عبد اللطيف، حمزة، الاعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكرالعربي، القاهرة، مصر، ١٩٦٥.

٢٣٨-د. عبد الناصر، ميرفت، هموم المرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.

٢٣٩-عثمان، عبد الكريم، معالم الثقافة الاسلامية، مؤسسة الرسالة أبيروت، ١٩٩٩.

٢٤٠-غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ط١، ٢٠٠٩.

٢٤١-غيدنز، انتوني، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٥.

٢٤٢-د. فايز قنطار، الامومة، سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٦٦، الكويت.

٢٤٣- قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، دار الشروق، مصر، ١٩٩٨.

٢٤٤-د. كنعان، احمد علي، ادب الطفل والقيم التربوية، دار الفكر، سوريا، ط٢، ١٩٩٩.

٢٤٥- مجموعة من الباحثين، المرأة في الفكر الاسلامي المعاصر، كتاب المنهاج، الغدير للطباعة بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢.

٢٤٦-مجلة رسالة الثقلين عدد ٣٠.

٢٤٧- د. مرسي، كمال ابراهيم، العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الاسلام وعلم النفس، دار القلم ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.

٢٤٨-د. مرسي، عبد العظيم، في الاصول الاسلامية للتربية، ج١، المكتبة الجامعية، مصر ٢٠٠٠.

٢٤٩- مطهري، مرتضى، التربية والتعليم في الاسلام، دار الهادي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥.

٢٥٠-مطهري، مرتضى، حجاب المرأة المسلمة في القرآن والسنة، ترجمة، تحقيق: جعفر صادق خليلي - مختار الأسدي، ط١، دار الكتب العراقية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١١

٢٥١-مطهري، مرتضى، نظام حقوق المرأة في الاسلام، ترجمة ابو زهراء النجفي، ط١، سبهر، طهران، ايران ١٩٨٥.

٢٥٢-مظاهري، حسين. الاخلاق البيتية دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٧.

٢٥٣-مل، جون ستيوارت، استعباد النساء، ترجمة د. امام عبد الفتاح محمد، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨.

٢٥٤-د.ميلر، سوزانا، سيكولوجية اللعب، ترجمة حسن عيسى، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٢٠، الكويت. ١٩٨٧.

٢٥٥- د. نجيب، عمارة، الإعلام في ضوء الإسلام، ط ١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ.

٢٥٦- نوفل، عبد الرزاق، عالم الجن والملائكة، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، مصر.

٢٥٧-د. هاشم، سعيد، دور المرأة الرسالية في دولة النبوة، مؤسسة الفجر، لندن

٢٥٨-د. واطسون، روبرت وهنري كلاي، سيكولوجية الطفل والمراهق، ترجمة داليا المؤمن، مكتبة مدبولي، مصر، ط١، ٢٠٠٤.

٢٥٩-اليازجي، ندرة، الاعمال الكاملة، تأملات في الحياة النفسية، مطبعة اليازجي، دمشق، ط١، ١٩٩٨.

٢٦٠-د. يوسف مراد في كتابه سيكولوجية الجنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٩٤.

المحتويات

الفصل الاول

السيرة الفاطمية

الفصل الثاني

الزهراء عليها السلام... ادوار حضارية

الدور الاجتماعي

الدور السياسي

الدور الاعلامي

الدور الثقافي

الدور الاقتصادي

ادوار اخرى

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي

١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير

٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي

٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي
٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) — الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام - طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi'a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز

٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي
٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام - ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات - جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار - جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار
١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد هادي الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد	تحقيق: مشتاق صالح

	ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	المظفر
١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	موسوعة في ظلال شهداء الطف	الشيخ حيدر الصميماني
	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٢	يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء	ميثاق عباس الحلي
١٢٣	The Aesthetics of ‘Ashura	السيد نبيل الحسني
١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٥	قرة العين في صلاة الليل	الشيخ ميثاق عباس الخفاجي
١٢٦	من المسيح العائد إلى الحسين الثائر	أنطوان بارا
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني
١٢٨	الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر	السيد نبيل الحسني
١٢٩	النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة	مروان خليفات
١٣٠	البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين	الشيخ حسن المطوري
١٣١	تفضيل السيدة زهراء على الملائكة والرسل والأنبياء	الشيخ وسام البلداوي
١٣٢	The Prophetic Life A Concise Knowledge Of History	السيد نبيل الحسني
١٣٣	معاني الأخبار للشيخ الصدوق	تحقيق: السيد محمدكاظم
١٣٤	ضياء الشهاب وضوء الشهاب في شرح ضياء الأخبار	تحقيق: عقيل عبدالحسن
١٣٥	المنهج السياسي لأهل البيت عليهم السلام	السيد عبدالستار الجابري
١٣٦	هوامش على رسالة القول الفصل في الآل والأهل	عبدالله حسين الفهد
١٣٧	فلان وفلانة	عبدالرحمن العقيلي
١٣٨	معجم نواصب المحدثين	عبدالرحمن العقيلي

١٣٩	استنطاق آية الغار	السيد نبيل الحسني
١٤٠	دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية	السيد نبيل الحسني
١٤١	أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار	السيد محمد علي الحلو
١٤٢	السنة المحمدية	عبدالرحمن العقيلي
١٤٣	قواعد حياتية على ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٤٤	المُثُل العليا في تراث أهل البيت عليهم السلام	د. محمدحسين الصغير
١٤٥	خاصف النعل	الشيخ ماجد العطية
١٤٦	الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد
١٤٧	الإمام حسن العسكري عليه السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد
١٤٨	أصول وقواعد تفسير الموضوعي	الشيخ مازن التميمي
١٤٩	بحوث لفظية قرآنية	عبد الرحمن العقيلي
١٥٠	مستدرك الكافي	د. علي عبد الزهرة الفحام
١٥١	الافصاح عن المتواري من احاديث المسانيد والسنن والصحاح - جزئين	الحاج محسن الخياط
١٥٢	آمنة بنت الحسين عليهما السلام	السيد محمد علي الحلو
١٥٣	أمهات الأئمة المعصومين - جزئين	د. السيد حسين الصافي
١٥٤	قراءة في السيرة الفاطمية	كفاح الحداد